

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السَّجلماسي

(١٢٩٠ - ١٣٦٥ هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الرابع

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨
حقوق الطبع محفوظة للناسر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج ٤
تأليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسي ، تحقيق: على عمر
- ط ١ - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
٥ مج : ٢٤ سم
تدمك : ٦ ٣٩٢ ٣٤١ ٩٧٧
١- الفقهاء - معاجم
أ- عمر ، على (محقق)
ب- العنوان

ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الايداع : ٢٠٠٨/ ٧٦٦٩



obeikandi.com



إتخاف أعلام الناهر
بجمال أخبار حاضرة مكناس
لابن زيدان



obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

٢٠٦- محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني
الأصل.

نسبة إلى أبي عثمان، وهو من قبيلة كتامة حسبما ذكر ابن خلدون، كذا قال عن نفسه، والذي في ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد الرزاق العثماني من نشر المثاني أن نسبتهم إلى العثامنة بطن من مختار حوز مكناسة الزيتون والله أعلم، المكناسي النشأة والدار، الفاسي الرحلة والإقبار.

حاله: عالم العصر، وبركة القطر، المتفنن الذي لم يسمح الزمان له بمثيل، بحر زخار تتلاطم أمواج تحقيقه، حافظ حجة، فرضى حيسوبى عروضى خطيب، جامع شتات الفضائل، مقرئ مجود صدر في القراءات متقن لها عارف بوجوهها وعللها، طيب النعمة، عذب المنطق، حسن الإيراد والتقرير، فصيح اللسان، عارف بصناعة التدريس، ممتع المجالسة، جميل الصحبة، سرى الهمة نقى الشبهة، حسن الأخلاق والهيئة، عذب الفكاهة، معظم عند الخاصة والعامة، نصوح، قائم بعلم التفسير والفقه والعربية والحديث حافظ له واقف على أحوال رجاله وطبقاتهم ضابط لذلك كله معتن به ذاكر للسير والمغازي والتاريخ والآداب.

رحل لفاس في طلب العلم قال عن نفسه: وأظن رحلتى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فأقمت بها ما شاء الله تعالى، ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في الفهرسة التي سميتها بالتعلل برسوم الإسناد، بعد ٢٠٦ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣٢٠، دوحة الناشر في موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٨٣١.

انتقال أهل المنزل والناد، ثم عدت إلى مدينة مكناسة فأقامت بها بين أهلى وعشيرتى زمانا انتهى .

ولقد أنفق عمره فى طلب العلم والعكوف على نشره وتقييد شوارده .

ولى خطابة مكناسة الزيتون وتصدر للتدريس بجامعها الأعظم، ثم خطبة فاس الجديد لما نفى من بلده مكناسة على عهد محمد بن أبى زكرياء الوطاسى، قال فى درة الحجال فى ترجمة محمد بن يوسف التلافى: حدثنى أن ابن غازى لما نفى من مكناسة نفاه محمد بن أبى زكرياء بن يحيى بن عمر الوطاسى الملقب بالحلولى لقيه بباب مكناسة وهو خارج منها قاصدا المشرق، أعنى كان فى ظنه ذلك، ثم حبسه أهل فاس عندهم فقال له يوصيه: يا محمد عليك بالقراءة فمن بركتها بلغت هذا المنصب، وهذه الخطة - يعنى خطة الجلوس لحراسة الأبواب - فكان ابن غازى يسلى نفسه بعد ذلك بقوله، وكان أمير فاس يومئذ محمد بن أبى زكرياء^(١) انتهى .

ثم لما انتقل لفاس واستوطنها رشح لخطبة فاس الجديد، ثم للخطابة والإمامة بجامع القرويين والتدريس، ولم يكن فى عصره أخطب منه، وكان يسمع فى كل رمضان صحيح الإمام البخارى، رحل الناس للأخذ عنه وتنافسوا فيه، وتخرج عليه عامة طلبة فاس وغيرها، وكان شيخ الجماعة بها، وبالجملية فقد فاق أهل زمانه وتبرز عليهم فى سائر الفنون، وهو آخر المقرئين وخاتمة المحدثين .

جاهد بنفسه وحضر فيه مواقف عديدة، ورابط فيه مرات كثيرة، وخرج فى آخر عمره لقصر كتامة للحراسة فمرض ورجع لفاس فاستمر به إلى أن توفى .

وفى بذل المناصحة، فى فعل المصافحة، لأبى العباس أحمد بن على البوسعيدى أن المترجم كان متخذا من يبحث له عن الأخبار الرائجة ويأتيه بها

(١) درة الحجال ٢/ ١٨٢ .

مكتوبة فى كرارىس كل يوم الأربعاء فىتصفحها يوم الخميس يوم تعطيل الدروس
انتهى .

مشيخته : منهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القورى المكناسى لازم مجلس
درسه فى المدونة أعواما، وسمع عليه كثيرا من الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثى،
وسمع عليه السير لابن إسحاق رواية عبد الملك بن هشام وتهذيبه بحثا وتفقهها،
وسمع عليه بعض مدارك القاضى عياض وبعض مختصر الجوزقى وبعض وثائق
أبى القاسم الجزيرى، وبعض المختصر الخليلى، وبعض المدونة زائدا على ما فى
مجلس درسه العام، وسمع عليه أيضا تبخرا وتوسعا بعض التفسير وبعض رسالة
الشيخ ابن أبى زيد، وبعض الماردى على الألفية وغير ذلك .

ومنهم الشيخ النظار أبو العباس أحمد بن عمر المزجلدى المتوفى بفاس عام
أربعة وستين وثمانمائة قال : ما أدركنا بفاس أعلم منه بالمدونة، كانت نصب عينيه
يستظهر نصوصها ويسردها عند الحاجة سردا، وإذا قعد لإقراءها تسمع منه السحر
الحلال، ينقل عليها كلام شارحيها بألفاظهم بلا تكلف، ثم يكر على أبحاثهم
فيبين من أين أخذوها منها، ويقول : إنهم فهموها ففسروا بعضها وضربوا أولها
بآخرها وآخرها بأولها، قال : ولم يكن يقرر فى مجلسه إلا الفقه الساذج،
ولازمت مجلسه بمدرسة مصباح مدة، سمعت منه فيها بعض رزمة البيوع .

ومنهم الحافظ المكثّر الخطيب أبو على الحسن ابن منديل المغيلى المتوفى بفاس
عام ثلاث وستين وثمانمائة، لازم مجلسه بجامع القرويين مدة، سمع عليه فيها
رسالة أبى محمد، قال : وسألته واستفدت منه .

ومنهم الولى الصالح أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن أبى القاسم
القرمونى القيسى المتوفى عام أربعة وستين، قال : جالسته كثيرا واستفدت منه،
وحضرت مجلسه بجامع القرويين فى الرسالة .

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن المجدولى المشهور بالتونسي، كان ربما حضر مجلسه واستفاد منه بعض الشيء، وكان مبرزاً في علم المعقول وعنه كان يؤخذ بفاس.

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن الكاواني دفين مكناسة، قرأ عليه الرسالة وختمتين في فرائض التلقين تفقها وعملاً، وبعض الألفية، وسمع عليه بعض المدونة وبعض تفريع ابن الجلاب، قال: وكان إماماً في أصول الدين فتح بصائرنا فيها وفي أصول الفقه.

ومنهم أبو الحسن بن منون الحسنى المكناسى ختم عليه ختمات كثيرة من القرآن العزيز، وتمرن عليه في الفرائض والوثائق وإعراب القرآن العزيز وأوقافه، واستفاد منه كثيراً.

ومنهم أبو العباس أحمد بن سعيد الحباك المكناسى، قرأ عليه نحو ثلث شرح ابن عقيل تحقيقاً وتدقيقاً لا سيما شواهد الشعرية، وقرأ عليه نظمه لبيوع ابن جماعة قراءة تحقيق وتدقيق وبحث وتغلغل، كانت سبباً في رجوعه عن بعض أبيات الرجز المذكور تبديلها بغيرها، ولازم مجالسته واستفاد منه كثيراً.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى الآتى قريباً المكناسى، جالسه بمكناسة واستفاد منه كثيراً، ومن أغبط ما أخذ عنه المصافحة المروية عن الخضر، قال: صافحنى بالمسجد الأعظم من مكناسة الزيتون، وقال: صافحنى والدى الأستاذ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى ابن جابر، وقال: صافحنى الشيخ الفقيه العالم الصالح الزاهد الأكمل أبو عبد الله محمد بن على المراكشى المعروف بابن عليوات بيده المباركة، وأمرنى أن أشد على يده، وقال لى: إن معنى ذلك الاشتداد فى الدين فشددت وذلك بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله تعالى فى أوائل عام اثنين وثمانمائة، وأخبر أنه

صافحه كذلك أبو عبد الإله الصدفى، وصافح أبا عبد الإله الصدفى أبو العباس ابن البناء، وصافح أبا العباس ولى الله تعالى أبو عبد الله الهزميرى أخو ابن أبى زيد الهزميرى وشيخه، وصافح الهزميرى أبو العباس الخضر، وصافح الخضر سيدنا ونينا محمد ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم.

وكذلك صافحنى الشيخ العدل المبارك أبو خالد يحيى بن خالد بن أبى بكر ابن يحيى بن خالد، قال: صافحنى والدى المذكور، والشيخ الفقيه المفتى أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن معطى العيدروسى، قالوا: صافحنا الأستاذ أبو عبد الله بن جابر المذكور بمثل السند المذكور انتهى من خطه.

ومنهم العلامة أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمادة الأوربى النيجى الشهير بالصغير، المولود بالحرمر من بلاد نيجة بطن من أوربة عام ثلاثة وثمانمائة، المتوفى بفاس ليلة سادس شعبان عام سبعة وثمانين وثمانمائة، وكان متبحرا فى القراءات وأحكامها، وبلغ فى النحو مبلغا لم يصل إليه أحد من أتراه ولا من أشياخه، لازمه كثيرا وقرأ عليه القرآن ثلاث ختمات آخرها للقراءة السبعة على طريقة الدانى، وحديثه بذلك عن شيخه أبى العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى موسى الشهير بالفلالى، وأبى الحسن على بن أحمد الورتناجى الشهير بالوهرى، وأخذ عنه بحثا وتدقيقا لامية الأفعال وبعض كتاب سيبويه، وإيضاح أبى على، والتسهيل، والمغنى، والبداية والهداية للغزالي وغيرها، وروى عنه بعض المصنفات فى القراءات والفقه والحديث بأسانيده إلى أربابها.

ومنهم أبو الحسن الأنفاسى، وأبو سالم إبراهيم المعروف بالحاج من شيوخ فاس المهرة، وكانا من شيوخ شيخه الصغير المذكور، قال: وقد شاركته فى لقاء هذين الأخيرين - يعنيهما - وحضرت مجلسيهما.

ومنهم القاضى أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الورياجلى قال: جالسته
وذاكرته كثيرا واستفدت منه كثيرا فى الفقه وأصوله وأصول الدين، وأجازنى
متلفظا وخاطا جميع ما حملة عن شيوخه، وكان ذلك فى ربيع الثانى عام ستة
وثمانين وثمانمائة.

ومنهم الفقيه الصالح الورع أبو عبد الله محمد بن يحيى البادسى، قال:
جالسته كثيرا وصاحبته فى السفر مرارا، واجتمعت معه ومع غيره على قراءة جمع
الجوامع لابن السبكي تفقها وبحثا، وعلى المذاكرة فى العلم، ثم ذكر أنه أجازته
فيما يرويه عن شيخه الصالح المؤلف عبد الرحمن بن مخلوف الثعالى، وهو يروى
عن أبى زرعة بن الحافظ العراقى.

ومنهم الأستاذ المحقق أبو الفرج محمد بن محمد بن موسى بن أحمد
الطنجى قال: جالسته كثيرا للمذاكرة واجتمعنا بجامع القرويين عمّره الله تعالى
على قراءة صحيح البخارى حتى ختمناه تحقيقًا وبحثًا، ومطالعة لما نحتاج إليه من
الغريب ونحوه، وذكر أنه قرأ عليه بعضه وبعض مسلم وأجازته فى سائرهما، وقرأ
عليه فهرسة أبى شامل الشهنى، وفرغ من ذلك كله بفاس فى محرم عام ستة
وسبعين وثمانمائة.

ومنهم الفقيه أبو عبد الله بن العلامة الراوية أبى سعيد بن أبى محمد عبد
الله بن أبى سعيد السلوى شيخه الطنجى المذكور قال: أدركته وجالسته ولكن
ما كتب لى أن أروى عنه إلا بواسطة هذا الشيخ، وبواسطة شيخنا أبى عبد الله
الصغير.

ومنهم الشيخ المبارك أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم محمد بن يحيى بن
أحمد بن محمد النفزى الحميرى الشهير بالسراج، يروى عنه بالإجازة العامة عام
سنة وسبعين وثمانمائة عن أبيه عن جده مسند فاس أبى زكريا المذكور.

ومنهم المحدث الرحال أبو محمد عبد القادر زين الدين بن عبد الوهاب بن أحمد البكرى المقدسى الشامى المولد المتوفى ببلاد مزاورة البربر، كان قدم المغرب سنة ثمانين وثمانمائة، قال: فجالسته وذاكرته فى الفقه وغيره وربما كنت أذكر مذهب مالك فى الفرع ويذكر فيه مذهب الشافعى، وربما يملئ فى ذلك نص المناهج، وكان مستحضرا له واستفاد بعضنا من بعض فوائد جمعة، وكان له نظر فى الحساب فاستجازنى فى الرجز الذى لفقته فيه المسمى بمنية الحساب فأجزتها له، وحمل منها نسخة بخطى واستجزته فيما حمله عمن لقى بالعراق والحجاز والشام ومصر فأجاز لى جميع ذلك إجازة عامة.

ومنهم الحفاظان المصريان: أبو عمرو عثمان الديمى، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن السخاوى، حصل على إجازتيهما عام خمسة وثمانين وثمانمائة بواسطة الشيخ زروق الذى استدعى الإجازة منهما لصاحب الترجمة ولولده أحمد، ولللقهاء: عيسى الماوسى، وأحمد بن يحيى الونشريشى، وموسى العقدى، وقاضى الجماعة محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودى.

ومنهم الراوية المحدث المتفنن أبو عبد الله محمد بن شيخ الإسلام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى، يروى عنه هو وولده أحمد بطريق الإجازة العامة التى بعثها إليهما متلفظا بذلك وأمرًا لتعذر بصره بكتابته.

الأخذون عنه: ممن أخذ عنه العباس الصغير، ومحمد بن على الحسنى التلمسانى شارح الشفا، أخذ عنه سنة ثلاثة عشر وتسعمائة كما صرح بذلك صدر شرحه للشفا، وأحمد الدقون، والمفتى على بن هارون، وأحمد باب التنبكتى،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ
 الْعُثْمَانِيُّ الْكُتْلَابِيُّ وَفِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَةٍ
 الْعَدْلُ الَّذِي حَقَّ بِهِ وَكَانَ لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَعْلَامِهِ وَالْفَقِيرُ
 وَالْمُسْتَغْنَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الشَّيْرِ الْحَسَنِ وَعَلَى آلِهِ
 وَبِهِدَاؤِهِ الْبَرِّ وَالصَّابِرِ وَالْقَوِي وَالْحَسَنِ وَبِهِدَاؤِهِ الْبَرِّ
 وَأَخْبَارُ مَكْنَسَةِ التَّائِبِينَ مَسْفُوفَةٌ بِأَيْدِيهِ وَمُحَلَّلَةٌ بِأَيْدِيهِ
 بِأَلْفِهَا نَيْفَةً عَلَى قَمَارِيهِ وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَشْرِجَلَةٍ شَرَاهُمَا
 وَالْمَعْرُوفُ هَذَا الْمُسْلِمُ هَذِهِ الْمَظَانَةُ لَيْتَ أَرَادَ عَنْ مَكْنَسَةِ تَارَا وَالدَّانِ
 بِمَا بَلَغَ نَدَانَهُ فَمِثْلَ بِنَا لِهَ مَكْنَسَةِ مِنْهُ بِخُزْنِهَا أَشْرَقَ مِنْ مَدِينَةٍ
 بِأَمْرِ بَيْنَهُمَا خَوْسِدَةً نَزَمَ وَمِنْهُ بِخُزْنِهَا سَدَ الْمَوْضِعِ الْمَرَادُ غِيَا
 مَدِينَةٍ وَأَمْرٍ وَبَيْنَهُمَا خَوْسِدَةً بَرَدَ وَنَصَبَ بَرَدَ بِمَدِينَةٍ أَحْمَدَ أَعْلَى
 فِي الْخُرُوجِ عَلَى الْأَضْيَعِ إِلَيْهِ وَمَكْنَسَةِ الرَّبِّ تَعَالَى وَالْأَيْدِي فِي الْقَبْرِ
 وَيَعْرُوفُ كَمَا بَلَغَ عَمَلُهُ وَمِنْهُ يَفُورُ شَيْخُ شَيْخِ خَلْفَةِ الْمُسْلِمِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 بِرَحْمَةِ الرَّحْمَنِ فِي أَرْجُوْرَةِ الْمَسَامَةِ بِفَرْقَةِ الْفَاكِرِ كَلَامُ خَلْفَةِ
 بَلَدٍ تَسْوِي فِي سَابِرِ الْعَمَلِ بِرِّ مَثَلُ عَمَلِهِ إِلَى عَمَلِهِ

الصحيفة الأولى من الروض المتهون بخط مؤلفه إمام الأئمة وبهجة
 الأئمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي

[illegible]

وعبد الواحد الونشريسي، ومحمد بن شقرون بن أبي جمعة المغراوى ثم الوهرانى المتوفى فى حدود تسع وعشرين وتسعمائة، وأبو عبد الله محمد بن عدة الأندلسى المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة على ما فى لقط الفرائد فى خلق لا يحصون.

وقد وقفت على إجازته لولديه أحمد ومحمد والونشريشى وابن هارون والإخوة محمد وعبد الرحمن، وأحمد أولاد محمد بن إبراهيم الدكالى ومحمد ابن عبد الواحد الغزال بخطه على ظهر فهرسته التى بخطه.

مؤلفاته: منها شفاء الغليل، فى حل مقفل خليل، فى جزء أوضح فيه هفوات وقعت لبهرام ومواقع مشكلة من المختصر أجاد فيها ما شاء من أحسن الموضوعات عليه، وتكميل التقييد وتحليل التعقيد، على المدونة كمل به تقييد أبى الحسن الزرويلي، وحل مشكل كلام ابن عرفة فى مختصره فى ثلاثة أسفار كبار. وحاشية لطيفة على الألفية مفيدة نبه فيها على مواضع من كلام المرادى مع نقل زوائد الإمام الشاطبى وتحقيقاته العجيبة وهى بخزائى، ومنية الحساب وشرحها المسمى بغية الطلاب فى مجلد مطبوع متداول، وذيل الخزرجية فى العروض وشرحه المسمى بإمداد أبحر القصيد ببحرى أهل التوليد، وإيناس الإقعاد والتجريد بجنسهما من الشريد، ونظم مشكلات الرسالة، وحاشية لطيفة على البخارى فى نحو أربعة كراريس، وإنشاد الشريد فى ضوال القصيد، تكلم فيه على الشاطبية، والمطلب الكلى، فى محادثة الإمام القلى، والجامع المستوفى، بجداول الخوفى، والمسائل الحسان، المرفوعة إلى حبر فاس والجزائر وتلمسان، ونظم مراحل الحجاز، وشرحه. ومؤلف صغير فى ماحيا^(١) سماه مذاكرة ابن إسحاق بن يحيى. وإسعاف

(١) فى هامش المطبوع: يعنى الخمر المقطر من التين غالبا كان اليهود يتجرون فى ذلك بكثرة، أما اليوم فقد قل ذلك جدا لمقاومة الحكومة لهم ولاتفاق الأطباء على ضرر ذلك بالصحة العامة.

السائل فى تحرير المقاتل والدلائل ، ونظم فواصل المقال وشرحه ، واستنبط من حديث أبى عمير ما فعل النغير مائتى فائدة وترجمها ، قال فى نيل الابتهاج : وقد وقفت على التراجم ، والروض الهتون ، فى أخبار مكناسة الزيتون ، وفهرسة شيوخه المسماة بالتعلل برسوم الإسناد ، بعد انتقال أهل المنزل والناد ، وذيلها الذى ذكر فيه إجازة ابن مرزوق له والثلاثة توجد بخطه فى خزانتنا فى مجلد فرغ من الفهرسة أواسط شعبان عام ستة وتسعين وثمانمائة وفرغ من ذيلها عام خمسة وتسعمائة وكان يكتب التسعمائة والثمانمائة مفصولتين .

ومن مؤلفاته كليات فقهية على مذهب المالكية مرتبة على الأبواب قال أولها : وكان سبب جمعنا لها إقامتنا فى بعض الأيام بطريق تامسنا حين توجهنا للقاء مع الشاوية حين طلبوا على ذلك فى أوائل عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة وهى مطبوعة .

شعره : له مقطعات منتشرة ضمنها فوائد فقهية وفرائد تاريخية من ذلك قوله لما نفى من مكناسة :

طلقت مكناسة ثلاثا	والشرع يأبى الرجوع فيه
ليست بدار سوى لقاض	أو عامل الجور أو سفيه

وقوله :

السمن والزبد والأجبان مع أقط	لا تبتن بعضها البعض إذ منعنا
والجن إن بعته بالمثل من أقط	فلا يراه أبو إسحاق ممتنعنا

وله أيضا فى حل الأعداد إلى أيمنتها التى تركب منها :

إذا عدد قد حل سفر بعدوه	فعشر له والخمس والنصف فى الطبع
-------------------------	--------------------------------

وإن خمسة فالخمس والزوج إن يفد
وإن تبق ست أو ثلاث فإنه
ثمان فإن أفنت بثمان وضعفه
وإن غيرها فاطرح بسبع فإن أبى
وفرداً إذا يفنى بتسع فإنه
وإن تبق منه ستة أو ثلاثة
وإلا أصم خالص أو مركب
وقد كملت والحمد لله وحده
على المصطفى المبعوث من آل هاشم
ومما ينسب إليه :

أقامت بمكناسة مدة أعلم أبناءها ما الكلام
فلما توهمه بعضهم على به بخلوا والسلام

ولادته : ولد بمكناسة الزيتون عام ثمانية وخمسين وثمانمائة وهو خلاف ما
قال الشيخ المنجور على ما فى كفاية المحتاج من أنها عام واحد وأربعين وثمانمائة .
وفاته : توفى بفاس إثر صلاة الظهر يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة
تسع عشرة وتسعمائة، ودفن من غده الذى هو يوم الخميس كما بكناشة الوزير
اليحمدي، واحتفل بجنازته احتفالاً عظيماً، وحضر السلطان ووجوه دولته فمن
دونه، وتبعه ثناء حسن جميل ودفن فى عدوة الأندلس من فاس برد الله ثراه
ورضى عنه .

٢٠٧ - محمد فتحا بن عيسى الفَهْدِي - بفتح الفاء وسكون الهاء وبعدها

دال مهملة - السفىانى الأصل ثم المختارى النشأة المكناسى الدار

والإقبار.

حاله: من فحول المشايخ الدالين على الله، من أجل من يهتدى بهديهم ويقتدى بأقوالهم وأفعالهم، مرب عارف بالله تعالى، مورد المريدين، ومفيد المسترشدين، جليل المقدار، صاحب أذواق ربانية، وإفادات عرفانية، طريقه تتبع العمل بالعلم، ومقامه فى مشاهدة الواسطة مشهد الروح، واقف فى مقام هبة الجلال، مفارق سره عالم الخلق، مستوطن عالم الأمر تبعاً لمشهوده، وهو روحه ﷺ فليس له مع غير الله قرار، ولا عما سوى الله أخبار.

نقل عنه أنه كان يقول: كيف تشرق ذات بأنوار النبى ﷺ ولم تفعل ما كانت تفعله الذات الشريفة، وأنه كثيراً ما كان يقول: السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا، وأن من الشروط عنده على المريد فى تلقين ورده امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، والمحافظة على الصلوات، ومراقبة الله تعالى فى جميع الأوقات، والصمت والمحبة والصبر والعزلة والحنانة والرأفة، وأن يرى جميع معاملة الإخوان معه من الله.

ويقول فى حق المبطلين: يريدون الياقوت بالضرب فى الحديد، ويريدون مقام الرجال، بأعمال الجهال، ويريدون أحوال الأبرار، بأعمال الفجار، وما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح، ومخالطة الخواص تكسب ثلاث خصال: العلم وصفاء القلب، وسلامة الصدر والعكس بالعكس.

والصدق مع الله نور والمعرفة برهان، والالتفات إلى غيره بهتان، وإضاعة حقوقه كفران، والغفلة عن ذكره خسران، إلى غير هذا.

٢٧٠ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر فى الموسوعة ٨٤٨/٢.



ظهیر السلطان سیدی محمد بن عبد الله لأولاد الشیخ الكامل سیدی

محمد بن عیسی

ولد ونشأ في مختار فرقة من قبيلة بنى حسن الشهيرة، ثم دخل فاسا فقراً ما تيسر من القرآن، ورجع إلى قبيلة سفيان، ثم رحل لمكناسة الزيتون آخر عمره واستوطنها، وقد وقفت على ظهير سلطاني أصدره السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الله العلوي لأولاد المترجم صرح فيه بثبوت شرفهم، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«كتابنا هذا أيد الله أمره، وخلد في الصالحات طيه ونشره، يستقر بيد حملته الشرفاء أولاد الولي الصالح، والبرهان الواضح، سيدى محمد بن عيسى نفعنا الله به أننا أسدّلنا عليهم أردية التوقير والاحترام، والرعى الجميل المستدام، والمحاشات عما تطالب به العوام، فلا يسام جنابهم ولا يضام، ولا يدخلهم أذى ولا اهتضام، وأسقطنا عنهم كل وظيف، قوى كان أو ضعيف، وجعلنا زكاتهم وأعشارهم يدفعونها للضعفاء من أقاربهم وعليهم بتقوى الله في ذلك ومراقبته في السر والعلانية رعيًا لنسبتهم الطاهرة، واشتغالهم بما يعينهم، فالواقف على كتابنا الشريف من عمالنا وولاة أمرنا العمل بمقتضاه ولا يتعداه، ومن رام حول حماهم أو قاربهم بشيء فإننا نعاقه أشد العقوبة، صدر بذلك أمرنا المعتر بالله والسلام في فاتح رجب الفرد الحرام عام ١١٧٤».

ولم أر من تعرض لرفع نسب الشيخ المترجم غير صاحب سلوك الطريق الوارية والؤلف المنسوب للغزال.

هذا وقد قال في ابتهاج القلوب نقلاً عن ابن عسكر في دوحته ما لفظه: سمعت بالتواتر من أهل مكناسة أيام سكنائى بها كرامات كثيرة يتحدثون بها عن الشيخ وكان تلميذه شيخنا أبو الحجاج بن مهدي يقول: سيدى ابن عيسى هو الأكسير الذى لا نظير له، ولقد حضرت عنده يوماً وقد جاءه تلميذه الشيخ أبو الرواين وقال له يا سيدى: إني جعلت زمام نفسى بيدك وقد شغفت بحب النساء، فإن لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصى الله تعالى في هذه الليلة يعنى

نفسه، ووالله حتى أفعل فقال الشيخ: اذهب وافعل ما شئت فإن الله قادر على أن لا تفعل، ولن تستطيع ولو أردت بعناية الله سبحانه. قال فلما كان من الغد جاء أبو الرواين وهو فى غاية الضعف ووجهه مصفر فقلنا له: مالك هكذا؟ فقال شاهدت العجب البارحة، فقلنا له: وما ذاك؟ قال: ذهبت إلى امرأة عربية وتكلمت معها أن تبيت عندي لما سبق من يميني بالأمس فأتت، فما كان إلا أن وصلتها^(١) وهممت بمواقعتها، فإذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضو من أعضائي فبقيت مستلقيا على ظهري كاليت لا أقدر على نطق ولا حركة، حتى طلع الفجر فسمعت صوت الشيخ وهو يقول: أتتوب إلى الله يا أبا الرواين؟ فقلت: بصوت خفى: أنا تائب لله، فقال: قم إلى صلاة الصبح، فنهضت فإذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال، فلما دخلت على الشيخ قال: يا أبا الرواين ما فعلت؟ فقلت: يا سيدى من يكون فى رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية، فقال: الحمد لله على تأييده ورحمته. ثم قال لنا أبو الرواين: من لم يوكل على نفسه مثل هذا الشيخ فهو فى غرر، فقضينا من الأمر العجب وسمعت الشيخ بصرى يقول: ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير بالمغرب: السيد ابن عيسى، والسيد أبو محمد الغزوانى، والسيد أبو محمد الهبطى^(٢).

قال: وكثيرا ما يتسبب إلى الشيخ ابن عيسى أقوام يهتكون أسرار الشريعة، ويحلون المحرمات ويظهرون أفعالا لا تشبه خرق العادات، ويدعون أن ذلك مما خصهم به من البركات، وحاشاه من ذلك إنما هم زنادقة أو مبتدعة، وكثير منهم يمر بالأسواق يخطفون الصابون وغيره، فيأكله ولا يرى تضررا بذلك، ويدخلون بيوت النار ولا يتضررون، ويشيرون بالهتك والبعض وغير ذلك.

(١) فى المطبوع: «وصلت إلى» والمثبت من دوحة الناشر التى ينقل عنها المصنف.

(٢) الخبر بطوله فى دوحة الناشر ٨٤٨/٢ من الموسوعة.

والحق أن ذلك من الحيل كما شاهدناه من بعضهم، وصدقنا في أصل فعله، وذلك أنهم يأخذون الشرنأك وهى شجرة معروفة فيسمونها البلعلع، وإذا أكلتها البقر ماتت من ساعتها، ولا يضر غيرها من الحيوان، وإذا قطعت عروقتها يخرج منها ماء أحمر كالدم فيتبعون عروقتها بالحفر احترازا من تجريحها ولا يحبسونها باليد لكن بخرقه كتان نقيه، ويجعلونها في العسل سبعة أيام حول مستوقد النار، ثم يفترون عليه أو يضعونه تحت لسانهم، ثم يقع لهم شبه السكر فيشبون من المواضع العالية، ويشيرون بالبعج ويدخلون الأفران إلى غير ذلك.

وغاية هذا، التحريم لإدخاله الضرر على العقل، فضلا عما ينون عليه من ادعاء خرق العادة والتصرف في أموال الناس ويتحاشى جانب الأولياء عن هذا ومثله. انتهى.

قلت: جل من يتمى لهذا الشيخ وأمثاله في كل بلد رعا لا همة لهم في تحل ولا تخل، ولا رغبة لهم في حق ولا حقيقة، بل لا يهتدون إلى ذلك سبيلا، ولا يطلبون عليه دليلا، وحسبهم تقليد اللاحق منهم للسابق، فيما هو عليه من ذميم الأفعال والطرائق، وهذا النوع هو الغالب في الوجود في كل زمان ومكان، ولذلك انتشرت بدعهم وتكاثرت أتباعهم وهم مع كونهم عميت عليهم الأنباء، إن أرشدتهم طعنوا فيك وقابلوا نصحك بالإباء، وما أحسن قول مخلص ودنا الفقيه أبى العباس أحمد الزياتي:

عجبا للعيساويين وما قد	نسبوه إلى ابن عيسى الولي
نسبوه إلى الضلال وظنوا	أن ذاك الضلال هدى النبي
زعمهم يحسنون صنعا وهم من	أخسر الناس صفقة يا أخى
جلبوا كل بدعة وذميم	وتساموا لكل شر وغى

شأن كل معاند أو غوى	تركوا الدين والصلاة جهارا
عمروه بكل فحش جلى	عطلوا كل مسجد عن صلاة
عانقوا كل خودة وصبي	وبه رقصوا بدون حياء
فرسوها افتراس كلب ضرى	أكلوا الميت والدماء وهى رجس
أن يضاف إليك كل دنى	سودوا وجهك ابن عيسى وحاشا
ما أشرت بذا الضلال الجلى	إيه والله ما أمرت ولا يو
تخجل الميت لو رآها كحى	بل ولو كنت قد رأيت فعالا
واقترديت بقول عيسى الصفى (١)	لتبرأت منهم دون ريب

ولعراقتهم فى الجهل والغباوة لم يعلموا أن المشايخ الصوفية أهل الخيفية السمحة بنوا نحلتهم على أصول أصيلة فى نظر الشارع، منها متابعة النبى ﷺ فى الأقوال والأفعال، ومراقبة الله تعالى فى سائر الأحوال، وأكل الحلال والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن مقصودهم من تأسيس الطرق يدور على أمور جاءت الشريعة بتأييدها والحض عليها، منها بث روح الاتحاد فى نفوس الأمة وجمع كلمتها صونا لها عن الوقوع فى مهواة التفريق، ومنها السير بالأمة على المنهج السوى والصراط القويم القوى.

ومنها الاجتماع على ذكر الله تعالى على الكيفية الواردة على لسان الشارع. ومنها الاجتماع على مدارس القرآن والمذاكرة فى معانيه والخوض فى عباب معارفه وعوارفه، ولطائفه وطرائفه، والنظر فى شئون الإصلاح الظاهرى والباطنى

(١) فى هامش المطبوع: «يشير لقوله تعالى حكاية عن ابن مريم سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق الآية.

العامة الهامة وملافاة ما أصاب القلوب من الرعونات والأدواء خوفا من أن ينتشر الداء، ويعز الدواء، نظر الناقد البصير فإن وجدوا خيرا حمدوا الله وحضوا على ملازمته واعتناقه بكلتى اليدين، وإن وجدوا شرا سعوا فى علاجه خوفا من أن تنتشر العدوى، وتعم البلوى، ولا تنفع الشكوى، ولا تسمع الدعوى.

ومنها الاجتماع لما فيه صلاح وتقوية للرابطة الإسلامية وتصفية القلوب بالأدوية النافعة الناجحة المنورة للسرائر والضمائر، المخلصة من الوقوع فى شبكة النفس والشيطان والهوى، المنجية من تلبس إبليس، وتحب العمل وحمل النفوس عليه حتى تكون دأبة على العمل صابرة عليه ولا تألف الكسل، ولا تميل للراحة فتخلد إلى أرض البطالة والتوانى فتخور عزائمها وتسفل هممها وتهلك مع الهالكين.

ولكن بالأسى والأسف أبى زاعمو أتباع أولئك المشايخ المصلحين إلا أن يخرجوا عن الخطة المثلى التى رسموها لهم، ويحيدوا عن سننهم القويم، ولسنا نشك ولا يشك كل مؤمن صحيح الإيمان أنه لو قدر ظهور أولئك الشيوخ المتبوعين اليوم، ورأوا ما عليه هؤلاء الذين يزعمون أنهم من أتباعهم من اختلاط النساء بالرجال، والتلطخ بالدم المسفوح والشطح والردح وضرب الرؤوس، بالمعاول والفئوس، وتضييع الصلوات، واعتقاد ذلك دينا من أعظم القربات، وتشويه وجه الإسلام والمسلمين بذلك، لتبرءوا منهم براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، ولفوقوا إليهم سهام المؤاخذه والملام.

فإن قلت: فهذا نحن بين ظهرانينا علماء الإسلام وهم مقرون لذلك ونجد بعضهم أكثرين لسوادهم فى مجتمعاتهم ومواسمهم متبركين بهم ملتسبين لصالح دعواتهم، قلنا: أما السكوت المضاف لمن هو من أهل العلم الحقيقى فعنه جوابان: أحدهما أنهم إن سكتوا فلعلمهم بأن كون تلك الأفعال الشنيعة من المناكر المبينة

لخصال الإسلام صار ضروريا في الدين بمنزلة الزنى والسرقه وشرب الخمر. وكتب الإسلام، ودواوينه الفخام، أتت من بيان ذلك على غاية ما يرام، حتى اشترك في معرفته الخاص والعام، وساوى العلماء في معرفة حرمة وقبحه الغوغاء والعوام، ومثل ذلك يستغنى عن تكرار التنبيه عليه في كل مقام، ولا سيما عند مشاهدة امتلاء الوجود بالشح المطاع والهوى المتبع، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فإن هذا إذا وقع ولسنا نشك في وقوعه منذ زمن طويل، قد رخص لنا الشارع عنده أن يكون كل واحد منا مقتصرًا على النظر في صلاح خويصة نفسه كما جاء به الحديث الشريف، ولذلك طالما حض الراسخون من متأخري علمائنا على ترك التعرض للإنكار في العموم.

ثانيهما: أنا لا نسلم سكوتهم وكيف يصح أن يضاف السكوت لهم عن ذلك جملة وهم في كل زمن وفي كل بلاد عاكفون على دروس دواوين الإسلام وإيضاح ما فيها من خاص أو عام في مجالسهم العمومية، وفي خطب مواسمهم وأعيادهم، فيقرعون بإيضاح ما فيها آذان العموم، ومن جملة ما فيها بيان كل محرم مذموم، وكل فعل صاحبه ملوم، ومنه مناوله الدم المسفوح، وتعرض النفس للتهلكة، وتضييع الصلوات، وتحريم التلبس والغش والخديعة وغير ذلك مما استوعبته الشريعة.

فالذام لأهل العلم العلم الحقيقي بإضافة مثل ذلك السكوت إليهم هو المذموم، أوقعه في ذلك شدة غباوته وجهالته وفساد تصوره وذهوله عما يقرع آذانه في كل جمعة وعيد وموسم، وعما يلقي إلى العموم دائما في الدروس الدينية ولكن.

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

وأما من يكثر سواد أولئك الجهلة الضلال، أو يلتبس بركتهم ممن ينسب نفسه إلى علم، فذاك من شواهد عدم علمه، وكيف ومن العلم الحقيقي معرفة أن البركة إنما تلتبس من المهتدين والتنفير من تكثير سواد الضالين، وقد بين النبي ﷺ ما أنزل من الذكر الحكيم إليه، وشرح لنا فيه طريق الرشد وطريق الضلال، وتركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقام بإيضاح ذلك علماء الملة وأعلامها بعده حتى بلغ الأمر من ذلك غايته وحده، فعلم من يتعود الجريان على ما يخالف مقتضى العلم ولا يرعوى عن ذلك، هو جهل فى الحقيقة لأنه إن كان يعتقد الحرام ومع ذلك يفعله ولا يقلع عنه فقد قال غير واحد من الراسخين فى العلم يهتف العلم بالعمل، فإن أجاب وإلا ارتحل.

وقد جزم القسطلانى فى مقدمة إرشاده بأن ما يحمله الفساق ليس بعلم على الحقيقة، ولذلك علل المولى سعد الدين قول التخليص وقد ينزل العالم منزلة الجاهل هـ بقوله لعدم جريانه على موجب العلم نعم القادح فى العلم هو الذى تعود منابذة مقتضاه من غير إقلاع ولا توبة، أما صدور ذلك من عالم على سبيل الزلة والفلتة ثم إقلاعه عن ذلك وندمه عليه فهذا غير قادح فى علمه، لأنه غير معصوم.

وقد قيل للجنيّد: أيزنى العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، وشاهده أن بعض الصحابة لما لعن بحضرة النبي ﷺ شخصًا ارتكب موجب حد وأقامه عليه السلام عليه نهاه النبي ﷺ عن ذلك وقال له: لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله انتهى.

فأثبت ﷺ لهذا العاصى محبة الله ورسوله مع عصيانه لهما فى بعض ما نهياه عنه، وكيف تكون زلة العالم قاذحة وهو بالعلم عرف قبح ما وقع فيه

وبجريانه على مقتضاه بادر إلى الإقلاع والإصلاح لما فسد فكان بذلك من العلماء الذين عملوا بعلمهم.

ثم اعلم أن وقوع المعاصي في الوجود لا يعد وصمة في علم العلماء وفضلاء الفضلاء إلا أخرج عريق الجهالة، فإن الله سبحانه من غناه عن العالمين وأعمالهم قدر المعاصي كما قدر الحسنات، وخلق الدارين دار الإكرام ودار الانتقام، وخلق لكل بنين يعمرونها، وقال لخلقه: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فلا بد من وقوع الأمرين، وامتلاء الوجود بالفعلين، ولذلك كانت تقع المخالفات والمعاصي قيد حياته ﷺ المتعارفة ومن صحبه الكرام.

فكان منهم من سرق فقطعت يده، ومن زنى فرجم، ومن شرب الخمر فحد ومن غل ومن خان إلى غير ذلك مما تكفلت بنقله كتب السنة والسير.

وقد علم أنه هو ﷺ وصحبه الكرام وزمنهم هو الطبقة العليا في الكمال، ولم يمنع ذلك من صدور المعاصي وقتئذ كما لم يقدح ذلك في علم الصحابة ولا في عملهم، إذا هم أهل العلم والعمل بالإجماع، وسر ذلك ما تقدم من أن المعاصي سبق القضاء بوجودها، فليس في طوق أحد محو ما سبق به القضاء، ثم المضر هو الإصرار عليها وعدم التوبة منها، وهم رضى الله عنهم ما كانوا يصرون على ما يقعون فيه من ذلك بل كانوا يسرعون إلى الإنابة، ولو أتت على نفوسهم.

ولا شك أن التوبة وعدم الإصرار هو من جملة العمل بالعلم، والعصمة لا تشترط قطعاً فقد قال الله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ... ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وهل تكون التوبة إلا من ذنب! وفي الحديث لو لم تذنبا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم، أخرجهم مسلم عن أبي هريرة، فمن يجعل مجرد جريان المعاصي في الوجود أو وقوعها فلتة من بعض العلماء مع قيامهم بالشرح والبيان في كل موطن قد حافى علم العلماء وفضل الفضلاء فهو

ضال، حقيق بكل نكال، وقد بالغ أئمة التحقيق من المتأخرين فى رد قول الحكم العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك، وقالوا: إنه من تخطيط مقام البداية بالنهاية، وذلك أقرب إلى الضلال من الهداية.

وممن قرر ذلك وحرره المواق فى سنن المهتدين، وابن زكوى، والشيخ جوسوس فى شرح الحكم، فهذا وفقك الله هو القسطاس الذى يزن به من وقع فى الإنكار على العلماء لا ما تسوله النفوس وتوحيه شياطين الجن إلى شياطين الإنس.

وأما ما سبق عن ابتهاج القلوب من قوة هؤلاء الضالين على الأفعال التى سبق وصفه إياها هى بحيلة عمل الشرّ ذاك، فهو لا يطرد فى عموم المتظاهرين بذلك، ومن أبعد البعيد أن تقوم على اطراده فى كل زمن ومكان حجة، وإنما غالب ذلك من آثار سلطة الروح على الجسم حين الخروج عما هو الأعم الأغلب من الأحوال الاعتيادية بأسباب شيطانية أو ربانية، وقد قرر ذلك وبسطه ابن تيمية فى رسائله الكبرى، وابن خلدون أواخر مقدمته.

مشيخته: أخذ عن أبى العباس الحارثى السفينانى المترجم قبل وصحبه إلى وفاته، ثم عن سيدى عبد العزيز التباع بعهد من الأول له وعلى يده تم له الفتح، ثم عن سيدى الصغير السهل، والثلاثة عن الإمام الجزولى رضى الله عنه وعن أهل الله فطريق المترجم جزولية.

الأخذون عنه: منهم أبو الحجاج بن مهدى، ومنهم أبو الرواين المحجوب المترجم بعد.

ولادته: ولد سنة اثنين وسبعين بتقديم السين على الموحدة من التاسعة بمختار فرقة من قبيلة بنى حسن الشهيرة.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثللاثين^(١) وتسعمائة، ودفن بمقبرة شيخه الحارثي خارج باب السبية أحد أبواب المدينة الآن، وقبره ثم مزارة شهيرة عليه بناء حافل أنيق.

٢٠٨- محمد بن مخلوف الضريسى المكناسى.

حاله: كثير التنسك والانقطاع إلى الله أحد الزهاد والعباد، وأهل المحبة في الله، مستغرق الأوقات في الذكر والعبادة، ورده ختم القرآن العظيم كل ليلة بين العشاءين في ركعتين، يفتح القراءة في أول ركعة بعد صلاة المغرب ويختمها في الثانية، فإذا سلم علم الناس بدخول وقت العشاء الأخيرة فيسمعون الأذان في الحين، وذلك كل ليلة لا يزيد ولا ينقص.

وكان فصيح اللسان يرتل القرآن ترتيلاً دون عجلة، وتلك خصوصية ربانية، وكان يزور الشيخ أبا يعزى في كل سنة يمشى حافياً من مكناسة الزيتون إلى قبره بتاغيا، وكان يقول: من زار هذا الشيخ وسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة في كل زورة فإنها تقضى له بإذن الله تعالى.

مشيخته: منهم أبو اليمن مبارك الحصينى.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون عام اثنين وأربعين وتسعمائة.

٢٠٩- محمد بن قاسم بن عبد الواحد الكتانى النسب الفاسى الأصل المكناسى النشأة الحسنى الإدريسى.

حاله: بركة صالح، سالك سبيل السنة في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، معظم وقور، خطير القدر، فاضل جليل، ماجد أصيل، وهو أول من انتقل من مكناسة لفاس من هذه الشعبة الكتانية أواسط المائة العاشرة، وكان انتقال هذه الشعبة الكريمة من فاس إلى مكناسة أواسط العشرة الثانية من القرن الرابع.

(١) في دوحة الناشر سنة ٩٣١ هـ.

وسبب ذلك أن موسى ابن أبي العافية المكناسي لما استولى على فاس والمغرب شمر لطرده الأدارسة عنه، وأخرجهم من ديارهم وأجلاهم عن بلادهم إلى آخر ما هو معلوم، وصار من قدر منهم على الفرار يفر طالبا للنجاة، وكان من جملة من فر إذ ذاك جد هذا القبيل، وهو الشريف الجليل الماجد الأصيل المتبرك به أبو زكرياء يحيى الملقب بأمير الناس ابن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى ابن محمد بن إدريس، وكان فراره إلى زواوة، ثم إلى بنى حسن من عمل شالة أى المدينة الحربة الآن بإزاء رباط الفتح، ومنها لمكناسة الزيتون، وكان لهم فيها الصيت الشهير بصراحة النسب وعلو المكانة وعظيم الخطوة عند ملوك بنى مرين، ومنها انتقلوا إلى فاس.

وقال فى الدرة الفائقة: ثم انتقل الكتانيون من زواوة إلى مدينة شالة، وذلك أيام السلطان عبد المؤمن بن على الموحدى واستوطنوها إلى آخر دولة الموحدين، ثم انتقلوا إلى مكناسة الزيتون وذلك فى أوائل دولة بنى مرين، والإمام إذ ذاك هو أبو بكر بن عبد الحق المرينى، وذلك سنة نيف وستين وستمائة، وقيل أربع وستين وستمائة، ثم من مكناسة إلى فاس القرويين هـ ملخصا من النبذة اليسيرة النافعة، التى هى لأستار بعض أحوال الشعبة الكتانية رافعة، لشيخنا أبى عبد الله محمد ابن جعفر الكتانى.

وقد يجمع بين قول من قال: إن القدوم من زواوة كان لبنى حسن، ومن قال إلى شالة، بأن منهم من استوطن شالة، ومنهم من استوطن بنى حسن والله أعلم.

٢١٠- محمد بن أبى القاسم بن على بن عبد الرحمن بن أبى العافية المكناسي.

٢١٠ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٢٧٢، درة الحجال ٢/ ٢٠٣، لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/ ٨٩٣، وهو فيها: «محمد بن قاسم بن على».

حاله: فقيه أستاذ نحوى، كان يستظهر مختصر ابن الحاجب ويقوم عليه وعلى الرسالة قياما تاما.

مشيخته: أخذ عن أبي الحسن بن هارون المطغرى، وعن أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي.

وفاته: توفي بفاس عام اثنين وستين وتسعمائة.

٢١١- محمد بن الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن علي بن غازي العثماني المكناسي الملقب غازي، نجل الإمام ابن غازي السابق الترجمة، وشقيق أبي العباس المتقدم الذكر في الأحمدين.

حاله: علامة نابغة، ومحقق واعية، قال في الجذوة: كان نحويا بارعا فيه أستاذا، أم بجامع القرويين أزيد من عشرين سنة، لم يحفظ عنه فيها سهو في الصلاة، وكان الخطيب بالمسجد المذكور.

مشيخته: أخذ عن والده وأجازه عامة كما تقدم نص إجازة والده له في ترجمة أخيه في الأحمدين نقلا عن خط المجيز، ووقفت على إجازة العز بن فهد له ولأخيه، ودونك نص الإجازة نقلا عن خطه المرقوم على آخر ورقة من فهرسة ابن غازي التي وقفت عليها بخطه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله الذى وفق العلماء لاتباع السنة، وجعل للمستنبطين منها الأحكام فضلا ومنة، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذى بين الله لنا على لسانه الفرض والسنة، ورضى الله عن آله وأصحابه الذين كانوا له أعظم جنة.

٢١١ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/٣٢١.

وبعد: فقد سألتني من لا أستطيع رده الإجازة لسيدنا الشيخين الإمامين العلمين الأوحدين، العلامةين الأماجدين، أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ الفقيه العلامة المقرئ أبي عبد الله محمد بن غازي المكناسي ثم الفاسي أمتع الله بحياتهما ونفعنا ببركاتهما، فبادرت لإجابته فأقول مستعينا بالقادر الوهاب: قد أجزت سيدنا الشيخين المذكورين جميع ما يجوز لي وعنى روايته متلفظا بذلك، وكذا لأولادهما وإخوانهما وأقربائهما وخدمتهما ومن يلوذ بهما، ولجميع أهل بلدهما، بل ولجميع المسلمين على مذهب من يرى ذلك من المسلمين، قاله وكتبه المفتقر إلى لطف الله وعونه، محمد عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي خادم الحديث النبوي بالحرم الشريف المطهر المنيف هو وأسلافه، وهو يسأل الشيخين المذكورين نفع الله بهما أن لا ينسياه من دعائهما الصالح، خصوصا بخاتمة الخير وقضاء الدين، وكفاية مهمات الدنيا والآخرة والحمد لله وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا حسبنا الله ونعم الوكيل» انتهى من خطه.

وفاته: توفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.

٢١٢- محمد بن حسين العبدلي السهلي، وقيل اسمه أحمد، شهر بأبي الروّان.

حاله: مجذوب سالك ملامتي، أحد عجائب الدهر، ذو أحوال خارقة للعادة جليل القدر، شهير الذكر، جمالي الحال، واسع النظر، عالي الهمة، حسن السميت، رفيع اللباس، يمسي غنيا ويصبح فقيرا، يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين، وكان أعجوبة الدهر في التوكل والثقة بالله.

قال صاحب ابتهاج القلوب: حدثنا الشيخ الوالد رضى الله عنه، قال: مر

٢١٢ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر في الموسوعة ٨٨٧/٢.

الشيخ المجذوب عليه - يعنى المترجم - يوما بباب داره فقال ايت فاكنس ما تحت هذه الدابة لدابة كانت له بالاروى، فدخل أبو الرواين يخرج له ما يحمل فيه الزبل، وقد كان على الشيخ المجذوب برنس جيد فطرحه فى الأرض وأخذ يحمل فيه الزبل، فما خرج أبو الرواين حتى وجده قد فعل، فقال متعجبا منه: ما رأيت مثل هذا قط ! وقد غلبنى لأنه أراد أن يختبر مكانه من النظر إلى نفسه والرضا عنها، فوجده فوق ما يظن من خفض النفس وعدم المبالاة بها.

وشأن المشائخ أن يحملوا المريدين على إذلالها وما يوجب إخمادها وقضاياهم فى ذلك مشهورة، لأنه كلما خمدت النفس وانخفضت قوى معناه وتنور باطنه، إذ لا حجاب له إلا رؤيتها، وقد ورد فى الأحاديث الربانية عاد نفسك فليس لى فى المملكة عدو غيرها، وورد أيضا فى مناجاة موسى أنه قال: كيف أجذك يا رب؟ قال له عاد نفسك وتعال. قال وقد أخبر الشيخ المجذوب أن ذلك البرنس الذى حمل فيه الزبل لم تزل رائحة المسك تفوح منه من ذلك الوقت، وكان عند أهله فى الصندوق مع الثياب يتبركون به انتهى.

ومعلوم أن العز فى مخالفة النفس والذل فى طاعتها واتباع هواها ولله در

القائل:

وويل الذى ترجوه من رحمت الرب	إذا شئت إتيان المحامد كلها
لأعدى وأردى صفقة من هوى الحب	فخالف هوى النفس الخبيثة إنها

ولقد أجاد من قال:

فلا تسعد النفس المطيعة للهوى	إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى
وإياك لا تحفل لمن ضل أو غوى	وخالف بها عن مقتضى شهواتها
لأماراة بالسوء من هم أو نوى	ودعها وما تدعو إليه فإنها

لعلك أن تنجو من النار إنها لقطاعة الأمعاء نزاعة الشوى

وقد تحدث عن المترجم بكرامات، وخوارق عادات، من ذلك ما حكاه فى ابتهاج القلوب قائلًا: حدثنى شيخنا الإمام محمد بن الشيخ أبى العباس الفاسى، عن الشيخ المعمر سيدى أحمد السفاج، أن الشيخ أبى الرواين، مرّ يوما مع الشيخ المجذوب على حلة، فقال: لا أذهب حتى أعمر هذه الخيمة أو أخليها، وكانت خيمة جليلة لذى مال من تلك الحلة، فصاح بربها فطلب منه فرسه فقال: يا سيدى عندى من أشاوره فى ذلك، فذهب إلى زوجته فقال لها: إن أبى الرواين والمجذوب هنا، وقد قال كذا وكذا، فقالت: وما يكون منك إذا بقيت بلا فرس، فجاء واعتذر بذلك، فقال أبو الرواين: من يشتري منى الخيمة وصاحبته؟ فلم يجبه إلا خماس كان هنالك، قال له: إن عندى عجلا إن قبلته فخذ، فقبله وسار، ثم إن صاحب الخيمة كان له أندر مجوف فدخله يوما ففقد حتى قيل بعد مدة إن آخر العهد به مكان الأندر، ففتش فوجد ميتا هنالك واعتدت المرأة بعده فأخذها الخماس وركب الفرس وأحاط بالخيمة وما فيها.

قال: ومما يحكى عن أبى الرواين أيضا أن بعض أهل مكناسة لما رأوه على ما هو عليه من الثياب الرفيعة النقية من الدنس وكان عليه كساء مصبوغ الأطراف باللك^(١)، وصادف أن كان فى الطريق طين مطر فأخذ ذلك الرجل يقدم له الله أن يتمرغ فى ذلك الطين هزوا ولعبا وسخرية منه، فأخذ أبو الرواين يتمرغ فيه لما سأله بالله، فلما قام قال: اليوم أنا وغدا أنت، فمن الغد قتل هنالك.

وأظن الحكاية مع ولد الفقيه أبى على حرزوز، فإنه كان أخبر بما وقع له وقد سمى لى صاحبها من أخبرنى، إلا أنه طال عهدي هل هو المذكور أو غيره.

(١) فى هامش المطبوع: «عروق نبات تستعمل للصبغة».

قال: ولما تغلب السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مكناسة ألح بالمطالبة لأخذ فاس فجاء الشيخ أبو الرواين وقال له: اشتر منى فاسا بخمسمائة دينار، فقال السلطان: ما أنزل الله بهذا من سلطان، هذا شيء لم تأت به الشريعة فقال: والله لا دخلتها هذه السنة، فبقى شهراً والأمر لا يزداد عليه إلا تصعباً^(١)، فقال الأمير أبو محمد عبد القادر لأبيه السلطان المذكور، يا أبت افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين، فإنه رجل مبارك من أولياء الله، وما زال به كذلك حتى أذن له فى الكلام معه، فكلمه الأمير عبد القادر فقال: ادفع المال! فدفعه له، فقال: عند تمام السنة إن شاء الله يقضى الله الحاجة وأمرى بأمره سبحانه، ثم إن الشيخ فرق المال من يومه ولم يمسك منه لنفسه حبة واحدة، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور فى ظهور إلى أن تمت السنة فدخل فاسا كما قال^(٢) انتهى.

قلت: قول السلطان محمد الشيخ السابق: إن الشريعة لم تأت بمثل هذه الأفعال التى كان يتظاهر بها المترجم وأمثاله، لعله يعنى من حيث كون الإقدام على أمثال ذلك لم تأذن فيه الشريعة للعموم ومدعى التخصيص عليه البيان، وإقامة البرهان، وإلا فقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قضى على الربيع بأن تكسر ثنيتها قصاصاً لها على ما فعلته بغيرها من مثل ذلك، فقال له سيدنا النضر: والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فأجابه ﷺ بأن كتاب الله القصاص، وإثر هذا بادر المجنى عليهم إلى العفو عن الربيع، فحينئذ قال ﷺ: إن لله^(٣) رجلاً لو أقسموا على الله لأبرههم أو كما قال.

(١) فى دوحة الناشر: «تعصبا».

(٢) الخبر بنصه فى دوحة الناشر من الموسوعة ٨٨٧/٢.

(٣) فى هامش المطبوع: «لفظ الصحاح إلا الترمذى: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

ولأهل الخصوصية من الشواهد فى كتب السنة ما هو كثير ويكفى من ذلك ما قصه الله عن الخضر لما صاحبه موسى عليهما السلام، وذلك كله من شواهد أصحاب الأحوال مثل المترجم، ولكن مثل ذلك خاص لخاص، فلا ملام على المتمسك عند حدوث شىء من ذلك بمقتضى ظاهر الشرع وعموماته، حتى يتحقق أن فاعل ذلك من أهل الخصوصية فيسلم له ولا يقتدى به والله أعلم. انظر ابتهاج القلوب.

مشيخته: أخذ عن المترجم قبل وهو الشيخ الكامل.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس دفين تسابت إحدى عمالة توات كذا لبعضهم.

وفاته: توفى سنة ثلاث وستين - بتقديم السين على المثناة فوق - وتسعمائة عن نحو ستين سنة، ودفن قريبا من شيخه ابن عيسى وضريحه مزارة مشهورة إلى الآن.

٢١٣ - محمد بن قاسم بن على بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى.

حاله: كان فقيها أستاذا نحويا جلس مجلس أبيه فى الرسالة بجامع القرويين.

وفاته: توفى سنة خمس وستين وتسعمائة.

٢١٤ - محمد بن محمد بن أحمد بن على بن عبد الرحمن بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى.

٢١٣ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/٢١٨، لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/٩٠٠.

٢١٤ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/٢٤٩، لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/٩٢٦.

والد أبى العباس صاحب الجذوة والدرة وغيرهما .

حاله : فقيه نوازلى فرضى حيسوبى ، علامة نبيه ، فاضل وجيه ، من بيت علم وفضل ودين متين .

مشيخته : أخذ الحساب والفرائض عن أبى محمد عبد الحق المصمودى السكتانى ، وعن أبى الحسن على بن هارون المختصر الخليلى ، وعن أبى عبد الله اليسينى تلخيص المفتاح .

الآخذون عنه : منهم ولده أخذ عنه الفرائض والحساب وشيئا من المنية لابن غازى .

وفاته : توفى بفاس سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، ودفن بمطرح الحلة^(١) .

٢١٥ - محمد بن عبد الرحمن بن بصرى الولهاصى المكناسى المعروف بسيدى بصرى .

حاله : عالم عامل ذو أنفاس صادقة ، وأحوال رائقة ، أستاذ مجود فقيه ، ولى صالح ، عارف صوفى ، نزيه مرشد ناصح ، خطيب مصقع ، تولى الخطابة بجامع مكناسة كما فى درة الحجال .

قلت : ولا زالت الخطبة بيد حفدته إلى الآن ، ونقل فى المنحة عن بعض أتقياء مكناسة وطلبتها أن الشيخ استمر على الإمامة بالمسجد الأعظم إلى أن توفى ، وأنه رد جميع ما كان أخذه من أوقاف المسجد ، وأنه كانت له زوجة اسمها أمنة بنت الولى الصالح سيدى أبى على منصور الهروى دفين مدينة سلا ، ولا زال أهل الفضل من مكناسة يتحدثون عنه بأنواع الكرامات . قال ابن عسكر : غير أنه يزعم أنه أخذ طريقة التصوف عن امرأة هنالك ويدعى لها أسراراً ومناقب ونحوه فى ابتهاج القلوب .

(١) فى لقط الفرائد : «بمطرح الجنة» .

شيوخه: قال أبو عبد الله محمد العربي بن محمد البصرى فى الباب الرابع من كتابه منحة الجبار، ونزهة الأبرار، وبهجة الأسرار، فى ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء الأخيار، إنه تلا بالسبع على الإمام أبى العباس الحباك المتوفى سنة ست وثلاثين وتسعمائة، واستجازه فأجازه فيها وفيما يتعلق بها من كتب القراءات مع الألفية والرسالة والبردة كما هو دأب أهل الإجازات، ونص ذلك:

«يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه، الغنى به عمن سواه، أبو العباس أحمد بن الشيخ المكرم الوثائقي الملحوظ المبارك الأسعد أبى عبد الله محمد بن الشيخ المكرم المرحوم أبى عبد الله محمد الأنصارى عرف بالحباك سمح الله له، وسدد قوله وعمله، إن الشاب الطالب النجيب، الكيس الحاذق اللبيب، أبا عبد الله محمد بن الشيخ الأجل، الأفضل الأكمل، أبى زيد عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمر الولهاسى المكناسى الدار المدعو بابن بصرى شرح الله صدره، ورفع بالعلم والعمل الصالح قدره، وقواه وأرشده، ووفقه وسدده، كان ممن تردد إلى، وتوخى المثول بين يدي، واعتمد فى قصده على ما لدى، فقرأ على القرآن العظيم، المنزل على سيدنا محمد المصطفى الكريم، من فاتحته إلى خاتمته ختمة واحدة، جمع فيها بين قراءة الأئمة السبعة المشهورين، رضوان الله عليهم أجمعين، وأدرج فى ذلك الإدغام الكبير لأبى عمرو بن العلاء وكل ذلك بطريق التيسير للحافظ أبى عمرو الدانى، وملخصه حرز الأمانى، ووجه التهانى؛ للإمام أبى القاسم الشاطبى رحمه الله تعالى.

ولما كمل له ذلك على على نحو ما ذكر من التعيين والتفصيل، وكان من أهل التجويد للقراءات مع الضبط لأحكامها والتحصيل، سأل منى وفقه الله تعالى أن أجزى له ذلك وأشهد له به فى كتاب، ليرتفع به عنه تخالجات الظنون وخطرات الارتياح وليكون بيده حجة ساطعة، وبنبله وثبات نقله بينة قاطعة، كما جرت بذلك عادة الأئمة، ومعتمدى هذه الأمة، فأجبتة إلى ما سأل، وأسعفته فيما رغب

وأمل، وحدثته بالقراءات السبع تلاوة عن الشيخ الفقيه الأستاذ الخطيب الشهير أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني، عن الشيخ الفقيه الأستاذ الخطيب الشهير أبي عبد الله الشهير بالصغير ابن الحسن النيجي إلى آخر السند.

ثم قال أبو العباس المجيز: وقد عرض على المجاز أبو عبد الله محمد المذكور هداه الله تعالى قصيد أبي القاسم الموسوم بـحـرز الأمانى ووجه التهانى عرضاً جيداً من صدره، واستفهمته عنه وعن فصوله، وحدثته به عن شيخنا الفقيه المقرئ الصالح أبي عبد الله محمد بن غازي، عن شيخه الفقيه الخطيب المقرئ محمد بن الحسن النيجي الشهير بالصغير، عن شيخه الأستاذ المقرئ المحقق أبي الحسن على الوهرى إلى آخر السند.

قال: وعرض على أيضاً المجاز المذكور قصيد أبي الحسن بن برى المرسوم بالدرر اللوامع عرضاً جيداً من صدره كله بالتفهم، وحدثته به عن شيخنا الفقيه أبي عبد الله بن غازي المذكور، عن شيخه الفقيه أبي عبد الله محمد الصغير إلى آخر السند.

قال: وعرض على أيضاً الرجز الموسوم بمورد الظمان، فى رسم أحرف القرآن، مع الذيل الملحق به فى النقط للإمام العالم العلامة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الشهير بالخرّاز، وعرض على أيضاً المجاز المذكور صدرًا من رسالة الإمام العالم أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيروانى، وحدثته بها عن الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن غازي المذكور، عن شيخه أبي عبد الله محمد الصغير المذكور إلى آخر السند المرسوم فى الإجازة، وفيما كتب به ابن غازي لمن استجازه من أهل تلمسان.

قال: وعرض على أيضا صدرا من كتاب التيسير، وحدثته به قراءة لبعضه، وسماعا لسائره عن الشيخ أبى عبد الله بن غازى، عن الشيخ أبى عبد الله الصغير المذكور إلى آخر السند المذكور فى الإجازة أيضا.

قال: وعرض على أيضا جميع القصيدة المباركة المسماة بالبردة من نظم الإمام شرف الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى، وحدثته بها عن شيخنا أبى عبد الله بن غازى، قال: أخبرنا بها الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الديلمى المصرى، عن ابن فهد، أخبرنا بها أبو بكر المراغى، قال: أخبرنا بها أبو الفتح الميديمى، عن ناظمها أبى عبد الله البوصيرى رحمهم الله تعالى أجمعين.

قال: وعرض على أيضا جميع ألفية ابن مالك عرضا جيدا من صدره، وحدثته بها عن شيخنا أبى عبد الله بن غازى، عن الشيخ الإمام العلامة تاج المحدثين وإمام المسنين فخر الدين أبى عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الديلمى المصرى المذكور، أخبرنا بها عن هاجر بنت محمد بن محمد المقدسى، عن أبى إسحاق التنوخى، عن أحمد بن محمد بن غانم عن المصنف رحمهم الله.

قال أبو العباس المذكور: وقد أجزت للطالب المكرم أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بصرى المذكور جميع ما قرأه على من القراءات السبع المذكورة، وجميع ما عرضه على وسمعت منه مما ذكر فى هذا الكتاب إجازة عامة على أكمل شرطها وأوثق ربوطها، وأذنت له فى أن يروى عنى، وعن الشيوخ الذين فى هذا الكتاب مما تضمنه من الأسانيد المذكورة، والقراءات المسطورة، وكذلك ما رويته عن شيوخى المذكور من تأليف الشيخ أبى وكيل ميمون المذكور كالمورد الروى فى نقط المصاحف، وتحفة الإعراب، والدرة الجلية، فى نقط المصاحف العلية، وجميع ما قيده تلاوة وسماعا، وأوصيه ونفسى بتقوى الله تعالى ومراقبة أمره فى جميع

أحواله، وتحرى الصدق والصواب فى جميع أقواله، والله يعصمنا وإياه من الخطأ والزلل، ويرشد كلاً منا لصالح القول والعمل، بمنه وكرمه.

شهد على الفقيه المجيز أبى العباس أحمد المذكور بما فيه عنه وهو بحال كمال الإشهاد وعرفه وعرف تصدّره لذلك وعلى المجاز المذكور بطلبه الإجازة المذكورة، وهو بحال صحة وطوع وجواز، وعرفه فى أواسط رمضان المعظم عام خمسة وعشرين وتسعمائة عبد الله بن محمد بن على الحسنى الجوطى لطف الله به، وأبو عبد الله محمد المعروف بالعربى الحسنى الجوطى لطف الله به، وعبد الله وأقل عبيده عبد القادر بن محمد الحسنى خار الله تعالى، والواضع خط يده الفانية الشريف أحمد بن محمد بن على بن محمد بن محمد بن عمران الحسنى الجوطى لمن طلب التبرك بالجناب الطاهر النبوى بلغ الله قصده وأمله بمنه، وشهد بذلك أحمد بن أبى القاسم عراقى الحسنى لطف الله به، ومحمد بن على بن طاهر الحسنى وبعد ذلك إشكال أعيان أهل الوقت وقاضيه على المتعارف الآن فى عصرنا رحم الله الجميع».

وقال: هذا ما وقفت عليه من أمر الشيخ أبى عبد الله فى شأن القراءات السبع، ولم أقف إلى الآن على شيخه الذى أخذ عنه الروايات السبع على التدريج إلى أن بلغ أن يجاز، نعم يمكن أن يكون الشيخ أبو العباس هو الذى رقاها من البداية إلى النهاية كما كان يصنع شيخنا أبو عبد الله الأصغر مع بعض طلبته.

وأما شيوخه فى العلم فلم أقف له الآن على شيخ مع إدراكه لجملة من مشايخ نحارير، وأئمة مشاهير، ورأيت الجزء الأول من التوضيح، وشرح الصغرى للإمام السنوسى بخطه.

ووصفه جماعة من الأئمة بالفقه والتدريس منهم الفقيه الحيسوبى الموقت الشريف الطاهرى الجوطى سيدى أحمد بن عبد القادر، ونص ما رأيت بخطه ومنه

نقلت: توفي الإمام الخطيب العالم العامل به قطب زمانه المدرس المحقق الزاهد سيدى محمد بن سيدى عبد الرحمن المكناسى يدعى ببصرى يوم الأربعاء موفى عشرين من ذى الحجة الحرام إلخ إلى أن قال: ورأيت بخط غير واحد من عدول مكناسة الذين انقضى عصرهم وصف الشيخ بالعلم والتدريس والمعرفة بالله تعالى ونص المرئى: الفقيه الأجل المدرس المحقق الأتقى الأرفع الأنزه الأسرى الأحفل الأزكى الأعدل الأكمل الخطيب البليغ الحسيب الولي الكامل، القطب العامل، الشيخ الإمام الأوحدهمام إلخ.

وأما المرأة التى أخذ عنها التصوف حسبما تقدم فى كلام ابن عسكر فقال فى المنحة: إنها هى السيدة الجليلة ذات الأحوال الباهرة، والخوارق الظاهرة، مريم بنت عبود الأندلسية دفينه رأس التاج خارج باب عيسى أحد أبواب مكناسة الزيتون لها روضة هنالك مشهورة بها مقصودة للزائرين، وأصل الروضة لسيدى عبد الرحمن والد الشيخ أبى عبد الله.

وأخبرنى بعض الأندلسيين من أهل القورجة أنها السيدة فتحون البزازية، وأن السيدة مريم هى التلميذة، وللسيدة فتحون أيضا روضة برأس التاج مشهورة هنالك».

فائدة: ذكر فى منحة الجبار أن جميع من بمكناسة من البصريين منحصرون فى بنى محمد صاحب الترجمة وبنى عبد الواحد قال: ومنهم شيخنا أبو عبد الله، وبنى عبد السلام، وبنى عبد الرحمن لا غير وكلهم من ذرية ولى الله تعالى أبى موسى عمران، يعنى دفين روضة رأس التاج بمكناسة.

قلت: وينحصر عقب المترجم الآن فى أولاد قاسم بن الطيب، وأولاد أخيه المهدي بن الطيب بن الصغير بن مسعود بن محمد فتحا بن المترجم.

وعقب بنى عبد الواحد ينحصر فى أولاد محمد بن الطيب بن عبد الرحمن .

وعقب بنى عبد السلام ينحصر فى أولاد محمد فتحا بن عبد الرحمن بن عبد السلام بحمام الجديد .

وأولاد ابن عبد الرحمن بقى منهم محمد بن الطيب بن محمد بن عيو المدعو ابن دحمان ، ويجتمعون كلهم فى عمران المذكور ، هكذا وجدت هذا التفصيل فى بعض التقايد بخط بعض عدول بلدنا المبرزين الأثبات قائلا : وهذا فى أوائل العشرة الثانية من المائة الثانية بعد الألف انتهى .

وفاته : توفى بمكناسة آخر ذى الحجة سنة إحدى وتسعين وتسعمائة ودفن بداره من القرسطون إحدى حومات مكناس الشهيرة وقبره إلى الآن مزاراة شهيرة .

٢١٦- محمد فتحا بن الشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى وأكبر أولاده .

حاله : فقيه علامة وجيه نبيه ، نشأ فى حجر أبيه المذكور بالقصر نشأة حسنة ، وقرأ القرآن وطلب العلم هنالك ، وحضر مجالس أبيه ، ثم رحل إلى مكناسة وفاس وقرأ على مشيختهم فاستفاد وحصل وأفاد وعلم ، وانتفع به جماعة من الطلبة ، وكان الغالب عليه علم القرآن والفقه ، وكان خيرا دينيا فاضلا رقيق القلب كثير الخشوع سريع العبرة ، سمحا جوادا كريم النفس ، مستطاب الحديث ، حسن التلاوة ، شجى الصوت ، لا يكاد يسمع أحد تلاوته إلا بكى ورق قلبه . قال فى المرأة : سكن بفاس إلى أن توفى بها فى حياة أبيه .

مشيخته : منهم والده ، وجماعة من أئمة فاس ومكناس وغيرهما .

ولادته : ولد بالقصر سنة تسع وخمسين وتسعمائة .

وفاته: توفى سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، ودفن بالكغادين فى مقبرة الشرفاء الطاهرين كما بعناية أولى المجد.

٢١٧- محمد فتحا بن محمد بن موسى المكناسى المدعو العشير.

دفين روضة سيدى عمرو بوعودة من حومة حمام الحرة بالحضرة المكناسية.
حاله: شيخ صالح فالح، صوفى فاضل، ولى معتقد متبرك به من أعظم صلحاء مكناسة الزيتون.

مشيخته: وجد منقوشا بلوح خشب فى الجدار الجنوبى عند قبر المترجم ما لفظه: أخذ الطريقة عن سيدى محمد بن التقى الخلوتى، عن سيدى محمد بن عبد الله المدعو بالشيخ دمرداش المحمدى، عن سيدى عمر الرقاشى، عن سيدى يحيى عن صدر الدين، عن عز الدين، عن السيد أخى هرمز، عن سيدى عمر الخلوتى، عن سيدى أخى محمد، عن إبراهيم الزاهد، عن سيدى جمال الدين، عن السيد شهاب الدين الغزى، عن سيدى زين الدين محمد السجاسى، عن قطب الدين الأبهري، عن سيدى أبى نجيب السهروردى، عن القاضى عمر البكرى، عن سيدى محمد البكرى، عن الشيخ محمد، عن سيدى مسماد الدينورى، عن الجنيد البغدادى، عن سيدى سرى السقطى، عن سيدى معروف الكرخى، عن سيدى داود الطائى، عن حبيب العجمى، عن الحسن البصرى، عن على رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ هـ بلفظه.

وفاته: توفى سنة ثمانين وتسعمائة وفى روضته دفن عمرو بوعودة على قبريهما دربوز خشب.

٢١٨ - محمد الوقاد المكناسى.

حاله: أحد شعراء المغرب المجيدين، وأفاضله المتقين ذو نفس أبية وهمة

٢١٨ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣٢٤.

تطاول الجوزاء له مهارة فى علوم الأدب وغير ذلك وكان أوحد عدول مدينة فاس .
قال ابن القاضى فى الجدوة: حدثنى بخبره شيخنا ابن راشد، وذكر أنه أتى
القاضى نيابة عن الونشريسى أبا الحسن عليا الشامى ليؤدى عنده وكالة، فقصد
تحقيقه فهجاه بقصيدة مطلعها:

فآه ثم آه ثم آه على أسد تمزقه الكلاب

فاشتكى الشامى المذكور على القاضى أبى مالك عبد الواحد بن أحمد
الونشريسى بالوقاد الذى هجاه بالقصيدة المذكور مطلعها، فبعث إليه أبو مالك
وعاب عليه هجوه، فأجابه الوقاد بأن قال له وهبه هجواً كان ماذا؟ أشهد على أنى
لا أشهد [أبدا]^(١) عندى ثلاث من الإمام يغزلن وآكل حتى لا أحتاج إليه أبدا هـ.

٢١٩- محمد بن أحمد بن محمد التلمسانى أبو محمد قاضيهما يعرف بابن
الوقاد.

حاله: إمام له مشاركة ومهارة فى التفسير والحديث والفقه، المرجوع إليه فى
الأصول والفروع والعلوم العربية بسائر أنواعها، وإليه المرجع فى الإفتاء، وعليه
التعويل فى النوازل والأحكام، ومعرفة الخلافات المذهبية، خطيب مصقع بليغ،
أصله من تلمسان، وبها نشأ ثم انتقل بعد التحصيل لسوس الأقصى، ونزول مدينة
ترودانت، وتولى خطة القضاء بأعمالها وخطابة جامعها الأعظم، ثم ولى قضاء
الجماعة بها نحو ستة أشهر، فأعفى لكون أهلها برابر لا يعرف لسانهم.

ثم وجهه أمير وقته قاضياً لسجلماصة وخطيباً، فبقى بها مدة، ولقى بها
الولى الصالح سيدى عبد الرحمن وغيره من أعلامها، ثم نقل لمكناسة الزيتون
وتولى القضاء بها والخطبة بجامعها، ثم خطب بجامع الأندلس بفاس المحروسة،

(١) من جدوة الاقتباس .

ثم رد لتارودانت قاعدة السوس وولى الإمامة والخطبة بجامعها الأكبر، وتصدر للإفتاء والتدريس بها قائماً على مختصر ابن الحاجب الفرعى، والشامل لبهرام وغيرهما، صلب فى دينه، لين الجانب متواضع، متحمل للأذى، صابر على جفاء الفدادين من الطلبة وغيرهم، حسن العشرة، حلو الشمائل، كريم المائدة مبسوطها، مقصود للأرامل والأيتام، مشفق على القوى والضعيف، لا يقدر للدنيا قدرا ولا يستقر بيده شىء منها مع وفور ما ينصب إليه من الجرايات والجوائز.

وحصل له جاه ووجاهة عند الخاصة والعامة، تعظمه الملوك فمن دونها ويقدرُون قدره، ويجرون عليه الجرايات التى لم ينلها من قبله، وهو أول من سن إبداء الأفراح بتارودانت فى ليلة مولد النبى ﷺ، وبذل النفقات فيها على السنن الشرعى، كان يجمع الناس فى منزله ليلة العيد النبوى على قراءة الأمداح النبوية بالأناشيد المطربة، وينفق فى ذلك نفقة عظيمة إجلالا وتعظيما ومحبة فى جانب خير الأنام صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واهتماما بإقامة موسم ذكرى مولده.

وهو أول من قرأ بها الجامع الصحيح للإمام البخارى قراءة ضبط وإتقان، وأول من خطب بها بلسان عربى مبين وقرط الآذان، بمواعظ توقظ الوسنان، حسن العبارة، لطيف الإشارة، فصيح اللسان، ثبت الجنان، ينشئ الخطب البديعة الرائقة العذبة، الخالية عن التكلف على حسب ما تقتضيه الأزمنة وما يقع من الحوادث، قال أمير وقته الإمام المنصور فى حقه: ليس عنده فى المغرب أخطب منه إلا أن الله اختاره لمدينة تروودانت وإن لم تكن كرسى الخلافة.

مشيخته: أخذ عن الإمام أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسى خطيب جامع تلمسان وعن مفتى تلمسان وفقهها الفقيه أبى عبد الله محمد ابن هبة الله الزناتى المعروف بشقرون المتوفى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، وعن أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن جلال التلمسانى المتوفى ثامن رمضان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، والعلامة المشارك أبى عبد الله اليسيتنى

المتوفى فى سادس عشر محرم الحرام عام تسعة وخمسين وتسعمائة، والعلامة
الرحال أبى العباس أحمد بن محمد بن أحمد إذ قال به شهر، المتوفى ليلة الجمعة
ثامن عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وألف وغير هؤلاء من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن التمرتى بفتح المثناة فوق
بعدها ميم ثم نون فراء ساكنة فمثناة فوق بعدها ياء النسب مؤلف الفوائد الجمة،
ومنها استفدت هذه الترجمة، أخبر عن نفسه فى كتابه الفوائد الجمة المذكور أنه
أخذ عنه رسالة ابن أبى زيد القيروانى، والمختصر الخليلى من أولهما إلى آخرهما
قراءة تفهيم وتحرير، والمختصر الفرعى لابن الحاجب إلى قرب ثلثه، وسرد عليه
شامل بهرام إلى قرب نصفه، والعقائد والتفسير من تلك الرسل غاية سورة
الأعراف.

شعره: من ذلك قوله:

مقاما عليا فى الجنان مخلدا	من الله أرجو أن يبوئنى غدا
أعدت لأهل العلم والحلم والندا	ويسكننى رضوان جنته التى
له ما حييت الدهر أقرأ سرمدا	بفضل أحاديث البخارى ووجهه
وقوله:	

ولا صديق إذا خان الزمان وفى	لم يبق دهرك من تامن مودته
فقد نصحتك جهدى والزمان كفى	فعش فريدا ولا تألف إلى أحد
وفاته: توفى ليلة الخميس لعشر خلون من ربيع الثانى سنة إحدى وألف، ودفن قبله الجامع الكبير بترودانت وهو أول مدفون فيه.	

٢٢٠- محمد بن قاسم بن محمد الأنصارى الملقى الضرير الشهير بابن
قاسم نزيل مكناسة الزيتون.

حاله: فقيه أستاذ جليل، ذكره صاحب الجذوة في ترجمة أحمد بن تميم اليفرنى.

الآخذون عنه: منهم أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرنى الشهير بالكناسى.

٢٢١ - محمد بن محمد الغمارى بالمعجمة الكومى المكناسى.

حاله: فقيه نحوى مشارك متفنن، مفتى مكناسة، كان يستظهر مختصر خليل، وله مشاركة فى الحساب والفرائض والقرآن العظيم بالمقارئ السبعة.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد المسارى، وعن أبى زكرياء يحيى السراج، وأبى راشد اليدري وغيرهم.

وفاته: توفى ببلده مكناسة فى الثالث والعشرين من ربيع النبوى عام اثنين وألف كما فى التقاط الدرر وغيره.

٢٢٢ - محمد بن مبارك الزعرى الأصل المكناسى النشأة.

حاله: من مشاهير الأولياء الكاملين، وأعيان الصالحين، كان أول أمره بمكناسة الزيتون يتعاطى القراءة فصعب عليه الأمر وتعذر عليه الفهم، فرأى النبى ﷺ فقال له: إنك لن تقرأ، ولكنك شيخ، فظن أنه يكون من أشياخ القبائل، فرحل للبادية فلم يزل بها حتى هبت عليه نفحة القرب، من حضرة الرب، فذهب لمراكش ولقى بها الشيخ الكامل أبا عمرو القسطلى، ورجع إلى باديته فبنى مسجدا بالموضع الذى عين له شيخه لسكناه، فيقال: إنه قال له: جعلت محرابه منحرفا فأشار بيده إلى جهة مكة فتزحزحت الجبال حتى شهد الحاضرون مكة واللّه على

٢٢١ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٢١.

٢٢٢ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٣٠.

كل شيء قدير، وهذا غير مستغرب في جانب كرامات الأولياء التي لا ينكرها إلا مبتدع مارق لثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع، وكان يقول: أهل زماننا محسوبون علينا، فبلغ ذلك لعصريه الشيخ أبي عبد الله محمد الشرقي فقال رضى الله عنه: اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك.

مشيخته: منهم الشيخ أبو عمرو القسطلی.

الآخذون عنه: منهم العارف الكبير أبو عبد الله الشرقي.

وفاته: توفي بتاسع ست وألف، وضريحه شهير يزار، قرب ضريح الشيخ أبي يعزى، وهو لا يبعد عنه إلا بنحو ثلاثين كيلو متر.

وقد أخبرني بعض من وثقت بخبره أنه وقف بزواية هذا الشيخ المباركية على نسختين من مؤلف في كرامات الشيخ المترجم لا تاريخ بهما ولا ذكر لمؤلفهما فيهما، إحداهما من حبس الزاوية المذكورة، وثانيتها ملك للغير، بالثانية نقص في آخرها وأوراق كل نحو الخمسين وليس بذلك المؤلف من الفوائد التاريخية ما يهم الباحث الاطلاع عليه.

وللشيخ هناك عقب ذوو وجهة. وله زاوية بالرباط تعرف بالزاوية المباركية.

٢٢٣- محمد السبع بن عبد الرحمن المجذوب الولی الشهير.

حاله: شيخ عابد بركة من أولياء الله الصالحين، كان أوصاه والده بخدمة الشيخ أبي المحاسن الفاسي، ذكره صاحب المطمح وغيره.

مشيخته: أخذ عن أبي المحاسن المذكور وغيره.

وفاته: توفي سنة أربع عشرة وألف.

٢٢٣ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٤٥.

٢٢٤- محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي المكناسي.

حاله: فقيه عالم علامة قدوة محصل حيسوبى فرضى مشارك رحالة كان أوحده عصره فى علم الحساب والفرائض والتوقيت والتنجيم والجدول وغير ذلك وله مخالطة لعلم الحدّثان تذكر عنه حكايات فى ذلك غريبة مع الفهم الثاقب والإدراك التام، حج ولقى جماعة كالأجهورى وأضرابه.

مشيخته: أخذ عن عمه مؤلف الجذوة وعن الحافظ أحمد المقرئ وسيدى العربى الفاسى وغيرهم.

مؤلفاته: منها البرق الوامض، فى الحساب والفرائض، وكتاب لطيف أخذ فيه فصول الفرائض من لفظ زيد بن ثابت، وتحقيق المذهب فى مسائل الجد، ورحلة للمشرق، ومحاذى على قصيدة ابن ليون فى التفسير، ومحاذى على الروضة فى التوقيت، وتحفة الخالى، على نظم سلك اللئالى فى الخمس الخالى، لسيدى العربى الفاسى وله غير ذلك.

وفاته: توفى رحمه الله قتيلا بمسجد القرويين من فاس غدراً بعد أن قام من مجلس تدريسه عند عشاء يوم الاثنين فى واحد وعشرين من ذى الحجة سنة أربعين وألف.

٢٢٥- محمد بن أحمد بن عزون الجزنائى أبو عبد الله المكناسي.

أورده فى نشر المثنائى من جملة أهل العام الثامن من العشرة السادسة.

٢٢٦- محمد بن أحمد بن عزوز المكناسي.

حاله: قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر

٢٢٤ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٩٢.

الفاسى فى كتابه الإعلام فى حقه ما نصه: فقيه أديب شديد الطلب، بارع فى الأدب.

مشيخته: منهم أبو محمد عبد القادر الفاسى حضر مجالسه المختلفة الفنون، واقتنى منها ما تقر به العيون.

وفاته: توفى بتونس سنة ست وستين وألف، قاله فى الإعلام.

٢٢٧- محمد بن أحمد الصباغ لقبا البوعقيلى نسباً.

أصله من مكناس ونشأ بفاس.

حاله: فقيه علامة مشارك حيسوبى فرضى، جليل القدر، ناقد بصير عارف بعلم الحديث والفقه، ماهر فى علم الهيئة والحساب والفرائض، سلم له أهل عصره فى ذلك، ورجعوا له فى خبايا تلك العلوم، وتصدر هو لتعليمها فانتفع به قوم.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبى العباس أحمد بن القاضى، وابن عمه أبى عبد الله محمد بن القاضى وغيرهما.

مؤلفاته: منها شرح على المنية لابن غازى سماه البغية فى شرح المنية، أجاد فيه ما شاء، واليوافيت، فى الحساب والفرائض والمواقيت، وكشف قناع الالتباس، عن بعض ما تضمنته من البدع مدينة فاس، وشرح الروضة، واختصار شرح المنجور على المنهاج، وغير ذلك من التأليف والتقاييد الحسنة المحررة.

ولادته: ولد سنة تسعين وتسعمائة.

وفاته: توفى سنة ست وسبعين وألف ودفن بعين أصليتن من الحضرة

الفاسية بدار ضريح ابن عبد الكريم وعمره ست وثمانون سنة.

٢٢٨ - محمد فتحا ابن الحافظ الضابط أحمد بن أبي المحاسن يوسف الفاسى.

حاله: طائر الصيت، منتشر الذكر فى سائر البلاد، فقيه علامة متضلع فى جميع العلوم، إمام حجة، ناقد خبير بصير، ضابط متقن مشارك متفنن، مقرر بارع فى قراءات السبع، محصل محرر، مدرس نفاع، مقيد حافظ، مستحضر للمسائل، يستظهر تسهيل ابن مالك، ومختصر ابن الحاجب الأصيل وغير ذلك، فصيح العبارة لا يجارى فى سائر الفنون، قوى الفهم، حسن الأخلاق، لين الجانب بشوش، مقبل على الصغير والكبير، كريم سريع الدمعة.

استوطن مكناسة الزيتون، وتقلد قضاءها مدة، فحمدت سيرته، وتواطأت الألسن على مدحه إلى أن نقله السلطان المولى الرشيد لفاس سنة سبع وسبعين وألف، وولاه الفتيا والخطابة بالقرويين، ثم آخر عن ذلك فلازم القرآن والتقيد والإفادة للخاص والعام.

مشيخته: أخذ عن ابن عاشر، وابن أبي النعيم، وعمه سيدى العربى، وعم أبيه سيدى عبد الرحمن بن محمد، وعن أبي الحسن بن الزبير السجلماسى، وأبى الحسن البطوئى^(١).

وبالإجازة عن الشيخ القصار، وأبى زيد بن القاضى، وصاحب الترجمة مع الإمام أبى محمد سيدى عبد القادر بن على الفاسى قرينان فى طلب العلم والسن ولقاء المشايخ، وكلاهما من أجل أهل زمانهما كذا فى نشر المثنى.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو محمد عبد السلام القادرى، وسيدى محمد

٢٢٨ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى فى الموسوعة ١٥٧٨/٤.

(١) قيده فى نشر المثنى من الموسوعة ١٢٨٥/٣: «بضم الطاء المشددة فواو وهمزة قبل ياء النسب».

وعبد الرحمن ابنا شيخ الإسلام أبى محمد عبد القادر الفاسى ، والقاضى أبو عبد الله بن الحسن المجاصى ، والقاضى أبو عبد الله بردلة .

مؤلفاته: منها شرح لطيف على المختصر الخليلي ، وشرحان على نظم المراسد لعمه سيدى العربى ، وشرح لنظمه أيضا فى المنطق .

ولادته: ولد بفاس ضحى يوم الخميس تاسع محرم سنة تسع وألف وفى النشر ثمان وألف .

وفاته: توفى بفاس آخر ليلة الثلاثاء ثانى عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وألف ، ودفن بروضة جده أبى المحاسن من جهة القبلة خارج القبة ، وإلى ذلك إشارة الشيخ المدرع فى منظومته بقوله:

وسيدى محمد بن أحمد سليل يوسف الإمام الأمجد
بخارج القبة حوشه اشتهر من جهة القبلة بان وظهر

٢٢٩ - محمد العرائشى أبو عبد الله.

حاله: فقيه نبيه جليل ، صوفى نبيل ، كان ناظرا فى العهد الإسماعيلي على أحباس الولي المتبرك به حيا وميتا عبد الله بن حمد ، وهو الذى تولى بناء ذلك الضريح المرونق عن إذن سلطان وقته سيدنا الجد المذكور حسبما ذلك مرقوم فى نقش زليج بالحائط عند رأس قبر المترجم .

ودونك نص الغرض منه:

هذا ضريح خديم هذا الولي الصالح سيدى عبد الله بن حمد نفع الله به ، وناظر أحباسه والذى بنى هذه الروضة المباركة عن أمر مولانا إسماعيل نصره الله ، وهو الحاج محمد العرائشى رحمه الله .

وفاته: توفي عند فجر يوم الثلاثاء ثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثمانية وتسعين وألف.

٢٣٠ - محمد الغماري.

دفن حومة حمام الحرة جوار الولي الصالح السيد عمرو بوعودة آتى الترجمة.

حاله: لم أقف في ترجمته على شيء زائد على ما برسم حبس دونك لفظه:

«الحمد لله وحده، نسخة رسم واحد والإعلام بالقبول عقبه وخطاب نائب من يجب سدده الله لمغيبه عقبه نصه، الحمد لله بشهادة شهيديه أمنهما الله بمنه حسبما في غير هذا حبس الشريف الأصيل مولاي السعيدى ابن مولاي الجيلاني المنونى من داره المعروفة له فى جوار سيدى عمرو بوعودة، الأولى عن يمين الداخل للدرب الذى كان به سكنى العلامة سيدى الغازى، جميع براحها مع البيتین الصغیرین المستندین على اروی مولای الطیب على الولی الصالح، الكوكب اللائح، سيدى محمد الغمارى نفعا الله به ليدفن بهما هو ويدفن غيره من سائر الناس، وثمان القبور يكون فى مصالح ضريح الولی بعد أن بينى ويكون زاوية، وإن فضل على ذلك شيء اشترى به ما يوقف على روضة الولی للانتفاع به فى مصالحه من إيقاد وغيره، وأبقى الشريف المذكور من داره المذكورة مما عدا ما حبسه لنفسه، وذلك البيت المقابل للداخل للدار المذكورة المستند على روضة ولى الله سيدى عمرو بوعودة، والمقابل له ينتفع بهما بما شاء من دفن أو غيره، والباب تبقى متحدة بينه وبين الروضة، وإن شاء أخرج البيتین أو أحدهما.

وشهد به عليه بأكمله وعرفه فى أواسط ذى القعدة الحرام عام خمسة وتسعين ومائة وألف محمد بن عبد الله الرجراجى لطف الله به، وعبد الرحمن ابن الحاج قاسم الفلوسى وفقه الله آمين.

وبعده: الحمد لله أعلم بقبولهما عبد الله سبحانه وتعالى محمد الطيب بن محمد بصرى وفقه الله بمنه ولطف به.

وبعده بخط نائب من يجب لمغيبه: أعملته انتهت قابلها بأصلها فمائلته وأشهده الفقيه الأجل، العالم الأفضل، نائب قاضى الجماعة لمغيبه بمدينة مكناس، وهو الكبير بن أحمد العوفى تغمده الله برحمته أعزه الله تعالى وحرسها، بأعمال المنصوص عنده الأعمال التام لأعماله لديه بواجبه، وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفى التاسع والعشرين من رمضان المعظم عام أربعة ومائتين وألف عبد الله سبحانه وتعالى فلان بشكله ودعائه وعبد ربه سبحانه وتعالى فلان بشكله ودعائه.

وقد أخبرت على لسان أهل العدل أن كرامات المترجم تواترت لدى الخواص والعوام من قدماء أهل بلدتنا المكناسية، من ذلك ما حدثنى به بعض المبرزين الموثوق بأمانتهم وديانتهم من العدول أهل العلم والثبات عن بعض الأساتذة الطاعنين فى السن، أنه سمع بالتواتر على ألسنة أهل الصدق والدين أن المترجم دخل يوم عيد أضحى لدار من دور حومة حمام الحرة حيث مدفنه الآن، فوجد ربة الدار تشوى كبداضحيتها وهى تبكى، فاستفهمها عن سبب بكائها فأخبرته بأنها تذكرت ولدا لها ذهب حاجا فى ذلك العام، وأنها لم يطب ولم يهنأ لها أكل ذلك الكبدة دونه، فقال لها: ناولينى حظه فناولته قطعاً من ذلك الكبدة فى آنية، وجعلت له مع ذلك خبزة، فأخذ منها ذلك وخرج، ثم رجع لها من حينه، وقال لها: قد أعطيته ذلك فشكرته، والله أعلم بما يخامر ضميرها.

ثم إن ولدها بعد رجوعه من الحج أخبر بأنه كان ماراً فى زقاق من أزقة مكة المشرفة يوم النحر، وإذا برجل جبذه من ثيابه فلما التفت إليه قال له: خذ هذه الآنية بما فيها فأخذها ظناً منه بأنه من أهل مكة، ثم لما رجع لرفقته بمحل نزوله متأبطاً لما ذكر وأخبرهم بالواقع، وأنه بمجرد ما سلم له الرجل الآنية غاب عنه، ولم يدر أى فج سلك، وأنه جزم إذ ذاك بأن الرجل ليس من أهل مكة، وأنه ولى من أولياء الله تعالى خصه بذلك فضلاً منه سبحانه، وأن تلك الآنية بعينها تركها بداره بمكناسة عند والدته فسخروا منه وعدوا مقالته من هزل القول، وقالوا له: إنما تلك فضلة فضلت عن عيال الرجل فخرج يتصدق بها فصادفك أمامه فأعطاك إياها، فانتظر مجيئه فى طلب الآنية، فلم ير للرجل بعد أثراً.

ثم بعد أوبته من الحج أخبرته أمه بحقيقة ذلك، وقصت عليه القصص فصدق لها الواقع بإخراج الآنية وشاعت القضية بين أهل البلد وغيرهم، وزاعت وازداد حسن اعتقاد جميع الناس فى المترجم، وأن المترجم كان يدخل لسائر دور أهل البلد من غير استئذان وبالأخص دور الحومة التى فيها مدفنه اليوم، ويقابل عند الكل بكل تكرمه وإجلال لحسن اعتقادهم فيه ورغبتهم فى نيل بركته، وأنه كان يصبح كل يوم فى حلة بيضاء ناصعة فيروح بها كأنها ثوب زيات ولم يدر من أين تصاب له بذلك ولا ما يعمل حتى تصير على ظهره كالليل الحال كإلى غير هذا من أنواع الكرامات، الخارقة للعادات.

وقد علم وتقرر أن كرامات الأولياء ثابتة كتاباً وسنة وإجماعاً، فلا يستغرب هذا وأكثر منه فى جانبهم رضوان الله عنهم.

٢٣١- محمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني الأصل.

٢٣١ - من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ١٩٤/٢، نيل الابتهاج ٢٣٩/٢.

نسبة إلى غسان - بفتح الغين المعجمة والسين المهملة وبعد الألف نون -
وهي قبيلة كبيرة من الأزد، شربوا من ماء غسان وهو باليمن فسموا به، المكناسى
الدار.

حاله: ثبت ذكى واعية، أستاذ حافظ متضلع، مطلع نقاد.

مشيخته: أخذ عن والده، والشيخ المبارك أبى خالد يحيى بن يحيى بن خالد
وغيرهما.

الأخذون عنه: منهم الإمام ابن غازى قال: جالسته بمكناسة واستفدت منه
كثيرا، ومن أغبط ما أخذت عنه المصافحة المروية من طريق الخضر، ومنهم الإمام
سقين العاصمى رأيت فى إجازة لأبى القاسم الغسانى أجاز بها سيدى محمد
العايشى روى فيها المصافحة عن المنجور عن سقين عن المترجم عن والده بالسند
السابق فى ترجمة ابن غازى.

ولم أر من تعرض لولادة المترجم ولا وفاته، لا ممن ترجمه كسيدى أحمد
بابا فى النيل، وتلميذ المترجم ابن غازى فى الفهرسة، والذى يظهر من أحواله أنه
عمر رحمه الله رحمة واسعة.

٢٣٢ - محمد بن الحسن المجاصى.

الغياثى الأصل، المكناسى الولاية والوفاة، قاضيهما أبو عبد الله.

حاله: فقيه ناقد، علامة مشارك، متبحر مدرس نفاع، مفت مطلع متضلع،
محرر محقق، حافظ متقن، خطيب مصقع، بليغ واعظ ناسك، من أهل التثبت
فى الأحكام والتحرى فيها، له عارضة فى التقييد، وباع فى النظم والنثر.

٢٣٢ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى فى موسوعة أعلام المغرب ١٨٢٣/٥.

وكان فى أول أمره خامل الذكر معتزلاً عن الناس فولاه السلطان المولى الرشيد بن الشريف الحسنى بإشارة من العلامة الأستاذ سيدى عبد الرحمن بن القاضى المكناسى قضاء فاس الإدريسية، بعد أن عزل حمدون المزوار على ما فى الدر المنتخب، وذلك آخر جمادى الأولى عام تسعة بمشاة وسبعين بموحدة، وخطبة جامع القرويين بها فى ثانى وعشرى رجب عام أربعة وثمانين وألف، فجمع بين قضاء فاس وخطبة مسجدھا الأعظم.

والذى فى نشر المثنى أن تولية المترجم كانت بعد عزل سيدى محمد البوعنانى^(١) فالله أعلم بالحقيقة.

قال فى الدر المنتخب: إن مولانا الرشيد لما دخل فاسا سأل أهلها عن أفضل علمائها وأسنهم، فقبل له: سيدى عبد الرحمن بن القاضى، فاستدعاه للقدوم عليه فأجابه بأنه لا قدرة له على القدوم عليه لكبر سنه وملازمته بيته، فقال للرسول: إنى آتیه ويخرج بمحل قريب من بيته ألتقى معه به، فخرج لعرصة درب الدرج التى حائطها موال لمصمودة، ولما ورد السلطان فتحوا له نقبا فى جوار العرصة دخل على الشيخ منه واجتمع معه، وبعد التماس بركته والفراغ من سنة السلام، قال له: أتيتك لأستشيرك فىمن أوليه بفاس من حاكم وقاض ومحتسب وناظر؟ فقال له: أما الحاكم فلا أتقلده، والقاضى حمدون المزوار، والمحتسب عبد العزيز الفركلى الفيلالى، والناظر العدل مسعود الشامى.

ولما خرج من عنده أمر أن يبنى بالمحل الذى دخل منه باب ويبقى طريقا، فهو الآن درب الدرج لم يكن قبله، ولما بلغ دار الإمارة نفذ القضاء لحمدون المزوار، والحسبة للفركلى الفيلالى، والنظر فى الأوقاف للعدل مسعود الشامى فامتنع منها وسجن عليها سبعة أشهر، ولما ضاق عليه الأمر أجاب على شرط أن

(١) نشر المثنى فى الموسوعة ١٨٢٣/٥.

لا يتعرض له قاض ولا وال، لأن الأعباس كلها حازها اللصوص والأشراف أيام الفترة حتى كادت أن تستأصل كلها، واشتغل بالبحث عنها واستظهارها ومن اتهمه بربيع أو أرض يحوز عليه كل ما عنده من الرباع، فما ظهر رسمه رده له، والذي لا يظهر رسمه علم أنه مغصوب فيحوزه للحبس حتى رد الأوقاف كلها.

قال: ولما تولى القضاء المزوار المذكور، وكان كثيرا ما يردّ أحكامه المفتى سيدى عبد الوهاب الفاسى فى نوازل وأحكام تقع منه تخالف المشهور، وعلم بذلك الشيخ ابن القاضى كتب بذلك للسلطان الرشيد يقول: إن من أشرت عليك بتوليته القضاء له أصهار وأنصار، فأقلنى من عهده أقالك الله من النار، فأمره أن ينظر للقضاء من هو غريب الدار، فأشار عليه بالترجم.

قال: وتقدم ما ذكره فى نشر الثانى فى سبب عزل المزوار وتولية صاحب الترجمة وهو ليس مخالفا لما هنا، لأن ما هنالك مجمل وما هنا مفصل هـ وكلام النشر المحال عليه هو ما سيمر بك.

ثم صرف، أعنى المترجم، عن القضاء بفاس والخطبة بجامعها فى رابع ذى القعدة عام ثمانية وثمانين، ثم بعد مضى عشرين يوماً رام من المتولى بعده وهو الشيخ أبو عبد الله العربى بردلة أن يشركه معه فى فتوى فاس أو خطبة مسجدها المذكور، فامتنع الشيخ بردلة من ذلك.

فأخذ المترجم فى التدريس بجامع القرويين فى بعض الكراسى بها من دون تولية إلى أن ولى قضاء حضرة السلطان المظفر مولانا الرشيد الحسنى بمكناسة الزيتون، وسبب تولية صاحب الترجمة قضاء فاس فيما يحكى، أن السلطان المذكور رد إلى القاضى بعض مسائل من الأحكام المتعلقة بنسبة من له الشرف بفاس فلم يتضح للقاضى المذكور ما يجيبه به عنها، فاستعجله السلطان من ذلك وعزله، وقال: لا أولى قضاء فاس إلا من كان غريبا لا أهل له ولا صهر، فاختر

الفقهاء الذين بمدارس فاس، فلم يجد أنجب من صاحب الترجمة حينئذ فولاه قضاءها، فسلك رحمه الله سبيلا حسنا، وكفى به أن الشيخ اليوسى ارتضاه للمشورة فى الرسالة التى كتبها لسيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل، إذ قال له فيها: فعلى سيدنا أن يقتدى بهؤلاء الفضلاء ولا يقتدى بأهل الهوى، ويسأل من معه من الفقهاء، كسيدى محمد بن الحسن - يعنى صاحب الترجمة - وسيدى أحمد بن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون فيه لومة لائم. انتهى.

وما أَراده السلطان من اتخاذ القضاء غريبا هو من أسباب العون على العدل وتيسيره، وما زال أهل العدل يحتاطون له.

انظر ما فعل القاضى ابن محسود فإنه حكى عنه فى التشوف: أنه لما ولى قضاء فاس اتخذ زياتا بمكناسة يقضى له الضروريات لئلا يكون له مخالطة مع أحد من أهل ولايته بوجه ما، انظر لفظه فى ترجمة أبى عبد الله بن محسود.

وقد كان صاحب الترجمة من أهل التثبت فى الأحكام والتحرى، ومما يحكى عنه فى ذلك أنه كان إذا أشكل عليه وجه الحكم قيده وضرب الأجل للخصم حتى يفرغ لتأمله، وكان مظنة وقت فراغه يوم الخميس، فيمضى إلى شيخه إمام الجماعة أبى محمد عبد القادر بن على الفاسى ويذاكره فيه بمحضر من يتفق له حضوره من العلماء حتى يتضح الأمر فيحفظه ليحكم به على الخصمين، وهذه سيرة عالية تدل على قوة الدين، والتمسك بحبله المتين.

مشيخته: أخذ عن سيدى عبد القادر الفاسى، وناهيك به وعمن فى طبقته من شيوخ عصره، وأجازه عامة: الملا إبراهيم بن حسن الكورانى الشهرزورى بواسطة صاحبه قاضى سجلماصة أبى مروان عبد الملك التجموعتى عندما رحل للحج، كما وجد ذلك بخط التجموعتى المذكور.

والملا إبراهيم هذا يروى عن العارف بالله صفى الدين أحمد المدنى وغيره .

الآخذون عنه : تخرج عليه جماعة من الفقهاء القادة الأعلام ، منهم سيدى عبد السلام بن الطيب القادري جد صاحب النشر للأب .

مؤلفاته : منها تقييد فى الأشراف الجوطيين فى نحو نصف كراسة صغيرة قال فى آخره : ولجلالة هذا النسب الشريف وعظيم مكانته تعلق به جماعة من أعيان العلماء وصدور الأئمة ، فقائل يقول : أمى شريفة ، وآخر يقول : جدتى وآخر يحكى أن له فى شريفة رضاعا كالشيخ السنوسى ، وجلال الدين السيوطى ، والشيخ زروق . وقال صاحب الزلفى : ليت لمثلنى من ذلك ولو كخيطة العنكبوت ، ثم قال : وفى الحديث إن الداخل فيهم وليس منهم يفضح بين الخلائق إذا لم يدع باسم أبيه ويستحى ، وهذا إذا لم يكن هو المتسبب فيه ، وأما المدعى الكاذب الأول فما يناله من العقوبة واللعنة أبشع وأفظع من فضيحة تابعه إذا لم يعلم باعتداء آبائه ، ولعل هذا سبب من يتورع من الانتساب ، ويقول : إن يكن شئ من هذا حقا فإنما نحتاج إليه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وإن كان باطلاً فنحن منه على جناح سلامة ، ويحسن هذا فى حق من وجد شيئا بيد آبائه ولم يكن متواترا شائعا ذائعا نعم من غير أن يتبرأ منه ، ولعله ينتفع انتفاعاً ما .

وفى فهرسة شيخ المشايخ ، شيخ شيوخ شيوخنا العلامة سيدى أحمد المنجور فى ترجمة شيخه العلامة المحقق أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليسيتنى قال : أصله من بنى يسيتين بربر من عمالة دبدو ، من بطن منهم يقال لهم بنو كلال ، وهم ينتمون إلى الشرف العلوى من فاطمة البتول رضى الله عنها ، ولكن لم يثبت لهم ذلك كالمشاهير بالشرف من القبائل ، ولهذا لم أسمع شيخنا المذكور قط ينتمى إليه ولا رأيته بخطه فى براءة أو كتاب علمى ، ولا يزيد على لفظ اليسيتنى وإن كان أبوه الفقيه أبو العباس - وكان يقرأ فرعى ابن الحاجب من أقران أبى العباس الزقاق - ينتمى إليه وكذلك جده الصالح التالى لكتاب الله

تعالى أبو زيد عبد الرحمن كان يقرئ الصبيان بالمكتب المقابل بانحراف لدرب اللمطى من عدوة فاس الأندلس مشهورا بالبركة.

وقد رأيت رسم شرف لأم عبد الرحمن هذا وقال لى صاحبنا الفقيه أبو عبد الله ولد شيخنا الإمام: إنه كان عندهم رسم شرف لجدّه عبد الرحمن من قبل الأب أيضا، فلما لم يصح ذلك عند الشيخ هرب من ذلك، وأخذ بالاحتياط والحزم فى دينه مخافة أن تلحقه لعنة رسول الله ﷺ للدخل من غير نسب.

وسمعت مولانا أمير المؤمنين أبا عبد الله محمد الشيخ المهدي يوم خروجه لحركة مللو سنة ثمان وخمسين يسأل الشيخ كم لهم بفاس؟ فقال له: نحو مائتى سنة، قال: ملفق هذه العجالة وقضيتنا قريية من قضية هذا الشيخ فإنى وربى العالم بالخفيات والمجازى يوم تبلى السرائر أدركت والدى رحمه الله وعمّا لى من حملة القرآن العظيم وهو ابن الصغير بن يعقوب المغراوى ينتمون للجانب العلوى ولا يتوقفون فى ذلك، ورأيت بعينى رسم شرف وظهائر ولا أدرى أين صارت، وكان أبى يقول: إن أخاه سيدى محمد قدم مع والده سيدى الصغير من مغراوة الجزائر وأنهم من ذرية ولى صالح يدعى بسيدى يعقوب أو أبى يعقوب وأنهم يعرفون بذلك بنى مرزبة - بميم فراء ساكنة فزاي مكسورة فباء موحدة بعدها هاء التانيث - سموا بنبت يعرف بذلك.

أما أبى فلإنما ولد بحوز فاس بنى واريش على ما حدثنا به رحمه الله، وبأيديهم رسم الآن ثبت بشيوخ مسنين ممن أدرك الأب والعم، والله المسئول أن يجمع هممتنا عليه ويحقق لنا النسبة الروحانية ويرعانا بعين رعايته فى الدارين، وأدعو بدعاء القطب العارف بالله مولانا عبد السلام نفعا الله به: اللهم ألحقنى بنسبه وحققنى بحسبه، والسلام على من يقف عليه عبد الله محمد بن الحسن المجاصى وفقه الله وكان له بتاريخ تسعة وتسعين وألف هـ.

ووجد مقيدا عقب التقييد المذكور ما نصه بعد الحمدلة والصلاة:

تصفحت الأنقال المشار إليها أثناء هذه الأوراق فألفتيتها مطابقة لما تحصل من أصولها المنقولة منها، وأما ما ذكره صاحبنا الفقيه العلامة سيدى محمد بن الحسن عن سلفه فقد سمعته منه والله يثبتنا على القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ويجعلنا من أمة سيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام يوم فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة، قال ذلك وكتبه العبد الفقير أواسط ذى القعدة الحرام سنة تسع وتسعين وألف عبد الملك بن محمد التجموعتى وفقه الله هـ.

ومن تأليفه: تقييد فى مسألة العكاكزة، ونظم فى أشراف المغرب، وأجوبة حسنة تضمنتها نوازل على ما له من العارضة فى العلوم.

شعره: من ذلك قوله ناظما عمود نسب النقيب مولاي عبد القادر بن عبد

الله الشيبهى:

حمداً لمن جعل السعادة كلها	حب النبى وصحبه والآل
ثم الصلاة على الرسول محمد	قطب البرية غوثها المتعال
وسلامه الأزكى يؤم ضريحه	طيبا على طيب المكان العال
وعلى صاحبه وعترته النهى	أهل الندى والجود والإفضال
هذا وقد أمر العلى جانبه	أمرا يذل ضئولة الرئبال
أمرا ببذل الدر من أسلافه	من أصله والى زمان الحال
فأجابه العبد العيبى لسانه	مولاي هذا موقف الإبطال
فازداد حرصا بعدها وتحتمت	طاعاته فى سائر الأحوال
أسعفته وجعلت بيت قصيدتى	مولاي عبد القادر المفضال

عجبا لطينته من الصلصال
بأبيه عبد الله فى تسأل
بيت النبوة سيد الأقيال
يعلو على التفصيل والإجمال
مولاي عبد الواحد الفضال
هو الشبيه بسيد الإرسال
من الهاشمى صاحب الأحوال
يحمى حماية صاحب الأشبال
كأبيك عبد الواحد الهطال
واعرف عليا كاشف الأوجال
أرقى الذى أحلى من السلسال
عبدا إلى الرحمن ذى الإكمال
من كان والده عليا عال
كل المجادة فيه فى اضمحلال
للمجد يحيى بارع الأفعال
بالجوط يحيى نخبة الأبدال
نفع الموالى قاسم الأموال
بأبيه إدريس المقام العال
حسن المثنى صادق الأقوال

الفائق الأبهى البديع جماله
وسعيت بين جنباه متضرعا
نجل العروف اللوذعى محمد
بأبيه عبد القادر الأسمى الذى
نجل الشريف الشامخ القدر العلا
بأبيه أحمد ذى الفضائل والحجا
بالزاهد القرشى عبد الواحد بـ
عبد إلى الرحمن فيه إضافة
فاضت أبا غالب بحار نوالكم
والفارس الحامى الذمار محمد
بأبيه عبد الواحد بن الماجد الـ
أعنى أبا عبد الإله وصل به
بالواحد الأسنى الشريف محمد
بأبيه حم نجل يحيى المنتقى
بأبيه إبراهيم للأصل المنتمى
بالفاضل الأرقى الحسيب محمد
والقاسم الأزكى الرفيع مقامه
بأبى العلا إدريس ناشئ فاسنا
بأبيه عبد الله نجل المجتبى

بالسبط والده البهى جماله
بالوالد الأدرى على المرتضى
من عرسه بنت النبی محمد
وقوله:

يا روضة كملت محاسنها التي
فى عام شمل غير حول زررت
وتزخرفت وتعطرت وتهذبت
وتشعشت أنوارها وتكلمت
وتهذبت أخلاقها وتنسمت
من بعد أن طرب الزمان بحسنها
قطب البرية عزها وفخامها
المولوى الهاشمى المنتقى
قد صاغها النجل السرى تكرما
ابن الرضى مولای عبد الله ذى الـ
دامت مسرته ودام سعده
ووقاه من شر الزمان وفتكه
وأناله فى الناس ظلا وافرا
وكسا بنيه الغر فضل ردائه
لا زال مجدهم العلى مؤزرا
دخل الحمى يا آل بيت المصطفى

حسن بن فاطم بغية الآمال
ليث الحروب مفرج الأهوال
فيه انتهاء العز والإجلال

جلب العقول بهاؤها للناظر
أزرارها وتنظمت بجواهر
أغصانها وتبسمت للزائر
أطيأرها وتدفقت بكواثر
أوراقها وتفتحت بأزاهر
زفت إلى بحر البحور الزاخر
سر النبوة فخر كل مفاخر
إدريس منقذ غربنا فى الغابر
وتفضلا مولای عبد القادر
أصل الزكى الطيب بن الطاهر
وحسوده فى ضنك عيش خاسر
وكفاه ثورة فاجر أو جائر
يكفيه من بغى الظلوم الماكر
يتناسقونه كابرا عن كابر
ومؤيدا باسم العزيز القاهر
عبد ذليل ماله من ناصر

وفاته: توفي عصر يوم السبت رابع ربيع الأول عام ثلاثة ومائة وألف، ودفن عند الغروب من يومه بمكناسة الزيتون في روضة سيدى أحمد الحارثى، المعروفة الآن بروضة الشيخ الكامل، وعليه بناء متصدع على يمين الداخل للروضة المذكورة من الباب المعروف بباب المعراض خارج باب السيية أحد أبواب العاصمة المكناسية.

٢٣٣ - محمد بن أحمد المزطارى المكناسى الشاذلى.

ذكره فى سلك الدرر.

حاله: شيخ إمام عارف مسلك مرشد أستاذ كامل صوفى ربانى، حكى تلميذه الشهاب أحمد بن إبراهيم الحبالى الإسكندرى أنه ما غفل قط فى وقت من الأوقات الخمسة عن سبعين ألفا من لا إله إلا الله فى مدة إقامته معه، وكانت المدة المذكورة ثمانية عشر عاما، وكان جبلا من جبال المعارف منار هدى وإرشاد، وله كرامات كثيرة، وخوارق شهيرة، لا تسعها الأفهام، ولا يطيقها نطاق الأقلام، رحل من بلده مكناسة إلى دمشق الشام، وقدمها غرة جمادى الأولى سنة ست وتسعين وألف، ثم رحل من دمشق إلى مكة المشرفة واستوطنها وبها كانت منيته. مشيخته: أخذ الطريقة الشاذلية عن شيخه الفرد الربانى سيدى قاسم بن أحمد القرشى السفينانى المدعو بابن بلوشة.

الآخذون عنه: منهم الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحمن السفرجلانى، والشيخ محمد بن خليل العجلونى، وكتب له بذلك إجازة مطولة، والشهاب أحمد الحبالى وخلق، ويتصل سند المترجم من طريق الشيخ محمد أمين أفندى السفرجلانى الدمشقى الشامى بالسند المذكور، فى ثبته عقود الأسانيد.

٢٣٣ - من مصادر ترجمته: سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ٣٣/٤.

ولادته: ولد عام أربعة وأربعين وألف.

وفاته: توفي بمكة المشرفة فى محرم الحرام ليلة الجمعة سنة سبع ومائة وألف عن ثلاث وستين سنة، ودفن بباب المعلى بقرب ضريح السيدة خديجة الكبرى.

٢٣٤ - محمد بن محمد العناية.

حاله: ولى صالح عارف بربه، دال عليه ناصح، يقال: إنه من ذرية مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وعنا به آمين، ويقال: إنه كان من المجاذيب، وإنه من أهل العصر الإسماعيلى، ولم أقف على ترجمته بعد البحث المديد.

وشريح من أشهر المزارات المقصودة للمتعلقين بأذيال أهل الله العارفين بحومة باب البردعيين المسماة بجناح الأمان.

٢٣٥ - محمد بن عمر السجلماسى الأصل الزرهونى الزاوى الدار والإقبار.

حاله: فقيه علامة جليل، مشار إليه بالفضل والدين والثبات والرسوخ، كان السلطان مولانا إسماعيل منحه خطبة وإمامة مسجد الضريح الإدريسي الأكبر من زاوية زرهون، حلاه سيدى أحمد بن المبارك فى إبريزه بالشيخ الفقيه العالم العلامة، وشهد بمعرفته لمكانته، وقد كان المترجم صاهر ابن مبارك المذكور بيناته الثلاث، وكاتبه لما استدعاه سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل للقدوم لمكناسة الزيتون للصلاة بالناس فى جامع مدينة الرياض العنبرى، فتوجه مع من وجه للقدوم به، ثم رجع لفاس قبل أن يلتقى بالسلطان بدون إذن يحذره مخالفة السلطان قائلاً: إنك رجعت من مكناسة ولم تلتق مع السلطان نصره الله ولا فاصلت نفسك فلا تدري ما ينزل بك بعد قدومك، فالرأى أن ترجع إلى مكناسة وتلتقى مع السلطان نصره الله وتظهر له الرضا بقبول الإمامة فى المسجد المذكور

وغير هذا لا تفعله، ولعل استدعاء ابن المبارك للإمامة كان عام خمسة وثلاثين ومائة وألف، وهى السنة التى نزل فيها ضيفا على أبى القاسم بن دارا أياما بداره بمكناسة والله أعلم.

وفاته: لا أحفظ الآن تاريخ وفاته بيد أنه توفى بزواية زرهون وضريحه أعلى سقاية البيان، حذو باب المعراض عن يمين الطالع هناك لحومة تارجا.

٢٣٦ - محمد البصرى المكناسى.

حاله: طاهر السريرة، دين صالح بركة واعظ، إذا وعظ وجلت القلوب وذرفت العيون، ثلثاه غفلة لا يستعمل الأدب مع الملوك، فكان يتمرغ على نمارق المنصور مستندا بين يديه والمنصور يتحمل له ذلك لما يعلم من ديانتة وصفاء باطنه. ذكره القشتالى فى مناهل الصفا، وقال فى الصفوة: لم أقف على سنة وفاته، وقبره داخل مكناسة شهير هـ.

قلت: لا يعرف له اليوم قبر بل ولا ذكر، وإنما المعروف أبو عبد الله محمد الخطيب بصرى المترجم فيما قبل، وهو غير صاحب الترجمة قطعا كما يعلم بالوقوف على ترجمتهما.

٢٣٧ - محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصرى المكناسى الشيخ المقرئ.

حاله: فقيه جليل المقدار، جامع لأشتات خصال الفضل والمجد، حامل لراية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء، صدر عالم عامل، حافظ للسبع متقن عارف بتجويد القرآن العظيم، حسن الصوت، مجتنب للمحرمات، متوق للشبهات، لا تراه سالكا طريقا إلا وعيناه فى الأرض، وإذا لقي امرأة نحى وجهه عنها، وكان ذا كرامات ظاهرة، وإشارات باهرة.

قال تلميذه أبو القاسم بن درة من أجل ما شاهدناه منها - يعنى كراماته - أن بعض الناس كان يحب أن يرومه بشيء يكرهه، فمهما أراد منه ذلك يعطيه الله ما يشغله عنه فيكف عنه إذايته، وقصده بذلك مرارا فلم يظفر به، ونجاه الله منه حتى لقي ربه. قال: ومن أعظم ما رأيت من مكاشفاته أنى جئته يوما فوجدته بداره التى بقرب الجامع من زقاق القرمونى، فقال لى: يا قاسم، ووجهه عبوس، ونظر إلى نظر مغضب، اترك أو فارق عنك كذا وكنت والله مصرا على ما نهانى عنه، فأظهرت له التجلد وتعللت له بعلى فصفتح عنى ودعا لى بالهداية، وكان رحمه الله راضيا عنى ودعا لى عند موته بخير فما على إلا فضله وبركته.

سمع السلطان الأعظم مولانا إسما عيل بحسن صوته وجودة تلاوته فأمر بإحضاره ليلة سابع عشر رمضان، فأمر به تلك الليلة وختم القرآن برواية ابن كثير يكبر ويهمل عند ختم كل سورة من آخر والضحى إلى آخر والناس، وأدرج القراءة إلى المفلحون فخلع عليه السلطان دائرة سنية كانت عليه وطلب منه صالح الدعاء انتهى.

وقد حظى المترجم من لدن جناب مولانا الجد السلطان المذكور بإجلال ورعاية وتبجيل، ووصفه بأوصاف عالية فى ظهيره الشريف المطاع الأوامر الذى أصدره بالتنويه بقدر بيت المترجم، ونشر ما لسلفه من المجد المؤثر، والخص على إنزالهم منزلتهم، ومقابلتهم بكل تكرمة وإعظام، والتعريف بما له ولسلفه وبنى عمه من الخطوة لديه، والاعتبار والإكبار، وإليك نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«عن أمر عبد الله المتوكل على الله، أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، إسماعيل ابن الشريف الحسنى أيد الله أمره، وأعز نصره وخلد فى صحف المجد والحمد ذكره، وأشرق فى الصالحات شمسه وبدره، يستقر كتابنا هذا أسماه الله بيد حملته أولاد ولى الله تعالى العارف بربه الصالح سيدى بصرى نفع

الله به وأولاد أولاده وحفدته ومن انتمى منهم إليه، وخصوصا الفقيه الأجل السيد محمد بن أحمد بصرى، وبنى عمه وأولاده وأولاد أولاده ما تناسلوا ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمينه العميم وبركته.

إننا أسبلنا عليهم جلابيب الإيثار والوقار، وكسوناهم أردية الاحترام ونمارق الإجلال والإكبار، وعاملناهم بما يجب وما يجعل بنظائرهم من السادات الأخيار، ووقرناهم وحررنا جانبهم وأكرمنا مثواهم، وحشيناهم من كل ما يغيض بقدرهم، وأسقطنا عنهم كل مغرم أو تكليف، وسلكناهم مسالك آبائهم وأجدادهم وأسلافهم من قبلهم، وأنعمنا عليهم بمزيد أثر، وكريم حظوة على ذلك، حيث هم بحمد الله من أولاد هذا الولي العارف المذكور، ومن خيار أهل حضرتنا العلية بالله، ومن لباب اللباب بها ومن أعيانها ومن ذوى الحسب والمروءة والأصالة منها.

ولا سيما وفيهم ومنهم النشأة الطيبة والنخبة الزكية الجامع لأشتات خصال الفضل والمجد حامل راية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء، الفقيه الصدر العالم العامل السنى أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن بصرى وابن عمه الأحظى الأجل، الأئوه الفقيه النبيه الأمثل، السيد أحمد بن محمد، فما عندنا أعز منه ومنهم، فنحن منه وهو منا وفينا وإلينا، ومحسوب على الله وعلينا، والعلم والدين والسنة معه تجمعنا، والجهل مع البدعة لغيره يفرقنا والعلم والخلافة إخوان.

وما هو لدينا فى نفوسنا الكريمة إلا من أعيان العصر؛ وأعوان النصر؛ والقلوب تتجازى فلا يقرب أحد ساحته وساحة أهله وبنى عمه وأقاربه بما يسوءهم أو يضرهم فى نفوسهم أو يشوشهم على أسبابهم ومعاشهم أو أمر من أمور دنياهم فى هذا الأوان، ولا فيما يأتى من الأزمان، ما تعاقب الجديدان، واختلف الملوان، وعلى الدوام، وما توالى السنون والأعوام، من غير منازع، ولا معارض ولا مدافع فيما قابلناهم به وحملناهم عليه واختصصناهم به وأردناهم لهم وآثرناهم به

عن سواهم، لأننا جربنا الناس وبلوناهم فألفيناهم ليسوا كغيرهم، وكفى بشهادة الناس فيهم والناس شهداء الله في أرضه، وما علمنا في جملة أولاد سيدى بصرى إلا خيراً وصلاًحاً، ونجدة ومروءة وفلاحاً، وكيف يجهل قدرهم أو لا تراعى حرمتهم ولا نؤثرهم على من عداهم. فنعهد بمسطورنا الكريم أعزه الله لكل من وقف عليه من أولادنا أو ولادة أمرنا وقوادنا ووصفاننا أن يعتقد فيهم معتقدنا، وأن ينهج فيهم منهجنا حسب الواقف عليه العمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، صدر به أمرنا المعتز بالله والسلام بتاريخ ربيع النبوى عام اثني عشر ومائة وألف».

وكان المترجم مع ذلك بارعاً في فنون العربية والتصريف كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً فقيهاً محققاً فصيحاً اللسان في الخطبة والتلاوة كثير التواضع ثاقب الذهن كريم الأخلاق حسن اللقاء أمه السيدة آمنة بنت أبى سرحان مسعود بن محمد ولى الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بصرى وأمها السيدة عائشة من حفدة سيدى على منون وأم أبيه السيدة عائشة بنت الفقيه السيد العربى الميرنى من ذرية ابن الحنفية.

مشيخته: أخذ القراءات السبع على شيخى التجويد أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر الرايس وأبى الحسن على بن أحمد بن جارية القصرى وأجازاه في القراءات وسلم له جماعة من أئمة عصره ما فى الإجازتين، ومن شيوخه أبو عبد الله محمد بن أحمد القسمطينى وأبو العباس أحمد بن العربى بن الحاج وأبى عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى وأبو مدين السوسى وبردلة وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه من أهل مكناسة والطارئين عليها خلق كثير لا يحصى منهم عبد الوهاب ابن الشيخ وأبو عبد الله محمد العربى بصرى صاحب منحة الجبار.

مؤلفاته: له شرح على مختصر خليل بلغ فيه إلى الزكاة واخترمته المنية
ومنظومة فى إمالة أبى عمرو ابن العلاء وأخرى أفرد فيها رواية ابن عامر الشامى
تسمى المنار السامى .

شعره: من ذلك قوله فى منظومة الإمالة:

يقول عبد ربه محمد	عرف بالبصرى ربي أحمد
ثم الصلاة والسلام السرمدى	على النبى المجتبى محمد
وبعد فالقصد بهذا النظام	ذكر إمالة الرضى الإمام
أعنى أبا عمر والزكى بن العلا	من لاح بالبصرة بدرًا كملا
وقوله فى نظم رواية الشامى:	

قال محمد بن بصرى وقد	نوى افتتاحا باسم ربنا الصمد
مصليا على الرسول المجتبى	وأله وتابعيه النجبا
وبعد فالقصد بهذا النظام	بيان مقرأ الإمام الشامى
ولما أوقف عليه شيخه أبا مدين سماه له بيت رجز بالمنار السامى:	

هذا واسميه المنار السامى	لمبتغ نهج الإمام الشامى
ومن شعره قوله:	

ظعننت وفى نفسى من البين لوعة	ونار اشتياقى فى الضلوع كما هيا
وجئت بجسم فارغ من فؤاده	وربى عليم أين حل فؤاديا
لعمرى لقد خلفته رهن ما انتهى	بأيدى أناس يحسنون التقاضيا
وددت ولم أئس من إدراكى المنا	لو أن إله العرش حل عقاليا

فجاورتهم عمرى ومتعت أعينى
 فيا أهل فاس خلصوا من نواكم
 أليس بعار أن ينيخ ببابكم
 وما شرف الضرغام إلا ببطشه
 وقولوا لمن فى أسرنا قد تنافسوا
 ألم يكفهم أن قدار أقوام دم امرئ
 ألم يغلبوا فى عالم الله كله
 سمعت بأن خافوا على حرارتى
 على أن لى فيمن قصدت كفاية
 وكيف وقد وجهت نحو محمد
 بطلعتهم فى غدوتى ومسائيا
 وأم حماكم مستهماً وباكيا
 بأشجانه عبد فيرجع خاسيا
 ولا الهندوانى غيران كان ماضيا
 فإما يمينوا أو يحوزوا فؤاديا
 خديم الهدى دأبا ولو كان عاصيا
 سوى ولم يلفوا ضعيفا ورائيا
 بلى قصدهم منى عقوقى إلهيا
 وعهدى بهم والله أسدا ضواريا
 إمام الهدى شكوى تهد الرواسيا

وفاته: توفى فى ثامن محرم فاتح عام أربعة وعشرين ومائة وألف بعد أن
 ألبس البلايا دهرا كما رأيت من شعره الخ.

٢٣٨- محمد بن محمد الكاتب القيسى الأندلسى نجاراً، الفاسى منشأ
 ودارا وقراراً.

حاله: فقيه، نبيه، أمين وجيه نزيه، كان سيدنا الجدد المولى إسماعيل برد الله
 ثراه، جعل له النظر العام والأمانة الكاملة فى البناءات السلطانية على اختلاف
 أنواعها وأجناسها، وله النظر العام فى كافة الأحباس الموقوفة على مساجد الحضرة
 العلية بالله المكناسية، وكانت له لديه خطوة ومكانة وثقة كاملة به بلغت به أن
 جعله أميناً على داره العلية، وناظراً على سائر أحباس إيالته الشريفة.

وقفت على تحليلته فى بعض العقود بما نصه: من له النظر العام والأمانة الكاملة فى أمر البناءات كلها السلطانية على اختلاف أنواعها وأجناسها بداره العلية حرس الله رفيع أعتابها، وصان من طوارق الحدثن على أبوابها، ناصح خدمته السلطانية، فى السريرة والعلانية، وهو الطالب محمد بن الثقة الخير أهل كتاب الله المحب لآل بيت رسول الله ﷺ وفى بعضها بما لفظه: الناظر الأفلح، الأشهر الأنجح، الفقيه النزيه الأريب النبيه، أمين الدار العالية بالله وناظر سائر أحباس الإيالة الشريفة أبو عبد الله السيد محمد بن محمد الكاتب» بتاريخ خمسة عشر ومائة وألف.

٢٣٩ - محمد المدعو حم بن عبد الوهاب الوزير الغسانى الأندلسى الأصل الفاسى الدار والوفاة المكناسى الوظيف.

حاله: فقيه علامة مشارك متقن، كاتب بارع، يكتب كما يراود منه، انتهت إليه رئاسة صنعة الترسيل، ولم يعزز فى عصره بتمثيل، استكتبه سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل وكانت له لديه جلالة ومكانة يوحى إليه المكاتيب العديدة فى مواضع مختلفة للعمال وغيرهم من ذوى الحيشيات، فيذهب لمنزله ويكتب جميع ما أُملى عليه مخدومه، وينزل فى مخاطباته كلا منزلته من غير زيادة ولا نقصان فى أيسر وقت مع إيجاز، وحسن عبارة كادت أن تبلغ حد الإعجاز، وذلك مما زاد السلطان به ابتهاجا، وكانت له سرعة فى نسخ الكتب لم تعرف لغيره، وقد رشحه مخدومه للسفارة لبلاد الأندلس لفكاك أسرى المسلمين، واستخراج ما بقى من الكتب الإسلامية بالمشاهد المهجورة هناك.

مؤلفاته: منها رحلته الموسومة برحلة الوزير، فى افتكاك الأسير، شرح بها ما شاهده فى سفارته المذكورة من العجائب والغرائب.

٢٣٩ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٢٩٧.

وفاته: توفي عام تسعة عشر ومائة وألف.

٢٤٠ - محمد فتحا بن مولانا الجد الأعظم أمير المؤمنين مولانا إسماعيل.

حاله: جهبذ نحير، ناقد بصير، ديباجة الدنيا وبهجتها، عالم علامة، بارع مطلع، متضلع نقاد، ذو ملكة واسعة، وعارضة عريضة، وذهن وقاد، له مشاركة تامة، ومهارة كاملة في النحو والبيان والمنطق والكلام والأصول.

قال في الشجرة الزكية في حق المترجم: أدرك درجة الاجتهاد، فأداه اجتهاده إلى أن خرج عن طاعة والده انتهى.

وكان والده يحبه محبة شديدة لما رأى عليه من مخايل النجابة وتوقد الذهن والتيقظ والمقدرة في الحل والإبرام والنصح له وإخباره بما تخفيه عنه الوزراء والكتاب وأولو الأمر، حتى صار عيبة سره ومحل مشورته، دون سائر إخوته، يسارره ويعمل برأيه في المهمات، ويثني عليه بالصدق والأمانة ورجاحة العقل، وينوه بقدره بمحضر ولاته ووزرائه وكتابه، فكرهه لذلك غير واحد من الوزراء فمن دونهم، فشمروا على ساق لإفساد ذات البين بينه وبين أبيه والسعي في التفرقة بينهما، فزينوا لوالده ولايته.

فاتفق أن وقع اختلاف بين درعة ونواحيها واحتاجوا إلى تولية واحد من أبناء السلطان يكون له عقل راجح، فاغتتم أعداؤه الساعون في ابتعاده عنهم، فأسروا للسلطان أنه لا يصلح لهذا المهم إلا ولدك المولى محمد العالم، فإنه يحسن التدبير مع القريب والبعيد والأخرق، ولا يصدر منه إلا ما فيه مصلحة وسداد، ولم يزالوا يحسنون له ويجيدون توليته إلى أن ولاه بدرعة فحصلوا أمنيته في إبعاده عنهم من إحصائه الأنفاس عليهم.

٢٤٠ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى في الموسوعة ٥ / ١٩١٠.

ثم إن والده لما رأى ما أظهره المترجم فى محل مأموريته درعة من العدل والإنصاف ومحبة أهلها له لفضله وهديه وسيرته فيهم سيرة حسنة، وعلا صيته وانتشر فى الآفاق نقله منها وولاه على مراکش وما والاها، فأقام سنة العدل ونشر الأمن والطمأنينة، وسار على ما نهجه الشرع الكريم، فسعد الناس بولايته وأشرب حبه فى قلوب الخاصة والعامة وزاد اشتهارا، وبعد صيت، فحسده أصداده من خاصة والده على ما آتاه الله من فضله.

فدسوا لوالده ما أوغر صدره عليه مما هو برىء منه، فعزله عن مراکش، وترك أهلها ييكون، وأهمله مدة مع الفحص والتنقيح عما اختلقه الحسدة وألصقوا به حتى ثبتت لديه براءته، فولاه عام أحد عشر ومائة وألف على تارودانت ونواحيها، ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل وفوض له فيها التفويض التام، وقام بمأموريته فيها أحسن قيام، إلى أن صدر منه ما كان فى الكتاب مسطوراً.

وكان المترجم كثير المخالطة والمجالسة للعلماء، يفدون إليه من كل صوب، وكانوا يقاسون معه الشدائد لذكائه وشدة فطنته مخافة الافتضاح معه فى قصور فهم أو نقل كما أفاده أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد القادر الفاسى فى المورد الهنى.

وكان من أخص خاصته الشيخ أبو عبد الله المسناوى، فوشى به إلى السلطان، وقيل له مع شدة اتصاله به لا يعيب عليه عزمه على القيام على أبيه فهو موافق على ذلك، فبادر بعض أصحاب السلطان إلى الاعتذار عن الشيخ لأنه كان ينهاه عن إرادة القيام وأنشد للمسناوى:

مهلاً فإن لكل شىء غاية والدهر يعكس حيلة المحتال^(١)

(١) نشر الثانى فى الموسوعة ١٩١٢/٥.

فالبدر ليس يلوح ساطع نوره والشمس باهرة السنا فى الحال
فإذا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو بدو تعزز وجمال
فقبل السلطان ذلك وتحقق براءته، وكان ينفعل للشعر ويتأثر بأريحية الأدب،
استخلفه والده بفاس مدة.

وفى سنة أربع عشرة ومائة وألف بعث سيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم
مولانا إسماعيل ولده المولى الشريف واليا على درعة فثار المترجم ببلاد السوس
ودعا لنفسه وزحف لمراكش فحاصرها فى رمضان من السنة المذكورة، وفى
العشرين من شوال اقتحما عنوة.

ولما اتصل خبره بأبيه بعث ولده سيدنا الجد المولى زيدان فى العساكر لقتاله،
فقدم مراكش ودخلها فى أمن واطمئنان، وذلك سادس عشر ذى الحجة عام خمسة
عشر ومائة وألف، فوجد المترجم قد بارحها وعاد إلى تازودانت فدخلها غرة
المحرم عام ستة عشر على ما صححه فى الدر المنتخب المستحسن، وجمع عليه
العرب والبربر، وعظم أمره واشتدت شوكته، ولما احتل مولانا الجد مراكش عاثت
عساكره فيها، ثم تبع أخاه محمد إلى السوس فنزل على تارودانت، وكان بطلا
شهما مقداما، وشبت الحرب بينهما ودامت ثلاثة أعوام على ما قاله بعضهم.

والذى فى الدار المنتخب أن مدة الحصار ستة أشهر وستة عشر يوماً من غير
اعتبار يوم الدخول، لأنه كان غلسا قبل الإسفار، وقيل مدة الحصار سبعة أشهر
وثلاثة عشر يوماً، وقيل غير ذلك والله أعلم.

وأول يوم التقى فيه الجمعان وشب القتال رابع عشر جمادى الأولى عام
سبعة عشر ومائة وألف، وكان نزول مولانا الجد زيدان على تارودانت وحصاره
إياها لثلاث خلون من رجب أحد شهور العام المذكور، وكان فتحه إياها تاسع

عشر المحرم عام ثمانية عشر، وقيل فى سادس عشر صفر وقيل خامس عشر الشهر المذكور.

ولما علم المولى محمد بدخول البلد خرج فارا لناعية الجبل، فافتفى أثره فى الحين وأتى به لأخيه زيدان، فلما وقع بصره عليه حن له وقام إليه وعانقه وبكى وهون عليه الأمر، وقال له: لا ترى إن شاء الله إلا الخير، ثم سلمه لمن يذهب به لأبيه، ووكل بحفظه من وثق به وأوصى بصيانتة ورعايته والإحسان إليه والبرور به، وكتب كتابا لوالده يخبره بيوم خروجه من تارودانت قاصدا حضرته المكناسية.

ولما بلغ الخبر مولانا إسماعيل وذلك فى الحادى والعشرين من صفر عام ستة عشر ومائة وألف، خرج بجيوشه ونزل على وادى بهت لينظر فى أمره، ولم يخرج معه أحد من الوزراء والكتاب لاستعجاله الخروج، ووصل لوادى بهت يوم الثلاثاء ثالث ربيع النبوى عام ثمانية عشر، فخيم به وشاور بعض من كان فى معيته من العلماء ممن كان يبغض باطنًا صاحب الترجمة فأغراه وأظهر له المصلحة فى إقامة الحد عليه، وتلا ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [سورة المائدة: آية ٣٣] فصدر الأمر بذلك، وعلل بعضهم ذلك بأن السلطان كان اشتد به الجوع حيث إن خروجه كان على غير أهبة ظانا أنه يلقي المترجم على مقربة من البلد، فطال به السير إلى وادى بهت فكان ذلك مما زاد فى غضبه. انتهى.

ومن الغد وهو رابع ربيع الأول وصل الولى محمد مقبوضا عليه مقيدا إلى وادى بهت، فبعث السلطان من قطع يده ورجله من خلاف.

والذى فى كناشة اليمحمدى أن المولى إسماعيل كان خروجه لوادى بهت فى الثالث من ربيع الأول. وفى هذه القضية قال بعض الأدباء:

ويوم (وى) من صفر سنة (حى)
 ودخلت بالسيف يوم الجمعة
 رودانة لم يبق فيها العشر حى
 ولم يفد صاحبها ما جمعه
 ويوم رابع ربيع الأول
 جىء بنجل الملك المفضل
 أغنى محمداً مكبلاً على
 بغلته بوادى بهت أنزلاً
 وقطعت يمينه من خلاف
 ورجله بسبب الخلاف

وفى إقامة هذا السلطان الجليل المقدار الحد الشرعى على فلذة كبده وعضده وساعده دلالة واضحة فى وقوفه لدى حد ما حده الشرع الأقدس، لا يراعى فى ذلك قاصيا ولا دانيا، شأن أهل العدل والإنصاف، وبعد أن وقع ما كان فى الكتاب مسطوراً أمر السلطان بحمل المترجم لمكناسة وملازمة الأطباء له فعالجوه بما قدروا عليه، مع قطعهم بأنه لا ينفع فيه دواء، لأنه اعتراه إسهال كبدى لانصراف مادة الأعضاء المقطوعة إليه، ولم يجزع المترجم لما أصابه بل كان فى غاية الثبات والرضا والتسليم.

أما والده فقد عظم حجابيه، وقل طلابه، وأظهر ما كان أخفاه فى باطنه من الحزن على قتل ولده، وأساء السيرة مع الذى أشار بذلك من قريبه وبعيده، وصار يطلب ما يسليه، ويطالع كتب التاريخ والأمور التى تزيل ما فى ضميره من الغم الذى فيه، وكتب ظهيراً لبعض أهل مكناس نص المراد منه بعد الحمدلة والصلاة:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسهِ وبدره، بيد حامله المتمسك بالله ثم به الأمين الحسن بن محمد بوستى المتطبب والحجام، حرفة يتعرف بحول الله وقوته أننا وقرناه واحترمناه لثقتنا به وله علينا جميل فى احترامه لولدنا مولاي محمد رحمه الله حين أمرناه بقطع يده، فتنصل من ذلك وأبى إباية شهدت بديانته واحترامه الأشراف من آل النبی ﷺ، فلذلك جعلناه داره حرماً لمن يجىء إليه. هـ بتاريخ سادس عشر ربيع الأول شهر الموت كما بالدر المنتخب المستحسن.

وقد كان المترجم محبا فى العلماء، مكرما ومعظما جانبهم، محبوبا مبجلا
لديهم، يمدحونه ويثنون عليه، فمن مديحهم فيه قول علامة شنجيط وأديبها المفوه
النحرير عبد الله بن محمد العلوى المعروف بابن رازكة بكاف معقودة كما فى
الوسيط من قصيدة:

وأرقنى الطيف الذى لم أطرده	أثار الهوى سجع الحمام المغرد
وبرق سقى هاميه برقة تهمد	ومسرى نسيم من اكيناف حائل
وألبنى قهرا علالة مكمد	وذكر التى بالقلب خيم حبها
تعرفنى هم السليم المسهد	فبت أقاسى ليلة نابغية
إلى الغرب مشى الحائر المتردد	طويلة أذيال الدجا دب نجمها
بعوث غرام من لدن أم معبد	ويزعج وراذ الكرى دون مقلتى
وإن حلفت قط الوفاء بموعد	بنفسى عرقوبية الوعد ما نوت
فؤاد الحليم الراهب المتعبد	ترد إلى دين الصبابة والصبأ
بشرعة ديان الهوى المتأكد	وتقصد فى قتل الأحبة قرية
كما ناسبتها نظرة أم فرقد	فتاة حكاها فرقد الجو منظرا
من الكحل الخلقى ما كحل أئمد	مهفهفة الكشحين لم يدر طرفها
علمت بأن البان لم يتأود	إذا ما تثنت واسبكر قوامها
إذا ما أقام العطف منها بأقعد	وخاطب قاضى شرعة الشكل ^(١) ردها
أن الوصم وصل العاشق المتودد	غضوب أرتها نخوة فى عظامها

(١) فى هامش المطبوع: «الشكل بالكسر والفتح غنج المرأة ودلها وغزلها».

على نحوها تأبى الخليل تانفا
إذا ما ترصاه تسامت بأنفها
وأحرق صدرى ما زها فوق نحرها
سبتنى فقبلت الثرى متخلصا
هو الوارث الفضل النيئى خالصا
ثمال اليتامى والأيامى موكل
غيور إذا ما الحق غير مولع
أديب أريب لين الجنب هين
إذا كشفت عن ساقها الحرب والتظت
سقى الرمح من نحر العدو -فديته-
أغر المحيا ظاهر البشر طاهر الـ
جزيل الندما أف فى وجه حاجة
كلا الدين والدنيا به ازدان وازدهى
فريد العلا يقوى لركة طبعه
حميد المساعى سار فى الرتب العلا
تساعده فى ذاك نفس نفيسة
دأبت على السير المبرح والسرى
مهامه للسايرين فيها توقع

وشحا برشف من لماها المبرد
صدودا وسامتنى تجرع جلمد
وأشرق من جمر الغضا المتوقد
أمام امتدح ابن الشريف (محمد)
من العلم والعليا ومن طيب محتد
بتفريج غماء الشجى المتنكد
بقطع لسان الباطلى اليلندد^(١)
ولكن متى عادى فأى مشدد
وسلوت صدوق الملتقى بالمفند
وقام بحق المشرفى المهند
سجايا كريم اليوم والأمس والغد
ولا كف حاشى جوده كف مجتدى
وأمن شر المبطل المتمرد
عن الجمع بين النار والماء فى يد
من المجد سير الفائق المتفرد
تعد الثريا للفتى غير مصعد
أجوب الفيافى فدفا لعد فدفا
لأهوال أغوال طواغيت مرد

(١) فى هامش المطبوع: «اليلندد معناه شديد الخصومة والجدال».

يطير لما ييدينه من تلون
إلى حضرة سنية حسنية
حوت شرف العلم الرفيع عماده
فما تم الاثم فضل ولا استوى
وبحر ندى ما للفرات انسجامه
فأعتاد منه ما تعودت من يدى
هما والد ما توج الملك مثله
عظيمان معنيان بالدين وحده
فلا برحا بدرين عم سناهما
أمكنه من بكر شعر خريدة
عروب عروس الزى أندلسية
من اللاتى يستصيين مينحن^(٢) عنوة
ويسلبن معقول ابن زيدون غبطة
مهذبة يستملح الذهن سرها
ترقت لما فارت وراقت تبرجا
وجانستها لفظا ومعنى كما اكتست

شعاعا فؤاد الضابط المتجلد
منيرة آلاء^(١) الهدى المتصعد
إلى شرف البيت الكريم المصمد
سوى ما نحت من كمال وسؤدد
ودجلة لا تحكيه فسحة مورد
أبيه أمير المؤمنين المؤيد
ومولود صدق بالكارم مرتدى
فأعطتهما الدنيا سلالة مقود
وبحرين لا يعدوهما قصد مجتدى
نتيجة فكر سلسل الطبع جيد
من الأدب الغض الذى روضه ندى
ويعهدن فى الحراق أطيّب معهد
بأسلوب ما يسقين من خمر صرخد
ويستعذب استرسالها ذوق منشد
على معتلى برج البديع المشيد
نقى^(٣) السبراء^(٤) البضة^(٥) المتجرد

(١) فى هامش المطبوع: «الآلاء النعم».

(٢) فى هامش المطبوع: «بضم النون على الحكاية صالح مشهور».

(٣) فى هامش المطبوع: «بكسر الياء وعدم إظهار النصب فى مثله سائغ».

(٤) فى هامش المطبوع: «يطلق على الذهب الخالص وعلى البرد».

(٥) فى هامش المطبوع: «الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة».

وقيدت فيها عزلة لا ينالها
واودعتها مما ابتدعت خلاصة
تمنى العذارى لو تقلدن سمطها
وزخرفتها فى معرض المدح روضة
روى أنفا زان الندى صفحاتها
أرت من رياحين الثناء أنيقها
هدية من كسرى وقيصر عنده
تخادع وإن كنت اللبيب لبهرجى
يمينا بما أولاك مولاك من علا
لطابقت وسم الفاطمى وسمته
تهنأ على رغم الحسود وذله
وأبجح وأهلك وأملك الأرض كلها
وشرق وغرب فالبلاد مشوقة
وقوله:

سوابق فكر السابق المتصيد
يبارها بالمدح ألسن حسد
مكان عقود الزبرج المزبرجد
لتسقى بوبل من نداه مسرمد
قلدها أسلاك در منضد
ومن زهر الأدب ما لم يخضد
من النزر فى ذاك المقام المحمدى
ولا تتقد يا سيدى وابن سيدى
وعز حلى فاتت بنان المعدد
فأهلا وسهلا بالإمام المجدد
لذاك الكمال الصرف واسعد وأسعد
فأنت ولى العهد واغور وانجد
بما سوف تحبى واشكر الله واحمد

دع العيس والبيداء تذرعها شطحا
ولا ترعها إلا الذميل فطالما
ولا تصغ للناهين فيما نويته
فكن قمرا يفرى^(١) الدجا كل ليلة

وسمها بحور الآل تسبحها سبحا
رعت ناضر القيصوم والشيخ والطلحا
وخف حيث يخفى الغش من يظهر النصحا
ولا تك كالقمرى^(٢) يستعذب^(٣) الصدحا^(٤)

(١) فى هامش المطبوع: «يقطع».

(٢) فى هامش المطبوع: «ضرب من الحمام».

(٣) فى هامش المطبوع: «يستحلى».

(٤) فى هامش المطبوع: «رفع الصوت بالغناء».

وقارض^(١) هموم النفس بالسير والسرى
وأم بساط ابن الشريف محمد
فتى يسع الدنيا كما هي صدره
ومن هديه ساوى النهار وليله
ومن هو غيث أخضل الأرض روضه
وليث بحق الله لم يبق رعبه
هزبر عدا فى شرعة الرمح والعدا
أمير ملوك الكفر أضحوا لسيفه
تزيد على الفاقات فيضات كفه
فأى منى لم ترو منها فإن تكن
فلا ترم التشبيه فيه فقد جرى
سعى فسعوا للمكرمات فأقصروا
وفلق فيهم بيضة المجد قاسم

على ثقة بالله فى نيلك الربحا
مبيد العدا ذكرا ومبدي الهدى صباحا
فأمسى به صدر الديانة مندحا^(٢)
فأمسى ينير الخافقين كما أضحى
فلا يظماً الآوى إليه ولا يضحى^(٣)
عواءً لكلب الترهات^(٤) ولا نبحا
غدوا بقرا يستعمل النحر والذبحا
كما تبتغى الذبح فى عيدها الأضحى
فيغرق فى التيار من يأمل النضحا
فمحرومة أن تبرد الظمأ^(٥) البرحا
مع الظاهر المدنى إلى السكر الملحا
ولم يرض حتى استكمل الكرم القحا^(٦)
فناولهم قيضا^(٧) وناوله المحا^(٨)

(١) فى هامش المطبوع: «راوح».

(٢) فى هامش المطبوع: «متسعا».

(٣) فى هامش المطبوع: «يرز الشمس».

(٤) فى هامش المطبوع: «الأباطيل».

(٥) فى هامش المطبوع: «الشدّة».

(٦) فى هامش المطبوع: «الخالص».

(٧) فى هامش المطبوع: «أى قشر».

(٨) فى هامش المطبوع: «صفار البيض».

فتى يستقل البحر جود بنانه
 مساعيه فى الخطب الجليل يرومه
 صفاة كدر البحر صفوا ولجه
 وآيات علم أغمد الجهل نورها
 ورأى يريه اليوم ما فى حشا غد
 وحزم يهز الراسيات ثباته
 وكف ترى وكف الحيا كيف ينهمى
 وبشر محيل علم الصبح ما السنا
 وتأليفه أشتات كل فضيلة
 كفانا اتخاذ الفال فى القصد يمنه
 مهيب مخوف بطشه تحت حلمه
 فهل كان معزوا إلى الحلم قبله
 فأقدم حتى فارق الجبن صافر^(٢)
 ولم تدعن الأعداء محض مودة
 رأوا ضيغما يعطى الحروب حقوقها
 على حالة استكثار حاتم الرشحا
 كآمال من يرجوه يستصحب النجحا
 حسابا فمن يأتى على مائه نزحا
 وغايات جد ليس تطلابها مزحا
 ويكشف عنه من دجى ليله جنحا
 وعزم يحاكى الزند ماضيه^(١) قدحا
 إلى خلق يرى نسيم الصبا النفحا
 وقبض أرى النار التأجج واللفحا
 ومكرمة غراء تعجزنا شرحا
 فلسنا نخط الرمل أو نضرب القدحا
 عفوا يرى إلا عن الباطل الصفحا
 نعم أو كريم يدعى غيره سمحا
 وجاد إلى أن عاف مادر^(٣) الشحا
 إليه ولكن إنما كرهوا القرcha
 وإن تضع الأوزار ييرم لها صلحا

(١) فى هامش المطبوع: «يخرج إظهار الرفع على قول جرير:

وعرق الفرزدق شر العروق خبيث الثرى كأبى الأزند».

(٢) فى هامش المطبوع: «طائر يضرب به المثل فى الجبن وقيل الجبان مطلقا».

(٣) فى هامش المطبوع: «رجل يضرب به المثل فى البخل».

ويستغرق الأوقات في الجدد كلها
مواصلة حبل الجهاد جياده
معاديه معطى بالحياة منية
أيا ابن أمير المؤمنين وسيفه
تشابهه خلقا وخلقاً فسامه
تهندست العليا فأحرزت جسمها
فكم من حديث كان يسند للندی
فأعطيتني الأعيان والعين والكسا
فلا زلت للإسلام عيداً منغصا
أبوك لحكم الشرع ولاك عهد
وأعطاكه إذ ليس غيرك أهله
كفى دره فخرا تخليك سمطه
فأهدى إليك الدهر بلقيس ملكه
وولاك رب العرش ملك بقاعها
إليك بها يا كعبة المجد كاعبا
إذا شهدت زكى الأعادى حديثها

ولا يهب التلعاب^(١) ما يسع اللحم
ووقفنا على غزو العدا عدوها ضبحا^(٢)
وبالجنة الأخرى وبالسندس المسحا
وصمصامه أن يرفع الضرب والنطحا
إلى الفلك الأعلى فإنك لا تلحا
لا حرازك النقاط والخط والسطحا
ولكنه لولا نوالك ماصحا
وبيض الظبا والنوق والخيول والطلحا
تنغص حسناه السعانيين^(٣) والفصحا
فلم تلق كذا للسؤال ولا كدحا
وللعقل نور ميز الحسن والقبحا
ومنعه تلك المعرة والقدحا
وأبدى لك الكرسي والعرش والصرحا
وأصحبك التمكين والنصر والفتحا
من الشعر لا يسطاع أركانها مسحا
وإن أثخنت عنا قلوبهم جرحا

(١) في هامش المطبوع: «اللعب».

(٢) في هامش المطبوع: «نوع من العدو وهو نائب عن مصدر عدت - وفيه اقتباس من قوله تعالى: والعاديات ضبحا».

(٣) في هامش المطبوع: «السعانيين بالسين والعين. والفصح عيدان للنصارى».

أكلفها فرض المحال أداءها لشكر ندى لا يتتهى مزنه سحا
فخذها ابنة الحاء التى الحمد مبتدأ لها وبها خلاقها كمل المدحا
هذا وأبيك الشعر.

وقول شيخه العلامة خاتمة المحققين سيدى محمد بن أحمد المسناوى حين
فتح المترجم حصن السوسى التمنارى من بلاد سوس.

فجر سعدك لاح شمس نهار وفخارك ليس فيه ممارى
ومعاليك أنجدت وأغارت وتلى آى ذكرها كل قارى
ووفود التهانى نحوك جاءت مهديات عرائس الأفكار
ورياح المنى بنصرك هبت سائقات له على أقدار
مؤذنات لكم بأسنى فتوح وبراعة ذلك التمنارى
طالما رامه سواكم فولى آيسا منه بعد طول حصار
وهو يسخر بالجميع ويهزا ويدليهم بحبل اغترار
وبدا منه إذ رآك ارتياع أظلمت منه سبله فى النهار
شام بارق نصركم فتدلى وأتى خاضعا بحكم اضطرار
موقنا أن للإله اعتناء بكم بشهادة الأبصار
فاهن واسلم وقر عينا بما لم يؤته أحد من الأنظار
وتحس أفواق عيش هنى واقتطف زهر روضه المعطار
واجرر الذيل فى مغانى سعود واركن متن رفعة وفخار
واسق دوح النعيم منك بشكر إن سقى الرياض نوح الثمار

وأدر عنه جوائح الدهر بالصند
وأضف شرف الخلال إلى ما
واسم بالنفس لاقتفاء هداهم
دمت يا كعبة الوفود مطافا
وعليك من المحب سلام
ما تجلت بأفق مجد علاكم
وقوله أيضا في الفتح المذكور:

بشراك يا تاج الكرام فقد غدت
وغدت رياح النصر تخدم مجدكم
وشدت بزاهر روضكم طير الهنا
ورياض أشتات المنى قد أثمرت
واتتك وافدة الفتوح مجيبة
ولطالما اعتاصت على من رامها
حتى غدت كالأبلق الفرد الذى
هذا وكم من مطلب أعيا النهى
فالسعد أنى سرت فهو مقدم
والنصر مقرون برايتك التى
فاشكر لمن أولاك ما يشجى العدا
واعرف ومثلك لا يعرف قدر ما

ع الجميل فإنه خير دارى
حزت من شرف الجودود الخيار
إنه المجد لا احتساء عقار
لبنى الدهر عالى المقدار
فـأـئـح كنوافح الأزهار
وغدت طرز حلة الأشعار

أيام سعدك وهى فى إقبال
وتؤمكم فى الحل والترحال
بموشحات البشر والأزجال
أدواحنهم بمبتغى الآمال
لنداك طائعة على استعجال
من قبلكم من سائر الأقيال
ضربوا به مثالا من الأمثال
قد نلت به سهولة فى الحال
واليمن صار لكم محط رحال
تكسو العدو ملابس البلبال
ويعيدهم فى أسوأ الأحوال
أوتيته من رفعة وجلال

واختر لها ما لا يشين جمالها
فطراز ديباج الخلافة مذهبا
واشرب كئوس الفخر صافية على
واسحب ذيول العز في روض الهنا
وأصخ إلى سجع القريض فإنه
لازلت في أوج الخلافة راقيا
وعليك من صافى الوداد تحية
ما غردت ورق فهاجت شجو من
وقول شيخه أبى مروان عبد الملك بن محمد التجموعتى قاضى تافيلالت
مجيباً له:

ولولاك ما راجعت عصمة طالق
أبنت بنات الفكر واخترت بعدها
ثلاثا ولكنى إلى الله تائب
من العلم ما يروى البراء بن عازب
إلى غير هذا مما يطول، وليس لغايته وصول.

مشيخته: أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد بن المسناوى الدلائى المتوفى بعد
زوال يوم السبت سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة وألف، وقاضى
سجلماسة أبى مروان عبد الملك التجموعتى المتوفى بتافيلالت عام ثمانين ومائة
وألف، والمولى عبد السلام القادري المتوفى صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ربيع
الأول عام عشرة ومائة وألف، وقدر رمز لوفاته ابن عمه أبو العباس أحمد بن عبد
القادري بقوله:

(يشق) على الأقوام موت إمامهم
كعبد السلام القادري المبجل

والرمز المشار إليه في قوله يشق الياء عشرة، والشين ألف، والقاف مائة،
والحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد القسمطيني المعروف بالكمد المتوفى عام ستة
عشر ومائة وألف، والسيد أحمد بن العربي بن الحاج السلمي المرداسي قاضي فاس
الجديد المولود سنة اثنين وأربعين وألف، المتوفى سنة تسع ومائة وألف وأجاز له،
وأحمد الولاى وأجاز له أيضا، وأبى عثمان سعيد العميرى وغيرهم من فحول
أئمة عصره.

ونص إجازة الولاى له: حمداً لمن جعل الاستمساك بأسباب ضروب العلوم
وسيلة للمفاز، وبلغ بفتوح الرواية والدراية من تشرق بالتهمم بطلبهما إلى كنه
حقيقة المجدون المجاز، طالبا فصولها إلى فصل الخطاب في إدراكها الإطلاق من
غير تخيل مانع يكون منه الاحتراز، وشرف بشرف التأهل بمعانيها، من كشف له
الغطاء عن بديع مبانيها، وشرح بدقائق أفكار الحكماء صدر من نطقت بالاستجابة
وانكشف عن حانها وحوانها، ونشر أعلام المجد على رأس من انتخب شراب
زلال صفيها في زلال عيونها، ومنازل شهودها وعيانها، والصلاة والسلام على
أصدق من أخبر عنه الرواة، وأعلم من أسند بتسلسل الأخذ عنه العلماء الهداة،
الذى من بحر نوره فاضت العلوم وتخبرت الأخبار، ومن بركة طلعت طلعت أنجم
السعود حتى سعد مقتفوه من العارفين الأبرار، سيدنا محمد أجله الله أن يدرك
العارفون حقائقه، وحكم على خلقه أن لا يكون كل منهم إلا تابعه لا لاحقه، ولا
سابقه، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه الذين هم فى الإسناد أرفع الأسانيد
وهم فى الاقتداء أكبر الأساتيد.

وبعد، فيقول العبد الكثير الذنوب أحمد بن محمد بن يعقوب إن من المن
التي تجب أن تشكر، والمواهب الربانية التي يحق لها أن لا تنسى أبداً على الدوام
تذكر، تعاطى العلوم مع من هو أهل لدرايتها، وإيصال متونها لمن هو جدير
بحفظها والقيام بروايتها، وإن من أجل من لقيناه فى هذا المعنى، وأكبر لبيب قام
ببنائها على هذا المبنى، العالم العلم، وركن المجادة المستلم، فرع الدولة الهاشمية

الأنضر وأرفع من يرى من أشرف الأوان وينظر، نجل الخليفة الإمام، وابن السلطان الهمام، مولاي محمد بن مولاي إسماعيل خلد الله تعالى مجد الأصل والفرع، ونصب على كل سرادق عز الأمر والمنع، فقد تعاطينا معه علوما سبعة وهى البديع والبيان والمعاني وأصول الفروع وأصول الدين وقواعد التصوف وعلم المنطق، والجمع عن بلوغ ما فيه ينطق.

أما الثلاث الأول فقرأنا المشتمل عليها وناهيك به وهو تلخيص المفتاح، وأما الأصلان والتصوف فقرأنا عليها كتاب السبكي الذى جمع من ذلك ما كلت عن الإحاطة به المطولات والشراح، وأما المنطق فقرأنا فيه كتاب الشيخ السنوسى وكفى به شرفا فلجريانه فى كتب المنطق مجرى الياقوتة المفردة فى عقود الملاح، قرأنا تلك الكتب من أولها إلى آخرها حرفا حرفا، قراءة تحقيق المسائل وتدقيق المعانى صنفا صنفا.

فوجدناه أدام الله توفيقه فى إدراكها بديع زمانها وفى دراستها والقيام بقياساتها وأدلتها حنيفى رأيها فى أوانها، ما عدم تثبتا فى مداركها، ولا تتبعا لنهاية حقائقها فى مسالكها، بل وسعها بفضل الله تعالى علما، وأحاط بها مدى الدهر فهما، فانشالت به من غير تربص فتلقته بالوسع بصيرته، وانقاد له صعبها فأخذت بقلادتها سريره، ثم إن من تواضعه الذى له شيمة فى الأصل، وتهممه بمعالى الأمور الذى هو له طبع واستحق به كمال الوصل، أن أشار إلىّ بالإجازة فى تلك العلوم وفى غيرها قضاء بحق الإنصاف، وكان الحق أن يجيز لا أن يجاز، لولا ما فيه من مكارم الأخلاق وشيم الأشراف.

فلم أجد بدا من الامتثال، ولا سبيل فيما أشار إليه من الإهمال، لما ألبسنى هذا التاج، وطوقنى ما لست أهله لما فى من الاعوجاج، وبضاعتي من العلم مزجاة، ولكن لا بد من إجابة الطالب لما يترجاه، لا سيما إن كان من أهل الفضل

والشرف والعلم والصلاح والدين والجاه، ومن يحصل منهم فى غد النجاء، إذ هو من الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء، ولا تزال تزيد مدى الأيام سموا ونماء فامتثال الأمر واجب، وكل واحد فى هذا الجنب العظيم راغب، وللتعلق بأذياله طالب.

فقلت مقالة صدق ووفاء، لست أهلا لأن أجاز فضلا عن أن أجزى لاسيما من حاز فى تحقيق العلوم شرفا، أجزت هذا العالم الشهير، الذى يعجز اللسان عن أوصافه المحموده فلا يمكنه عنها تعبير، إجازة مطلقة عامة فيما قرأته، وعن الأئمة رويته، من العلوم العقلية والنقلية، وسائر العلوم القريبة والنائية، لعلمى أن الفنون كلها صارت تحت ظله، وبلغ والده أمير المؤمنين فيه ما أمله على الشرط المقرر عند أهل الأثر، ورواه غير واحد من أصحاب الخبر، من إخلاص النيات، وتنقية الطويات لمن لا تخفى عليه السرائر، ويعلم سبحانه الباطن والظاهر، وأن يتقى الله فى سره ونجواه، ويتوكل فى الأمور كلها على مولاه، واتقوا الله ويعلمكم الله، والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين، قال سيد الخلق أجمعين وأفضل العالمين، من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وأن يقول لا أدرى حيث يشكل عليه الأمر، ولا تأخذه أبهة العلم ولا نخوة الملك فى السر والجهر، فإن العلم مناف لذلك، واتباع السنة المحمدية طريقة المجذوب والسالك، والذى يحيد عنها يوقع نفسه فى المهالك، أدام الله عز والدك ونصره، وتوجه بتاج السعادة سره وجهه، وأمدك وإياه بتوفيق مولاه، ورزقك رضاه، والمطلوب منك أن لا تنسانا من دعواتك، فى خلواتك وجلواتك، فإن دعاء الغيب مستجاب لاسيما إن كان من أهل الفضل والدين والعلم والشرف من ذوى الألباب. هـ.

مؤلفاته: منها حاشية على التسهيل كما صرح بذلك صاحب درة السلوك.

شعره: من ذلك قوله مرحبا بصديقه الحميم السيد عبد الله بن محمد العلوى الشنجيضى صاحب القصيدتين الطناتين فى مدحه فى إحدى قدماته على والده السلطان المولى إسماعيل:

مكناسة الزيتون فخرأ أصبحت تزهو وترفل فى ملاء أخضر
 فرحا بعبد الله نجل محمد قاضى القضاة ومن ذؤابة مغفر
 وقوله مخاطبا شيخه القسطنطينى المذكور أيام خلافته بسوس الأقصى ومتشوقا
 إلى فاس كما فى اقتطاف الأزهار، من حدائق الأفكار، وغيره:
 ألا ليت شعرى هل أنزه ناظرى وللنفس أقبال بوادى الجواهر
 أمتع طرفى فى رياض أنيقة وأقطف أزهارا بها كالزواهر
 بحيث نرى أسد العرين صريعة وقد فتكت فيها ظباء المقاصر
 وحيث نرى غلب الحدائق سلسلت حديثا صحيحا عن نسيم الأزاهر
 وقد نسجت كف النسيم عشية دروع مياه بين تلك النواعر
 وأصبحت الأطياف فوق غصونها فصاحا تقص فوق خضر المنابر
 سقى الله أدواحا بفاس عهدتها تغازل أنواء الغيوث المواطر
 ولا برحت عين تراها قريرة وإن قذفت بالقلب جمرة حائر
 لك الله من إلف بدرعة جسمه وقلب بفاس فى قدامة طائر
 تراوحه الأشواق فى كل ليلة فما بين مزور هواه وزائر
 ولو أنه يعطى على قدر قدره لكان له ما بين بسر وباسر
 فمن مبلغ عنى رسالة شيق إلى عالم الأعلام صدر الأكابر
 إلى العالم النحرير والحجة التى روى فضلها غر السراة الجماهر
 إلى شيخنا الأسمى السمى محمد أحملها هوج الرياح العواطر
 أحملها مر النسيم تحية إلى الماجد الأرضى الكريم العناصر

وأقطعها الود الصميم وإن نأت
فلله ما يشكو الفؤاد من النوى
إذا ما ذكرت العهد واشتقت للقا
فيا دوحة العلم التي عم عرفها
ويا سيداً حملته كل وارد
ويا كوكبا قد حل في أفق الهدى
ألست الذى إن عز في العلم مشكل
ألست الذى ترتاح كل عويصة
حنانيك هاض القلب سهم ابن مقلة
عليك سلام الله ما هاج شيقا
فأجابه شيخه الممدوح بقوله:

خليلى عجب بالركب من أمن عامر
وسل واكفات الدمع فوق محاجرى
إلى أن قال:

ديار بها روحى وروحي وراحتى
سليل أمير المؤمنين وعلقه
إلى أن قال:

ولا عيب فيه غير أنه حازم
وعالم أهل البيت فخر سراتهم

به الدار عن بحر من العلم زاخر
ولله ما تطوى بطون الدفاتر
جعلت فؤادى بين أضلع صابر
جميع البرايا بين باد وحاضر
سلامى وقد حملته كل صادر
فألقي سنه فى عيون الماثر
تلقاه فهم منك فى زى باتر
إلى ذهنه من بين ناه وآمر
فأدمى فهل تروى حديث ابن جابر
بريق وما لاح الصباح لناظر

وعرج على كثران نجد وحاجر
أثار الغضا فى القلب أم أم جابر

وقلبي وريحان الفؤاد وناظرى
محمد محمود السجيا العواطر

وحامى الذمار ملجأ للقواسر
وتاج وسيف الدين عند التشاجر

وقاعدة التحصيل أنك فاضل
وقد كانت الأيام تجمع شملنا
إمام همام مركز للدوائر
فهل عودة للوصل يا خير شاكر
إلى أن قال:

عليك من الرحمن صوب تحية
مبشرة بالوصل من أم عامر
وقوله مخاطبا لأخيه جدنا مولاي زيدان أيام حروبه معه:

أبلغ الزيدان عنى آية
كم لنا يا ابن العلا من وقعة
بسيوف العدل تشفى ذا الغلل
حصحص الحق ولاحت شمسه
كان منا الفضل فيها لو عدل
ولواء النصر خفاق ولم
وزمان الغي ولى وانخزل
ويبقى إلا الجدد قولا وعمل
وكتب له أخوه مولاي الشريف صدر كتاب بعثه إليه قول سيف الدولة ابن
حمدان يخاطب أخاه الناصر:

رضيت لك العليا وإن كنت أهلها
أما كنت ترضى أن أكون مصليا
وقلت لهم بينى وبين أخى فرق^(١)
إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

فاقتراح المولى محمد على شيخه المسناوى أن يجيبه فقال على لسانه:

بلى قد رضيت أن تكون مصليا
وما لى لا أرضى لك المجد كله
ويتلو نداكم فى العلا من له السبق
ولكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا
وأنت شقيق النفس إن عرف الحق
فغادرهم إفسادهم وبهم رنق^(٢)

(١) نشر المثنائى فى الموسوعة ١٩١٢/٥ .

(٢) فى هامش المطبوع: «بسكون النون كدر» .

نشره: من ذلك ما كتب به لوزير والده الیحمدی الطائر الصیت وقد بلغه أنه بالغ فی الثناء علیه لوالده وفند أقاویل وشاته، لفظه: حیا الله تعالى بمنه مقام ركن الدولة الإسماعيلية وسمیرها، ومنتقى هاتيك الحضرة السامية ووزیرها، مطلع أنوارها، ومعدن أسرارها. فوالله ما اجتبی لتلك المثابة العالية العلوية حتى كان لها أهلا، وما قرر بذلك البساط المؤید بالله جهلا، فكم عجمت قبله من عود، فألقته وأبت إليه أن تعود، فأما الزبد فیذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فیمكث فی الأرض، صاحب القلم العالی والقدم الذی رسخت أنامله على هام المعالی، أبی العباس الیحمدی هذا ولا زائد سوى تأكيد ود صفا مشربه، وطاب أعذبه، وعهد برز الصفاء میثاقه، وشد بحبل الوفاء وثاقه، لا یبلى منه الجدید، ولا یتألم منه الورید، وإعلامك بأن بعض محبیک كاتبنا بجميع ما قلته فینا، وما صدر منك إلینا من الصنائع والإحسان، فقد أحسنت أبا العباس ولم یتقدم لك منا إحسان، وقمت فی نصرتنا مقاما لم یقم معك فیہ إنسان، فلا أنسى لك یوم الفقهاء تنویهك بقدرنا، وإعظامك لأمرنا، ومن قبل كنا بحقك جاهلین وعن قدرک ذاهلین.

والآن تبین الحق، وحصحص الصدق، واتضح الصارم من الحسام، والصیب من الجهم، فكم لنا هنالك من خالص وده، ومحفوظ عهده، فما قام أحد منهم مقامك، ولا أرشق سهامك، ولا دافع دفاعك، ولا نازع نزاعك، فسترى إن وسع الله علینا نتیجة تلك المقالات، وثمرة تلك المدافعات، فوالله ما نطلب التوسعة إلا لمكافأة أمثالك، ومجازات أشکالك، قدم على ذلك أدام الله سیادتک، وأبقى بمنه مجادتک، وأبقاك لنا فی ذلك المحل ركننا نستند إليه، وعمادا نعتمد علیه. والسلام وفى الخامس والعشرین من شعبان المبارك سنة خمسة ومائة وألف، محمد ابن أمیر المؤمنین إسماعیل بن الشریف لطف الله به.

وفاته : توفي بمكناسة ليلة الأحد خامس عشر وعليه اقتصر الوزير اليعمدي
فى المجلد الرابع من كناشته، وقيل ثامن عشر ربيع الأول عام ستة عشر ومائة
وآلف، وإلى ذلك أشار بعض الأدباء بقوله :

وقد قضى نحبه سادس عشر من شهره ومالك قبل انتشار
من رأسه لفرجه شطرين بقدر ما تجود السطرين
والأمر لله العلى وحده يذل من شاء ويحمى جنده

وفى منحة الجبار : أنه توفي سادس عشر ربيع الأول سنة ثمان عشرة، قيل
دفن بسيدى بوزكرى، والذى ذكره الحافظ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد الله
الأغزاوى الإبراهيمى أنه مدفون بضريح سيدى عمرو الحصينى، وأن السلطان
مولاي عبد الرحمن أوقفه على قبره، وأراه إياه خارج القبة عن يسار الخارج منها.

وقال بعض الأئمة الأعيان : إنه زار السيد عمرو الحصينى، هذا مع بعض
أولاد السلطان مولانا سليمان فأوقفه على القبر الذى ذكر مولاي عبد الرحمن وأنه
مشهور عند الخاص والعام. هـ.

قال فى الدر المنتخب : وهذا هو الذى جزم به الوزير اليعمدي فى المجلد
الرابع من كناشته وبه ينتفى كل ريب ووهم فإنه أدرى وأوثق وأضبط.

وكان الذى تولى الصلاة عليه بوصية من المترجم - كما أوصى بدفنه بمقبرة
عامة المسلمين وأن لا يبنى عليه فنذت وصيته رحمه الله حسبما صرح بذلك
الوزير المذكور فى المجلد المذكور - هو القاضى أبو عبد الله، وأبو حامد العربى بن
أحمد بردلة المتوفى بفاس يوم الاثنين خامس عشر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة
وآلف، فنقم عليه بعضهم وأوغر عليه قلب السلطان وقال : إنه يبغضك ولولا شدة
بغضه ما سارع إلى الصلاة على عدوك الذى قام عليك، وأراد نزع الملك منك،
فكتب السلطان إلى القاضى يهدده ويوبخه فأجابه بما نصه :

«الحمد لله الجواب: قد ورد تقييد من الجنب العالى أدام الله أيامه، ونصر أعلامه، وسد بهيته بأجوج الفتن، وأبقاه لإظهار واضح الهدى والسنن، يتضمن ذلك التقييد التقييد لما صدر من أمر الصلاة الموصى بها واستعظام أمر ذلك: إذ كان بغير إذن من الجنب العالى نصره الله، وأنه فى عداد الافتيات، وأقول معتذرا عن نفسى ومجيبا عنها بتقرير ما كان وحكاية ما صدر أن ذلك لم يكن من غير إذن، وإنما كان بإذن جاءنا من قبل الدار العلية بلغ مبلغ الشهرة وخرج من طريق الشك، وكان أمرا مقررًا، وحديثا شائعا مكررا، ثم مع هذا لم أذهب لمحل إلا بقائد يقودنى ومترجم ينسب الأمر إلى الجنب العالى ولم أفعل فعلا صلاة أو غيرها إلا مدفوعا إليها ومجذوبا نحوها وكالمجبور عليها، وإذا كان كذلك فلا لوم من جهة عدم الإذن لأن من تلقى ذلك وسمعه وجاءه الأمر به وكان حاله على ما وصف لا يسمى مفتاتا ولا منزلا منزلة، هذا لو فرض أن لا إذن من الجنب العالى بالكلية.

فالواجب فى حقنا والمناسب لحالنا ولسائر رعية مولانا نصره الله، هو القيام بذلك والسعى والمبالغة فيه لإجلالا وإعظاما لجنب مولانا نصره الله، وإذا كان المقصود تعظيم جنبه فلا ينصت إلا لما هو من قبيلة، وسالكا على سبيله، لأن ما هو من قبيل الإجلال والتعظيم واجب أن يعامل به ولا يعذر مثلنا فى عدم القيام به، وقد قال مولانا على كرم الله وجهه لما كتب فى قضية صلح الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله أهل مكة، فقال المشركون لو علمنا أنك رسول الله ما صددناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: والله إنى لرسول الله وابن عبد الله، امح يا على رسول الله، فقال سيدنا على: والله لا أمحو رسول الله أبدا تعظيما لجنب النبى وترجيحا لإجلاله وإعظامه على امتثال أمره، لأن المقام تعارض فيه وجوب امتثال أمره بالمحو ووجوب الإجلال والتعظيم لمقامه، فرجح جانب التعظيم والإجلال، على جانب امتثال الأمر.

وهذا شاهد جلى لمسألتنا لو فرضنا وقوع النهى وعدم الإذن، مع أنه لم يكن نهى واشتهر بدله الإذن فتعين ما فعلنا من جهة ما سمعنا من الإذن ومن جهة ما هو متعين من الإجلال والتعظيم لمولانا نصره الله، إذ كان من قيم بحقه ممن يمت إليه بل قريب القرابة، ثم من جلى الإذن ما كان منه نصره الله صبيحة وقوع الموت مما كان شائعا وسمعه من حضر، وأسمعونا إياه من أمر مولانا نصره الله له بالقيام بأمر التجهيز والتشييع، وفي الأبي شارح مسلم أن الحسن البصرى لما ليم على صلاته على الحجاج، قال: كرهت أن أستعظم ذنب الحجاج فى جانب عفوه.

وفى الخازن مختصر تفسير البغوى ما نصه على قوله تعالى: ﴿... لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة: المائدة: آية ٣٣] هذا الوعيد فى حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم، فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفى العذاب العظيم عنهم فى الآخرة، لأن المسلم إذا عوقب بجنايته فى الدنيا كانت عقوبته كفارة له، وإن لم يعاقب فى الدنيا كان فى خطر المشيئة، إن شاء الله عذبه فى الآخرة بجنايته ثم يدخله الجنة، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة. هذا مذهب أهل السنة بحروفه.

وفى كتاب الإيمان من البخارى ما نصه: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرنى أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله، عن عبادة بن الصامت، وكان شهد بدار وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله ﷺ قال، وحوله عصابة من أصحابه: بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم، وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك.

هذا ما تيسر من الاعتذار، والله يديم عز مولانا ويخلده، ويديم الملك فيه
وفى عقبه الأكرمين ويؤيده، والسلام من العربى بن أحمد كان الله له».

٢٤١ - محمد بن الفقيه البركة أبى القاسم عليلش الحضرمى القرشى
البكرى الصديقى التيمى.

كذا وصف فى عقد عتيق.

حاله: فقيه جليل عالم علامة، دراكة فهامة، متفنن متقن مشارك، حازم
ضابط قوال للحق، جامع ما افترق فى غيره من المحامد، عدل رضى، تقى نقى،
حى أريحى، خير دين فاضل كامل، موثق ماهر، فرضى عارف، تولى النيابة عن
القاضى فى الأحكام، واختص بقلم وثائق البيطرة والقوابل النظار بالدويرية
بحومة الأسبوع بقبلة المسجد الأعظم محل سكنى شيخنا السيد محمد فتحا بن
أحمد السوسى الآن.

وقفت على رسم مشهود له فيه بنحو ما وصفناه به أنه المستحق لما رشح له
من المناصب العلية، والوظائف السنية، من جم غفير من أعيان صدور معاصريه
من أئمة العلم والدين، وفضلاء العدول المبرزين، يبلغ عدد عدوله ستين وعلمائه
أربعين، منهم سعيد بن قاسم العميرى، وأحمد بن ناجى، وعبد الجليل بن عبد
السلام القباب، وأحمد بن محمد دادوش، ومحمد الشطيبي الزروالى، ومحمد بن
أحمد بن سودة، ومحمد بن أحمد الكوهن، ومحمد بن محمد الحلفاوى،
ومحمد بن الحسن بن إدريس الغمارى، ومحمد بن عبد الرحمن الحريشى،
والكبير بن محمد حجيج، ومحمد بن الحاج بن إبراهيم وذلك بتاريخ ثمانية عشر
ومائة وألف.

٢٤٢ - محمد بن أبى مدين بن الحسين بن إبراهيم السوسى المنبهي .

الزيادى الأصل المكناسى الدار والإقبار، قاضيه بل قاضى القضاة بالمغرب
أبو عبد الله شهر بأبى مدين .

حاله : محدث متفنن ناظم ناثر تحرير الزمان، ونخبة الأعيان، علامة جليل
إمام فى المعقول والمنقول، وعلم الأبدان والأديان، مرجوع إليه فى النوازل والفتيا
والأحكام، موثق بارع، موثوق بفتواه وحكمه، ملحوظ بعين الإجلال والاعتبار
بين معاصريه لفضله ومتانة دينه، مقتدر على الترسيل، فصيح بليغ سيال القلم،
خطيب مصقع بل أخطب أهل زمانه .

ومن براعته أنه خطب بسيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل فى موسم عيد
اجتمع فيه جمع عظيم وجم غفير من أعيان المغرب وسراة وجوهه، ولما تعرض
لذكر السلطان فى الخطبة الثانية على العادة المعروفة ورى باسمه فقال : لو رآه والده
الجليل، فى هذا الجمع الحفيل، لقال : الحمد لله الذى وهب لى على الكبر
إسماعيل، فأعجب به وخلع عليه وهو من جيد التورية التى يقل من يهتدى لها
فى مثل هذا .

وفى أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وألف آخر عن القضاء وولى مكانه
أحمد بن سعيد المجيلدى، ثم أعيد بعد لخطبته، فقد وقفت على عدة خطابات له
بعد التأخير وتسجيلات من ذلك رسم مسجل عليه بتاريخ أواخر جمادى الأولى
عام ستة عشر ومائة وألف محلى فيه بما لفظه : الفقيه الأجل، العالم العلامة
الأكمل، المدرس البركة الحافظ الحجة الخطيب البليغ المحدث الراوية قاضى الجماعة
مكناس ومفتى الأنام بها .

٢٤٢ - من مصادر ترجمته : التقاط الدرر - ص ٣٠٣ .

مشيخته: منهم أبو علي الحسن اليوسى وهو عمدته وغيره من فحول عصره.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بصرى، أخذ عنه شرحه على السلم، وقرأ عليه مختصر السنوسى والمحلى والسعد وغير ذلك، وابن عاشر الحافى السلوى حضر مجلسه فى صحيح البخارى، وأبو نصر عبد الوهاب العرائشى، وأبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بصرى.

مؤلفاته: له شرح على منظومة الأخرى فى المنطق المعنونة بالسلم المرونق، أبدع وأودع فيه من التحقيق الدال على مهارته الكاملة ما شاء. قال فى منحة الجبار: وله فى الأصلين معا أبحاث وتحقيقات، وفوائد وتدقيقات، وله الخطب التى لم يسبق بمثلها، التى يقف فحول الأدباء عند حدها.

نظمه: من ذلك قوله مداعبا لرجل يدعى سينو من أهل تطوان كما بكناشة العلامة الأقداد أديب الثغر الرباطى السيد محمد بن التهامى بن عمرو:

تبارك الملك تحمينا وياسين من شر ما نتقيه منك يا (سين)
بالأمس يشكوك إسحاق وجيرته واليوم ها هى تشكوك المواسين
تألف اسمك من ضدين وانتقضا نعم لا وهو بمعنى قولنا (سى) (١) (نو)

نثره: من ذلك ما كتب به للسلطان المظفر سيدنا الجدد مولانا إسماعيل:
«مولانا الذى لألأت الأكوان غرر شيمه الطاهرة ومفاخره، وملأت الآذان والأذهان
درر خيمه البهية الباهرة ومآثره، واستطال نجاد الدين بملازمة حضه على إقامة

(١) فى هامش المطبوع: «يشعر بأن له معرفة باللغة الفرنجية فإن معنى (سى) عندهم نعم و(نو) لا. انتهى مؤلف.

منائره الرائقة ومنابره، ظل الأنام، وكهف الإسلام، ملاذ الخاص والعام، مقيم
فخر أمة جده عليه الصلاة والسلام، أبقى الله مجد بيته العتيق، تأوى إليه الأعيان
خاضعة من كل فج عميق.

السلام التام، على شريف البساط وعلى المقام، والرحمة والبركة ما أدار رائد
فلكه، وأنام ثاقب فلكه، هذا وليعلم مولانا، المقيم لشعائر الشرائع المحمدية قواعد
وأركاننا، أن مملوك نعمك، وغريق بحر جودك وكرمك، قد والله ملئت أردان قلبه
شوقاً، وجرت به أفراس التشوق إلى مشاهدة الطلعة العلية طلقاً، فلا والذى بعث
جذك بالحق، وأقامك مقامه فى إقامة الشرائع وسياسة الخلق، ما قطعت بك
الصافنات الجياد سبباً أو وهاداً، إلا وسوابق الأرواح بين يدي جحافل مولانا
تتهادى، ولا نفحت قواصف أو لمحت هواجر، إلا والعيون من فرط الإشفاق، من
معاناة مولانا المشاق الشواق، للذيذ كراها هواجر.

لكن إذا ارتاد المشفق فكره، وبصر بأن الله سبحانه قد ضاعف لخلفاء العدل
مثوبته وأجره، حيث جعل سبحانه هاطل المنافع والمصالح من عنان عدلهم يسح
وابله وطله، وناهيك بما أتحفهم من مطارف المجازات إذ جعلهم أشرف الأصناف
السبعة الذين يظلمهم بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فعند ذلك نعم بالحبيب باله،
واضمحل لاعج الإشفاق وبلباله، وانقشعت مزن الأتراح والمواجد، وأفترت بواسم
الأفراح حتى أبدت النواجد.

ويكفى فى الباب، قول صفوة الأنبياء ولباب اللباب: لعمل الإمام العادل
فى رعيته يوماً واحداً أفضل من عبادة العابد فى بيته مائة سنة كما فى حديث أبى
هريرة، ولا غرو كما قال الأئمة فى أن الأجور باعتبار المشاق، ومقاساة الأمور
الشواق، ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أذكى الناس مناصب،
وأعلاهم مراتب، وقد استحشنتى بواعث اشتياقى، واستنجدتنى للقدوم عزائم

أشواقى، حتى أشاهد أنوار هاتيك الأخلاق الزكية، وأنتشق من أزهارها الذكية، فأشير على من مملوك مولانا بما حاصله أن تقدم الاستئذان على الوفادة، من أجل ما يتحلى به أدب المرء من السنن المستفادة.

ثم مع ذلك فالجوارح ناطقة بشكر ما لمولانا من جزيل الأيادى، والجوانح معترفة بعظيم نعمه التى عمت الحواضر والبوادرى، والرعية معتكفة على حب أميرها، لاهجة بجميل الذكر على لسان صغيرها وكبيرها، والخصب ببركة مولانا قد أغنى وأقنى رفته، وجاد على الأعجم والناطق بما ملكت يده.

وهذه الحضرة المشرفة بعناية مولانا إذ جعلها من ذماره، واصطفها لقربه وجواره، وشنفها من بديع الفراديس ورفيع القباب، ما لورآه الإسكندر الأكبر لاعترف بأنه العجب العجائب، قد حليت من المحاسن بمتهاها، وأسعدها الإسعاف بنيل أرفع مشتهاها، والعلوم قد تدفقت بها أنهارها، وتفتقت على أوج التحصيل أزهارها، والأكف مرتفعة لمولانا بصالح الأدعية، والألسنة معربة بما لمولانا من عظيم الحق فى المجالس والأندية، إذ هو حفظه الله رفع للعلم مناره، وبوأه قراره، وأحيا معالمه الدوائر، وألزم نصره الله نشر ما حوته الدفاتر، فله المنة بدءا وعودا وجميل الثناء والشكر على ما أولى وأسدى».

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون زوال يوم الجمعة ثامن أو سابع شوال عام عشرين ومائة وألف عن أربع وثمانين فيم قيل، ودفن عند العصر بضريح ولى الله المولى عبد الله بن حمد خارج باب البرادعيين أحد أبواب المدينة، وقبره هناك مشهور.

٢٤٣ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد فتحا.

الفاسى لقبا، الشاوى المعزاوى أصلا، المكناسى نشأة ودارا وقرارا.

حاله : ميقاتي فاضل معدل، حيسوبى ماهر، انتهت إليه رئاسة التوقيت والتعديل وما يتعلق بذلك فى زمانه، مع سمت حسن، ودين متين، فقيه أديب، ليبب زكى ذكى، كاتب بارع، ذو أخلاق مرضية، وأفعال سنية سنية، نزيه وجيه حى أريحى مهذب، له اليد الطولى فى الإنشاء والترسيل بديع الخط، رحل لفاس ولازم فطاحل جلة أعلام مشايخها حتى فتحت له النجاة بابها وأدخلته المهارة حجابها، فرجع لمسقط رأسه مملوء الجراب آية فى الفهم والإدراك لا يجارى ولا يبارى، فتولى رئاسة التوقيت بالمسجد الأعظم بالحضرة المكناسية قبل وفاة والده إمام الفن المرجوع إليه فيه على عهد سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل قدس الله روحه، وكانت توليته الوظيفة المذكور عام ثمانية وعشرين ومائة وألف، وكان السلطان المذكور يجله ويبجله، وقفت على ظهير بإسناد الوظيفة المذكور إليه ودونك نصه :

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، عن أمر عبد الله المتوكل على الله، المفوض جميع أمره إلى مولاه أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، الشريف الحسنى إسماعيل بن الشريف الحسنى الله وليه أيد الله بعزیز نصره أوامره، وظفر جنوده وعساكره، وخلد فى الصالحات مآثره.

يستقر بعون الله تعالى هذا الظهير المبارك بيد حامله المتمسك بالله ثم به الفقيه الوجيه، المعزوى النزيه، الموقت المعدل السيد محمد بن عبد الرحمن الفاسى لقبا المكناسى دارا الشاوى أصلا، يتعرف منه أننا حيث ثبت لدينا بتعريف من وثقنا بتعريفه الإمامة والعدالة والمعرفة والتوقيت وأحكامه وآلاته، ولينا خطة التوقيت بالمستودع من الجامع الكبير من حضرتنا العالية بالله، ومباشرة آلة التوقيت ليلا ونهارا، مواظبا على ذلك، ملازما لمحله وشغله منقطعا إليه دون معارض له ولا

منازع وأذنا له فى قبض ما هو حبس على التوقيت بالمحل المذكور من الرباع وبلاد الحرث وغير ذلك .

وكذلك أذنا له ووليناه الأذان فى الصومعة وإقامة الصلاة ورواية الحديث الكريم على الكرسى يوم الجمعة موقرا محترما فى جميع أحواله ، وكذلك وقرنا والده الخير الدين السيد عبد الرحمن المذكور وأولاده العربى ومحمد توقيرا تاما لانتسابهم لهذا الوظيف الدينى وخدمة بيت الله الذى هو أشرف البيوت وأرفعها ، والواقف على هذا المسطور الكريم يعمل به ولا بد والسلام ، وكتب فى التاسع والعشرين من ذى الحجة الحرام مكمل ثمانية وعشرين ومائة وألف .

فانظر اعتناء واعتبار أسلافنا المتقين ، لإقامة شعائر الدين ، واحتياطهم جهدهم وطاقاتهم فى انتخاب من يرشحونه للقيام بذلك وبسطهم يد التصرف فى الأوقاف المعينة لذلك الوظيف وقوفا مع ألفاظ المحبس التى يجب اتباعها شرعا وتحرم مخالفتها لتنزيله منزلة ألفاظ الشارع .

مشيخته : أخذ عن سيدى محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى ، وسيدى العربى بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالى وسيدى محمد بن أحمد بن الحاج وسيدى العربى بن عبد السلام الفاسى ، والسيد عبد الواحد بن محمد بن هارون ، أجازة عامة فى الفنون التوقيتية والتعديلية وما ينضم إليها الأول والرابع والخامس ، وشهد له بالمهارة والاستحقاق غيرهم .

ودونك نصوص ما كتبوه له على الترتيب ومن خطوطهم نقلت ، كما ذلك إثر تقريره الإجازة منهم وسيمر بك بحول الله :

الحمد لله ، ما قاله الشاب الأرضى الأزكى الأحظى ، الفقيه الأديب الفاهم اللبيب ، أبو عبد الله المذكور صحيح وقد أجزته فى ذلك وغيره من التأليف

التوقييتية والآلات الفلكية، والله سبحانه يوفقنا وإياه، لما يحبه ويرضاه، بمنه وكرمه، نسأل من المجاز المذكور ألا ينساني من صالح دعائه.

وكتب عبيد الله وخديم أوليائه، محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الكناني غفر الله له وستر عيبه صح في التاريخ أعلاه. هـ.

الحمد لله الذي جعل في السماء بروجاً وجعل الشمس سراجاً والقمر نوراً، وجعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وفرض فيها للدين أوقاتا شرعية رحمة منه وبروراً، ونصب لمعرفة دلائل أشرقت بيانا وظهوراً، والصلاة والسلام على مولانا محمد المنتقى للرسالة قبل أن يكون آدم خلقاً مذكوراً، المبعوث لإقامة دين الحق فكان به مؤيداً منصوراً، والرضى عن أصحابه الذين كان سعيهم مشكوراً.

هذا وقد وقفت على ما سطره أعلاه الفقيه الأجل، العالم الأفضل، المعظم المبجل الأحفل، شيخ العلوم العقلية والنقلية، والمتفنن في حقائق ودقائق صوفية وشرعية وحكمية، وفرع دوحة تدلت بالعلم أفنانها، وفرع شجرة أظلت الكرام أغصانها، وبيت كرع الأعلام من مناهله، واغترفوا من سيب تياره ونائله.

شيخنا أبو عبد الله سيدى محمد بن شيخنا الإمام، الأوحد الهمام، البحر الذى طما تياره، واستوى فى البلاغة نظامه ونثاره، محلى أجياد المعانى بمنتقى جواهره، ومورق أفنان البلاغة بمونق أزهاره، الذى درس العلوم وألفها، وقرط المسامع بحلى فوائده وشفهها، ونظم درر الفصاحة فى أسلاكها، وضم درارى الأدب فى أفلاكها، وحاك ديباج البراعة وفوف، وقوم أود البيان وثقف، أبو زيد سيدنا ومولانا عبد الرحمن نجل الفضلاء الأعلام، أئمة الهدى ومصابيح الظلام، السادات الفاسيون دارا لقبا، الكنائيون أصلا ومنتسبا، أفاض الله تعالى علينا من بركتهم، وحشرنا فى زميرتهم آمين.

من إجازته للشاب الفقيه النبيه الأزكى الأحظى الموقت الأديب الزكى المرتضى سيدى محمد بن الفقيه الموقت العفيف النزيه الخير ذى الأخلاق الزكية، والأحوال المرضية، سيدى عبد الرحمن الفاسى لقبا المكناسى دارا وقرارا فى التأليف التوقيتية والآلات الفلكية، فإنه لجدير بأن يجاز فى ذلك، وأحق بأن يؤذن له فى سلوك تلك المسالك، لحذاقته ونبله، وقوة إدراكه، وصفاء مرآة ذهنه وعقله، وولوعه بحصول هذا الفن وتحصيله وعكوفه على طلبه بكرة الزمان وأصيله.

وأخذه عن ذويه وخصوصا ما أحرز وحازه عن الشيخ العارف أعلاه فإنه القدوة فى ذلك المشهور، وعلم الفلك فى هذا العصر عليه مقصور، وهو قطبه الذى عليه يدور، فقد صادفت إجازته صوب الصواب، وكشفت عن وجوه الحق اللثام والنقاب، سيما وهو قد انتصب بالفعل لمباشرة الأوقات، بالحساب والآلات، ومارس أدوارها الفلكية بالأدراج والساعات، وظهرت فى ذلك نجابته، وتحققت فيه موافقته للصواب وإصابته، وصدق فيه مقاله، وصح فيه حسابه وأعماله، فى ليله ويومه، وصحوه وغيمه، منذ مدة مديدة وأزمان، وليس الخبر كالعيان، والله تعالى يوفقه ويمده بمدده، ويعينه على ما هو بصدد، وكتب الفقير إلى رحمة مولاه الكريم محمد العربى بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالى كان الله له وليا وبه حفيا أمين. انتهى.

الحمد لله المجاز المذكور، بما هو مكتتب ومسطور، أولا وآخرا حرى بحلاه، وما نظم ورقم أعلاه، إلى ما جمعه من لآلئ وياقوت، وصار به فذا فى المواقيت، نشأة سنية، وسيرة سنية، والله جل جلاله ينفعنا وإياه، ويديم رقيه وبغياه، وكتب طالبا دعاءه، ومليبا نداءه، ومتلمسا من مولاه ذى الطول، يوم الحر والهول، ظله ورداءه، محمد بن أحمد بن الحاج وفقه الله بجاه رسول الله ﷺ وعلى آله وذريته الأكرمين. انتهى.

الحمد لله وكاتبه الواضع اسمه عقب تاريخه أحق بإجازة المجاز أعلاه،
لمهارته فى فن التوقيت وغيره، ولا أعلم أن فى بلاده أفضل منه فى فنه، ولا فى
بلادنا هذا، وكتب عبيد الله تعالى العربى بن عبد السلام الفاسى، كان الله له وليا
ونصيرا بمنه. انتهى.

الحمد لله ما كتبه شيخنا الإمام، الأوحد الهمام، أدام الله الانتفاع به آمين،
من إجازته للفقيه الأديب، العدل النجيب، أبى عبد الله بن الماجد الأنجد، العدل
الأرضى الأسعد، سيدى عبد الرحمن الفاسى المذكور أعلاه، هو كما قال وهو
عين الحق والصواب، لأن المجاز وفقه الله وأسعده ممن له فى ميدان التحقيق
والدراية جريان، فلا مرية أنه أهل لذلك أدام الله توفيقه، وله اليد الطولى والحمد
لله فى فن الحساب والتوقيت وسائر تعلقاته الفلكية، وآلاته الشعاعية، وله علم
ومعرفة بفن التعديل، وقد أجزناه فى ذلك كله كما أجزاه شيخنا المذكور ونسأله أن
لا ينسانا من دعائه الصالح، وكتب عبيد الله تعالى العياشى بن إبراهيم الخلطى
الزهرهونى وفقه الله بمنه آمين. انتهى

الحمد لله المجاز المذكور أعلاه، الموصوف بما واصله به قد حلاه، وهو
الفقيه النجيب، الفاضل اللبيب، أبو عبد الله سيدى محمد بن الفقيه النبیه،
المرباط النزیه، أبى زيد سيدى عبد الرحمن الفاسى حقيق والحمد لله بالإجازة، لما
قام به من التحقيق فى علم المواقيت وحازه، وقد أجزته لما سبق له من القراءة من
كتب الفن، وإن كنت لست ممن سلك تلك المسالك، كما أجزاه شيخنا الإمام،
الأوحد الهمام، سيدنا وسندنا أبو عبد الله سيدى محمد بن شيخنا العلامة المشارك
الدراكة إمام عصره، وعلامة دهره، أبى زيد سيدى عبد الرحمن الفاسى والله
يوفقنا وإياه، لما فيه رضاه، بجاه نبينا ومولانا محمد وآله، وفى الحادى والعشرين
من ربيع النبوى، عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

وكتب عبيد ربه المعترف بذنبه الراجي عفو ربه عبد الواحد بن محمد بن هارون . انتهى .

نشره : من ذلك تقرير إجازة لفظها بعد البسملة والصلاة :

الحمد لله الذى رفع بعلم ما أودع من أسرار ، ونفع بما نزع من قلوب المعتدين الأشرار ، وأمتع لمن برع بما كشف عنه لأهله الأستار ، فصعد بما أبدع مما لا تدركه العقول والأفكار ، ورصع بما جمع القلوب بالسبر والمسبار ، نحمده سبحانه على ما أبرز من نعمه وحجز من إثمه ، وتجاوز عمن طلب الإجازة عن ذنوبه واجتزم من ظلمه ، وأنعم على من أكرم بحسن الإنعام ، فوفقهم لتعديل الأحكام ففازوا بالحياة والمكاسب ، وحازوا بعد الانتقال حسن العواقب ، فطوبى لمن صدق برسله ووعدده ، وتبا لمن عبد الشيطان وحكم بنده ، فذلك الذى ضيع دنياه ، وفاته مناه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص عبادته وعلمه ، ووحدته فى ملكه وشهد بأن الملوك خدمة ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أرسله بالهدى فيسر منهجه القويم بالموافق ، وأصلح بيسارته الإصلاح الفائق ، ﷺ وعلى آله وصحبه الشمس المضيئة مع الأقمار ، كل بنوبته فى روضة الأزهار ، الذين تبعوا سنة المختار فى الإقبال والإدبار ، ففازوا بالأصل الحقيقى والمعدل ، وبعد قطرهم عن الميل الثانى والميل الأول ، وفضلوا بارتفاع البصر ، فى أبد الدهر ، وحسن النعت ، بتعديل السمات ، على أن سمت الارتفاع ، ظلّه باع ، ومطالع الاستواء ، فى أفقها استوى ، فلله من طالع قوى ، ولله من غارب ارتفع صاحبه فكأنه ليس فى المغرب ولا هوى ، فهناك تود أن المواهب عندها تكمل ، وتتألاً المراتب أبهى من الشمس فى الحمل .

هذا وإن للعلم ذروة يتبوأها كل ذى حجا ، وهمة يتفيا ظلالها المتفيا فى النهار وفى الدجى ، وإن لذويه لخصيصة راسخة ، ومراتب سنية غير رازخة ، تأهل

السير إليها حتى لجا، وقد سنى الله لنا زمنا امتن فيه بالمنة التي يجب شكرها أبدا، ويستمر على مر الزمان وحقائب المدى، أن تيسر لى ما جنى إليه البال، وسنح بحسب الحال منه المثال، الذى بحضرة شيخنا الذى افتقرت الكواكب فى موضع معرفتها إليه، وتنورت منيراتها قبس يديه، فأصبحت تطيب منه النفوس، وقيل أن لا عطر بعد عروس، فهو محتد الفضائل والهدى، وَمَعَشُّ الْاِهْتِدَا^(١) يبدو وإن بدا. الهمام المتفنن، والجهد المتقن، العلامة الدراكة البركة المشارك الفهامة التحرير، أبى عبد الله سيدى محمد بن الإمام الأكبر، العلامة الأشهر، شيخ المعقول والمنقول، الذى له اليد الطولى فى الفروع والأصول، أعجوبة الدهر، ونادرة العصر، أبى زيد سيدى عبد الرحمن نجل الشيخ الإمام، القدوة العارف الهمام، شيخ الجماعة أبى محمد سيدى عبد القادر بن على الفاسى خلد الله مناقب آبائه الحميدة، وأدار فلكه فى سمائه السعيدة، فهو الجامع لما تفرق من مهم المهم، والمفرق لما تجمع من أباطيل الجهل الملم، فله دره جمعا للعلم والفضائل، وتفريقا للجهل ومنكرات الأباطل.

فكم خصلة افتقرت فى غيره فجمعت عنده، وكم فضلة افتضلها رشحت واردها لما يكفى عن عدة، فمن ثمالته منهل المعاصر، ومن ذبالبته ينبلى سنا العلم فى المفكر والمناظر، فإذا شرقت علينا بمشارقه العجيبة، ومفارقة الغريبة الرحبية، كانت قراءته بغية الطلاب للإمام العلامة أبى عبد الله الحباك أروى فيها بمنهله المدرار وبمناجاته السقرطية ومفاكهته العبقريّة يروق المنصف النحرير، ويعنى بها الألهوب^(٢) والسفسير، بجمع من الشروح، وزيادة وضوح فوضوح، ثم كتاب السيارة، فما آربه أحباره، ورسالتى الربع المجيب والكامل، إلى غير ذلك من المسائل، مما تناولته حين الاقراء إلى هلم جرا.

(١) فى هامش المطبوع: «بياض بالأصل».

(٢) الألهوب: اجتهد الفرس فى عدوه حتى يثير الغبار.

وأجازنى فى ذلك مما قرأته بلفظى أو لفظ غيرى، وكل ما أورد من المسائل حين القراءة وما عرض الآن أو سوف يعرض لى منه وراءه حسبما أخذ ذلك عن شيخه والده المذكور، المقدس المبرور، رضى الله عنهم أجمعين، ووفقنا لما يحبه ويرضاه ببركة الصالحين، وعلمنا علما ينفعنا فى الدارين، وجعل تعلمنا لوجهه الكريم، ومقربا منه وموجبا للفوز بدار النعيم.

وكتب العبد الفقير لمولاه، الغنى عما سواه، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الفاسى لقبا المكناسى دارا ومنشأ وقرارا، الشاوى نسباً، ثم المعزوى من أولاد عمارة أحد أولاد سيدى يشو بن حمدون بتاريخ أواسط ربيع النبوى الشريف عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

الآخذون عنه: منهم ولده عبد القادر آتى الترجمة.

وفاته: توفى شهيدا تحت الردم بالزلزلة فى صفر عام تسعة وستين ومائة وألف.

٢٤٤ - محمد أبو عبد الله بن محمد العكارى الرباطى.

حاله: فقيه علامة صوفى صالح متبرك به، انتقاه سيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل إماما للصلاة به بمسجده الأعظم داخل قبته المولوية وخطيباً به حسبما أفصح بذلك ابن أخيه أبو الحسن على العكارى فيما قرأته بخطه، وقد ألف فى مناقبه حفيده أبو الحسن على بن محمد تأليفا حسنا سماه البدور الضاوية، فى ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، قال فى حقه ما نصه: كان الشيخ ذا مكاشفات ظاهرة، وكان يقرأ القرآن برواية السبع ويجوده ويتقنه غاية الإتقان وكان مشاركاً فى فنون من العلم كالقراءات والبيان والهندسة والفقه والنحو والتصوف والتوقيت والبديع والحساب والكلام والحديث والتفسير، ويتقن ضبط ذلك، ويحسن المشاركة فى غير ما ذكر، دءوبا على نشر العلم، ناسكا ورعاً

زاهداً، حافظاً دراية، متوسعا فى علم التفسير ومعانى الأحاديث، قائماً بالطريقة لا يخل بعلم الظاهر تدريساً، وألف تأليف عديدة تقييداً وضبطاً، ففنع الله به جميع العدوئين سلا ورباط الفتح، وانتفع به الخلق من كل فج عميق بالتعليم والتربية للمريدين بقوله وفعله.

وكان له همة عالية وحالة مرضية، وقلم فصيح مع التمكن والرسوخ، إذا تكلم انتقش كلامه فى القلب، وإذا وعظ وضع الهناء موضع التعب، قدم من مراكز إلى سلا، واستوطنها وتعرف بأهلها واجتمع عليه أعيان البلاد، وطلبوا منه التدريس بجامعة الأعظم فامثل وحضر درسه جماعة من أعيان علماء سلا ثم زاره الأمير العلامة الكبير مولاي عبد الواحد نجل السلطان مولانا إسماعيل، كان مستوطناً رباط الفتح بقصد قراءة العلم، واستدعى المترجم للرباط فلبى دعوته فأنزله بداره، ودرس بالولى الصالح أبى العباس أحمد بن موسى العايدى، وكان يحضر درسه علماء الرباط.

ثم ورد السلطان الأعظم مولانا إسماعيل على رباط الفتح، ولما التقى به نجله المولى عبد الواحد المذكور حدثه بحال الشيخ المترجم ومناقبه وفضائله ومحاسنه، فقال له: لا بد لى أن التقى معه فى هذا اليوم وأخذ عنه الطريقة الشاذلية تبركا فركب السلطان وولده فوجدوا المترجم بالجامع الأعظم يسرد صحيح الإمام البخارى، وكان السارد لديه الفقيه العلامة القاضى سيدى عبد الله بنانى الأندلسى.

ولما دخل السلطان صلى تحية المسجد، وجلس لاستماع الحديث والشيخ لم ينظر إليه، ولما تم الدرس نظر الشيخ إلى القاضى وقال له عظمى يا ولى الله، وتذاكروا ساعة زمانية وافترقوا، ولما رجع الشيخ إلى دار سكناه ألقى بها مالا كثيراً وجه إليه به السلطان مولاي إسماعيل هدية، فلما وجد الشيخ ذلك وجه على تلميذه الفقيه الزبدي، وقال له: خذا هذا المال وافعل به ما شئت، فتشاور مع

المريدين، فقالوا له: اشتر له دارا كبيرة تكون حذاء هذه الدار التى نجتمع فيها فاشتروا له بحومة السوق بدار البروزى تعرف بدار الفقيه البروزى.

ولما أراد السلطان النهوض من الرباط وجه على الشيخ المترجم، وقال له: يا شيخ تقدم معنا إلى سجلماصة لتصل الرحم، ويتبرك بك أنجالى، وتؤم بنا صلاة الخمس، وتختم معنا صحيح البخارى، فإن معنا الفقهاء من فاس فإنهم أرادوا الاجتماع بك، والأخذ عنك. فقال الشيخ للسلطان: يذهب معنا خمسة من فقهاء سلا ومثلهم من الرباط فإنهم يليقون بنا وبك، ويكون الجمع مباركا سعيدا، فأجابه السلطان لذلك، ونفذ له ولهم صلة لعيالهم وصلة لمؤن سفرهم.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله محمد البيجرى المكناسى حسبما صرح بذلك ولده لابن أخى المترجم أبى الحسن على فيما قرأته بخطه، إذ قال: لما عرفنى يعنى البيجرى قال لى: إنكم ساداتنا، فقلت له: بل نحن إخوة لظنى أنه قاله تأدباً، فقال لى: أنتم سادتنا حقيقة، وذكر لى أن والده من تلامذة الشيخين الجد والعم قدس الله روحهما.

ومن أخذ عنه العلامة الشيخ زبير السلوى، وأبو محمد عبد الله حجى، وأبو الحسن على بوشعرا، وأبو القاسم بن الحسين الغريسي، والسيد المكى الحافى وسيدى مسعود جموع، وأبو العباس أحمد حجى، وأبو عبد الله محمد الصبيحى، وأبو محمد عبد الواحد نجل السلطان مولاي إسماعيل، وسيدى المعطى مرينو، وأخوه أبو عبد الله محمد مرينو، وأبو عبد الله محمد بن الطاهر الزبيدى، وأبو العباس أحمد بن عبد الله الغربى، والقاضى أبو محمد عبد الله بنانى، وأبو عبد الله محمد بن اليسع الفلالى، وأبو العباس أحمد عاشور، وأبو محمد التهامى

ابن عمرو، وأبو يعزى المسطاسى، وجل هؤلاء قضاة وغير من ذكر ممن لا يعد كثرة.

وفاته: توفى كما بكناشة الیحمدى سنة اثنين وتسعين وألف.

٢٤٥ - محمد بن العربى الغمارى.

حاله: فقيه علامة أصل، جهبذ أوحى نبيل، حلى بحجة الإسلام، البركة الهمام.

وفاته: توفى ضحوة يوم الأحد الثانى من ربيع الثانى عام تسعة وعشرين ومائة وألف حسبما وقفت على ذلك منقوشا برخامة ضريحه، ودفن بروضة المولى عبد الله بن حمد.

٢٤٦ - محمد فتحا الحاج بن عبد القادر التستاتوى.

صنو أبى العباس المترجم فيما مر من الأحمدين.

حاله: شيخ فاضل مثبرك به.

وفاته: توفى فى المحرم فاتح سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف ذكره أبو العباس الحافى فى بعض مقيداته فى الوفيات.

٢٤٧ - محمد بن العلامة أبى عبد الله محمد بن الإمام المتقن أبى زيد عبد

الرحمن بصرى الولهاصى.

حاله: علامة نظار، تحرير نقاد مشارك مطلع متضلع، إمام فى صناعة التدريس وحسن الإلقاء، ماهر نفاع، أحد أعلام الدولة الإسماعيلية وجهابذتها النقاد.

مشيخته: أخذ عن العلامة أبى الحسن على بن عبد الرحمن بن عبود آتى

الترجمة، والقاضى الأعدل أبى القاسم بن سعيد العميرى، وأخيه سيدى على، وأخييهما أبى العباس أحمد والشيخ عبد الوهاب بن الشيخ، وأبى عبد الله محمد فتحا الدغوغى، والسيد المجذوب بن عبد الرحمن بن عزوز، وأبى الحسن الندرومى، وأبى عبد الله محمد اقلال، وأبى زيد عبد الرحمن بن سعيد العميرى، وأبى حفص عمر الكوش.

الآخذون عنه: منهم ولده المترجم بعد.

وفاته: توفى يوم السبت خامس شعبان المبارك عام ستة بسين مهملة فمثلة فوق وثلاثين ومائة وألف.

٢٤٨ - محمد بن العياشى أبو عبد الله المكناسى.

حاله: صدر تحرير فقيه جليل، حسيب أصيل، مدرس نبيل، قال فى حقه مؤرخ دولتنا العلوية السيد أحمد بن الحاج السلمى صاحب حواشى المكودى والأزهرى وغيرهما المتوفى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف فى الدر المنتخب المستحسن: الفقيه المفتى النوازلى القاضى العلامة المدرس الكاتب، كان من جملة كتاب السلطان مولانا إسماعيل ملازما لخدمة بابه والوقوف بأعبائه، وأنه كان يستشير فى المهمات، من ذلك أنه استشاره فى أى قبيلة يتخذها جندا؟ فقال له: إن المنصور السعدى كان وجه جيشا لفتح السودان فسبى عبدا واتخذهم جيشا ودفعهم لولده المدعو بالشيخ الثانى فأنزلهم فى جنات أهل فاس بزواغة، وبقوا على ذلك إلى أن قام على والده ودعا لنفسه فقبض عليه والده ونهب العبيد وفرق جمعهم فى القبائل، والآن اجمعهم فإنهم مملوكون لبيت المال، واتخذهم جيشا للخدمة، فقال له السلطان: أنت النائب عنى فى جمعهم، فقال له: فليعين سيدنا وكيلا يقوم فى طلب حق بيت المال وأنا أقضى بينهم وبينه، فقلده القضاء والفصل فى ذلك وتسمى بقاضى القضاة، وعين السلطان وكيلا هو الباشا عيلش، فشرع

فى جمع العبيد، فكان ابتداء أمرهم أن ينادى فى الأسواق فى الحواضر والبواى من ىرد خدمة السلطان من العبيد فليات إلينا إلى أن كان من ذلك ما نبسطه فى محله بعد بحول الله وقوته .

تنبيه: قد رأيت لعدة من المؤرخين إنهم ذكروا فى حق مولانا فخر الملوك أبى الظفر مولانا إسماعيل أنه كان يسترى الأحرار المسلمين بالخراطين، وتماثلوا على ذلك وصرحوا بأن الاسترقاق وقع منه فى غير محله الشرعى، وهذا لعمرى من الكذب المفترى ولكن الجهل بالحقيقة أورثهم أن تقولوا ما لم يكن، وبنوا على غير أساس، ودونك الآيات البينات، فقد وقفت لى عدة دفاتر كتبت على عهده رحمه الله وقدس سره أشرفت منها فى القضية على كمال الاحتياط فى استرقاق أولئك العبيد وجمعهم، إذ صنيعه فيه عقد التراجم، لما فى كل مدشر من مداشر القبائل الهبطية من العبيد ذكورا وإناثا، ثم ذكر وثيقة مسجلة على قاضى مدينة القصر فى حينه، وشكل القاضى المسجل عليه قائم العين به إلى الآن تتضمن تلك الوثيقة ذكر كل فرقة بذلك المدشر من الوصفان وذكر مالكهم وإثبات ملكه لهم وبيان وجه صيرورتهم له من شراء ونحوه، وبيان من تزايد لتلك الفرقة هناك بصفات كل المعينة له، ومن مات منهم، ومن هو فى قيد الحياة، وبيان استمرار الملك للمالك إلى أن مات وخلفهم لورثته وهم فلان وفلان لى، كل ذلك بشهادة الأعيان من علماء وعدول وغيرهم معتمدين فىمن أدركوه منهم على التحقيق والعيان وفى غيرهم على أعلى درجات شهادة السماع المستفيض الفاشى على ألسنة أهل العدل وغيرهم .

ثم يذكر تاريخ الشهادة وأول تاريخ وقع بأحد الدفاتر المشار لها وهو بمكتبتى أوائل ربيع الأول عام اثنين وعشرين ومائة وألف .



كتابة على ظهر كناش إحصاء العبيد الإسماعيليين وعقود أشريتهم



صحيفة من علامات العدول وأشكالهم بكناش العبيد الإسماعيليين

ثم يذكر أسماء الشهود ووصفهم وعدة الشهود بأول رسم ست وثلاثون .

ثم يذكر وثيقة أخرى مسجلة على القاضى المذكور شكله قائم بها إلى الآن تتضمن إشهاد القاضى بأداء أولئك الشهود عنده بجميع فصول الوثيقة، وبأنه استقلت عنده جميع فصولها، كما استقلت عند جميع من يعطف بشكله عليه من قضاة الإيالة السلطانية الموجودة أشكالهم لحد الآن بالدفتر المذكور وغيره .

وبعد ذلك تضمن الوثيقة المذكورة أيضا أنه سئل من القاضى المذكور وكل من يوقع شكله بعده من قضاة وعلماء، هل بقى فيما ذكر من شهادة الملك ومتعلقاته عمل يتوقف عليه شرعا فيضاف إليه فاشهدوا بتمام ذلك واستجماعه للشروط الشرعية، وبأنهم حكموا بذلك وأمضوه ثم بعد هذا ورخت هذه الوثيقة بالتاريخ المذكور، وأمضاها عشرون من العدول بأشكالهم .

وبعدهم كتب قاضى تطوان بأداء الشهود وهم عدول الحكم لديه، وبإعلامه باستقلاله ووضع علامته، ثم كتب بمثل ذلك كل من قاضى طنجة، وقاضى قبيلة بنى بوز كار، ثم قاضى بنى زروال، ثم قاضى فشتالة ثم قاضى بنى جرفط، ثم قاضى شفشاون، ثم قاضى رهونة، ثم قاضى العرائش وغيرهم من قضاة قبائل الهبط .

وعقب ذلك وثيقة مسجلة على القاضى المذكور أيضا تتضمن التعديل من عدول سبعة موضوعة أشكالهم عقبها لأربعة من اللفيف الستة والثلاثين المذكورين قبل، معتمدين فى ذلك على معرفتهم، ومخالطتهم لهم حضرا وسفرا بتاريخ أواخر ربيع المذكور .

ثم بعد ذلك وضع اثنا عشر من القضاة المذكورين خطوطهم وأشكالهم بأداء عدول التزكية عندهم واستقلال شهادتهم لديهم .

وعقبه شهادة عدول ثمانية بمثل ما شهد به اللفييف المذكور من الإرااثات، وبعد تسجيل ذلك على قاضى القصر وضع القضاة الاثنا عشر المذكورون خطوطهم وأشكالهم أيضا بأداء الشاهدين بالمثل المذكور عندهم وباستقلال ذلك لديهم . وعقب ذلك رسم آخر يتضمن الإشهاد على الأرقام المذكورين بالإقرار بالملك لملاكهم المذكورين عن طوع ورضا .

ثم بعد ذلك وثيقة مسجلة على القاضى المذكور تتضمن شراء نائب السلطان جميع الأرقاء المذكورين من ملاكهم بعشر أواقى لكل فرد منهم ، وحياسة البائعين من النائب المذكور جميع الثمن عيانا ، وخلوص ملكهم للجناب العالى بسبب ذلك فى التاريخ المذكور أولا .

وعقب ذلك أشكال العدول الشاهدين بذلك وهم نحو خمسة وعشرين . وعقبه وضع ستة من القضاة المذكورين قبل خطوطهم وأشكالهم بأداء عدول الشراء المذكور عندهم وإعلامهم باستقلاله .

وعلى هذا السنن جرت المسطرة فى سائر الدفتر المذكور وهو غاية فى الاحتياط لما فيه من الزيادات العديدة على ما يكتفى به فى الثبوت الشرعى حسبما يعرفه كل ذى خبرة بالمسطرة اللازمة فى ذلك ، ومدار الشرع على إعمال اللازم فى الظواهر ، وإلى الله تعالى توكل السرائر .

ومن البديهى أن القائم بحياطة الدين ، لا غنى له عن الاستظهار بمقتضى المصالح العامة والاستعانة بالحاجيات والاكتفاء بذلك كله بمقتضى ظواهر الشرع ، وإن جاء على خلاف نظر بعض الخاصة الذين لم يطوقوا بحماية البيضة ولا حملوا عموم الذب عن الملة والأمة ، وإنما نظرهم فى خويصة أنفسهم ، وفى التورع لحياطتها بالخصوص ، وشتان ما بين النظرين ، كما أن المطوق بالنظر العام فى

[illegible]

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

أسماء الشهود للملاك للعبيد

مصالح الأمة ليس فى طوقه أن يلى مباشرة جميع الشئون المطوق بها بنفسه، بل لابد له من أن ينب عنه مباشرين فيما لا تمكنه مباشرته، وعلى العامل بعد ذلك بتقوى الله، وهذا هو المهيع المسلك فى النهضة الإسماعيلية بجمع العبيد، فإنه جدد الله عليه الرحمت بذل المجهود فيها وما ترك شيئاً يقتضيه ظاهر الشرع فيها إلا وقد وقف عند حده، بل كاد أن يتجاوز الحد المطلوب فى زيادة التوثيق كما قد رأيت، وليت شعري بعد هذا ماذا يقال، وهل بعد الحق إلا الضلال.

ولهذا ومثله حذر المحققون من الاعتماد على جهة المؤرخين فى كل ما نقلوا، وأن لا يعتمد منهم إلا على من عرفت ثقته وأمانته، وعلت فى الصدق درجته ومكانته، وكلام القاضى أبى الفضل عياض فى الشفا شهيد صدق على ذلك وليس هذا بأول حديث إفك منهم، فقد قصوا فى الجانب العظيم ما يجب أن لا يلتفت إلى ذكره فكن ممن يعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال.

وقد صح عن هذا الإمام أنه جمع جميع عبيده ووضع بينهم صحيح الإمام البخارى، وقال لهم إنى وإياكم أرقاء لما تضمنه هذا الكتاب الجامع لأقوال من لا ينطق على الهوى وأفعاله، وسائر أحواله، من الأوامر والنواهى، هكذا هكذا وإلا فلا لا.

ولعلنا ما أوتينا إلا من قبل مسارعتنا للطعن على حماتنا ومن ذهب دولته من ولاة أمرنا بغير حق، فليقصر العاقل وليرعو عما ليس له لإدراك الكنه فيه يدان، وليحسن الظن بمن سلف من أكابر الأئمة وليجعل الدعاء بالمغفرة والرحمة لهم عوض تلطخه وتفكهه بما يزينه الشيطان له من المساوى وإلصاقها بجانبهم والله المرشد بمنه.

مؤلفاته: منها زهر البستان فى أحوال مولانا زيدان، وهو كتاب كثير الجدوى فى بابه، وزيدان هذا هو سيدنا الجد الأعلى نجل مولانا الجد الأعظم، السلطان الأفخم، مولانا إسماعيل برد الله ثرى الجميع، وأخواله هم سفيان القبيلة العربية

الشهيرة بالغرب، وهم بطن من بطون اثيج بن ربيعة بن نهيك بن عامر بن صعصعة.

نثره: من ذلك قوله: عنصر العز والمجد، ومنيع البخت والسعد، من حصلت الدلالة على قدره بوسمه، وعلى قدره المسمى كاسمه، الصدر التقى الزكى، ذو القدر العلى، والفخر الواضح الجلى، جامع أشتات المحاسن بلا مئ، الشيخ على بن حسين، ما شئت من العقل الكامل الراسخ، والذهن الشاقب الشامخ، وما دل على طهارة الأصل وعلو المقدار، من الحلم والتؤدة والسكينة والوقار، الذى ادخر الله تعالى له من فضله وجزيل نواله ما كمل له به شرف الدين والدنيا، وأحله غير مشارك ما أحله من الدرجات العليا، من إنجاب الوصل بينه وبين مولانا الإمام، الملك الهمام، فخر السلاطين، وشمس الخلفاء أبناء سيد المرسلين، ظل الله فى الأرض وناشر ألوية العدل بها بالطول والعرض، أمير المؤمنين وناصر الدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، ذى الشرف الأثيل، والفخر الأصيل، أبى النصر والفداء مولانا إسماعيل، أدام الله تعالى نصره، وخلد فى الصالحات مجده الأعلى وذكره.

وفاته: توفى فى دولة المولى أحمد الذهبى عام تسعة وثلاثين ومائة وألف، اضطره العييد على صلبه فصلب ومات شهيدا رحمه الله.

٢٤٩ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسى.

حاله: عالم علامة، دراكة مشارك، حافظ ضابط متقن، خطيب بليغ، فصيح بارع، ماهر باهر، له عارضة اللسان فى التدريس والخطابة، كثير الحفظ، ولى قضاء فاس الجديد أولا، ثم ولى الإمامة بمسجد مولانا إدريس بزرهون وخطبته، ثم ولى بعد ذلك الخطبة بالسلطان مولانا إسماعيل، وخطب بولده السلطان مولاي عبد الله، وولى التدريس بمسجد قصبه دار الإمارة بالحضرة المكناسية.

مشيخته: أخذ عن جلة شيوخ فاس كالشيخ سيدى محمد القسطينى، والشيخ أبى عبد الله المسناوى وغيرهما.

الأخذون عنه: أخذ عنه كثير من أعيان طلبة فاس وغيرهم.

وفاته: توفى فى جمادى الأولى عام اثنين وخمسين ومائة وألف.

٢٥٠ - محمد أبو عبد الله المكناسى الأصل الفاسى الدار والإقبار.

حاله: علامة محصل، مصيب فى مضمار السبقية مفصل، محرر العلوم ومفيدها، ومجدد شبيبة الفضائل ومعيدها، أحرز قصبة السبق فى مضمار التحقيق، وشيد مناره فكان على أصل وثيق، جمع إلى غزارة العلم فصاحة اللسان، وإلى ثبات الجأش وتوقد الذهن براعة البيان، فكان مجلسه لأرباب المحابر نزهة الأفكار، وصيقل القلوب ومنظر الاعتبار، آية الله فى خلقه العجيب، ونعمة كبرى على بعيد الناس والقريب، وضع له القبول فى الأرض، طولها والعرض، فكان الخاصة والعامة فيه محبوبون، وببراعته ومحاسنه يلهجون.

ختم بجامع القرويين مختصر الشيخ خليل أوائل العشرة الثامنة من المائة الفارطة، ثم رحل لأداء فريضة الحج، وهو يعطر برياه كل فج، فاتفقت له هنالك نكبة، أعانت عليه ليالى الغربة، وذلك أن صهرا له سرق لكبير القفلة التى اتفق لهما السفر معها حساما مرصعا بياقوت وجوهر، فكان وصفه يستغرب إذ يذكر، وحين ألجأ الحال، إلى البحث عنه بسائر خيام الحاج، ومنها منزل صاحب الترجمة ألقى تحت وسادته دسه هنالك ذلك الصهر الخبيث، ظنا منه أن محل الفقيه المترجم ينزه عن التفتيش لجلالته وعظم مكانته فى القلوب، وعدم تطرق التهمة فيه، ولما وقع العثور على الحسام بحله اغتاض غيظا شديدا، وتألم ألما مزيذا، ومن ذلك الوقت تردى رداء السقم، ولم يزل عليلا بتلك الغصة حليف العنا، ملازم الضنا، إلى أن قضى نحبه بعد قضاء نسكه رحمه الله وبرد ثراه.

٢٥١ - محمد أبو عبد الله بن أحمد^(١) بن الحسن بن أحمد بن محمد
اليحمدي.

قال أبو الحسن علي بن مصباح الزرويلي: هكذا كنت أراه بخطه أعزه الله
في مكاتباته ورسائله، لا يزيد على ذلك. واليحمدي نسبة إلى بني يحمى القبيلة
المعروفة قرب جبال غمارة.

حاله: علامة فاضل نحير، جهبذ نقاد، لودعى أديب أريب، كامل
مهذب، عارف خبير بصير، مستحضر محاضر بحر زخار في فنون العربية
والإنشاء، نشأ ببلده بنى يحمى - بفتح الميم - فى حجر الصيانة والعفاف، ولما
شب ارتحل لفاس بقصد طلب العلم فأقام به مدة وكان ذكياً نبيلاً عاقلاً، نزيهاً
طاهر الشيم، حليته الوقار، ومئزره العفة والفخر، عالى الهمة مجتهد، فى اقتناء
المعاني وتأثيل المحامد، مبتعد عن السفاسف وكل ما يشين، له ولوع زائد بعلوم
الأدب وكل ما يؤدى إلى مكارم الشيم، ولم يزل حميد السيرة محمود السريرة،
حتى امتد ذكره وطار فى الآفاق صيته، وأقر الخاص والعام بتفوقه وفضله.

ولما اتصل خبره بسيدنا الجد الأكبر السلطان المولى إسماعيل أدناه لحضرته،
وأجلسه على منصة وزارته، واصطفاه لمحاضرتة وسمره، وجعله مستودع سره
ومحل مشورته، وذلك سنة نيف وتسعين وألف، وصار يسميه باسم جده الأعلى
أحمد حتى غلب عليه، وصار لا يعرف إلا به، وخصه بأنعم لم يشاركه فيها سواه
وعظمه وبجل، ونوه بقدرة، وقصر المفاوضة فى المهمات عليه، وجعل بيده أزمة

(١) فى هامش المطبوع: «توفى أحمد والد المترجم صبيحة الثلاثاء الحادى والعشرين من
رجب عام اثنين وثلاثين ومائة وألف شهيدا بالبطن تاليا كتاب الله عز وجل صحيح
الذهن والعقل ودفن بزواية المولى الصالح أبى عثمان سعيد بن أبى بكر المشزائى وحضر
جنازته الخاصة والعامة وكذا بكناشة ولده المترجم. انتهى مؤلف.

الحل والعقد، حتى إنه لما عقد لوالده المولى المأمون على مراکش ألزمه الذهاب للمتخرج لأخذ صك التقليد منه، وأمره بسماع وصيته والعمل بها رغما عليه، والحال أنه يعلم أن ولده المذكور يكره المترجم أشد الكراهة ولم يسمع منه وشأيته فيه .

وقلده مفاتيح الخزانة المولوية التي حوت من التصانيف، وجمعت من أنواع الدفاتر وأسماء التأليف، ما لم تحوه خزانة بغداد، ولا علق بحفظ الداني الأستاذ، وجعله الأمين عليها، بعد أن مدت أعناق شتى إليها، فنسخ أهم ما فيها في صحيفة صدره، وارتسمت علومها في مرآة فكره، فأصبح بحر علم لا يدرك قعره، ولا ينفد ولو كثر السائلون دره، قد تضلع في كل فن بما بهر الألباب، وترك جميع الكتاب وراء الباب، لاسيما في علوم الآداب، فإنه فيها العجب العجائب، له اليد الطولى في معرفة أيام العرب وأشعارها، وآثارها وأخبارها، لا يعزب عنه مثقال حبة من خردل من أمثالها، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وهو خبير بتفصيلها وإجمالها .

وكان في جيد الدولة الإسماعيلية أفخر قلادة، وأفخم مأوى لأهل الفضل والسيادة، برعت في فن البلاغة أقلامه، وتقدمت في ميادين البراعة أقدامه، وطابت في عرش المعاني البديعية ثمرته، وخفقت في آفاق البيان أجنحته، لو رآه قدامة، لقدمه قدامه، ولو نظر إليه النضر بن شميل، لراه أبعد عنه من السما وأعز عليه من سهيل، ولو أدركه محمد بن يزيد، لكان له كالتلميذ والمريد، يحمده عبد الحميد، ويعتمد عليه العماد وابن العميد، ولو بدا لشاعر بني حمدان، أو لبدع همذان، لعداه بالخنصر من حسنات الزمان، وفرسان البلاغة والبيان، ولو فتح عينيه في الفتح بن خاقان، لطار لبه من شدة الخفقان، له الأقلام التي تخضع لكلماتها قامات الرماح، وتذوب منها في أجفانها القواضب الصحاح، استخدمت

الأقاليم ورجالها، وهابت فحول الكلام نضالها ونزالها، فمزنها كل يوم فسام الأوداء، وسم الأعداء هامى، حتى كأنه المعنى بقول التهامى:

وإذا رأس فى الأنامل منه قلما واستمد ساء وسرا
قلما دبر الأقاليم حتى قال فيه أهل التناسخ أمرا
يتبع الرمح أمره أن عشير من ذراعا بالرأى يخدم شبرا

وبالجملة فترجمة الرجل طويلة الذيل، بعيدة النيل، أفردا عصره أبو الحسن على بن أحمد بن قاسم مصباح الزرويلى بالتأليف فى مجلد ضخيم سماه: سنا المهتدى، إلى مفاخر الوزير ابن أبى العباس اليعمى. ألفه سنة خمسة وعشرين ومائة وألف، حسبما أفصح بذلك عن نفسه فى مؤلفه المذكور، وهو من نفائس مكتبتنا الزيدانية ومفاخرها الثمينة.

مشيخته: منهم أبو محمد القادر الفاسى، وأبو العباس أحمد بن حمدان، وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى ونظراؤهم.

الآخذون عنه: منهم مخدومه السلطان الأكبر مولانا إسماعيل، فقد صرح قدس الله روحه بذلك لولده المأمون المذكور لما قال له فى وشايته به إن اليعمى يزعم أنه هو الذى علمك الدين، إذ قال فى جوابه: والله إنه لصادق إن قال ذلك، هو الذى علمنى دينى وعرفنى ربى. هـ.

وذلك أكبر دليل وأعظم شاهد على إنصاف هذا السلطان واعترافه بالحق وعدم ميله للنفس الأمارة.

مؤلفاته: منها كناشته الحفيلة المحشوة بكل نادرة وغريبة فى مجلدات عشر ضخام، موجودة بتمامها بمكتبتنا، وقد وصف كناشته هذه بعض معاصريه بقوله:

ألف فيه نفائس تبهر العقول، واقتنص من جوها كل عنقاء من مستحسّنات
النقول، قال: وفيها أقول:

معان من الصنع البديع تصيدها بزاة عقول فى سماء من الفكر
تجول مجال الطير فى جو أفقها وتسبح كالحيتان فى لجة البحر
فمنها لطيف صيده نحلة ومنها قوى يخطف الصيد كصقر
وله عدة رسائل مختلفة الأوضاع، تشهد له بما منحه من غزارة الاطلاع،
أورد منها عصريه مترجمه فى سنى المهتدى جملة وافرة تركنا جلبها هنا اختصارا.
ولادته: ولد على رأس الستين بعد الألف ببلده بنى يحمّد حسبما صرح
بذلك لعصريه مترجمه المذكور.

بعض ما قيل فيه من الأمداح

من ذلك قول أبى الحسن على مصباح المذكور مستشفعا عنده فى ابن أخ له
وعلى لسانه، وذلك أنه كانت ابنة له تحت ابن أخيه فأحفظها يوما فلحقت بأبيها
المترجم، فاشتدت ندامة الزوج على ما صنع، فلما أراد أن يهب إلى صاحب
الترجمة فى شأن أهله هابه وخاف عقوبته، فكتب إليه هذه القصيدة وارتحل بها
إليه، فلما قرأها سرى عنه وأرضاه، ورد عليه زوجه راضية مرضية:

مالى سوى ذا إليك سبيل والذل بين يد الكرام جميل
فاصفح فمّنك الصفح يرجى وامحون حقدا جلاه حاسد وعذول
أولست طود الحلم والعفو الذى لو زال هذا الدهر ليس يزول
وإذا دعت همم العلاء أبناءها فلانت جد جدودها وسليل
وإذا الطريق طريق كل مزية ضلت فأنت إلى الطريق دليل

وإذا الوزارة قلدت فرشادها الـ
وإذا انتضيت العزم منك فإنه
وإذا سخطت على الزمان بدا به
وإذا السياسة فاخرت بسراتها
وإذا السماحة ساجلتها أهلها
فلو أصبحت كف الغمام بخيلة
بالله يا غوث الطريد ويا أبا الـ
هذا ابن صنوك وابن نعمتك الذى
فلقد نزلت وفي اعتقادي أنه
وأنا الذى لو لم تفيدنى اعتزا
لو لم تحى غمامة زهر الربا
ولقد ندمت ندامة الكسعى من
وتأوهى وتولهى وتملقى
فامدد على من الرضاء سرادقا
وامنح بفائقة الثريا بعلها
رضها إلى فإن روض مسرتى
إنى وحقك تائب توبا نصو
وأرى أقل حقوقها موتى إذا
ولكم علينا يا منى أملى جمى

متبوع أنت وغيرك التضليل
سيف بأيدي الفاتكين صقيل
وجل يهين خطوبه ويديل
فبأصغريك على الكبار تصول
غمرتهم من راحتيك سجول
سقت البرية من يدك وبول
عباس يا من جوده مأمول
هو فى أداهم شكرها مكبول
ما إن يضام لدى الكرام نزيل
زأ خامل بين الورى مجهول
لأتى عليه تصوح وذبول
فعلى الذى هو فلتة مفعول
وتواجدى شهدا على عدول
يجلو الهناء وصدى الفؤاد يزيل
قد طال منه بها بكى وعويل
مذ شح وابل وصلها لمحيل
حالىس ينسخ توبتى تنكيل
غضبت على وأمرها مقبول
ل وافر متكامل وطويل

وقوله جوابا عن رسالة راسله بها المترجم مع صلة سنية وذلك قبل أن يقع
بينهما تلاق جثمانى:

يا من بدا فى سواد العين إنسانا
رمتنا تطاول ذلك العلا بتش
ما زلت ترقى مقامات الجلال إلى
لو حاول الدهر حسبانا لما بلغت
يا يحمدى قر عينا إذ ظفرت بما
أنت البليغ متى تحز شبا قلم
فداؤك النفس إذ كاتبتنا فلقد
روت أناملك اللطاف إذ كتبت
كنا رماما لأجداث الخمول فيها
أحببتنا عن سماع دون سابقة
فكم مساو سترت وهى بادية
ولم تذر غير مشغوف بنامقة
كذلك الغيث لا يأتى على دمن
إلا وغادرها تزهو مقلدة
فها كها كاختلاس الوصل من رشاء
صنع امرئ ليس فى التجنيس همته
لنا قواف لما نريد قافية

فوق الثرى لم أرى سواك إنسانا
ييد قباب من الشنا فأعيانا
أن فقت فى المجد أعيانا فأعيانا
عليك باد وما أطاق حسبانا
أعيت به كف يعرب وقحطانا
أنسيت قسا بما تنشى وسحبانا
كسوت والله جسما كان عريانا
قلبا لأسجاعها العذاب غرثانا
كتابك اليوم بعد الموت أحيانا
والأذن تعشق قبل العين أحيانا
وبالمحاسن كم شنت آذانا
ولم تدع من بسوء القول آذانا
لم ترو فى غابر الأزمان تهتانا
درا نفيسا وياقوتا وعقيانا
غراء راجحة معنى وميزانا
إلا إذا دون ما قصد له جانا
لم يعرف الناس إيطانا وأكفانا

وقوله معتذرا عن تأخير المكاتبة، وراجيا سد باب أليم ألم المعاتبة.

لا والذى زان الكواعب بالحور
وأسال من كفيك أمطار الندى
كلا ولا ملل هفا إعصاره
لكن نزلت بموطن متبذل
فلكم طرقت مسار ركبان إلى
ولكم صبا منكم أثارت صبوتى
فنظمتها نظم الخريدة عقدها
درر بها ديوان شعرى قد زها
ومتى ابتأست لنكبة أنشدتها
فأرى رفاق الحزن ظاعنة وأف
وحياة من ليست تبید حياته
ما مر ذكر (اليحمدى) بخاطرى
يا سيدا تعنو الوجوه لذكره
لا زلت فى برد الوزارة رافلا
محفوظة بلطائف محفوظة
ما هام صب أو هما ودق وما
وقوله:

بأى لسان أم بأى بنان
وأى خطاب أم بأى بيان

أترجم عن أعجوبة الدهر ماله
فتى أثقلت ظهر الزمان هباته
أمل على الدنيا من العدل ما به
فلولاه لا أودى به الدهر ما نجت
فذاك أبو عبد الإله الذى أتى
وما لا لا الآفاق الثلاثة
همام يخاف الدهر من سطواته
متى ما يعد ينجزك إحسان وعده
وزير به استولى الأمير على العدا
متى ما يرم أمنية عجزت بها
وكم فى حماه من وزير وكاتب
لكلهم من بأسه متضائل
بكفيه بحر الجود والفتك بالعدا
وكم فى قضايا الدين حكم فانتضى

إذا عُد أرباب المكارم ثانى
وأصبح من خدامه الثقلان
إلى الناس طرا أنصف الملوان
بنات المعالى من يد الحدثان
لدعوته الرفدان يبتدران
سنا اليمدى الوهاج والقمران
ويرمى برضوى رعبه وأبان
وينقض من إيعاده الحسنان^(١)
وعاش بخفضى نعمة وأمان
فوارس قيس مده بأمانى
ولكن بكف اليمدى القلمان
وهيبته قرت بكل جنان
فكم مرج البحرين يلتقيان
لها صارما لم ينضه الحكمان

(١) فى هامش المطبوع: «المراد بها هنا حبلان وعند أهل المدينة يطلقان على السبطين وعند أهل البصرة على الحسن البصرى وابن سيرين، ولا يصح أحد الإطلاقين هنا. وقد ورد فى اللسان العربى أسماء كثيرة بلفظ المثنى ألف فيها كثير من العلماء وجمع منها حمزة الأصبهاني فى آخر كتابه فى الأمثال جملة وافرة جدا وشرح أكثرها وأورد منها أبو الحسن على مصباح الزرويل فى كتابه سنا المهتدى مائة وثمانية وعشرين كلمة وشرح الخفى والمبهم منها. انتهى مؤلف.

وكم فى سماء الفقه جلى طوالعا
وإن تبغ أخبار الزمان فإنه اب
خليلى لا تعتب على متقاصر
وإنى وإن كنت امرءاً ذا بلاغة
وكنت متى لاحت صوارم فكرتى
فلانى طورا تصطفينى يد الهوى
وطورا ترى ذاك الجلال رويتى
وقوله :

من لصب مولع بالجفاء
كلما خلت جمر شوق طفا ز
رست صيد العنقاء إذ رست سلوا
قلت للصحب ما الدواء فقالوا
حظ كل بنى الصبابة تذرا
هم أناس موتى جسوما وأحيا
حملوا الحب وهو أثقل من رض
فارتدوه زيا شريفا وزادوا
كم ظريف أودت به لحظات
فغدا فى أيدى الرواة حديثا
فتمثل بعروة ابن حزام

يرى الحق من أضوائها الاخوان
من بجدتها السباق يوم رهان
فما لى على إحصاء علاك يدان
وسحر البيان اليوم طوع لسانى
أتيت بما ينسى صريع غوان
فنجرى بميدان القريض بنانى
فأمسك من فرط الحياء عنانى

شف جسمى ولم يجد بشفائى
د اصطلاء الجوى على الأحشاء
نا وأخيب بصائد العنقاء
ما لأدواء من صبا من دواء
ف الدموع ودائم البرحاء
ء قلوبا سكرى بلا صهباء
وى وهم فى نحولهم كالهباء
فى التصابى بأنفس شماء
أوردته موارد الشهداء
بعد ما عاش فى عنى أو رواء
إذ قضى النحب فى هوى عفراء

لفتاة كانت تضيء كبد
أو كظبي نقى نقى المحيا
يتثنى غصنا ويفتر عن د
فتجنى من بعد ما قد جنى طر
ما بدا لى إلا وأوعدنى هج
رث صبرى به وجسمى حتى
كم بوعد أومى فعاد وعيدا
كم أمانى راقبت من طول أما
كم ليال قطعتها نابغيا
كم دموع أذريتها كغمام
كعبة المجد والعلا بحر جود
سيد لم يزل يرود العلا ح
طار فى كل بلدة صيته ح
حسبه مفخرا ورفعته قدر
أعلم الأدباء فى وقته بل
أحرز السبق فى الصناعة حتى
فإذا ما احتذت أنامله الأقد
ما رأى الناس مثله لا ولم يظ
أو علا الأفق ماجد بمزايا

مزقت عنه حلة الظلماء
صدته غرة بصيد الظباء
ر يرنو بمقلة حوراء
فى من ورد وجتتيه عنائى
را كهجران واصل للراء
قد رث لى فى حبه أعدائى
خلق أهل الجمال خلف الوفاء
لى فمالت بها يد الرقباء
ت أناجى تنفس الصعداء
أو يد (اليحمدى) يوم سقاء
لم يكدر عبابه بالدلاء
تى ارتدى بالماثر الغراء
تى غدا فى اشتهاره ابن ذكاء
أنه اليوم سيد الرؤساء
هو فى الوقت أأدب العلماء
فاق أهل الإنشاد والإنشاء
لام أبدى أرق ما أنت رائى
فر به المنذر ابن ماء السماء
ه مشى اليحمدى على الجوزاء

أبنى (يحمد) له فاشكروا حيه
 قد بنت كفه لكم قبة المج
 لم تقوض ولا تقوض حتى
 إنما (اليحمدى) على الناس طرا
 علم الله أنه لسداد ال
 فحباه منها بما لم يئل قد
 يا وزيرا فى عصمة الوزرا لا
 بأبى أنت دع لسانى يرد من
 ما أريد استقصاء مدح وهل ين
 أنا ظمآن إن وردت حياض ال
 منذ دهر والقلب صب وقد ات
 فقدمنا عليكم كى نقضى
 واصطنعنا من الثنا حلا تق
 وشيها مطمع ويجز من حا
 كل بيت منها يحث إلى القل

ث حصلتكم به على الكيمياء
 د ولم بين مثلها من بناء
 يرجع القارطان^(١) بعد اختفاء
 لسعيد من جملة السعداء
 رأى حق لصحبة الخلفاء
 ما نديما جذيمة من صفاء
 ح لنا كاليتمة العصماء
 حوض أمداحك الشهى الماء
 زح بحر مخضم بالركاء
 مدح فيك استبعدت منها ارتوائى
 عبت بينى وبينكم سفرائى
 بعض ما تقتضى حقوق الإخاء
 صر عنهن صنعة الخنساء
 وله من جهابذ الشعراء
 ب غراما كالمقلة النجلاء

(١) فى هامش المطبوع: «تشية قارظ والقارظ مجتنى القرظ وهو نبت يدبغ به أو يصبغ. قال
 الجوهري: هما رجلان خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا فضربت العرب بهما المثل فى
 الغيبة الطويلة وفى تمديد المدة بما لا ينقضى وكلاهما من عنزة قال ذو الرمة:
 وأنت غريم لا إخال قضاءه ولا العنزي القارظ الدهر جائيا انتهى. مؤلف».

أنا شمس القريظ إن شئت أبدو
وعلى الشكر الجميل لما أو
هاكها سيدى ولا عيب فيها
لست بالراهب المريب ولا الرا
أنت كوالد الشفيق وحزم
ذاك أبقى للود وهى لى الشـيـ
وقوله :

بدت فأرتنا الصبح فى وجناتها
وولت فكاد الترب يدمى بنانها
فتاة رويانا من طلا الحب حين إذ
بدت وقلوب صاحبات من الهوى
فما ظبية ترعى الخزامى بربوة
بأحسن منها يوم مرت عشية
تضىء كبدر الأفق والزهر حوله
وعن كعبير المسك ضوع نشرها
وقد ملأت رحب الإزار بردفها
ولاح لحانى فى الصبابة كلما
وقال اصح من خمر الصبابة ترشدن
وقال أتلهو والليالى مناكد

كى يرانى الورى وأنت سمائى
ليتنى أنت أنت مذكى سنائى
غير مدح يسلى عن العذراء
غب أثنى معرضا بالحياء
بالفتى أن يبر بالآباء
مة أقضى بحسن قضائى

وحيت بإيماء حذار وشاتها
إذا ما مشت تختال فى حبراتها
رويانا حديث السحر عن لحظاتها
فأصبحن سكرى من كئوس طباتها
تراع لحفق الريح فى أثلاثها
وقد قصر الإعياء من خطواتها
إذا ما مشت تهتز بين لداتها
كريحانة أهدى الصبا نسμάτωνها
كما ملأت عيني من عبراتها
رأى طموح النفس نحو جهاتها
وما ظن أن الرشد عند سقاتها
فكن حذرا يا صاح من غمراتها

فقلت ومالى واللىالى فإننى
فلو ساورته لانتت وصروفها
يداه يد يغنى عن السحب جودها
يزاحم فى نيل العلا وهو واحد
كذلك أعلام المناسك جمّة
وأن مصابيح السماء كثيرة
به الدولة الغراء دام سكونها
ولا زالت الآمال تعشو لضوئها
فدى لك نفسى أيها العلم الذى
إليك تناهى كل مجد وسؤدد
بنيت قباب المجد أركانها التقى
فلو جمرات العرب كن بواقيا
لك القلم العالى الذى ببيانه
وتفتض أ بكر المعانى بحده
ومنه بأحشاء الأعادى رواعد
ودونكها غراء تغرى على الصبا
تشهيك فى ترجيع إنشادها متى

أمنت بجاه اليمدى أزماتها
مفللة والذل فوق قناتها
وأخرى يخاف الدهر من فتكاتهما
وما سقط الأقوام مثل سراتها
ولكن جماع الحج فى عرفاتها
وما الصبح إلا من طلوع مهاتها
فلا قدر الرحمن من حركاتها
ولا انقض نجم السعد من جنساتها
به اعتصمت من دهرها وعداتها
فدم فى المزايا واصعدن درجاتها
ورصفت من غمر النداء شرفاتها
لما كان إلا أنت من جمراتها
تكسر من سمر القنا شبواتها
إذا احتجبت من عزها عن كماتها
قوائل لا ينجون من سطواتها
وها السحر كل السحر فى لفظاتها
بلغت بإنشاد إلى أخرياتها^(١)

(١) فى هامش المطبوع: «للمؤلف بحث خاص بالوزير اليمدى ألقاه محاضرة فى مؤتمر

الثقافة العربية المنعقد بحاضرة تونس فى شعبان عام ١٣٥٠».

٢٥٢ - محمد حنوش^(١).

المكناسى أصلاً، الفاسى داراً، الحمدوشى طريقة، يلقب أبا شكال لأنه كان برجله اليسرى خلخال من شعر مربوط ربطاً وثيقاً قرب ساقه.

حاله: كان ضيق الحال، الغالب عليه القبض، لا يدعى بدعوى ولا يسأل من الناس إلا ما يسد رمقه، شوهدت له كرامات، وخوارق عادات، أورده فى سلوك الطريق الوارية وذكر بعض كراماته وسرد عدة مما وقع له معه من ذلك، وكان ينتسب فى الطريق للشيخ على بن حمدوش، وكان مجذوباً غائباً متبركاً به مسناً، وكان أولاً جعل لنفسه حوشاً من حجارة بشرقى جامع القرويين بالسباط الكائن هناك، فكان يبيت به ويجلس ويتخذ فحماً يتدفأ به، ثم انتقل لباب القرويين المقابل سوق الشماعين، ثم انتقل إلى رأس الجنان بعيون أبى خرز، فكان يقبل ويبت بها إلى أن توفى هناك.

مشيخته: أخذ عن أبى الحسن على بن حمدوش على ما للزبادى فى سلوك الطريق الوارية ولى فى هذا الأخذ وقفة لجذب الآخذ والمأخوذ عنه.

وفاته: توفى بفاس عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

٢٥٣ - محمد بن على العفَّانى^(٢) الزرهونى أبو عبد الله.

حاله: ظاهر البركات، كثير المكاشفات، صالح الأحوال، أحد الأفراد من الأولياء الأكابر، رطب اللسان على الدوام بالتلاوة والذكر، أدام النظر فى بدايته

٢٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٢٠.

(١) فى المطبوع: «خنسوس» والمثبت من إتحاف المطالع.

٢٥٣ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى الموسوعة ٣/ ١٠٨٨.

(٢) بعين مهملة ففاء مشددة فألف ونون بعدها ياء النسب، قيده صاحب لقط الفرائد وتحرف فى المطبوع إلى: «العمانى» بالميم بدل الفاء.

لامرأة شابة متزينة فقال: عين ترى محارم المسلمين إنما حقها العمى، فكف بصره من حينه.

وفاته: توفى فى القصر سنة خمس وألف على ما فى المرأة.

٢٥٤ - محمد البوعصامى:

حاله: فقيه علامة جليل، قال فى حقه عصره الشريف العلمى صاحب الأنيس المطرب فى أنيسه ما لفظه: بليغ مصره، وإمام الأدباء فى مغربه وعصره، رحل إلى المشرق، وطلع عليه كالبدر المشرق، فحل منه الجيد وتوج المفرق، وأخذ عن الأئمة، أعلام هذه الأمة، وقصد المشيخة، وألقى لهم أذنه المصيخة، حتى أثقل بالعلم ردينه، وقرط بالفوائد والفرائد أذنيه، وبهر فى علم النحو، وانتهى إليه الكتب والمحو، وعارض المناطة، بألسن إعجازه الناطقة، وخاض فى البديع بحرا، وصنع من البيان للعقول سحرا، ويسر من التفسير، كل عويص وعسير، وعرف أخبار الدول، وفعل الزمان بالأمم الأول، وأتى بكل خارق، وأنسى ذكر الموصلى ومخارق.

ثم رجع إلى المغرب، بكل معنى يطرب، ولفظ عن أغراضه يعرب، فأقر له الفضل بما أقر، وانتهى إلى فاس واستقر، فمكث بها دهرا، أفاض على عرصات الأذهان من علومه نهرا.

ثم انتقل إلى مكناسة، وحلها حلول الطبى كناسه، فتصدر للتدريس، وظهر ظهور ابن إدريس، ولقد فاق فى علم العربية، ونودى باسمه فارتفع بالإفراد والعلمية، قال: حضرت معه يوما فى مجلس لبعض الأصحاب، والأفق بطرز ثوب الرياض برقم السحاب، وكان معى الصاحب الظريف، أبو العباس سيدى أحمد الشريف، فمد يده إلى العود، والعود بين انخفاض وصعود، والجو بين

بروق ورعود، فاستخبر العشاق بتوشيته، ورفل فى حلل الغناء وأرديته، وعام فى
خليجان الإتيان وأوديته، فقال يمدحه :

تبدى كبدر لاح فى غيب الدجا غزال رآه ابن النبيه فحارا
يجس بأطراف الأنامل عوده فيأتى بشيء ليس فيه يجارى

ثم أشار إلى أن عارض، ودع كل معارض، فقلت :

بدا كهلال الأفق ليل وصاله فصير ذاك اليل منه نهارا
وغنى بعود وهو سكران أعين فصير منه السامعين سكارى

وقد أطال وأطاب فى ترجمته، فعلى مريد الزيادة الوقوف عليها.

(شعره) من ذلك قوله :

سحت بدمع كالعقيق محاجرى شوقا لطيبة والعقيق وحاجر
تلك المعاهد حيث أظهر دينه رب البرية للرسول الظاهر
سر الوجود محمد خير الورى والمنتقى من كل أصل طاهر
من قد تجلت طيبة الزهرا به وزهت ففاقت كل روض زاهر
وسمت على الفردوس حقا واكتست حلل السنا من شأنه المتواتر
وتواضعت لمعالم الهادى بها آفاق كالفلك المحيط الدائر
أين اجتلاء وجوهها وبدورها من آله والصحب ذخر الذاخر
زهر المناظر طيبو الأخلاق من فخرها به فى الناس أى مفاخر

إلى أن قال :

عامل بفضلك عبدك الجانى وحط من كل خطب مدلهم ذاعر

وامنن علينا منة تمحو بها
واسمح وجد وارحم وعجل بالهنا
واجبر صدوعا برحت ما إن لها
واختم بحسن الختم واحشرنا مع
صلى عليه الله ما حل الحيا
والآل والصحب الأفاضل ما انتهى
وقوله متغزلا:

بى شادن مهما سرى فى غيهب
أمسى يجس العود جسا محكما
ومن العجائب والغرائب شاذن
وأرعى الحنادس أفضح الأقمارا
فـزرى بزرياب وأنسى الدارا
يأوى القفـفار يحرك الأوتارا
٢٥٥ - محمد بن عبد الله بن مصالة الفازازى المعروف بابن عبود
المكناسى.

حاله: فقيه نحوى مفسر لغوى، تعرض لذكره السيوطى فى بغية الوعاة
وأسند حديثه فى طبقاته الكبرى، ونقل عن أبى حيان فى النضار أن قبيلهم يسمون
عبد الله: عبودا، ومحمدا: حمودا، وأنه من مكناسة الزيتون.

مشيخته: روى عن أبى إسحاق الكمال، وأبى جعفر بن فرتون الحافظين.
الأخذون عنه: أخذ عنه إجازة أبو الحسين بن عبد الله الغرناطى.

٢٥٦ - محمد بن الطيب بن عبد القادر بن الحاج حم سكيرج.

٢٥٥ - من مصادر ترجمته: بغية الوعاة ١/١٣٦، صلة الصلة لابن الزبير ٣/٢٦.

٢٥٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٤١٨.

حاله : كان فقيها أديباً علامة مشاركا متقنا، أكتب كُتّاب زمانه وأبرعهم فى النظم والنثر، من رؤساء كتاب السلطان الأعظم، علم الأعلام سيدى محمد بن عبد الله، قال فى حقه بلديه معاصره العلامة الأصيل الأديب الجليل، سيدى سليمان الحوات حسبما وقفت عليه فى كناشة له ومن خطه نقلت ما نصه :

كتب صاحبنا العلامة الدراكة الأديب الجامع لأشتات العلوم قديمها وحديثها، سلطان الكتبة فى ديوان الأمير ملك البحرين أبو عبد الله سيدى الحاج محمد بن الطيب سكيرج حفظه الله إلخ .

ومن خطه أيضا بالكناشة المذكورة ما نصه : الحمد لله خرجت من فاس فى جملة من أشرفها لزيارة ولى الله إدريس الأكبر بزrehون، فنزلنا مكناسة الزيتون، على روض البلاغة المزهر الأحفل، الكاتب الأديب الأنبيل، العالم الأكمل، أبى عبد الله سكيرج الفاسى وصل الله عنايته فألفيناه فى مجلس منادمته، مع خاصته من أحبته، على حالة أغرانى على وصفها باستطلاع مطلع أشرف منه على التخليص فقال :

لما أباح النوى راح الفراق وقد
ركبت ظهر الفيافى منضيا تعبى
يممت ربعا به للحسن معترك
وفيه روض لأهل الفضل والأدب
ثم قال أجز، فأجزت بقولى :

وكيف لا ودليل الحب أرشدنى
والحب يرشد أحيانا إلى الأدب
فكان لى موقف على الجبور به
فى مظهر الأئس بين اللهو والطرب
حيث محيا أبى زيد ورنته
يستبعدان قريب الهم والوصب
ولابن زكرى جس فى مثالته
أعربن فى نغمة الحسين عن عجب

يجيبها بمثنائي الصوت مبتسما في وجه عاشقه عن بارق الشنب
في متدى كعبة الجدوى سكيرجها والعلم ينسل من نجواه عن حذب
فلما وصلت إلى هنا استعاذنى إنشادها وهو مقبل على بمحل معه يهتز
إعجابا وطربا، ثم تنحى دسسته جملة وأجلسنى فيه منفردا بعدما كنت مشاركته فى
جهة منه فقط، فلما استويت أنشدنى للصاحب بن عباد:

فلو كان من بعد النيئين معجز لكنت على صدق النبى دليلا
ثم اجتليت عن يسارى، بدر تلك الهالة أبى زيد المزدارى، وهو يقول كأن
البرق يلمع علينا من أدبك، والشمس تطلع من غرة طربك، وكأنى المعنى عنده
أنشدته مغالطا فقلت:

البرق يلمع لكن من ثناياك والشمس تطلع لكن من محياكا
فاحكم بما شئت فينا غير مكترث بقتل أنفسنا فالحسن ولاكا
والله يا عابد الرحمن ما نظرت عينى بمكناسة الزيتون إلاكا
أودعت سر غرام بيته خلدى لديك فاجعله لى بيت نجواكا
فنشط للمدح وارتاح، وناولنى مترعات الأفداح، وبقي لا يلتفت إلا إلى،
ولا يقبل بحديثه إلا على، غير أنى بين حياة وحين، من صوارمه المصلته من
جفون العين، والنفس تشتهى اقتطاف ورد الخدود، النبات حول غاب قسى
الحواجب وأسل القدود، فكان ذلك ولله الحمد داعية العفاف، وآية على حمد
عاقبته الانصراف، إذ من العصمة أن لا تجد، وان وجدت فاتتد، فمكثنا على ذلك
أياما بين تناشد الأشعار، وتجاوب الأوتار، وكئوس حلال الشراب علينا تدور، من
راحات حسان كالبدور، لم نستيقظ من سنة المسرة، إلا بعد أن مضت من الشهر
عشرة:

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرة

ورب المنزل المذكور، وعلم الإجلال المنشور، حملته الأريحية على المبالغة في الإكرام، بالتردد علينا في كل برهة بموائد الطعام، مختلفة الأجناس، تستلذ مضغها الأضراس، إلى أن انفصلنا كل في وجهته سعيد، وربك الفعال لما يريد، كاتبه سليمان لطف الله به بمنه آمين.

وقال في حقه المقيد المعنى لسيد محمد بن عبد السلام المعروف بالضعيف في تاريخه لدى تعرضه لشعراء الدولة المحمدية أعنى دولة سيدي محمد بن عبد الله: الفقيه الأديب الماهر الشاعر، وقال قبله بنحو الورقة: الأديب الفقيه الأريب العروضي، وعده أبو القاسم الزيانى في كتاب الدولة المحمدية أهل الطبقة الثانية الذين نظموا فى سلك الكتاب من أول نشأة الدولة المذكورة، وحلاه فى بستانه الظريف بالكاتب البليغ الأديب.

وقال قريبه حبنا العلامة الأجل الناظم الناصر السيد أحمد بن الحاج العياشى سكيرج قاضى ثغر الجديدة فى الوقت الحاضر فى شرحه لرجز المترجم فى علمى العروض والقوافى ما نصه: وممن ترجم له المؤرخ المتقن الضابط الحجة المتفنن سيدى الطالب بن الحاج كما وجد بخط يده ونصه: القرم الهمام، العلامة المبرز فى حلبة الثار والنظام، نادرة الزمان، فى التحقيق والبيان، عماد الدولة، وعظيم الصولة، أبو عبد الله محمد بن الطيب سكيرج الأندلسى الفاسى. هـ.

وقد كانت بينه وبين معاصره أديب الزمان، وفريد العصر والأوان، أبى العباس أحمد بن الونان صاحب القافية الموسومة باسمه بالشمقمقية التى مطلعها:
مهلا على رسلك حادى الأينق ولا تكلفها بما لم تطق

منافثة ومهاجاة قيل وهو أى المترجم المعنى فى قول ابن الونان المذكور:

فبشرن ذاك الحسود أنه يظفر من بحر الهجا بالغرق
مؤلفاته: منها رجزه الموسوم بالشافى، فى علمى العروض والقوافى، يقول
فى فاتحته:

حمداً لمن بسط أبحر النعم ومن مديد طوله يؤتى الحكم
ثم على خير الورى صلاتى وآله وصحبه الهداة
والتابعين نهجهم على الدوام ما مدحه صيغ بثر ونظام
وبعد فالشعر له ميزان به يلوح النقص والرجحان
وفى الختام قال:

لما انتهى سميته بالشافى فى علمى العروض والقوافى
وكان وضعه له فى ربيع الثانى من عام ستة وسبعين ومائة وألف وأخرجه.
من مبيضته فى رمضان من السنة المذكورة كما بشرح هذا النظم لقريبه أخينا أبى
العباس المذكور آنفاً.

ومنها حواش على شرح سيدى محمد بن مرزوق المسمى بالمفاتيح المرزوقية،
لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، وغير ذلك.

شعره: من ذلك قوله يمدح السلطان الأعظم سيدى محمد بن عبد الله كما
فى تاريخ الضعيف:

ولما رأيت البحر فى الجود آية ومن جوده الدر النفيس المقلد
سألت من فى الناس علمك الندى فقال أمير المؤمنين محمد
وسبب ذلك كما فى شرح ابن عاشور على البردة أنه اجتمع فى مجلس
السلطان فأنشد بعض الحاضرين قول الشاعر:

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة توارثنى عن والد بعد والد
فقال السلطان إن ذلك لغاية فى بابه فقال ذلك البعض يعنى المترجم لو شئت
لقلت أحسن منه وأنشد ما نصه :

ولما رأيت الجود فى البحر فاشيا ومن جوده الدر النظيم المنضد
فقلت ومن فى الناس علمك الندى فقال أمير المؤمنين محمد
فتعجب السلطان والحاضرون لارتجاله ، وجودة مقاله ، وأعطاه السلطان جائزة
عظيمة .

وقوله كما فى منهل الورد الصافى يهجو عصره أديب الزمان أبا العباس بن
الونان :

ألا قل لغمر جاهل وحسود غيى بليد الطبع حلف جحود
نافس فى العليا حبرا مهذبا له فى مقام المجد خير شهود
لعمرك قد أرقيت نفسك للعلا بلا سلم إذ لم تبؤ بفريد
وحاولت أمرا لست تعلم أنه تمنع عن ذى منعة وعديد
فكم ظلت أسعى فى رشادك على أراك حذورا على صرير وعيد
فهأنا ذا مستجمع الفكر راكبا مطية فخر فى مقام شهود
تيفظ لقولى واستمع كل حجة فإنك يا ابن القن بيت قصيد
وخذ من قرى الأبطال ما أنت طالب فأنت على راصى الندى بشديد
ولا تأس إن أبصرت زلزال بارق تقدمه نكباء ذات خلود

وأنت ما نبهت منى نائما
فأما اكتساب المجد من عهد يعرب
وأما العلا فاسأل ترى فضل آلنا
وأما رعايات الذمام فأنها
وأما الندى فانظر بعينك حيناً
تخبرك الأنام عنى حقيقة
ذوى الحسب الموفور والحلم والتقى
إذا برزت يوماً طلائع حزبهم
تراهم لدى الهيجاء أسدا فواتكا
تهابهم الأسد القواصم فى الوغى
ركابهم تجدى على كل حالة

فللطعن فاصبر واعتجز بضمود
فما هو عن أسلافنا بيعيد
فكم حملوا للمصطفى من بنود
بأذيا لنا نيظت بغير جحود
فإن عيون المرء خير شهيد
بأنى فى لحم أعز وليد
وكل فخار دائر وجديد
ترى العز يومى نحوها بسجود
وفى السلم سباقا لكل مشيد
ويألفهم فى السلم كل وليد
بحرب وسلم من ندى وجسيد

هذا ما وجدته من خطه وهى غير مكملة. هـ لفظ منهل الورود.

وقوله مادحا شرح سيدى محمد جسوس على المختصر:

يا صاح إن شئت التنعيم فى غد
وأردت فى الدارين إدراك المنى
دع ما يشين العرض من طرق الردى
وانزل من الوغد الجهول بمنزل
ودع التشبث بالغرام وأهله
ودع التوغل فى الهوى فطريقه

والفوز بالعز الصميم السرمدى
والمكث فى عيش هنى أرغد
واترك مدى الدهر ادكار المعهد
واترك مصاحبة الذميم الفدغد
ودع التغزل فى القيان الخرد
صعب السلوك وشوكة لم يخضد

فالكمل حمق لا يرى بسبيله
 واجنح فديتك للعلوم فإنها
 وهى السبيل إلى النجاة وإنها
 كم من جهول ذى غبى فى مهنة
 إن عاش لم يسمع له ذكر ولم
 لم يكثر أحد به أبدا ولم
 والعالمون ذوو النهى فى رفعة
 إلى أن قال :

شد الرحال لنيله واطلبه فى
 واركب مطايا الحزم فى تحصيله
 ولتلمز الإنصاف فيه ولا ترم
 إلى أن قال :

وإذا أردت بلاعنى تحصيله
 فعليك بالإفصاح والتصريح إن
 تأليف شيخ شيوخنا بحر الندى
 الفاضل البر الزكى المرتضى

نثره : من ذلك ما كتب به من الحضرة المراكشية لابن أخته الشريف المذهب
 مولاي أحمد بن العربى العراقى بالحضرة الفاسية، ونصه بعد الحمدلة والصلاة كما
 بكناشة سيدى سليمان بن محمد الحوات ومن خطه نقلت : أجل من تحلى بأكرم

الأخلاق، وأكمل من شرفت منه الأوصاف والأعراق، الحال منى محل سويداء أماق، أبو العباس أحمد بن العراقي، لازلت فى خفض عيش ناعم، ما دام ثغر الرياض عن عرف أزاهره باسم، وعليك منى تحية يفوق شذا النسرين طيها، مستوفى من عبير العنبر نصيبها، مشفوعا ببركات يملأ الخافقين نورها، وتتوج محاسن الدهر سطورها، هذا وقد طار الفؤاد للقياء، وطمحت نار التشوق لاستطلاع محياك والاستمتاع برؤياك، إذ كنت منى محل الزند للساعد، وكيف لا وفيك الغنية عن الأقارب والأبعاد، أبقاك الله محفوظ الجنب، متبعا سبيل من أناب، وجبر الصدع بالجمع، بين الأصل والفرع، إنه مجيب دعوة المنيب، وجامع شمل الغريب، وها نحن اليوم قد شغلنا عن كل المطالب، بكل ذاهب وآيب ومطلوب وطالب، فذات النحيين أفرغ منى ذهننا، والجوارح والحواس أصبحت لما سمعت وراك الله رهنا، وفى حامله كفاية الخبر، عمن أبدل نومه بالسهر، مع مصاحبة أمراض، معشارها يشغل عن أضعف الأغراض، ولكن الطمع فى رحمة الله يحملنى على الرجا، وكيف يخيب من إلى أكرم الأكرمين التجا، وهو حسبى وولى ومن توكل عليه سلم ونجا، فى سابع جمادى الأولى عام تسعين ومائة وألف محمد بن الطيب سكيرج لطف الله به.

وفاته: توفى بالوباء فى جمادى عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

٢٥٧ - محمد البوعصامى المكناسى أصلا الفاسى داراً ومنشأ وقراراً.

حاله: فقير متجرد من صغره ساكت خامل، كان من أهل اللباس الحسن الفاخر، فأبدله له الشيخ العربى بن عبد الله معن الأندلسى بدريلة بقى يلبسها حتى مات، وفى ذلك أعظم دلالة على كسر سطوة سلطان النفس الأمارة وقهره إياها وتمكنه منها، وكان كثيرا ما يجلس بالقرويين وحده ولا يدعى بدعوى، قليل

٢٥٧ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٢٢.

الكلام مع الناس، وكانت لوائح الخير ظاهرة عليه، ترجمه فى السلوة وسلوك الطريق الوارية.

مشيخته: أخذ عن الشيخ سيدى العربى بن عبد الله معن.

وفاته: توفى سنة خمس وتسعين ومائة وألف بفاس المحروسة.

٢٥٨ - محمد المدعو بهلول بن عبد الرحمن الفيلالى البوعصامى الأصل
المكناسى الدار والإقبار.

حاله: أديب ماهر، نحوى مدرس نفاع، شاعر مجيد كثير الجلوس بالمسجد. ذكره العلامة الأqed الثبت المؤرخ النقاد السيد محمد الخياط بن إبراهيم أحد أعلام فاس فقال: اجتمعت به مرة واحدة فى بعض أسفارى لمكناسة الزيتون، وكان رحمه الله أعمى كثير الجلوس فى الجامع، وله أشعار حسنة، وقال فيه صاحب منحة الجبار، الشيخ التحرير، القائم على ألفية ابن مالك قيام الجد والتشمير، انتهى إليه حسن تقريرها مع المعرفة العجيبة فى عدة فنون.

شعره: من ذلك قوله فى رجل من أصحابه حلو الحديث عذب الألفاظ اسمه يحيى من أهل وادى درى:

يحيى ومن يحيى أحاديثه أحلى من الشهد لدى المخبر

وكيف لا تعذب ألفاظه وهو من وادى أبى سكر

ومراده بأبى سكر التمر الذى يقال له بوسكر وقوله:

أيدى الحوادث مزقت أعراضنا فلذلك احتجنا إلى الخياط

ويعنى بالخياط الكاتب الوزير الخياط بن على بن منصور، وقد توفى هو وأخوه عبد الرحمن ذبيحين فى السجن بمكناسة الزيتون، ذبحهما الباشا الغازى

وأخرجنا إلى حوز المقابر وتركنا طريحين والناس يعتبرون بالنظر إليهما إلى العشى
ودفنا، وذلك فى ضحى يوم الأحد ثانى عشر ربيع الثانى عام خمسة وعشرين
ومائة وألف كما ذلك بخط العلامة الثبت السيد محمد الخياط بن إبراهيم، قال:
وقد صادفنى الحال يومئذ هنالك فلم أر يوم سرور عند الناس مثل ذلك اليوم، ولم
أجد أحدا يثنى على الخياط المذكور إلا شرا نعوذ بالله من تتابع الألسنة.

وقوله:

جادلى من هويته بكتاب	بعد أن كان بالكتاب ضينا
ولقد طال ما انتظرنا إليه	يعلم الله ذاك حتى ضينا
أنتم السؤل جدتم أو بخلتم	لا نحب سواكم ما بقينا

وقوله:

ترفع قوم بالقضاء وما دروا	بأن قضاة العصر عندى قصة
فإن تلف منهم ذا عفاف عن الرشا	يكن للرشا منه الكحيل التفات
فإن تسألونا بالقضاء فإننا	نحاة وإن شئتم فقولوا نجاة

وقوله:

عجبا للزمان يقصى سريا	فاضلا ماجدا ويدنى دنيا
فلو أن الأيام تفقه شيئا	لم تكن آثرت على عليا

وقوله يخاطب ولدا له:

تأمل إذا رمت الكلام فإن من	تأمل من قبل التكلم لا يخطى
ومما يزين الكتب حسن خطوطها	فنفسك جاهد فى التعلم والخط

وقوله :

قل للمحاول رتبة
فاشر المعالى بالعنا
وادرس لترأس يا فتى
وذوى المعارف سلهم
وعليك حال تأدب
وجب البلاد فكم يرى
واصحب من الناس الألى
وإذا تعذر هؤلاء
والخير اجمعه لدى
تمت نصيحة ناصح
وقوله معاتباً بعض تلامذته :

أقمت بمكناسة برهة
فلما توهمه بعضهم
أعلم أبناءها ما الكلام
على به بخلوا والسلام

وقوله معزيا أبا العباس بن الشاذلى الدلائى فى أخيه سيدى محمد :

أبا العباس كان أخوك نجما
وكل أخ مفارقه أخوه
ومن شأن الكواكب أن تغيبا
فصبراً لست وحدك من أصيبا
ومن ذلك ما رأيته فى كناشة العلامة سيدى المهدي بن سودة وخطه نقلت :
نفس الكريم لدى العطا مرتاحة
ويضيق نفسا لو وجود لئيم

والحر فى نيل المعالى همه
فخر اللبيب بجده لا جده
أعظم بشأن القبر من إنصافه
اصبر على حال افتقارك يا فتى
والله يفعل ما يشا فى خلقه
هذا أخو حمق غبى عيشه
أطلق لسانك بالثناء على الذى
وإذا ابتغيت بلا مذمة أمرا

بسوى المفاخر لا تراه يروم
فالجد عظم فى التراب رميم
سيان فيه ذو غنى وعديم
فالحال متقل وليس يدوم
فالواجب التفويض والتسليم
رغد وهذا عاقل محروم
أسدى إليك فشكره محتوم
فالمبتغى لك نزر أو معدوم

وقوله وقد تخلف عن مجلس درسه يوم غيم:

أقراء الخلاصة حال بينى
فعدرا فى التخلف يوم وبل
ولولا العذر ما كنا قعدنا
محادثة الذكى أذلى من

وبينكم من الأحوال حائل
وذو الطبع الكريم العذر قابل
عن إيضاح المسائل للمسائل
محادثتى لربات المغازل

وقوله سائلا أبا عبد الله محمد المربطى الدلائى عن إعراب ما يجرى على
الألسنة من لفظ كائنا من كان:

يا إمام النجاة بالله أعرب
واركن للجواب متن جواد

للمسائل^(١) كائنا من كانا
واصرفن نحوه- أعنت-^(٢) العنانا

(١) فى هامش المطبوع: «فى البيت المعاقبة وهى مما لا يجوز فى الصناعة كما نبه عليه قريبا
هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «المراد واصرفن العنان نحوه أُعنت هـ مؤلف».

لا برحت إلى المعالي مضيفا
ومعدا لما يدق البيانا
فأجابه بقوله:

يا إماما حوى المحاسن واقتنا
د المحامد وارتدى العرفانا
كائننا فى التركيب حال لما قب
ل ومن^(١) خبر له قد بانا
وهو موصوف ذو التمام قد ج
لى الغموم مبينا تبياننا
كانتماء أبى على وناهيه
كان لا أرى علاء لمن يب
غى على الناس كائننا من كانا
فابلونه وأعمل الفكر فيه
تشهد الحق ساطعا برهانا
فلأنت الخبر الذى فاق نبلا
وذكاء ورفعة وامتنانا

وقوله ملغزاً فى الواد من ودى يدى إذا أعطى الدية:

أيا من غاص فى بحر المعانى
وكم من غامض أبدى وكامن
بواد قد مررت اليوم يجرى
بلا ماء وما إن قلت مائن
وأجاب عنه صاحب المنحة بقوله:

فيا لبيك قد أسمعت حيا
لغيرك خذ جوابه عن معاين
بواد من وداه يديه حقا
أردت اللغز لا واد مباين
وقوله معاتباً أبا عثمان سعيد العميرى على عدم دعوته إياه لبعض الولايم:
يا مولما أو مؤلما إذ لم يكن
منه الدعا لما دعى بالشامل

(١) فى هامش المطبوع: «فى البيت توالى سبين مزحوفين معا وهو مما لا يجوز، إذ يجب سلامة أحدهما لقول صاحب الخرجية:

إذا السبين استجمعا لهما النجا أو الفرد حتما فالمعاقبة اسم ذا هـ مؤلف»..

ما مقتضى التخصيص من دعواتكم وإخال موجب ذاك فقد الجادلى
عجب لأيام تهين أخا حجبى وتحب إكرام الغبى الجاهل
هذى مداعبة أبا عثمان قد جادت بها لكم قريحة حامل
ما ضره عدم الظهور فقد يرى عمل على إضماره للعامل
خذا شذاها ضائع لكنها من بحر فضل وافر أو كامل
وعليكم أزكى سلام طيب ما قيل للعالى اعتبر بالنازل
إلى غير هذا مما يطول:

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد العربى بن محمد البصرى صاحب
منحة الجبار.

وفاته: توفى ليلة الخميس السابع عشر من ذى القعدة سنة ست وعشرين
ومائة وألف، ودفن قرب ضريح أبى العباس أحمد الحارثى، وهو الآن بداخل قبته
مكتوب على حائط قبره اسمه وتاريخ وفاته.

٢٥٩ - محمد بن عبد السلام البيجرى.

حاله: فقيه أديب، نزيه لبيب، تحرير مشارك خطيب بليغ مصقع، مدرس
نفاع نقاد، مقتدر ماهر، متضلع مطلع، له مشاركة تامة فى المعقول والمنقول، تولى
خطة القضاء بالحضرة المكناسية على عهد السلطان مولانا عبد الله بعد عزله لأبى
القاسم العميرى، وذلك عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ثم عزله وولى مكانه
السيد عبد الوهاب بن الشيخ كما فى الدر المنتخب، وتولى الإمامة والخطبة
بالقصة السلطانية الإسماعيلية وقضاء الجماعة، وقفت على عدة من خطباته
والتسجيل عليه بتاريخ عام ثمانية وخمسين ومائة وألف.

وكان حسن السيرة، نقى السريرة، قال بعض الأعلام الأثبات تكلمت معه
يعنى المترجم فى مسائل على سبيل البحث منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنفال: آية ٢٣] هل
هذا قياس واحد، وظاهر نتيجه ولو علم الله فيهم خيرا لتولوا، إلخ. وهو فاسد
أم قياسان؟ وكيف يستقيم تقدير الآية؟ فحاول الجواب ولم أسلمه له، ثم أخرج
بعض التفاسير ووقفنا على تقدير الآية ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم سماع
قبول، ولو أسمعهم ولم يعلم فيهم خيرا لتولوا وهم معرضون، فاتضح المراد.

ومنها قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ
الْخَاطِئِينَ﴾ [سورة يوسف: آية ٢٩] فإن قياسه من الخاطئات، فما وجه
العدول عنه، فأجابنى بنص صاحب التخليص فى قوله: والتغليب يجرى فى فنون
كثيرة كقوله تعالى: ﴿... وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [سورة التحريم آية ١٢] فقلت
له: وجه التغليب هنا ظاهر، فإن مريم رضى الله عنها لكثرة قنوتها شبهت
بالرجال الموصوفين بالقنوت، ففيه مدح لا بخلافه فى هذه الآية الأخرى، فقال:
إن زليخا هنا لما كان الخطأ يصدر منها قليلا أخرجها عن جنس النساء الموصوفات
بوقوع الخطأ منهن كثيراً فإنهن ناقصات عقل ودين، وشبهها بالرجال الذين من
وصفهم عدم صدور الخطأ الكثير منهم غالباً.

مؤلفاته: منها شرحه المرقص المطرب على السنوسية المسمى بفتح الرحمن،
لأقفال أم البرهان، فى مجلد ضخمة أبد أفیه وأعاد، وحرر وهذب، ونقح وأجاد،
برهن فيه عما رزقه من طول الباع، وسعة الاطلاع.

شعره: من ذلك قوله يمدح الإمام الفاتح مولانا إدريس الأكبر بن عبد الله

الكامل:

تنبيه فما شأن الذكى الفتى الحر
ولكن على ذى العقل إن كان حازما
فإن كنت حيرانا ولم تلف هاديا
تحقق بأن الله ليس لغيره
كن قارعا أبواب رحماه بالدعا
وإن قيل أبواب الولاية ترحزحت
فباب رسول الله وهو طريقه
إمام تعالت فى المعالى سماؤه
به اشتهر الإسلام فى الغرب كله
وعنه روى الأعلام وأحكام شرعنا
ومنه سرت فى العارفين سرائر
وكم حاز من فضل وأحرز من على
إلى أن قال:

فقير أتى نحو الحمى وهو ينتمى
يرجى قبولا منكم ولعل أن
فيسمو بإدراك العلوم وذوقها
فيا رب أنت الله يا متهى الرجا
بخير البرايا المصطفى وبزوجه
وبابنته الزهراء والفرقدين من

تراخ وذو الحاجات قد جد فى السر
نهوض إلى إدراك ما رام من أمر
فإنى سأهدى حائرا رغبة الأجر
كثير ولا نزر من النفع والضرر
تل كل ما ترجو سريعا من الخير
لغلق فلا تئس من الفتح والنصر
بمغربنا مولاي إدريس ذو الفخر
وآياته كالشمس لاحت على القطر
فأصبح محفوظ الجناح من الكفر
بتفصيل إجمال الإباحة والحظر
فنالوا منا لا من خصوصية السر
يجل عن الإحصاء والعد والحصر

إلى حب آل البيت فى السر والجهر
ينال الأمانى من مسالمة الدهر
على كل تحرير تنبل فى العصر
قريب مجيب كل داع ومضطر
خديجة أنس الدين فرض لها شكرى
سماء على ليث أسد بنى النضر

وبالحسن بن السبط ثم بنجله
 بمولاي إدريس الزكى وبابنه
 تقبل دعائي يا إلهى بجاههم
 وعامل بإحسان لصحبي وجيرتي
 وثبت على الحسنى فؤادى ومنطقى
 وصل وسلم كل يوم وليلة
 وأول الرضا الآل الكرام وصحبه
 وما اخضرت الأرجا وأخصبت الربى
 وأبى الفخر عبد الله سر سنا الفخر
 خليفته السامى المكانة والقدر
 إليك وعجل بالإجابة عن فور
 وأهلى وأولادى وبالعفو والستر
 لدى الختم واغفر ما جنيت من الوزر
 على الشافع المقبول فى موقف الحشر
 ذوى البر ما فضت كمائم عن زهر
 وصاح مغرد بمبتسم الفجر
 وقوله:

أهـدى إـلى وردة ظبى ثوى بقاعها^(١)

كناسه مكناسة يسكن فى بقاعها

مشيخته: أخذ عن والده أبى محمد عبد السلام، وأبى عبد الله محمد بن محمد المكارى الرباطى ومن فى طبقتهما من الأعلام.

الأخذون عنه: أخذ عنه ولده المترجم بعد وغيره.

٢٦٠ - محمد بن الحسن الملقب بالجنوى الشريف الحسنى العمرانى.

نزىل مكناس.

حاله: إمام نظار، علامة مفسر محدث، متكلم أصولى، نحوى بيانى، فقيه

(١) فى هامش المطبوع: «يشير إلى الحومة الشهيرة بمكناس بقاع وردة».

٢٦٠ - من مصادر ترجمته: تذكرة المحسنين فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٣٢.

محاضر مستحضر، متفنن نقاد، متبحر نحير، متضلع ماهر، كامل المشاركة، كبير الإشراف على الفروع والأصول، والتبحر فى المنقول والمعقول، والعارضة الطويلة فى الاطلاع والحفظ والفهم الصائب والإتقان الوافر، مع المعرفة بالله والورع التام والاعتناء بالتقيد والمطالعة والإقبال على ما يقربه إلى الله زلفى.

نشأ بمدشر ازجن من قبيلة سمانة، وهنالك قرأ القرآن العظيم، ثم رحل فى طلب العلم بالقصر الكبير ثم بتازروت العلمية زاوية الشرفاء أولاد ابن ريسون، ثم لتطوان، ثم لفاس وجد واجتهد حتى حصل فى المعلومات الضافية غاية المراد.

شهد له بالإمامة فى سائر الفنون جلة أعلام وقته مشايخه وغيرهم، وحصل له ظهور وشفوف مكانة عند عظماء وقته، وخضعت له أعناق الرؤساء والمرءوسين، وتصدر للإفتاء والإفادة بمرأى من مشايخه ومسمع، بل ربما قدموه للجواب عما ورد عليهم من الأسئلة وما يعرض لهم من النوازل المهمة، والعويصات المدلهمة، فيجيب بما يثلج الصدور، ويذهب ضنا المصدور.

قال تلميذه سيدى محمد فتاح الرهونى: ولقد رأيت شيخه التاودى يسأل عن المسائل بحضرته فيكل الجواب إليه فيجيب على البديهة أحسن جواب، ولقد قدم الشيخ التاودى مرة تطوان وأنا بها فحضرت معه ليلة فى دار بعض شيوخنا ومعه شيخنا الجنوى - يعنى المترجم - وجماعة من الفقهاء فقال التاودى: سألتى بعض الناس وأنا راجع من المشرق عن آية كذا سماها إذ ذاك ونسيتها الآن فلم أدر ما أقول له فهل على بالكم شىء؟ فأجابه شيخنا الجنوى على البديهة بأن قال له: فيها ثلاثة أقوال للمفسرين المشهور منها كذا كما فى ابن جزى، فطلب التاودى ابن جزى فأحضر فى الحين فنظروه فوجدوا الأمر كما قال، وهكذا كان دأبه رضى الله عنه علمه معه أين ما كان.

وكان فى تدريسه لا يقتصر على شرح معين بل يطالع ما أمكنه من الشروح والحواشى ويراجع المسائل فى أصولها ويعارض بين النقول، ويبين المردود منها والمقبول، هكذا كان دأبه فى التفسير والحديث والكلام والفقه والأصول والنحو والبيان والمنطق والتصوف، موصوفاً بالتحقيق والإتقان عند الخاص والعام، مرجوعاً إليه فى العضلات العظام، مقدماً فى كل فن وخصوصاً فى النوازل والأحكام، لا يكاد يخالف فتواه أحد من القضاة والحكام، مع مروءة تامة، ودين متين وخوف من الله عظيم، وورع جسيم، لا يخالف قوله فعله فى شدة ولا رخاء وكانت مجالسه كلها لا تخلو من مواعظ فلا يقوم الإنسان من بين يديه فى أى فن كان غالباً إلا وقد أخذت مواعظه منه مأخذاً، ولا يختلف فى صلاحه ومعرفته اثنان من الصلحاء.

وقد سمعت العلامة قاضى الحضرة الإدرسية فى وقته أبا محمد سيدى عبد القادر بوخريص رحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه يقول: وبلغنى عنه ممن سمعه من الثقات أنه كان يمثل للمبرز فى الصدر الأول بسيدنا عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك بأبى محمد صالح، ويمثل له اليوم بسيدى محمد بن الحسن الجنوى، وكلامه هذا موافق فى المعنى لقول سيدى جسوس فيه: وحيد زمانه، وفريد عصره وأوانه، علماً وعملاً ويأتى كلامه بتمامه.

وكان يخفى صلاحه كثيراً، ومما كاشفنا به مرة وهو ملازم بوزان وكانت الأسئلة والرسوم ترد عليه كثيراً وكنت أنا خديمه ومتولى أمره بإذنه أنه قال: قال لى أصحابنا الذين كانوا معنا إما أن تأخذ الأجرة من أرباب الرسوم، وإما أن تتركنا نتولى أمرها، وكان رضى الله عنه لا يأخذ على ذلك أجراً فقلت لهم: أنا لا آخذ من أحد شيئاً، وإن أردتم أن تتولوا ذلك بأنفسكم فافعلوا ونحن فى مكاننا ليس معنا أحد ولم يطلع على ذلك إلا الله تعالى.

فلما اجتمعنا معه رضى الله عنه على الطعام قال لنا من غير تقدم كلام: إنى حين كنت ملازما هنا قبل هذا كان رجل يدخل لى الرسوم من عند الناس ويخرجها لهم، وكنت أحبه ظناً منى أنه يفعل ذلك لوجه الله تعالى، حتى علمت بعد أنه كان يفعل ذلك لياخذ منهم الدراهم فسقط من عيني وتركته، فخجل أصحابنا خجلاً شديداً، وعلمنا أن ذلك مكاشفة لا شك فيها، وكان ذا سخاء عظيم مضيافاً محباً للمساكين محسناً إليهم.

وكان فى أول أمره منقبضاً عن السلطان جدا لا يرسل إليه ولا يرأسله، إلى أن سأل مرة أمير المؤمنين، ناصر الملة والدين، ذو الشرف الأئيل، مولانا محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، التاودى عن فقهاء الوقت فذكره وأثنى عليه بين يديه ثناء كثيراً، فأرسل وراءه وهو إذ ذاك ملازم بوزان، فذهب مع بعض أعوانه هناك فلقية بمكناسة الزيتون فأمره بسكنها بقصد التدريس بها فلم يجد من امثال أمره المطاع بدا، فسكنها مدة ثم نقله إلى ثغر طنجة فأقام بها مدة ثم نقله إلى تطوان. هـ الغرض من حاشية الرهونى.

قلت: انظر همم الملوك التى هى ملوك الهمم، واهتمامهم بالتنقير عن حملة الشريعة فى رعاياهم ليقدرهم قدرهم وينزلوهم محلهم، ويظهروا للخاص والعام فضلهم وشرفهم على من سواهم، وانتقاء جلتهم لبث العلم ونشره فى صدور الرجال كى يسود العلم فى رعاياهم، وتكسر راية الجهل فيهم، حيث إن العلم أصل أصيل للرقى والاستعمار والتقدم والنجاح المادى والأدبى الدنيوى والأخروى والعكس بالعكس:

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

مشيخته: أخذ عن العلامة المشارك سيدى التهامى أبى الخارق الحسنى، سرد عليه شرح الكبرى، والعلامة القاضى سيدى المجذوب بن عبد الحميد الحسنى،

والمحقق الورع أبى العباس أحمد بن محمد الورزازى سمع عليه صحيحى البخارى ومسلم، فالأول سمعه كله إلا مواضع قليلة لعذر ورد، الشيخ يقرأ والمترجم يسمع، وأما الثانى وهو صحيح مسلم فسمعه كله عليه، المترجم يقرأ والشيخ يسمع، وقرأ عليه نحو ثلاثة أرباع من تفسير البيضاوى مع مطالعة غيره، وقرأ عليه الشمائل الترمذية، ومختصر خليل، وجمع الجوامع، والتلخيص إلا القليل منه، ومختصر السنوسى فى المنطق، وقرأ عليه شيئاً من التسهيل كما ذلك بخط يد المترجم فى إجازته للحضيكى ومنه نقلت، وشيخ الجماعة سيدى محمد بن القاسم جسوس قرأ عليه كثيراً من المختصر الخليلي، وصحيحى البخارى ومسلم، والحكم العطائية وغير ذلك كما ذلك بخط يده فى الإجازة للحضيكى.

وأبى حفص عمر الفاسى قرأ عليه التلخيص بالمطول إلا مواضع قليلة، وصغرى السنوسى قراءة تحقيق، ونحو النصف من ابن السبكى قراءة تحقيق أيضاً والشيخ التاودى ابن سودة وغيرهم، وأجاز له عامة أبو محمد بن قاسم جسوس المذكور والشيخ محمد الحفنى: الأول يروى عن سيدى عبد القادر الفاسى المولود بمدينة القصر الكبير قصر كتامة زوال يوم الاثنين ثانى رمضان سنة سبع وألف المتوفى بفاس ظهر يوم الأربعاء تاسع رمضان سنة إحدى وتسعين وألف قرأ عليه ألفية ابن مالك وغير ذلك، وأبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الصغير المتوفى ضحوة يوم الجمعة خامس عشر المحرم عام أربعة وأربعين ومائة وألف، وأبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس المتوفى مخنوقاً ليلة الخميس خامس عشر ربيع النبوى وقيل منتصف ربيع الثانى عام واحد وعشرين ومائة وألف، وأبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوى الدلائى المولود بزوايتهم الدلائية البكرية سنة اثنتين وسبعين وألف المتوفى بفاس سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة ألف، وابن عبد السلام بنانى المتوفى ضحوة يوم الأربعاء سادس عشر قعدة الحرام سنة ثلاث

وستين ومائة وألف، وأبو عبد الله محمد فتحا بن عبد الرحمن بن زكري المتوفى ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر الخير عام أربعة وأربعين ومائة وألف وقيل توفى فى ثامن عشرى صفر من العام المذكور وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

والثانى عن الشهاب أحمد الخليفى المتوفى عصر يوم الأربعاء خامس عشر صفر سنة سبع وعشرين ومائة وألف ودفن من غده صباحا، والشهاب أحمد الملوى المتوفى منتصف ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، والجمال يوسف الملوى، والكمال عبد الرءوف البشيشى المتوفى فى منتصف رجب سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، والشيخ عيد الديوى، والشيخ عيد النمرسى، والشهاب أحمد بن البقى، واستدعاء المترجم الإجازة لمن ذكر مع نصوص إجازاتهم له مسطور فى ديباجة أوضح المسالك وأسهل المراقي لتلميذه أبى عبد الله محمد الرهونى.

الآخذون عنه: أخذ عنه الشيخ الرهونى، والعلامة الحائك صاحب النوازل، وبصرى صاحب الفهرسة الآتية ترجمته وغيرهم من الأعلام المشاهير.

مؤلفاته: كان شرع فى تقييد حاشية على ابن سلمون، ثم لما نقل إلى بلدنا المكناسية شغل بالتصدي للتدريس عن إتمامها، وله تقايد على حواشى كتبه من كتب التفسير وغيره، فلو خرجت طوره على الزرقانى والخطاب والمواق والشيخ مصطفى والشيخ بنانى لكانت حاشية عظيمة الجرم، وله طرر حسنة على الشيخ ميارة على التحفة قد أخرجها جماعة من حذاق تلامذته، وطرر على المردى والتصريح وحاشيتى الشيخ يس عليه وعلى النظم لو أخرجت لكانت تأليفا حسنا مفيدا، وكذلك حواشيه على البيضاوى وعلى الجلالين، وكذا ما كتبه بحواشى المحلى على جمع الجوامع، وابن أبى شريف عليه وناهيك من أبحاثه وتحقيقاته ما ملأ به تلميذه الرهونى حاشيته العظمى نقلا عن خط المترجم.

ولادته: ولد في شهر رجب الأصب بمدشر ازجن المشار عام خمسة وثلاثين ومائة وألف.

وفاته: توفي بمراكش زوال يوم الاثنين ثالث عشر رمضان سنة مائتين وألف، ودفن عند الغروب بروضة مولاي إبراهيم الشريف العلمى من حومة القصور الشهيرة.

٢٦١ - محمد بن العلامة النظار محمد بن عبد السلام البيجرى المكناسى.

حاله: فقيه علامة، فاضل كامل، من بيت علم ومجد وقضاء، أديب شهير، حسيب نسيب، أريحي مهذب، ناثر ناظم خير، كان وحيد عصره نظما ونثرا، وظرفا ولطفًا ونبلًا وأدبا وخبرا، وقريحة سيالة، وأجوبة بديهة مسكتة، مع مروءة وحياء وحشمة وسمت حسن، ودين متين، تعرض لذكره ابن عثمان المترجم بعد في رحلته المشار لها، وأتى بما تعاطاه معه من رائق مدام الآداب والظرف نظما ونثرا.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد الغازى بن عبود وغيرهما من فحول الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد فتحا بن محمد بصرى الآتى الترجمة وصاحب الثبت المشار له في ترجمة السيد التهامى أمغار وغيرها صغرى السنوسى، وتلخيص المفتاح، وألفية ابن مالك من النواسخ إلى الوقف، والحزرجية وغير ذلك، ووصفه بالعلامة الدراكة الفهامة سيدى محمد بن الإمام العلامة الهمام فريد عصره سيدى محمد بن شيخ أهل زمانه المنفرد فى عصره وأوانه، سيدى عبد السلام إلخ، وحلاه فى موضع آخر بالأديب الألمعى، الأحوذى اللوذعى، كما أخذ عنه غيره.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا خله ابن عثمان عند أوبته من الديار الحجازية
أنشأها حين بلغه نزوله بتونس آيبا:

منذ جاءت من تونس أخبار	تاق قلبى فما له استقرار
سدان عندى فلم يسع إنكار	توقان وأنس اجتمع الضد
تترامى دأبا به الأسفار	باشتيق لمفرد فى المعالى
صافه قد تؤنس الأفكار	والتأنس بالتفكر فى أو
مد فذاك السيار والدوار	قمر المجد سار فى فلك السعد
له فى غاية له اقصار	وتحرك ذا بتحريك هذا
منه متصل وتدنو الدار	أترى يسمح الزمان بقرب
فى منادمة له أسرار	فندال من النوى بسرور
طاف فيما جرت به الأقدار	مثل ما قيض الإله له الألد
بالمنى فى الهنا له استقرار	نرتجى دومه عزيزا كريما
	وقوله:

وعظيما جل إلفا	يا كريما عز وصفا
كل من بالعهد وفى	أنت أولى بالوفاء من
فهت اكرم صاح ضيفا	فاجمع الشمل كما قد
إلفه فى ذاك عرفا	إنما ينفع إلف
بل يقينا منك يلفى	هكذا المزحة ظنا
شأنها عندك خفا	إنك المرء احتمالا

فلتكن ساكن بال ذو النهى إن هم عفا

كيف لا والشيب عال رأسه والماء جفا

لكن الأليق حزم ومن المحذر خوفا

فاسترب من يتزكى واحذر المؤلف إلفا

وقوله مجيبا إلفا له استدعاه:

السمع والطاعة منا لكم واجبة والأمر ممثّل

نأتى على الرأس لمجلسكم إن لم تسارع نحوه الأرجل

نشره: من ذلك قوله مراسلا خله المترجم بعد: المبرز فى العلا، المحرز للمعلى، محبى فصاحة الأوائل، ومعبى سحبان وائل، كرم الله طلعتة، وحتم على الدهر طاعته، هذا وما عسيت أحلى، ولو حصلت لى ملكة المحلى، وأنت أعزك الله السفير بين الملوك، والوزير الذى هو فى عقد الوزارة فاخرة السلوك، فأنى يوصل إلى الأوج من فلك مجدك، ولا يقال للزوج إن له معنى من معانى فردك، بيد أنك حفظك الله كريم الأخلاق، وحضرتك العلية حضرة الإطلاق، فبساط أنسك لاشك أنه أرفع، لكن انبساطك فيه أوسع للنفس وأنفع، وهو وإن كان به الفرش المرفوعة، والأكواب الموضوعة، وألوان الطعام، مما طار كما قيل وعام، أو من غيرهما كذلك المشرب بالطيب، المشبه بقلنسوة الخطيب، فخطابك البليغ أفضل من ذلك كله وأجمل، ومنزعك اللطيف أوصل للنفوس بها وأحل، لأن ذوق معانى الكلام، ألد من ذوق ما فى الإناء من الطعام، ومما هزنى من ذلك الكلام، ولزنى فى المداعبة معك كما لز الألف مع اللام، ما أودعته فى رسالة الاستدعاء، من قولك والساق مشمر عن ساق، فإنه ذكرنى قول بعض المقاول:

لم أنس يوما ما قام يكشف عامدا عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجب إن قامت لذاك قيامتى إن القيامة يوم كشف الساق

وإني لما حضرت ذلك المجلس الأبهـر، وأظهر فيه الساقى من شمائله ما أظهر، إنما تاه فكرى فى لطف مناولته، ووصف مطالعته لرضاك ومحاولته، فغبت بذلك عن ملاحظة الساق المشمر عنه، بل وعن الساعد الذى كان أقرب إلى منه، نعم أتهم لك نفسى بنظرة أولى لمحياء، وكان القلب بها حياه، لكن قلت فى الحين على الشذوذ إياى وإياه، فلعل السيد لنفسه هياه، والنظرة الأولى كما علمت معفو عنها، وإذا سمح قدرك العالى بالمداعبة معنا فهذا منها، والسلام.

وقوله مجيبا صديقه الحميم المذكور، عن رسالة تزرى بقلائد النحور: سيدى أدام الله لك السعادة، ولا قطع عنك من الإنعام ومديد الإكرام كما لم تقطع عادة، ان هذه النفوس كما جاء تصدى كما يصدى الحديد فتأكد لذلك صفالتهـا التى هى لنورها كالتجديد، وأن مما اتفق عليه رؤساء الحكماء، وأطبق عليه نجباء العلماء، أنه لا بد لها من رياضة، إذ التدريج حكمة هذا العالم وإن كانت القدرة فياضة، وصاحب القصر يهوى قبابه، وتارة رياضه، ويستحسن من أزهاره المختلفة ما خالطت حمـرته بياضه.

ولذا قيل:

لا يصلح النفس إذ كانت مدبرة إلا التنقل من حال إلى حال
وكما قيل أيضا:

تنقل فلذات الهوى فى التنقل ورد كل صاف لا تقف حول منهـل
وفى المعنى:

أفد طبعك المكدود بالجد ساعة يريح وعـلله بشىء من المـزح

البيتين . . وقد علمت أعزك الله أن اللذة انبساط باختلاس ، وأكل اللذات استنباط حكم همم الجلاس ، لأن همة المرء ميزان عقله ، وبرهان فضله ، وأكثر ما تظهر في قوله ، المرء مخبوء تحت لسانه ، وقد كان من تقدم من الكبراء والأمراء والوزراء يستعلمون جل أوقاتهم في هذا المعنى ، يولعون به ويعنون أجل بذلك يولع وبه يعنى ، إلخ .

وفاته : توفي فجأة في ثامن عشر رجب عام خمسة ومائتين وألف .

٢٦٢ - محمد بن عبد الواحد بن الشيخ الأموى المكناسى .

حاله : فقيه نبيه ، زكى وجيه ، مشارك متفنن نزيه ، بذّا حلاّء العلامة أبو عبد الله محمد فتحا بن محمد الطاهر الهوارى ، وقال فى حقه أبو حامد العربى بن على القسطنطينى ما لفظه : ممن ظهرت فى تحصيل العلوم رغبته ، وبانت فيه مرتبته هذا على صغر سنه وشبابه ومع ذلك لكمال عقله بتوفيق الله إياه ، صادف الصواب فى إدراك العلوم ، وأتى البيت من بابيه فما أحقه بقول من قال ، وأحسن فى المقال :

إن الهــــــــلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

ووصفه أبو محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران بقوله : الفقيه النجيب الدراكة اللبيب .

مشيخته : منهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصرى ، وأبو عبد الله محمد التاودى بن الطالب بن سودة ، وأبو عبد الله محمد بن محمد الطاهر الهوارى ، وأبو حامد العربى بن على القسطنطينى الحسنى ، والحارث بن المفضل الحسينى الحسنى ، وأبو عبد الله محمد بن محمد البيجرى الأندلسى ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بنيس الفاسى ، وأبو العباس أحمد بن على الحسنى المدغرى ،

والطيب بن عبد المجيد بن كيران، وحمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمى، وغيرهم وأجازه جميعهم عامة، ووقفت على نصوص إجازاتهم له تركت جلبها اختصاراً.

الآخذون عنه: من أجلهم مسند فاس فى عصره أبو محمد التهامى بن المكى ابن رحمون الإدريسي، وأجازه عامة وقفت على إجازته له بخطه.

وفاته: توفى فى خامس عشرى جمادى الثانية عام ستة ومائتين وألف، حسبما وقفت على ذلك بخط تلميذه ابن رحمون المذكور بطرة إجازته له.

٢٦٣ - محمد بن الحسن الوكيلى.

حاله: العلامة الأكبر، المحقق المدقق، المشارك فى الفروع والأصول، الباهر فى المعقول والمنقول، المدرس النفع، المنضلع الكثير الاطلاع.

مشيخته: أخذ عن سيدى أحمد بن عبد العزيز الهلالى ومن فى طبقة.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بصرى مؤلف إتحاف أهل الهداية ألفية ابن مالك، وشفاء عياض، وهمزية البوصيرى، والخزرجية، وتلخيص المفتاح، ولامية الأفعال وغير ذلك، وروى الموطأ من طريقه.

شعره: من ذلك قوله يرثى شيخه الهلالى:

سير الجبال من أكبر العلامات	على الفنا والزوال والقيامات
وهو الدليل على أن لا بقاء سوى	مالك الملك بارئ الخليقات
مفنى الدهور وقاصم الظهور وقا	سم الشهور لأيام وساعات
إلى أن قال:	

فى كل يوم له شأن يفصله	لدى خلائقه من المرادات
------------------------	------------------------

إلى أن قال :

فكلهم عرضة لكل آفات
دامت وعمت لأفراد البريات
أعصارهم من غرائب الصناعات
يجبى إليهم من أقطار بعيدات
وما جرى فيهم من العقوبات
وما لساسان من آى عجيبات
به الردى فهوى بعد المجارات
وما أعد لملك من خزانات

قضى على خلقه بالموت أجمعهم
قضية سورها الكلى موجبة
أين القرون الألى مضوا وما صنعت
أين الملوك وأبناء الملوك ومن
وأين عاد الأولى وأين قوتها
وأين شدادهم وأين تبعهم
وأين دارا وقــــد أدار دائرة
أين الحكيم وما حواه من ذهب

إلى أن قال :

وأين ما دوخوا من البلادات
وما لهم من وقائع غريبات
من زهرة وأفآخر النعومات
حتى سقاه الردى كأسا بأغमत

وأين أبناء مروان وملكهم
وأين ملك بنى العباس بعدهم
وأين أندلس وما بحوزتها
أين ابن عباد أين ملك أسره

إلى أن قال :

م الخطب منه الورى حتى الجمادات
طود العلوم وقدوة لقادات
مجدد الدين غاية النهايات
هد الجبال ووقعة السماوات

مات الهلالى واختل النظام وع
مات الإمام الذى عمت فضائله
شيخ الشيوخ فريد العصر قاطبة
فيالها فجعة حق لوقعتها

عم الصدا وعيون الأرض قد ييست
وغيض بحر الندى مع الإفاضات
إلى أن قال:

وليبك من فقدته الإسلام أجمعه
فالشرق والغرب فيه فى مساوات
ولتبك عنه كراسى ومنبره
حتى اليراع لفقده الكتابات
وهى طويلة:

وفاته: توفى بعد ستة ومائتين وألف.

٢٦٤ - محمد فتحا بن محمد بن سمية بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر
ابن عبد الرحمن بن ولى الله أبى موسى عمران.

البصرى بالتعريف الأصل، المكناسى النشأة والدار، هكذا قال عن نفسه فى
استدعاءاته للإجازة من مشايخه.

حاله: فخر مكناس، وواسطة عقد أفراد السراة الأعلام، رواية رحالة،
علامة أثرى محدث مسند، مقرر حافظ لافظ، جماع مؤرخ، حجة فاضل جليل،
نبيل أصيل، مدرس نفاع، له مشاركة تامة وقدم راسخ فى العلم والدين والجلالة،
ذو قلم بارع وإلمام بالمهمات، رحل إلى فاس وقضى بها زمنا فى الأخذ عن أئمتها
الأعلام إلى أن ملأ من المعلومات الجراب، وأقر له بالتفوق فى سائر الفنون صدور
الشيوخ، ثم رحل للمشرق وحج وزار، ولقى الأخيار، ودخل مصر وغيرها من
الأقطار، واستفاد وأفاد، وكانت رحلته للحج سنة ثلاث ومائتين وألف حسبما ذكر
ذلك عن نفسه لدى إيراده للحديث المسلسل بالضيافة.

مشيخته ومروياته: أخذ عن والده العلامة الزاهد محمد بن العلامة محمد
ابن الإمام الخير الألعى عبد الرحمن البصرى السابق الترجمة، قرأ عليه بعضا من
الرسالة والألفية، والمختصر، والمرشد، والأجرومية مرارا، وسلكات من سور

القرآن، والترغيب والترهيب للمنذرى، والذخيرة للشرقاوى، وأخذ هو عن أولاد العميرى وغيرهم.

وأخذ عن الغازى بن العربى بن عبود المتوفى فى التاسع والعشرين من صفر عام سبعة وثمانين ومائة وألف الألفية والمختصر، واللامية والجمل، والصغرى والقلصادى، والآجرومية، وابن عاشر، والرسالة، واصطلاح القاموس، وبعض التفسير، والبخارى، والتلخيص.

وأخذ عن أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد السلام البيجى ما تقدم ذكره فى ترجمته.

وأخذ عن أبى حفص عمر بن الحسن الصنهاجى المتوفى فى الثانى والعشرين من جمادى الثانية عام سبعة وتسعين الألفية، والمختصر، والآجرومية، واستفاد منه كثيرا.

وأخذ عن أبى محمد المهدى بن العلامة الطيب بن الصغير بصرى المتوفى فى العشرين من جمادى الأخيرة عام ثلاثة وتسعين الألفية، والمختصر، والآجرومية، والصغرى.

وأخذ عن أبى عبد الله محمد بن القاضى الطيب بصرى الآتى الترجمة الألفية، وبعض المختصر.

وعن التهامى بن الطيب أمغار السابق الترجمة، قرأ عليه الألفية واستفاد منه فوائد علمية.

وعن العلامة أبى عبد الله محمد بن الحسن الوكيلى المترجم قبله.

وعن الإمام محمد الجنوى الحسنى، قرأ عليه المختصر، والبخارى، والتلخيص، والألفية وابن السبكى.

وعن الشريف مولاي محمد بن السيد تلميذ أبى العباس الهلالى قرأ عليه السلام، واستفاد منه .

وعن العلامة المقرئ السيد مبارك الشيطمى السالف الترجمة، قرأ عليه القرآن العظيم مرات متعددة بما يحتاج إليه من رسم وضبط وغيرهما .

وعن أبى عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسى .

وعن العلامة أبى عبد الله محمد بن أحمد بنيس، وعن الشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائرى، وعن الشيخ عبد العزيز بن حمزة المراكشى .

وأخذ عن العالم الموقت أبى عبد الرحمن محمد السعيدى بن الموقت عبد القادر بن الموقت محمد بن الموقت عبد الرحمن بن محمد الفاسى به عُرِف، الشاوى المعزوى المترجم جده فيما تقدم، قرأ عليه التوقيت علما وآلة قراءة تحقيق، وإمعان نظر وتدقيق .

وعن الموقت ابن عبد الله محمد بن الفقيه محمد بن أحمد المصمودى، قرأ عليه التوقيت أيضا علما وآلة .

وأخذ عن العلامة أبى عبد الله محمد بن الحسن بنانى محشى الزرقانى المتوفى عام أربعة وتسعين، التفسير، والكتب الستة، والموطأ، ودلائل الخيرات، ووظيفة الشيخ زروق، وأحزاب الشاذلى، وحزب النووى، وحزب الفلاح، والمشيشية، وحسن الحصين، والحكم، والنصيحة الكافية، والتسهيل، والألفية، والمختصر، وألفية العراقى فى الاصطلاح، وسنن المهتدين، والتوضيح، والصغرى، وعقائد النسفى، وتحفة ابن عاصم، وأقرأ بحضرته وحضه على الدءوب على ذلك .

وأخذ عن العلامة سيدى زيان العراقى المتوفى فى الثامن والعشرين من جمادى الأول عام أربعة وتسعين لازمه أربعة أعوام ونصفا صباحا ومساء، كان يقرئ التفسير فى الغلس وبعده فى مجلس واحد البخارى، وفى الضحى المختصر، وبعد الظهر التسهيل، وبين العشاءين المرشد وغير ذلك مما كان يتداوله إذا فرغ من بعض تلك الكتب.

وعن الشيخ التاودى ابن سودة لازمه مدة مديدة وقرأ عليه التفسير، وبعض المختصر، وابن عاصم، والزقاقية، والألفية، وجامع الشيخ خليل، وابن السبكي، والحكم، وبعض الكتب الستة، والموطأ والشماثل، والدلائل ووظيفة زروق، وحزب الشاذلى الكبير والصغير، وحزب النووى، وحزب الفلاح للجزولى، والمشيشية، والحصن واستجازه فأجازه وأقرأ بحضرته فرضى بذلك وحضه على الدعوب على ذلك.

وعن العلامة الداركة الشيخ عبد الكريم بن عمر بن على بن أبى بكر الزهنى المعروف باليازغى المتوفى أواخر عام مائتين وألف لازمه مدة مديدة، وقرأ عليه الموطأ وأوائل الكتب الستة والألفية، والمختصر، والسبكي، والمغنى، واستجازه فأجازه.

وعن العلامة أبى محمد عبد القادر بن أحمد بن العربى بن شقرون، لازمه سنين عديدة، وقرأ عليه المختصر، والألفية، واللامية، والتلخيص، والسلم وأوائل الموطأ، والصحيحين، والشماثل، والشفاء.

وأخذ فى رحلته الحجازية عن الشيخ مرتضى الحسينى الزبيدى الحنفى، والشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير، والشيخ أحمد بن موسى البيلى - بكسر الموحدة - المالكيين، والشيخ سليمان العجيلى - بكسر المهملة وفتح الجيم وسكون الياء وكسر اللام مشبعة - الشهير بالجمال، والشيخ محمد بن

أحمد الجوهري بضم الجيم الخالدي، والشيخ أحمد العروسي، والشيخ عبد الوهاب بن محمد بن علي الشبروي المصري الشافعيين، والشيخ صالح بن يوسف بن مصطفى المقدسي الحنبلي الأزهرى شيخ حنابلة مصر.

أما مروياته فقد أخذ رواية ورش عن شخيه الشيطمي، وهو عن الأستاذين السيد علي الخراز والسيد المهدي بن الحاج أحمد بن موسى بارة المتوفى سنة ثلاث وسبعين بتقديم السين ومائة وألف، كلاهما عن سيدى إدريس المنجرة.

وأخذها أيضا عن محمد بن عبد السلام الفاسي عن عبد الرحمن المنجرة عن والده إدريس المنجرة، عن أبي عبد الله محمد السرغيني الشهير بالهوارى، عن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن القاضي، وأخذها أيضا عن شيخه الأمير المصري والشيخ مرتضى الزبيدي.

وأخذ عن السيد مبارك أيضا بالأسانيد المذكورة، والشيخ مرتضى والأمير رواية قالون، والبزى، وقنبل، والسوسي، وهشام، وابن ذكوان، وشعبة، وحفص، وخلاد، والدوري، وأبي الحارث.

وأخذ عن الأمير والشيخ مرتضى الزبيدي رواية ابن جماز، وابن وردان وروح، ورويس، والوارق، وإدريس، وخلف.

وأخذ الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي عن السيد الغازي بن الحاج العربي ابن عبود المكناسي، عن الحاج علي بن عبود، عن محمد بن سالم بن أحمد الحفنى، وأخذها أيضا عن الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير والشيخ أحمد بن موسى البيلي، والشيخ مرتضى الحسيني الحفنى، والشيخ سليمان العجيلي، والشيخ محمد بن أحمد الجوهري، والشيخ أحمد العروسي كلهم عن أبي عبد الله الحفنى.

وأخذها بالرواية المذكورة أيضا عن الشيخ محمد بن الحسن بناني، عن
الشيخ محمد بن عبد السلام بناني، عن الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي، عن
الملا إبراهيم الكردي.

وأخذها أيضا عن الشيخ محمد بن الحسن الوكيل، عن أبي العباس بن عبد
العزیز الهلالي، عن العجيمي.

وأخذها أيضا عن الشيخ عبد القادر بن شقرون، وعن الشيخ محمد بن أحمد
بنيس، وعن الشيخ التاودي ابن سودة، والشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن
ابن عمار الجزائري، وعن الشيخ عبد الوهاب الشبروي الشافعي المصري، والشيخ
عبد الكريم المعروف باليازغي الفاسي، ومن طرق بعض هؤلاء الشيوخ روى
روايات أبي مصعب، ومطرف، وابن الحسن، وأبي حذافة حسبما هو مبسوط في
ثبته إتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد.

وأخذ صحيح الإمام البخاري عن السيد الغازي وبنيس المذكورين، وعن
سیدی محمد بن الحسن بناني، والشيخ التاودي بن سودة، كلاهما عن ابن عبد
السلام بناني، عن سيدى محمد بن عبد القادر الفاسي، عن والده، وعن الشيخ
صالح بن يوسف المقدسي الحنبلي، عن العدوي.

وأخذ صحيح مسلم عن ابن عبود، والوكيلي، والتاودي، وابن الحسن،
بناني وبنيس، واليازغي، وابن شقرون، وعن صالح المقدسي، وعن الشيخ الأمير
وغيره ممن ذكر من المصريين بأسانيد الموطأ المتقدمة.

وأخذ سنن أبي داود عن الغازي بن عبود، ومرتضى، وبناني بالأسانيد
المتقدمة.

وأخذ جامع الترمذي، وسنن النسائي الصغرى المجتبى، عن ابن عبود
وبناني، والجزائري، والمقدسي، والمصريين.

وأخذ سنن النسائي الكبرى عن شيوخه بناني، والجزائري، والعروسي.

وأخذ عنهم أيضا بأسانيدهم المسطرة في ثبته سنن ابن ماجه، ومسند الشافعي، ومسند الإمام أحمد، ومسند الدارمي، والمخلص لأبي الحسن المعافري، والتقصي لابن عبد البر، ومسند الطيالسي، والأدب المفرد، ومسند عبد بن حميد، ومسند البزار، وعمل اليوم والليلة.

وأخذ معاجم الطبراني الكبير والوسط والصغير عن الأمير وغيره من شيوخه المصريين المذكورين في أسانيد الموطأ، وكذلك مكارم الأخلاق للطبراني، ومسند أبي يعلى التميمي الموصلي، ومسند ابن مخلد الشيباني.

وأخذ صحيح ابن حبان عن العروسي وغيره من المصريين وكذلك سنن الدارقطني، ومستدرك الحاكم، والحلية لأبي نعيم، ومسند الإمام أبي حنيفة، - ومن طريق الجزائري أيضا - ومسند القضاعي، وأخذ مسند الفردوس عن الأمير وغيره من المصريين، وكذلك كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، وكتاب ذم الملاحى، وكتاب قصر الأمل، وكاب التوكل، وكتاب محاسبة النفس كلها له، وعن العروسي وغيره من المصريين كتاب اليقين، وعن الأمير وغيره من المصريين كتاب الدعاء، وكتاب الشكر لابن أبي الدنيا، وعن ابن الحسن بناني والأمير وغيره من المصريين مشكاة الأنوار لابن عربي، وكذا سائر كتبه.

وعن بناني والجزائري والعروسي الأربعين للنووي، وعن الأمير وغيره من المصريين الأربعين للباخرزي، وكذلك الأربعون حديثا لأبي منصور النيسابوري، والأربعون للشيباني، وعن العروسي الأربعين لأبي بكر الآجري والأربعين البلدانية للسلفي، وعن الجزائري والأمير والعروسي والجهوري المصباح للبعوي.

وعن الغازي بن عبود، وابن الحسن بناني، والجزائري، والشيخ مرتضى الشفاء للقاضي عياض وسائر كتبه، وعن الأمير وغيره من المصريين مشكاة الأنوار للتبريزي، وعن العروسي ثلاثيات عبد بن حميد تخريج الحسيني، وعن بناني والجزائري والجوهري والعروسي الجامع الكبير والصغير للسيوطي، وعنهم أيضا الترغيب والترهيب والشمائل للترمذي، والجوهري معاني الأثر، وعن الأمير وغيره من المصريين عوارف المعارف، وعن الجزائري والأمير والعروسي مصنفات الصاغانى، وعن الجزائري والأمير كتاب شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، وعن الأمير والجوهري مسند الهداية للبرهان المرغيناني، وعن العروسي والأمير وغيره من شيوخه المصريين سنن البيهقي، وعن الأمير منتقى ابن الجارود، وعنه وغيره من المصريين مسند ابن أبي شيبة، ومسند أبي عوانة، ومسند سعيد بن منصور، وصحيح ابن خزيمة، والخلعيات للموصلی، ومسند الحارث بن أبي أسامة، وصحيح الإسماعيلي، وتأليف أبي الشيخ، وكتاب الزهد والرقائق لابن المبارك، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، ومسند ابن راهويه، والدرة الطاهرة للدولابي، ومسند بقي بن مخلد، وتاريخ ابن معين، ومصنف وكيع، وتأليف أبي مهدي عيسى الثعالبي الجزائري ثم المكي، وابن شاهين، ومسند الحميدي، ومعجم ابن قانع، وعشاريات القلقشندي، والفوائد الغيلانيات وتأليف الحسن بن عرفة وأصول الإسلام الأربعة للداني، ومكارم الأخلاق للخرائطي، ومصنفات ابن أبي حاتم، ومؤلفات الخلال، وجامع الأصول لرزين وتأليف ابن الجوزي وأبي بكر الأزرق، وعن العروسي كتاب القربة لرب العلمين، في فضل الصلاة على سيد المرسلين، لابن بشكوال، ومشیخة ابن البخاری، والإعلام، بفضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام للنميري.

وعن الأمير تأليف عبد الحق، وتأليف السهيلي، وشرح ابن ماجه للبرهان الحلبي، والعشرة الغوالي للرئيس الأصبهاني، وعن بناني الأبى، وعن الشبراوي

تيسير الأصول، ومؤلفات البقاعى، ومؤلفات إسماعيل اليمنى، والقاضى المزجد وشرح الشفا للدجلى .

وكذلك روى عن أولئك الشيوخ تصانيف العراقي، والسخاوى، والسنباطى وزكريا، وابن حجر، والقسطلانى، والزرقانى، والشبراملسى، والغيطى، والمناوى، والمهيتمى، والشوبرى، والفرغانى، والذهبى، والقرطبى، وابن عبد البر، ومقدمة ابن الصلاح، وشرح البخارى لابن الملقن، والكرمانى والفصل بين الراوى والواعى لابن خلاد .

وروى عن شيخه الفاضل العالم النبيل الكامل المسن البركة الشيخ عبد العزيز ابن حمزة المراكشى المسلسل بالأولية سمعه منه بالحرم المكى تجاه الكعبة، وبالحرم المدنى تجاه قبر النبى ﷺ، وهو سمعه من مرتضى، وعن بنانى وغيره من الشيوخ المذكورين المسلسل بالمصافحة والمشابكة والسبحة، إنى أحبك، وقراءة سورة الصف، والقبض على اللحية، وسلسلة الذهب، والمحمدين، والمصريين، وقراءة الفاتحة، ومناولة الطائفة القادرية المعروفة فى المغرب بالعراقية، ومسلسل تلقين لا إله إلا الله، ومسلسل الصوفية والفقهاء، وقول: والله إنه لحق إن شاء الله، وقول: جعلك الله نوراً يستضاء به فى المشارق والمغرب فى الأذن اليمنى، ومسلسل قص الأظفار يوم الخميس ومسلسل يوم العيد ويوم عاشوراء والأحمدين .

وكذلك روى الاكتفاء، وعيون اليعمرى، والدرر لابن عبد البر، وتاريخ ابن خلدون، وسيرة ابن إسحاق، والواقدى، والحلبى والشامى، وابن فارس، والمحب الطبرى، وشرح ألفية العراقى لياسين الخليلى .

وأما مصنفات علوم القراءات فروى منها مؤلفات الشاطبى، واليسير وشرحه، ونظم الفريد، وتهذيب الغافقى، ومؤلفات الصقّار، وأبى الحسن بن سليمان، والجعبرى، وتعريف السهيلي فى المبهمات، ومقنع الدانى، وممتع ابن

الكمداد، ومختصر ابن البقال، وتكملة القيحاوي، والحصرية والحقانية والبارع، روى ذلك عن شيوخه ابن عبد السلام الفاسي، والشيظمي وغيرهما.

وروى في علم الرسم والضبط تأليف الخراز، وابن نجاح، وابن عاشر، وابن برى، وشرح الخراز للتنسي، وأبو جير على الدرر لابن مسلم.

وعن الأمير بمحضر جماعة من العلماء بالزوايا الناصرية المجاورة لداره بمصر القاهرة في سادس عشر شوال عام ثلاثة ومائتين وألف، المسلسل بالضيافة على الأسودين، والمسلسل بقول أشهد بالله وأشهد لله كما قال ذلك المترجم عن نفسه في ثبته.

وعن ابن الحسن الوكيلی، وابن الحسن بناني، والعروسی، تفسير ابن عطية، وسائر مصنفاته، وهداية مكی.

وعن الغازی بن عبود، وابن الحسن الوكيلی، والجزائری، تفسير البيضاوی وسائر مصنفاته.

وعن بناني، والأمير تفسير ابن جرير.

وعن بناني تفسير الثعلبي، وعنه وعن الأمير والعروسی تفسير الواحدی، وتفسير أبي حيان الثلاثة.

وعن بناني تفسير أبي السعود، والكواشي، وعنه وعن العروسی تفسير الفخر الرازي.

وعن الجزائری والجوهري والعروسی تفسير البغوي وسائر مؤلفاته، وكذلك روى تفاسير السيوطي وبقي ابن مخلد، والمحلي، والخازن، والسفاقسي، والحاتمي، والثعالبي، والزمخشري، والماوردي، والسلمي، والاعتبار للحازمي، وبيان المن لابن الطليسان، وأخلاق حملة القرآن للأجري.

وروى عن والده محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصرى، عن أبى القاسم العميرى، عن أبى العباس الشدادى، عن أبى العباس بن الحاج، عن سيدى عبد القادر الفاسى .

وكذلك عن ابن الحسن بنانى والشيخ التاودى كلاهما عن ابن عبد السلام بنانى كتب الفقه المالكى، كمختصر خليل، وابن الحاجب، ومؤلفات البرادعى، وابن عرفة، والقرافى، والمواق، وابن أبى زيد، وابن عبد السلام، وابن رشد، وحلولو، والرصاع، والبرزلى، والمشدالى، وابن ناجى، والتتائى، والمقرى والوانوغى، وابن الجلاب، والفاكهانى، والمازرى، وابن بشكوال، والخرشى، وابن راشد، والبساطى، والقياب، واليزناسنى، وابن فجلة الزرقانى، والجنان، والخطاب، والمكناسى، والزقاق، وعبد الرحمن الفاسى العارف، وبابا السودانى والسنهورى، والبدر القرافى، والميعار، والمنجور، وابن فرحون، وابن جماعة، واللقانى، وابن رحال، والنفراوى، والأجهورى، وعبد الوهاب، وابن شاس وابن عمر، وابن عاشر .

وعن الجزائرى، والعروسى، والأمير، والبيلى، والشيخ مرتضى، والشيخ الجمل عن عطية الأجهورى فقه الشافعى .

وروى فى الفقه الحنفى عن التاودى ومرتضى عن مشاهير علماء الحنفية، وروى فقه الحنابلة عن التاودى وصالح المقدسى .

وروى من الفهارس فهرسة ابن غازى، وابن حجر، وزكرياء، والمنتورى، والقصار، وزروق، وابن الزبير، والوادى آشى، والبديرى، والبصرى، وأبى سالم العياشى، وحسن العجيمى، ورحلة ابن رشيد .

وروى فى علم الكلام مصنفات الأشعرى، والرازى، وابن زكرى، والسنوسى، والنسفى، وإمام الحرمين، والكورانى، والماتريدى، والعضد، والسعد، والباقلانى، والبقاعى، واللقانى .

وروى فى أصول الفقه مصنفات التقي السبكي وولده التاج، والمحلى والعراقى، وابن أبى شريف، وابن دقيق العيد، والعضد، والعصام، وابن الحاجب، ومراصد الفاسى.

وروى فى النحو كتاب سيبويه، ومصنفات ابن مالك، وابن هشام، والمكودى، والبجائى، ويحيى الشادى، والراعى، والزياتى، والقندومى، وابن المجراد، والشاطبى، وأبى حيان، وابن آجروم، والسيوطى، وابن الحاجب، والعينى، والمرابط الدلائى، وعبد السلام القادري.

وروى فى علم المعانى والبيان تأليف الفوزينى، والعباسى، والجرجانى، والعصام، والسعد، والجربى، والولالى.

وروى فى اللغة وفقهها القاموس، والصحاح، وأفعال ابن القوطية، والفصيح، والزبيدى، وألفاظ ابن السكيت، والمقصورة الدريدية، والحازمية، وأدب الكتاب، ومصنفات الحريرى، وأبى منصور الثعالبى، والقلائد، وديوان الستة وشعر المتنبى، وأبى تمام، والمعرى.

وروى فى الأنساب تأليف الرشاطى، وعبد الحق، وفى علم التعبير المرقبة العليا، وابن جابر، وفى العروض الخرجية وشرحها للغرناطى، وزكريا، وفى المنطق شروح السلم لآبى مدين السوسى، والعربى بردلة، وقدورة، وشرح المختصر للولالى، وفى علم الأوفاق تأليف العربى الفاسى والجزنائى، وفى الهندسة كتاب ابن ليون، وابن الرقام.

وروى فى الطب تأليف ابن زهر، والحفيد ابن رشد، وابن الخطيب، والشقور، وابن نفيس، وفى الحساب مؤلفات القلصادى، وابن البناء، وابن قنفذ، والمنية.

وروى فى الفرائض الحوفى، والتلمسانية، وشرحيهما للسنوسى، وكتب الطنجائى، والعقبانى، والقلصادى، والسيتانى.

وروى فى التوقيت والتعديل والأسطرلاب روضة الجادرى، وشرحها للماوسى، والزجنى، وابن القاضى، وكتب ابن الرقام، وابن الكماد، وابن البناء، وابن الحباك.

وفى التصوف روى كتب زروق وابن القيم، وابن عطاء، وابن عباد، والساحلى، والبوصيرى، والسنباطى، والقوت، وتذكرة القرطبى، وصفوة ابن طاهر، ومصنفات الشعرانى، والنووى، واليافعى، والقصرى، والحرانى، وابن الفارض، والسهروردى، وإمام الحرمين، والغزالى وابن مت الهروى، والقشيرى، وأبى مدين، والجيلانى، وابن مشيش، والشاذلى، حسبما هو مبسوط بأسانيده المتعددة وطرقه فى ثبته المشار له آنفا.

مؤلفاته: منها ثبته الحفيل الدال على غزارة علمه وسعة رحلته وشدة اعتناؤه بالدراية والرواية المعنون بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقين وطرق الإسناد، قال فى أوله: رأيت هذا الأمر على أكيد، إذ قطعت على أخذ العلم دراية ورواية بعض مشارق الأرض ومغاربها برها وبحرها بريدًا فى بريد، ومع ذلك تخاطب بلسان حالها هل امتلأت؟ وأقول أما من الخيرات فلا نقنع بل هل من مزيد، ذكر فيه أسانيده أولاً، ثم أوائل كتب الحديث، وختمه بأبواب وفصول فى فضل العلم وآداب الطلب وما يتعلق بذلك من الفوائد مع ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم بالقراءة أو الإجازة، وثبته هذا بخطه فى أصله بمكتبتنا، ومنه انتسخت بعض النسخ لبعض أصدقائنا وقد سقطت منه بعض أوراقه فى موضوعين أولها عند ذكره أوائل كتب الحديث، والثانى عند ذكر شيوخه.



أول صحيفة من فهرس بصرى بخطه فى مسودته



آخر صحيفة من فهرس بصرى بخطه

أما وفاة المترجم فلم أقف عليها، نعم صرح هو عن نفسه بأن تاريخ فراغه من تبييض ثبته المذكور كان زوال يوم الخميس التاسع عشر من شعبان عام ستة ومائتين وألف كما ذلك بخطة آخر الثبت المذكور.

وقد أضاعه قومه خصوصا، وأهل بلده عموما، وأى فتى أضاعوا، فلم أر من يعرفه من أقاربه وبنى جلدته فضلا عمن يعتنى بالأخذ والرواية عنه أو بشيء من آثاره وأخباره.

وهذا البيت البصرى قد أفلت اليوم شمسُه وأقماره فلم يبق فيه أحد ممن يذكر بعلم أو فهم على ما سلف فيه من الأئمة الأعلام والأولياء الأخيار.

٢٦٥ - محمد بن العلامة القاضى أبى عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن ولى الله أبى موسى عمران بصرى.

أحد كبار الأولياء العظام الشأن.

حاله: له فى المعقول والمنقول رسوخ وثبات، وهجوم على حل الغوامض ووثبات، إمام همام، تاج مفرق الأعلام، مدرّس نفاع.

مشيخته: أخذ عن الغازى ابن عبود، وأبى حفص عمر الفاسى، وغيرهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله بصرى صاحب إتحاف أهل الهداية ألفية ابن مالك وبعض مختصر خليل، وأخذ عنه غيره من النقاد.

وفاته: توفى ضحى يوم الجمعة تاسع رجب عام ثمانية ومائتين وألف ودفن بعد صلاة الجمعة بزاوية سيدى محمد الغمارى، قرب سيدى عمرو بوعودة، وقبره ما بين السارية الأولى عن يسار الداخل، وبين الباب متصلا بالسارية، وحضر جنازته خلق عظيم رحمه الله ورضى عنه.

٢٦٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٤٥١/٧.

٢٦٦ - محمد بن عبد الوهاب بن عثمان الكاتب السفير الرحالة الوزير الكبير المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه علامة أديب أريب نبيه، حسن البديهة، قوى العارضة، شاعر مفلق، نقاد كاتب بليغ، يطرز كتابته بفنون البلاغة والإنشاء، وفق ما يشاء، اصطفاه أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله لسرد الكتب وهو إذ ذاك فى عنفوان شبابه، وقد كان مورقا وواعظا بمحل أبيه، ثم اتخذ كاتبا فى بساطه الملوكى، ثم قلده الولاية بتطوان مدة أعوام كما للزيانى فى الفهرسة، ثم استوزره. وكان من أهل الفضل والدين قائما بمأموريته أحسن قيام، وكان منقطعاً لتيمة الأشراف مولاى على بن أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله، وله فيه أشعار رقيقة وأمداح رائقة فغمره إحسانا وإنعاما وامتنانا.

ثم استعمله السلطان المذكور فى السفارة بينه وبين الدول، فجال بسبب ذلك فى أوروبا وإفريقية وآسيا وما بينها، أرسله أولا سفيرا عنه لدولة إصبانيا وملكها كارلوس الثالث للنظر فى أمر الأسارى المسلمين الذين عندها وكان ذلك سنة ١١٩٣، فعقد معها معاهدة، وألّف فى ذلك رحلة.

قال «شينى» قنصل فرنسا لذلك العهد بسلا فى صحيفة ٥١٩ من الجزء الثالث من كتابه عن المغرب المطبوع بباريس سنة ١٧٨٧: إن الخلاف الذى وقع بين فرنسا وإنكلترا غير الحاله الساسية بأوروبا، فرأت إصبانيا أن ذلك يساعدها على تجديد العلاقات مع المغرب، فجدد السلطان معها الصلح والعلائق إجابة لسعيها وذلك سنة ١٧٨٠ بواسطة ابن عثمان وقبل بكل ارتياح جميع المطالب الإصبانية.

ثم وجهه ثانياً سفيراً لحكومة مالطة ونابولى فباحث الأولى سنة ١١٩٥ فى شأن الأسرى، وعقد مع ملك نابولى اتفاقاً، وألّف فى هذه السفارة رحلة أخرى.

٢٦٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٤٦٣/٧.

ثم رحل للحج مقلدا التكاليف المولوية فى سفارة ثالثة للدولة العثمانية وذلك سنة ١٢٠٠، وكانت مبارحته رباط الفتح - حيث كان حلول الركاب الشريف ثم - مهل المحرم فاتح السنة المذكورة ودخل القسطنطينية العظمى ودمشق الشام والقدس الشريف وزار الخليل ودخل الجزائر وتونس وتلمسان، ولقى أعلام تلك البلاد، واستفاد وأفاد، ثم آب لمسقط رأسه، ومحل أنسه، مكناسة الزيتون، حيث له الأهل والإخوان والبنون، ضحوة يوم الثلاثاء لست بقين من شوال عام اثنين ومائتين وألف وكتب فى ذلك رحلة أخرى، وقد أسلفنا شرح ما وقع له فى هاتين السفارتين ملخصا من رحلتيه فيهما فى فصول العلائق السياسية من الترجمة المحمدية.

ثم عثرت بعد ذلك على كلام بعض المؤرخين من الإفرنج يدل على أنه تولى السفارة أيضا للسلطان المذكور إلى إمبراطور النمسا، وأنه تولى السفارة من بعده لولده مولاي اليزيد إلى دولة الإصبان، فقد ذكر «أكراير دى همسو» فى صحيفة ٢٣٤ من كتابه الموضوع باللغة الإيطالية المسمى (بالمظهر الجغرافى والتاريخى للمغرب) المطبوع بجنيف سنة ١٧٣٤: أن ابن عثمان توجه سفيراً لنابولى ثم سار منها سنة ١٧٨٣ إلى فيينا عاصمة النمسا من قبل السلطان لعقد معاهدة سلمية تجارية بين الدولتين، وكان إمبراطور النمسا يومئذ: جوزيف الثانى.

وقد تكلم على هذه السفارة أيضا القنصل شينى فى كتابه المذكور وطوماسى فى صحيفة ٣٠٥ من كتابه: المغرب وقوافله أو علائق فرنسا مع المغرب، المطبوع بباريس سنة ١٧٤٥ إلا أنهما لم يتعرضا لاسم السفير الذى هو ابن عثمان صاحب الترجمة.

وقال همسو المذكور فى صحيفة ٣٦ من كتابه: مختصر الأدب التاريخى فى المغرب، وهو جزء صغير تعرض فيه لذكر من ألف فى المغرب من سائر الدول طبع بليون سنة ١٨٢٠: أن عثمان كان وزيرا صدرا عند السلطان سيدى محمد بن

عبد الله، وأن بعض رجال حاشيته المرافقين له فى سفارته لنابولى وفينا ألف رحلة فى جزء صغير، وأنه رأى نسخة من هذه الرحلة وبها صور وأبنية شاهدها بأوربا.

وذكر همسو أيضاً فى كتابه المذكور أن المولى اليزيد وجه ابن عثمان سفيراً لمدرّيد، ولم أر أحدا غيره تعرض لهذه السفارة، وعلى كل فقد حفظ زيادة على أنه للمنافى لقوله: ولما وردت سفارة أصبانيا على المولى سليمان لتجديد المعاهدات السابقة بينها وبين المغرب كلف وزيره المترجم بمفاوضتها وإمضاء ما يقع الاتفاق معها عليه فعقد معها معاهدة عام ١٢١٣ الموافق لعام ١٨٩٩ المشتملة على ثمانية وثلاثين مادة وشرطا، وفى صحيفة ٦١ من السنة الثامنة من جريدة المنيطور الجمهورية، أن هذه المعاهدة التى أوقعها ابن عثمان مع إصبانيا تعد خطوة جديدة فى سبيل التقدم والمدنية، وذكر طماسى المذكور فى صحيفة ٣٦١ من مؤلفه المشار إليه أن مولاي سليمان ووزيره الأكبر ابن عثمان عرفا كيف يقاوما أعداء فرنسا وإصبانيا حليفتهما، فلذلك لما بعثت إصبانيا هداياها للسلطان وتبعتهما إنكلترا بهداياها التى ضاعفت فيها هدية الإصبان سعيا فى قطع علائق الدولتين مع المغرب لم تنجح فى مساعيها.

هذا وقد كانت بين صاحب الترجمة وبين عصره ومشاركه فى الكتابة والتقدم أبى القاسم الزيانى المؤرخ منافسة تعرض الزيانى لبعضها فى رحلته الترجمانية وغيرها من كتبه، ونال من المترجم على عادته مع معاصريه وغيرهم، قابله الله بالعفو والغفران آمين، وذكر أنهما اجتمعا معا فى الأستانة وكل منهما حامل لأوامر ملوكية، وأن الدولة العثمانية اعتنت بالزيانى لمحافظة على آداب السفارة بين الملوك أكثر من اعتنائها بالمترجم مع كونه هو السابق فى الورود عليها، وأن المترجم غار من ذلك وحدثت بسبب ما ذكر بينهما وحشة تفصيلها فى رحلة الزيانى.

مشيخته: أخذ عن أمير المؤمنين مولانا سليمان.

وأخذ بالقدس عن القدوة البركة العارف الشريف الشيخ أبي السعود محمد المأذون بالخلوة القادرية والخلوتية، قال عن نفسه: وصافحني بمصافحة شيخه في الطريقة السيد مصطفى بن كمال الصديقي الدمشقي البكري الخلوتي، عن الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي، عن الشيخ مصطفى أفندي الأدرنوي، عن الشيخ علي خرباش، عن الشيخ إسماعيل الجروي بسنده المتصل المذكور في رحلة المترجم.

ولقي بالشام الشيخ المحدث سعد الدين الحنفي حفيد الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ كمال الدين محمد بن محمد الدمشقي الشهير بالغزي مفتي الشافعية، ومفتي الحنابلة الشيخ إسماعيل الجراعي، ولقي بتونس صالح علمائها الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد السوسي السكتاني المغربي، أخذ أبوه عبد الله عن سيدي أحمد بن ناصر ومكث مجاورا بين مكة والمدينة سبعا وعشرين سنة ومات بتونس سنة ١١٧٧.

مؤلفاته: منها الإكسير؛ في فكاك الأسير، وهي رحلته في سفارته الأولى لإصبانيا، ومنها: البدر السافر، لهداية المسافر، إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر، وهي رحلته في سفارته الثانية لمالطة ونابولي منها نسخة بخزانتنا، ومنها إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب، وهي رحلته التي كتبها في سفارته الثالثة وحجته وهي موجودة بخطه في مكتبتنا أيضا، ومنها أيضا منظومة في المناسك.

شعره: من ذلك قوله:

جاء من طال ما تشوقت النفس س إليه بشرى لنا وهنيه

أنعش الروح شم رياه لولا
إذ تداعوا بالأمس وسط نهار
فتأخر عن لقاء محققا
هكذا الشأن ما تقولون أنتم
فأجابوا أما ترى الشمس ولى
قلت فى الفقه إن تبدى هلال
وقوله مداعبا بعض أصدقائه وقد أخلف ما اعتيد منه من الزيارة لشغل
عاقه، وكان يبعث له كل يوم يقول غداً آتى :

إن عهد الملاح ليس بواف
إلى أن قال :

علانى بكاذب الوعد دأبا
ليت شعرى إذا الصدود جفاء
إلى أن قال :

موقدا فى الفؤاد نار غرام
إلى أن قال :

جد بوصل ولو بطيف خيال
وتدارك حشاشة القلب إذ كا
طمعى الآن فى الوصال قوى
يصدق الفجر بعد ما يتجلى
إذ هوى النجم فى الدجى للغروب
ن لمثواكم من الموهوب
وشفيعى فى نيله المرغوب
كاذبا فى الآفاق غير مغيب

وقوله وقد تعلق به بعض أصدقائه كان اشترى جارية فوجدها تبول فى
الفراش ، فأراد ردها إلى البائع فامتنع فى خطاب قاضى البلد :

وكافل الأيتام والأرامل	يا أيها القاضى الإمام الكامل
يشمله الإحسان منه حتما	وابن السبيل والغريب قدما
يبيت بالليل له عويل	ضيفكم الفقيه إسماعيل
يحسبها على المراد جارية	قد اشترى من ذى البلاد جارية
أعيب من بغل أبى دلالة	فلم يرى من خيرها علامة
على الثياب وعلى الرياش	تبول بالليل على الفراش
حذفت ياء فتحت به أذى	منتنة الريح وعكسه إذا
فقد أضر ريحها بالقل	كفارة المرحاض أو كعجل
أو كظة ممزوجة بهيض	لا مثل نتن جيفة أو حيض
وكوننا فى منزل عن بعد	لولا هبوب الريح ذات المدد
أضر ننتها بأهل البلد	نظل بالبخور طول الأبد
تقطر من أبوالها وتلتزق	أما ثيابها فدأبا تصطفق
ولو ثوى فى جبل من إثم	عيناه من صنانها فى كمد
والتزقت أجفانه واختلطت	أشفاه إن لم تدارك سقطت
ويترك الزغب تحت الدفة	يقبح أن يأتى لنيل رفعة
يرجع للأهل بلا أشفار	مع تحمل نوى الأسفار
من بائع على الإحسان برم	عيناه من جواركم فى حرم

فهو بما ضره غير معتبر هان على الأملس ما لاقى الدبر
 فاستنقذنه وادفعن عاره وراع فيه جانب الإمارة
 وهو مع العلم الذى يمت به إليكم شكركم يبت
 فى كل بقعة وكل أرض وكل إقليم ليوم العرض
 وكتب من المدينة المنورة لصاحبه الشيخ كمال الدين الغزى مفتى الشافعية
 بدمشق مع تمر من تمر المدينة بعثه اليه ، وسبحة من النوع المسمى باليسر :
 أحيى مقاما خص بالرحب والبشر كما خصصت أنفاسه بذكى النثر
 تحية حب لا تزال معادة بيوم إذا يجرى وليل إذا يسرى
 وأهدى إلى الذات الكريمة سبحة تظل بها يمناك ملأى من اليسر
 ومن طيبة جئناك بالعجوة التى أحب رسول الله من سائر التمر
 ليغنىك منها لونها-وسوادها من المسك-عن عرف وعن عنبر شحرى
 فهيئى لها منكم قبولا أعده لدى ذكركم يوم السلو من الذخر
 وقوله من قصيدة فى الشيخ عبد الغنى النابلسى دفين صالحة دمشق :
 مناقبه الكثيرة لا تنهى فنشر حديثه فى كل حى
 دواوينه من الأمداح ملأى لصحب أو ولى أو نبى
 فلم يترك إلى غير مقالا وآب الكل ذا حصر وعى
 فصاحته من الرحمان فيض فما سحبان أو غيلان مى
 نثره : من ذلك قوله فى وصف القسطنطينية العظمى ، التى فاقت حواضر
 الدنيا ترتيبا ونظما ، إن قلت بلد ، اتكالا على مالها من التخصيص فى القلب

والخلد، فقد أضعت حقها، ويبقى الاحتمال فى أن يكون هناك من هو فوقها، وإن قلت مدينة واقتصرت، فلا منعت دخول غيرها ولا حصرت، وإن قلت إقليم فقد يشتمل على عمران وخراب، وبحران وسراب، والحق أعلى، وتأدية الحقوق من أخبارها أولى، وما رأيت ما يؤدي وصفها ومعناها، وما اشتمل عليه أقصاها وأدناها، فهي محشر الأمم ومحط الرحال وبحر العمران وغاية القصاد، والمورد العذب للوراد، لا يوقف فى وصفها على حد، ولا يتناهى فى مآثرها ومحاسنها على عد، فلها المساجد التى بهرت، وبالتدريس وطلاب العلم ازدهرت، إلى أن قال: إلا أن بردها عاصف، وقرها لا يصفه واصف، لا يرده دثار، ولا موقد نار، فهي إناء للثلج المنسوب، فتنبو عن المضاجع من قرها الجنوب.

وقوله من فصول استدعاء لبعض أصدقائه: وإنا لنتظر قدومك علينا قبيل الشمس شروقا، والإبريق يصطك فؤاده لسقياك حقوقا، حتى نقضى من منادمتك حقوقا، والساقى مشمر عن ساق، والإبريق متأهب بما يليق لأن يراق، والكاس، بحلى عسجدية كاس، والكل للقياك متأهب. وبطاعتك متقرب.

وقوله مجيبا لبعض الخاصة من أصدقائه: أبقاك الله لطرفة تحليها، وبنات أفكار بدر نثارك تحليها، ونادرة تردفها بأخرى تليها، تلك رياض تفتحت عن أزهارها أكمام، ولات حين للأزهار إمام، هذه يقظة أو منام، عهدى بالرياض لم ينتج الآن لشمَام، أو ذاك مسك فض عنه ختام، تحيرت فى ذلك أظنه سحرا أجل نفث به حبر وإن شئت بحر فخذ أمام، إمام تجلت بطلعته الأيام، وتجمعت له شوارد العلوم فتسنى له بعد تفرقها التمام والتمام.

أما الأدب فهو بعض بعض فنونه، ورشوحه من معين انهمار عيونه، أما تراه قدوة للأنام، حل من درى المعقول والمنقول حيث لا محل للمحلى، وأربى فيما أبدع من البدائع على بدائع الحلى، أليس معدودا فى إحراز السبق فى مرتبة لو

كانت قبل المجلى ، وأما ذكاؤه فهو شهاب يتوقد ، والمعية فى كل آونة تتجدد ، فقد غدا إياس ، عن إدراك شأوه ذا إياس ، عذبت مفاكهته ، وعدمت مشاكهته ، رمى بسهمه فى أغراض المداعبة فقرطس ، واستخرج من لجج بحارها ما أعجز من غطس ، ما ألطفه تشبيها ، يشهد للمشبه بأن له شبيها ، فى ذكر القلانس والخطيب ، فقد هصرت من أفنان البلاغة كل غصن رطيب ، وما أعلى منازعك ، علوت منازعك ، ولو حضر لأذعن لك ابن الخطيب ، وقد وصف سيدى ما استحسنت من المجلس والساق ، وساق ذلك أحسن مساق ، فأبدع ما شاء فى تناسب واتساق ، وإحكام المبنى ، وتسديد اللفظ لغرض المعنى ، والخروج من معنى لآخر حيث لا شعور للسامع ، شاغلا له ببوارك سحرك اللامع .

غير أن سيدنا يسر حسواً فى ارتغا ، وما أدرى ما الابتغا ، فقد رأيته راجع الالتفات ، لاستدراك ما فات . وللنظرة ومدى استنزر . ولصيده فى جوه حلق واستنسر . وذكر أنه ما أعرض عنه إلا لتوهمه أننى هيأته لنفسى فاستأثرت به . وإلا لالحفه بثوبه . فإن كانت المثابة العلية ممن يقنع بنظرة . وإن أعقبت حسرة وتمذهب بمن قال :

وهويته يسقى المدام كأنه قمر يطوف بكوكب فى مجلس

فقد استوفى حظه . وأنال مراده لحظه . وليكتف بذلك أدام الله حفظه . ولم تبق له منة على فى استبقائه . حيث استسقى الشمائل السالفة عند المعاطفة من تلقائه ، وإن يقنع بذلك المقدور من التغزل ، وأراد من خلع العذار كمال المرام من التنزل ، وتمذهب بقول الآخر :

وضممته ضم البخيل لماله أحنو عليه من جميع جهاته

فلا ملام . على اغتلام ، فالمجلس والغلام مع كمال المرام ، ولعل بتيسر الجمع تجردكم عند الانفصال غمام ، هذه دعابتى بعثت بها إلى محل كمالك ،

وعظم جلالك، ثقة بترك. ورحيب صدرك، واعتمادا على تحملك لمداعب، وإغضائك عن المعائب. فأغض أبقاك الله واسمح. وبعين الصفح والتجاوز فامنح.

وفاته: توفى فى مراكش الحمراء بالوباء العام بحواضر المغرب عام ثلاثة عشر ومائتين وألف.

٢٦٧ - محمد بن قاسم بن حلام المكناسى الدار والقرار.

حاله: خاتمة أعلام عصره فى تقرير مختصر خليل بالزرقانى، وبنانى حسبما وصفه بذلك بعض تلاميذه، فقيه جليل، مدرس نفاع حفيل، تولى نيابة القضاء والأحكام الشرعية، بالعاصمة المكناسية حسبما وقفت على نسخة رسم مسجل عليه محلى فيه بالعلم والتدريس، والنيابة عن قاضى الجماعة بالحضرة المكناسية المولوية بتاريخ منتصف ربيع الثانى عام خمسة وعشرين ومائتين وألف، وعدلاه العلامة القاضى مولاي أحمد بن عبد المالك الحسنى السجلماسى المترجم فيما مر، والسيد محمد بن عبد القادر بن عمر المكناسى.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس أحمد الأغزاوى المدعو الجبلى المترجم فيما مر.

وفاته: توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بالمباح الجديد من ضريح المولى عبد الله بن حمد، دفين خارج باب البرادعيين من مكناس، الموالى لكدية العشاق المبنى سنة نيف وعشرين على عهد السلطان المولى سليمان رحمه الله كذا فى بعض تقايد أبى العباس المذكور وأخذ عن المترجم.

٢٦٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٥٠٤/٧.

٢٦٨- محمد بن عبد القادر بن محمد فتحا بن عبد القادر بن علي بن موسى بن المير الصبيحي النافعي الغربوي أصلاً الزرهوني داراً ومدفناً يعرف بابن قدور.

حاله: فاضل دين، خير ناسك ورع، فقيه متضلع جليل، علامة معتمد في الفروع والأصول، مفت مدرس، بركة كامل، تولى قضاء الجماعة بالحضرة المكناسية المولوية الهاشمية، وقفت على رسم حبسى مسجل عليه بالحوالة المشتركة بين الكبرى والأحمدية أعنى المنسوبة لمولاي عبد الله بن حمد بتاريخ تسعة عشر ومائتين وألف، وذلك بصحيفة مائتين وثلاثة عشر محلى فيه بالعلم والفضل والتدريس والتحقيق والإتقان وقضاء الجماعة بالحضرة الهاشمية المولوية السلطانية مدينة مكناسة، وآخر بتاريخ أربعة عشر ومائتين وألف، وآخر تأدية بصحيفة مائتين واثنى عشر، وآخر بتاريخ سبعة عشر ومائتين وألف وفيه زيادة نسبة النافعي بعد نسبة الصبيحي.

حدثني ابن عمنا العلامة الثبت المحقق سيدي محمد بن أحمد العلوي أنه أخبره بعض المسنين ممن أدركه يتعاطى خطة الشهادة سماعاً من الشريف الفقيه سيدي عبد الواحد الإدريسي، أن المترجم كان قاضياً بالزاوية الإدريسية من قبل الأمير مولانا سليمان، فاتفق أن الأمير المذكور جاء لزيارة الضريح الإدريسي فخرج أهل البلد لاستقباله عدا الفقيه المذكور، وأهل مجلس درسه، فإنه تأول أن محبة الأمير في العلم ونشره تقتضي أن يجده في درسه حين مروره بالمسجد للضريح فعمل على ذلك، وحين دخل الأمير المسجد وعان اشتغاله بالدرس قام مع أهل مجلسه وأدوا حينئذ تحية الأمير فغضب من ذلك وعزل المترجم من خطة القضاء، قال محدثي المذكور: لكن سألت عن ذلك بعض المسنين من عدول بلدنا، فأخبرني أن المترجم لم يتول القضاء بالزاوية، وإنما كان من جلة المفتين، فاتفق أن أفتى في قضية وقعت من يهودى كان محترماً بأخت السلطان المذكور بأن تقطع يده

لموجهه فقطعت وفق فتياه فأفضى ذلك إلى موت اليهودى، فغضبت من ذلك أخت السلطان فسجن المترجم لذلك فى دار شأنها إهلاك من يسجن فيها، فلما أدخلها المترجم ودار على أماكنها وجد على حجر كنيفها اسم الجلالة مرقومًا بقلم لا يهتدى إليه كل الناس، فأسرع بتقليع ذلك الحجر وتطهيره ورفعته إلى محل لا تصل إليه إذاية، فكان ذلك من أسباب سلامته وحصول الفرج له، وانضم لذلك كون الشيخ سيدى أحمد التجانى كان كتب لصاحب الترجمة بملازمة قراءة صلاة الفاتح والله أعلم أى ذلك كان.

مشيخته: أخذ عن الشيخ التاودى ابن سودة، وأجازه عامة حسبما وقفت على ذلك بخط بعض الأعلام الأثبات، وعن المحشى بنانى وطبقتهما، وأجاز له خاتمة المحدثين الشيخ مرتضى الزبيدى شارح الإحياء، والقاموس.

الآخذون عنه: منهم مسند فاس وراويتها فى القرن الثالث عشر أبو محمد التهامى ابن المكى بن عبد السلام بن رحمون المتوفى عام ثلاثة وستين ومائتين وألف، وأجازه عامة وبجميع ما تضمنته فهرسة الشيخ التاودى ابن سودة، وفهرسة ابن الحسن بنانى، وفهرسة ابن قاسم جسوس، وفهرسة أبى العباس الهاللى، وفهرسة بن العربى بن الحاج السلمى، والمنح البادية لأبى عبد الله محمد فتحا بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى، وفهرسة ابن عبد السلام الناصرى، حسبما وقفت على ذلك فى نص إجازة المترجم لتلميذه المذكور ومنها نقلت، ومنهم أبو حامد العربى الدمناتى فقد صرح بالأخذ عنه فى فهرسته، وابن العربى الحدرانى، والسيد المهدي الورياجلى وغيرهم.

مؤلفاته: منها رجز نظم فيه العقائد المندرجة تحت كلمة الإخلاص ودونك

نصه:

وقول لا إله إلا الله
يجمع ستة من الصفات
أولها الوجود ثم القدم
مخالف وقائم كما أتى
كذا الكلام مع سميع وبصير
ونفى الأغراض وحتم الفعل
فهذه أربعة عشر صفة
وتحت الافتقار يدخل عدد
حياة قادر مريد عالم
ونفى تأثير بطبع وكذا
فهذه عشرين مما وصف
وتحت ثمان من شهادتين
كذلك تبليغ وضد كذب
جواز الأعراض وضدها فزد
وبالملائكة أيضا والكتب
فهذه تدخل تحت الصدق
وكل ما ذكر من صفات
كامل بها الستين تحظ بالصواب
صلى إله العرش كلما دفع
على البشير والنذير المصطفى

محمد أرسله الاله
وضف لها الستين بالثبات
كذا البقاء دائما لا يعدم
والسمع والبصر جاء يا فتى
ومتكلم تعالى المقتدر
كتأثير بقوة فحصل
وضدها تحت الغنى مؤلفة
قدرته إرادته علم الصمد
حي وواحدانية لا تسأم
حدوث عالم وضد ذا خذا
مع اثنتين ضفهما لما سلف
صدق أمانة بغير مين
خيانة كتمان شيء لا تخب
الإيمان بالعقبي وبالرسل تعد
وصد ذى الأربعة العظمى تصب
عليك بالمسير صوب الرفق
جملتها ست على الثبات
وتملك الأمان فى يوم الحساب
حب الغمام وبه نور فتق
وكل من بالاعتقاد قد وفى

وله توليف فى نحو الكراسة على ما قاله مؤرخ سلاً، الفقيه السيد محمد ابن على السلاوى فى الكلام على البسملة والحمدلة والصلاة على النبى وفى نسب الحمد والشكر.

وفاته: توفى فى منتصف حجة الحرام متم عام واحد وثلاثين ومائتين وألف، وضريحه أسفل المحل المعروف بالدرجات من حومة الحفرة عن يمين الذهاب لمزاراة الحرم الإدريسى من الزاوية الإدريسية فى بيت خاص به معروف.

٢٦٩ - محمد بن العربى الزمورى، من زمور الشلح القبيلة البربرية الشهيرة، الحدرانى بفتح الدال وتشديد الراء نسباً المكناسى داراً.

حاله: علامة حافظ، مدرس أديب مشارك، نحوى عروضى منطقى بيانى أصولى، فهامة دراية، خاتمة المجتهدين، وقدوة العاملين حاج أبر. صالح أشهر. مشيخته: أخذ عن صاحب الترجمة قبله يليه كما سبق.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس الأغزاوى الجبلى مار الترجمة فى الأحمدين، وهو الذى حلاه فى تقاييده بما ذكرناه ومن خطه نقلت مباشرة وقال أيضاً: وقد رثاه الفاضل الوجيه، العلامة النبيه، الحافظ الأكمل العالم الأجل. الحجة الأنبيل. المدرس الأكبر. المحدث الأشهر. أبو عبد الله سيدى وسندى محمد ابن الحاج الأبر، الفقيه الأشهر. صاحب العلم الأكبر، علم الأبدان، الواجب تعليمه قبل علم الأديان، سيدى الحاج محمد الهادى الغرناطى الأندلسى نسباً المكناسى أصلاً ومنشأً وداراً. هـ.

٢٧٠ - محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن هنو اليازغى قاضيهما.

حاله: فقيه علامة، مشارك موثق، مؤلف مجيد فاضل، حافظ حجة، أعدل أهل عصره، صدر تحرير كامل، وكان يتعاطى خطة الشهادة بسماط عدول فاس،

وكان غير حريص عليها، قنوع بالقليل، خرج يوما القاضى أبو العباس ابن سودة من مقصورة مجلس حكمه فرأى الشيخ المترجم ذاهبا من سماط العدول لداره، فسأله عن موجب استعجاله؟ فقال له الشيخ: حصلت على ما أحتاج إليه لنفقة يومية ولا حاجة لى بالزائد على ذلك، وتولى قضاء الجماعة بالحضرة الهاشمية مدينة مكناسة الزيتون.

وقفت على رسم سجل عليه بتاريخ سابع عشر جمادى الأولى عام عشرين ومائتين وألف، وآخر بتاريخ خامس جمادى الأخيرة من العام المذكور محلى فيه بما لفظه: يشهد الفقير إلى الله سبحانه، الراجى عفوه وغفرانه. قاضى الجماعة بالحضرة المولوية الهاشمية وهو محمد بن محمد الهنيوى اليازغى أعزه الله، وآخر مؤدى عليه بتاريخ خامس رجب العام عدلاه عبد الرحمن بن التهامى المزطارى ومحمد المكى بن الجيلانى بن المير، وآخر بتاريخ عشرى شعبان من العام نفسه نص تحليلته فيه العلامة إمام المدرسين، وقدوة المتقين، قاضى حضرتى فاس الإدريسية القرويين والهاشمية السلطانية المولوية مدينة مكناسة الزيتون، المصونة باسم الله المصون، وهو القاضى الخ.

مشيخته: أخذ عن الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن التاودى بن سودة حسبما صرح به فى مكتوب له، والشيخ عبد الكريم اليازغى المتوفى فى السابع والعشرين من ذى القعدة عام تسعة وتسعين ومائة وألف وغيرهما.

مؤلفاته: له شرح على شامل بهرام فى عدة أسفار ضخام تم به شرح العلامة التسولى بأمر السلطان الأعدل مولانا سليمان رحم الله الجميع.

نشره: من ذلك قوله مقرظا البستان الظريف لأبى القاسم الزيانى: الحمد لله الذى له ملك السموات والأرض وحده. والصلاة والسلام على من هو للأنام قدوة. مولانا محمد أفضل هذه الأمة. وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى مولانا

أمير المؤمنين، وأختم بالدعاء والرحمة، لمن نزه أبصارنا وشف أسماعنا بمطالعة هذا التأليف الحافل الباهر، والبحر المتلاطم الأمواج الزاخر، الجامع لخبر الأوائل والأواخر، وأطلع في فلك شمس هذه الدولة العلوية الإسماعيلية التي كانت في حيز الإهمال. ولم يتعرض لذكرها أحد من أدباء وقتها بنقص ولا كمال، ولا تفصيل ولا إجمال، وفي غابها الأسد الهصور، والنمر المقدم الجسور، والهيكل الأكبر، والقمر المنير الأزهر، العادل بن الكامل بن الفاضل بن الجليل، سليمان ومحمد وعبد الله وإسماعيل. وكيف لا وفيها ثالث العمرين. ومشيد معالم الدين، بهجة الزمان، وآية الرحمن، أمير المؤمنين مولانا سليمان، فكيف لا يفتخر على الأدباء من ألفه، وكيف لا يعلو على الرؤساء من صنفه، وخلد آثاره في وجنات الدهور وشما، ومكارمه في المشارق والمغارب وسما، فحقه أن يكتب منه نسخا ويشهر، ولا يقتنى ويدخر، لاشتماله على فضائل هذا السلطان الجليل، الماجد الأصيل، وجمعه لخبر الأولين والآخرين، في الجاهلية والإسلام والفرق الضالة الملحد، خذ ما شئت من آيات قرآنية تنزيلية، صحابية، وقصص معلومة تابعة، ومواعظ صوفية، وحكم لقمانية، وحكمة أفلاطونية، وسياسة عدلية، وقوانين أزلية، ورسائل سجاجية، وأشعار أدبية، وحكايات أنسية، وقواعد هندسية، وضوابط فلسفية، ونوادير ومداعبات سرجية، وتقاويم فلكية، ومساحة طولية وعرضية، وصورة أرضية، مكورة وبسيطة، ونصوص قطعية سنية، في الرد على أهل البدع من الخوارج والروافض والمعتزلة.

وشبهت هذا التاريخ. بالنخلة ذات الشماريخ، تعلو على رؤوس الأشجار كالتاج، وتضئ ثمارها كالسراج، يفتح طلوعها في بياض الأكماس، وحبه كالدر المنظوم في أجياد الحور المقصورات في الخيام، ثم يرجع كالياقوت الأحمر، ثم يكون فاقعا أصفر، فإن نضج عاد العسل منه يقطر، فإذا اسود ويبس يكون تمر.

وكذا هذه الدولة مطرزة بلطائف كل دولة، منمقة بكل من له نخوة وصوله، مزوجة بكل حادثة وقعت قبلها، وفي قصرها وضعت كل حامل حملها، وكل عروس طوقتها حليها، اطلب ما شئت من شراب عذب سائع بعد القرى، فكل الصيد فى جوف الفرى، تقبل الله من مخترعه عمله، وبلغه فى الدارين قصده وأمله هـ.

ومن ذلك رسالة كتب بها إلى العلامة سيدى عبد الواحد بن أحمد بن التاودى بن سودة، رأيتها بخط العلامة المحقق، قطب الفصاحة وأساس البلاغة والبراعة، مركز العلوم، المحيط بالمنطوق والمفهوم، المتخلق بمكارم الأخلاق، مع الأقارب والأباعد، سيدنا العلامة أبى محمد عبد الواحد، من تحلى بقلائد العقيان، وبرز على الأقران. إلى غاية لا يختلف فيها اثنان، وليس الخبر كالعيان، وكيف لا وهو نتيجة مولانا أبى العباس نجل مولانا الإمام، سيد العلماء الأعلام، وشيخ المشايخ العظام، خاتمة المحققين، ونخبة الأولياء العارفين.

من أشرفت أنواره على الحاضر والبادى، سيدنا ومولانا التاودى، قدس الله روحه وأعلى درجته فى عليين، وأبقى بركته فى ذريته وعقبه وسائر المسلمين إلى يوم الدين، هذا وقد ورد علينا كتابكم السنى، وخطابكم الشهى، وقد تالأت بمعانى تبيانته وجواهره الحسان أقلام السطور والطروس، واهتزت ببديع براعته وبلاغته الأعطاف والرهوس، وسما ببديع البنان وسحر البيان، على قس وسحبان، لا زالت أقلامكم تجرى بالسعادة والسعود، وتبعث الأمانى البيض من الخطوط السود، وبعد سلام ألطف من نسيم الصبا، وألذ من أيام الشيبة والصبا، وثناء منتظم كعقود الجمان، وأبهى من الورد فى أجياد الحسان، فإن سائلكم عن مسألة الحبس قال إنه يأتى برسمه لينظر، فلعله بدا له وتأخر، ونحن على محبتكم مع الاعتراف بنفعكم والأخذ عنكم، زادكم الله شرفا وتعظيما، ومكانة وتكريما،

كتب من ولا يخفى عليكم وسمه لطف الله به محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن هنو تغمده الله برحمته ثامن وعشرى شعبان عام تسعة وعشرين ومائتين وألف.

٢٧١ - محمد بن أحمد بن الكبير العوفى قاضيهـا.

حاله: فقيه جليل، علامة نبيل، صدر نحريـر، فاضل كامل، قدوة بركة شهير، حافظ حجة حـفيل، إمام خطيب، مصقع بليغ، تولى خطة القضاء بالحضرة السلطانية مدينة مكناسة الزيتون، وقفت على رسوم بخطاباته وإعمالاته والتسجيل عليه أحدها بتاريخ سابع ربيع النبوى عام ١٢٢٨ ثمانية وعشرين ومائتين وألف وآخر بتاريخ ثلاثين ومائتين وألف.

حدثنى من أثق به من أهل العدل أن أهل مكناس رفعوا شكواهم بالمرجم للسلطان العادل مولانا سليمان وطلبوا منه عزله عنهم فلم يرفع لهم رأسا، وقد كان عزم على الوقوع ببعض عتاة البرابر، وأظنه عين له زمر الشلح، فلما نزل بهم ظهروا عليه فصار يقول: اللهم اشهد بأنى عزلت العوفى عن منصبه. فوقعت الكرة حيناً على أولئك العتاة وظفر بهم وكسر شوكة بغيهم فنجز عزله فى الحال.

شعره: من ذلك قوله مضمنا الكلام على فروع أولاد ابن سودة ونسبهم وما كانوا عليه قديما وحديثا حسبما وقفت على ذلك فى بعض الكنائش ودونك لفظه:

تدرى وتجد ما ترى قوما رووا	عنى أحاديث الصبابة ما اختفوا
سل عن غرامك من وثقت بنصحه	لتكون من أهل المحبة إذ هووا
واجف الجوى وأرض الهوى متبثا	بشعاره كى لا ترى ممن جفوا

٢٧١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٠٤.

فالصبر أجدر بالتلذذ فى الهوى
ودلالهم فيه المنى لو بالمنى
وإذا الذليل تواصلت أفراحه
طابت حياة مساعدى ودنا له
ما كل من يهوى يراعى فى الهوى
والمدعى لو شاهدت عيناه ما
تركوا المأكّل والمشارب عفة
هانوا النفوس تذللًا فحباهم
قرت العيون منهم بحبيبهم
فغدا الغرام شفيعهم فتشفعوا
فهموا فهموا فى الحقيقة فانجلي
والمقتدون على الشريعة خيموا
سهروا الدياجى فى العلوم فأصبحوا
مثل السراة السوديين فكم بفنا
حفظا لدين الله من غرناطة
بزغوا بدورا موضحين سنا الهدى
جاءوا إلى نشر العلوم فيالهم
ما بان فى أفق السعادة طالع
فى كل عصر هم أئمة وقتهم

والذل عين العز فاصبر إن قضا
ياهل تمثل من أطاع بمن أبوا
هجر الألى عن باب ذلهم انثوا
فأعاق واشيه وسروهم بكوا
نهج الألى يهوى وما عنه نهوا
شاهدته يفنى كأقوام فنوا
وتمسكوا بودادهم وبه اكتفوا
عز الوصال وعانوا ما قد عنوا
ورضوا بذلهم له وبه اشتفوا
فى المدعين فخيروا فيمن عصوا
عنهم ظلام الجهل فيها واجتلوا
فسقوا معين شرابها حتى رووا
غرا جهابذة على الفضل احتوا
س من مجالس أظهروا ولها علوا
جاءوا وما زاغوا ومن كفروا قتلوا
زمن المرنى فاستقروا وازدهوا
بالنسك والدين القويم لها أتوا
للدين إلا نحوه خبا سعو
فتوى قضا نسكا به الفضلا اقتدوا

فلسن لسان الدين أعنى ابن الخط
جمعوا الفضائل والمكارم والتقوى
فالسوديون جميعهم من متلد
سل عنهم صنعا بذى يمن وعن
فلهم بها مجد وعلم ثروة
وعصابة منهم بأندلس لقد
علموا بأن العلم أوفر قسمة
خاروا انتسابهم إلى علم وما
شيم إذا عدت يباهى بعضها
خل المزايا وائت بالخلق التى
تنسى الأواخر ما الأوائل أنهجوا
فالسوديون المريون ذوو الوفا
ما كان غيرهم استحق دراسة
ومن استمد سجية من فضلهم
ناهيك ما فى الغرب إلا دارهم
لا زالت الأحقاب تبدى عزهم
سل من تشا فى بابهم فهم الأولى
أكرم بهم يا نعم ما حازوه من
هذى شعارهم وهذا دأبهم

يب وصفوة والقادري عمن مضوا
وعلى معارج نسبة الشرف استوا
منهم بأندلس ومن يمن ثوا
شرف شهير كالظهيرة قد حوا
ومروءة وعلى حبا الخير انطوا
نسبوا لمرة من قریش واكتفوا
بالإرث من طه فحازوا واقتنوا
بانوا عن الشرف الأصيل وما انتفوا
بعضا ولكن الفعال بها نموا
كرمت وكل العالمين بها سمو
فإذا الأوائل من أواخرهم حيوا
لهم المكارم والمنابر قد علوا
فى مدرس أو جامع وهم يروا
منحوا المريد مراده ولكم حبوا
وهم بها يعسوب سر ما انقضوا
والعز يتبع شوطهم وله مشوا
سادوا وشادوا ذروة ولها ارتقوا
مجد أثيل شامخ فيه اجتبا
ما أن يحيدوا عن كريم لا ولوا

زانت مدائحهم نظام محبهم فامتاز بين معانديه وإن عتوا
ما كل من مدح الكرام أصاب ما فيهم وما كل إذا مدحوا صغوا
لكن مناقب هؤلاء جليلة أنستك ذكر من مضى لما بدوا
دلوا على الهدى القويم بحالهم ومقالهم ومن الجهالة قد شفوا
فالله يحفظهم ويبقى فرعهم وهم هداة للأنام كما اهتدوا

قلت: حدثني بعض العدول المبرزين الأثبات من شيوخى الأعلام، أنه وقف على هذه القصيدة بخط ناظمها عند الفقيه السيد المكى بن سودة نجل قاضى الحضرة المكناسية العلامة السيد الحاج المهدي آتى الترجمة خالية من الأبيات المصرحة بنسبة الممدوحين بها للشرف، وإنما هى ملحقة بالهوامش بخط غير الخط المكتوب به الأصل. هـ.

وعليه فلا ريب أن تلك الأبيات مختلقة، ومما يؤيد اختلاقها ويبرهن على براءة المترجم منها قوله فى البيت الرابع والثلاثين من نفس القصيدة: فالسوديون المريون ذوو الوفا، فإنه اقتصر على نسبتهم لمرة، وقد حقق النسابون أن مرة من مشترك الأنساب كما هى فى قريش فى غيرها من قبائل العرب، وقد تقرر أن الأعم لا إشعار له بأخص معين، وإذا كانت القرشية لم تتحقق فكيف بالهاشمية التى هى أخص، وقوله أيضا قبل ذلك فى البيت الثالث والعشرين فسلن لسان الدين الخ، فإن ابن الخطيب وصاحب الصفوة والقادري فى النشر المحال عليهم لم يفه واحد منهم بكون السوديين من أهل النسبة الطاهرة الهاشمية.

هذا وقد وقفت على ما يقطع دعوى كل ناعق النسبة لبيت السوديين فى رسالة للعلامة الأصيل السيد أحمد بن سودة قاضى حضرنا المكناسية جوابا عن

مكتوب مخزنى صدر له فى الباب ودونك نص السؤال والجواب بعد الحمدلة
والصلاة:

«محبنا الأعز الأرضى الخلفية عم مولانا المؤيد بالله مولاي عرفة أمناك الله
سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصل كتابك معلما بأن الفقيه السيد التاودى بن سودة ورد عليك
بجريدة عرف بكتابتها عدلان يريد إثبات النسبة الطاهرة طالبا منك توجيهها لشريف
الأعتاب بقصد اطلاع العلم الشريف عليها وإمضاء مضمونها بالطابع الشريف
تسليما لأمرها، وصار بالبال، فقد وصلت وأنهيناها لعلم سيدنا أعزه الله فاستفهم
أيده الله عما كان تقدم لأسلافهم فى ذلك، وهل كانوا ينتمون إليها ويدعونها لأنه
قد مضى منهم عدد من فحول العلماء كالشيخ التاودى وأضرابه ويبعد كل البعد
عدم اطلاعهم على شىء من ذلك وجهلهم به، بل قد وقع الوقوف فى عدد من
التواريخ الصحيحة على دعوى انتسابهم لمرة بن كعب وبه كنانيشه وتقاييده ولا
زالت قائمة الذات إلى إلا أن.

ولو قيل قد يفتح الله للآخر ما لم يفتح به للأول، لقال بذلك والده الفقيه
السيد المهدي رحمة الله، وعمه الفقيه القاضي السيد أحمد، فهل يدعى شيئا من
ذلك أو يقول بين ذلك عن أمر سيدنا أيده الله ليظهر، وها الجريدة ردت إليك طيه
وعلى المحبة والسلام وفى ثانى عشر قعدة عام ثمانية عشر وثلاث مائة وألف».

«الحمد لله حبنا الأجل الأمد، الفقيه الكاتب السيد الحسين بن سعيد
حفظكم الله ورعاكم، وسلامه عليكم ورحمته، عن خير مولانا نصره الله وأدام
علاه.

وبعد: وصلتنى نفولتك مع ما كتب به لسيدنا ومولانا الخليفة أسمى الله
قدره وعلمنا المراد من ذلك كله، وأن نجيب عنه بما عندنا، فاعلم رعاك الله أن

الذى أدين به الله سبحانه وألقاه به هو ما كنت أسمع من أشقتى ومنهم أخونا سيدى المهدي وعمى شقيق والدى وهو السيد حمو رحمه الله، هو أن بيتنا بنى سودة ينتهى إلى مرة بن كعب أحد أجداد النبی ﷺ، وعليه فما يرويه ابن أخى سيدى المهدي المذكور فالله سائله عنه يوم القيامة، وكفى حديث من انتسب إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام، اللهم إنا نبرأ إليك مما يدعيه هذا ابن الاخ وأمه قرميدي بنت هم أمى قرميدي، ولا نعلم له حجة فى ذلك لا باعتبار أبيه ولا باعتبار أمه، وبيننا وبين من يؤيده ويعضده الله تعالى.

وأما الجريدة التى أدلى بها فلا تقوم له بها حجة، لأنها مطعون فيها من وجوه كلها شرعية، إذ مبناها على هى بن بى، وقد قال التتائي شارح خليل نقلا عن التوضيح قضية والناس مصدقون فى أنسابهم وتبعه بهرام ما نصه: وهذه العبارة واضحة بالنسبة للالتحاق، وأما إن ادعى شخص أنه شريف فينبغى أن لا يصدق، فكتب عليه العارف بالله سيدى عبد الرحمن الفاسى فى حواشيه على المختصر ما نصه، فقول التتائي: فينبغى أن لا يصدق، يعنى حماية لجانب النبی ﷺ وغيره، فهو موافق لما نص عليه غيره من العلماء.

وكفى هذا فقها قاله وكتبه مشهدا به على نفسه فى ثالث حجة الحرام متم عام ثمانية عشر أحمد بن الطالب بن سودة، ولا أقول السورى لأنه نسبة إلى قرية باليمن، مع أن سكنى أسلافنا غرناطة ثم بفاس زيادة أسلافنا قدموا فى جند الشام زمن بنى أمية إلى الأندلس، فنزلوا إلى البيرة ثم انتقلوا إلى غرناطة ثم إلى فاس وقاها الله من كل باس» من خط من كتب من خطه بحروفه وناهيك به حجة.

وفاته: توفى شهيدا رحمه الله بالطاعون الذى كان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بروضة المولى عبد الله بن حمد الولي الشهير آتى الترجمة بالمباح الموالى لكدية العشاق، كما وقفت على ذلك ببعض التقايد الموثوق

بصحتها، بخط العلامة المتفنن أبى العباس أحمد بن محمد الأغزاوى الشهير بالجبلى المكناسى المترجم فيما مر .

٢٧٢ - محمد بن الكبير العوفى .

حاله : فقيه متفنن كاتب موثق فاضل خطيب مصقع ولى خطبة جامع بريمة من حضرتنا الهاشمية المكناسية .

مشيخته : أخذ عن والده وغيره ممن هو فى طبقته .

وفاته : توفى بعد المترجم قبله يليه بأيام قلائل مطعوناً أيضاً، ودفن بمباح ضريح ابن حمد المذكور آنفا .

٢٧٣ - محمد فتحا بن أحمد بن محمد بن الولى الصالح أبى يعقوب يوسف بن على الحاج المدعو بركشة^(١) بفتح الباء وكسر الراء وسكون الكاف الرهونى .

حاله : حامل لواء تحقيق الفقه المالكى فى زمانه، مرجوع إليه فى تمييز لجينه من لجينه، ورد فروعه لأصوله، أحد أفراد رجال الديار المغربية علما وعملا وفضلا وصلاحا وتقى وهديا وتواضعا وورعا ونسكا وصلابة دين، وضبطا وإتقاناً ومعرفة وتحريراً وتجبراً ونقداً، وقبولاً ورداً، له مشاركة تامة وباع مديد، انتهت إليه رئاسة الفتيا فى زمنه ببلاد الهبط، وكان له القدم الراسخ فى إدراج الجزئيات تحت الكليات، والتصرف فى المذهب بقواعده، ينسب الأقوال لأربابها على طريق المتقدمين، وحاشيته على الزرقانى وبنانى أعظم دليل على تضلعه فى الفروع والأصول ومديد باعه، وسعة اطلاعه، وبلوغ الغاية القصوى فى إصابة المرمى،

٢٧٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٤٩٣/٧ .

(١) فى إتحاف المطالع: «المدعو بروكشة» .

والاقتدار التام على الخوض فى عباب الفقه المالكى، ومعرفة أسرار منطقته ومفهومه، وتفوقه على كثير ممن تقدمه وعاصره، وكان سريع الدمعة دائم الخشية والذكر والتهجد بالأسحار، محبا للصالحين منحاشا لأهل الفضل والخصوصية من المتقين لا تأخذه فى الله لومة لائم، وبذلك نما حاله وتم أمره وأثمر غرسه.

وكان أكثر مقامه بوزان، وقد خطب بها بمولاي سلامة بن محمد بن عبد الله بن مولانا إسماعيل أول جمعة عندما بويح له بها وذلك يوم الجمعة متم رجب الفرد الحرام عام ستة ومائتين وألف، وكان المتولى حمل راية بيعته سيدى على بن أحمد بن الطيب الوزانى المتوفى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول عام ستة وعشرين ومائتين وألف، وأعانه على ذلك جماعة أبناء عمه وسيدى على بن ريسون، ودامت دولة المولى سلامة بوزان شهرين، أفاض فيها الأموال الطائلة والملابس الفاخرة على أهل وزان، ثم خلع نفسه وخرج فارا من وزان ناجيا بنفسه ليلة السبت تاسع عشر شعبان عام ستة ومائتين وألف على ما فى تاريخ الضعيف، ويأتى إيضاح ذلك بحول الله وقوته فى ترجمته وفى القسم الدولى.

ثم إن المترجم قد استوطن مكناسة مدة، وكان محل استقراره بها بمدرسة الخضارين كما يشير إليه ما يأتى عنه، وذلك مدة نقل شيخه الجنوى إليها.

ومن فوائد المترجم فى حاشيته على الزرقانى وبنانى ما قاله فى قول المتن فى باب قصر الصلاة ولا تنقل بينهما ولم يمنعه ولا بعدهما ونصه، انظر هل يدخل فى النقل بعده أى بعد الجمع ليلة المطر سجود التلاوة، كما إذا قرئ الحزب على الوجه المعتاد بعد الجمع بالمسجد، وقد وقعت هذه المسألة بمكناسة الزيتون زمن قراءتى فيها على شيخنا الجنوى بمدرسة الخضارين، فمن الطلبة من ترك السجود، ومنهم من سجد، ثم تنازعوا بعد الفراغ فى ذلك، ثم تكلموا أو بعضهم معى فى ذلك فقلت لهم: ترك السجود أولى، فلما أصبحنا سألت شيخنا الجنوى، فقال:

السجود أولى فقلت له: لم؟ فقال: لأنه أرفع رتبة من مطلق النوافل، بدليل أنه يسجد بعد الصبح قبل الإسفار وبعد العصر قبل الاصفار، فقلت له: ولم لا يسجد بعد الإسفار والاصفرار؟ فقال: لأن الكراهة إذ ذاك أشد، فقلت له: فإذا لم يفعل ذلك لشدة الكراهة فهنا أخرى لمنع النفل بعد الجمع، فقال لى: من قال بالمنع؟ فقلت له: المواق نقلا عن عرفة والزرقاني، فأمر طيب الله ثراه بإحضارهما فأحضرا، فوجد الأمر كما قلت فسكت فسكت فأنفصل الأمر على ذلك، ولم أزل بعد أبحث على النص فى ذلك البحث الشديد، وأطلبه الطلب الأكيد، إلى وقتنا هذا فلم أجد من تعرض لذلك أصلا، والظاهر عندي أنه لا يفعل لما ذكرته، ولأن القول بأن سجود التلاوة كمطلق النفل لا يفعل بعد الصبح ولا بعد العصر قوى. هـ وقد تابعه مختصره فيما استظهره والله اعلم

مشيخته: أخذ عن الشيخ التاودى ابن سودة المرى المتوفى يوم الخميس تاسع عشرى حجة عام تسعة ومائتين وألف عند صلاة العصر ودفن من غده بعد الظهر، سمع عليه موطأ الإمام مالك بقراءته عليه، وصحيح الإمام البخارى بعضه بقراءته وجله بقراءة غيره عليه وهو يسمع، وسمع منه مواضع من التفسير وشيئا من صحيح الإمام مسلم، وشيئا من لامية الأفعال لجمال الدين بن مالك فى التصريف، وذاكره فى عدة مسائل فقهية وأجازه عامة.

وأخذ عن الشريف أبى عبد الله محمد بن الحسن الجنوى المترجم قبل، وهو عمدته وعليه معوله لازمه فى الحضر والسفر، ومن ذلك ملازمته له بمكناس لما أسكنه السلطان بها بقصد بث العلم ونشره فيها كما تقدم، قرأ عليه التفسير إلى سورة الرعد، وصحيحى البخارى ومسلم بقراءته عليه، والأربعين النووية، ومختصر الشيخ خليل غير ما مرة قراءة تحقيق وتدقيق، ورسالة ابن أبى زيد القيروانى، والمرشد المعين لابن عاشر، والتحفة لابن عاصم، إلا أنه لم يختمها

عليه أيضا، وألفية ابن مالك غير مرة، ومقدمة الشيخ ابن آجروم، وتلخيص المفتاح، وجمع الجوامع لابن السبكي إلا شيئا يسيرا من آخره، والحكم العطائية كل ذلك قراءة حسنة ذات أبحاث رائقة، وتحريرات فائقة، كما صرح بذلك كله المترجم عن نفسه فى ديباجة حاشيته على بنانى والزرقانى قال: ولقد منّ الله علىّ بمعرفته وصحبته وخدمته سفرا وحضرا زمنا طويلا، قال: ومن أعظم منن الله علىّ أن غطى عنه مساوئى الكثيرة، وذنوبى الغزيرة التى لا يعلمها إلا الله تعالى، فكان يحبنى حبا شديدا، ويظهر ذلك. هـ وأجازه عامة.

وأخذ الطريقة الوزانية عن سيدى على بن أحمد بن الطيب الوزانى وكان من خاصته الملازمين له المتهتكين فى محبته من غير غلو ولا تفريط شأن العلماء العاملين.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان العادل مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله وقرظ له حاشيته على البنانى والزرقانى وكفى كلا منهما شرف بصاحبه، وأخذ عنه أديب الرباط العلامة ابن عمرو، وقاضى العدوتين ومكناسة العلامة السيد الطيب بن إبراهيم بسير وجماعة من الأعلام.

مؤلفاته: ناهيك منها بحاشيته على الزرقانى وبنانى الموسومة بأوضح المسالك وأسهل المراقى، إلى سبك إبريز الشيخ عبد الباقي، وحاشيته على الشيخ ميارة الكبير للمرشد المعين، وأظنها لم تكمل، ومجموعة خطب، والتحصن والمنعة، ممن اعتقد أن السنة بدعة، وإظهار ما يفكر أهل الفطنة، ليعرض على ذوى الذكاء والفطنة، وهذا أدرجه فى حاشية الزرقانى، إلى غير ذلك مما هو مدرج فى الحاشية المذكورة وما هو مستقل بنفسه.

نثره: من ذلك قوله فى استدعائه الإجازة من شيخته التاودى ابن سودة ولفظه: الحمد لله الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السما،

الذى من استند إليه ارتقى فى ذروة الكمال وسما. والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد أجل من أسند عنه الرواة والعلماء. وأفضل من ارتوى من رشح علومه وحكمه الأولياء والحكما. وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا من أقواله وأفعاله وتقريراته ما أزالوا به عنا كل غشاوة وعماء، صلاة وسلاما دائمين ما أرسلت السماء قطرا وبدا بها صحو أو غما، والرضا عن ساداتنا التابعين لهم بإحسان وكل من انتسب إليهم إلى يوم الدين وانتمى.

وبعد: فليتفضل سيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الحبر الهمام، ذو الثبات والرسوخ شيخ الشيوخ الجهابذة الأعلام، الذى ألفت إليه العلوم كل زمام، فالناس له تابعون وبه مؤتمنون وهو الإمام، أبو عبد الله سيدى محمد التودى ابن سودة المرى، لازال الكريم بنفائس المعارف إليه يقرى، بالإجازة لهذا العبد الضعيف، الذى قطع عمره فى البطالة والتسويق محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الحاج الرهونى، وهو وإن لم يكن لذلك أهلا، فاقبلوه منكم وفضلا، كى تهب عليه نفحاتكم العظمى، ويستوجب بذلك من الله مزيد الرحمى، ويرتفع بالإسناد إليكم قدر هذا الخسيس، وكيف لا وأنتم القوم لا يشقى بكم المجلس، أجازكم الكريم بأنفس ما أجاز به وفده المقربين، وأطال بكم النفع للخاصة والعامة من المسلمين، بجاه سيد الأولين والآخرين، وأختم استدعائى هذا بما قال القائل:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل

ولادته: ولد فى ذى القعدة الحرام عام تسعة بتقديم المثناة وخمسين ومائة وألف.

وفاته: توفى بعد فجر يوم السبت ثالث عشر وقيل موفى عشرى رمضان سنة ثلاثين ومائتين وألف، ودفن يسار محراب روضة شيخه سيدى على بن أحمد المذكور بوزان، رحم الله الجميع بمنه آمين.

٢٧٤ - محمد بن عبد الوهاب أجانا.

حاله: شيخ علامة مشارك نبيل ذكره السلطان أبو الربيع سليمان فى عناية أولى المجد.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد فتحا الفاسى المتوفى بمرض الاستسقاء يوم الأربعاء ثانى عشر رجب سنة أربع عشرة ومائتين وألف عن نحو خمس وثمانين سنة. ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٥ - محمد بن عمر الصنهاجى الأصيل المكناسى الدار.

أحد موالى أمير المؤمنين السلطان مولانا سليمان. حاله: فقيه كاتب مشارك علامة محرر. مشيخته: أخذ عن السلطان العادل مولانا سليمان وغيره، ذكره الزيانى فى الجمهرة، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٦ - محمد بن حمادى الصنهاجى الأصل المكناسى الدار.

حاله: فقيه علامة تولى قضاء الحضرة المكناسية. مشيخته: أخذ عن أعدل الملوك، مولانا سليمان، صرح بذلك الزيانى فى جمهرته، وعن غيره من الأعلام ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٧ - محمد السلاوى أحد موالى السلطان مولانا سليمان والدأ عن والد.

حاله: فقيه كاتب، نشأ بيت الإمارة وغذى لبان الأدب الغض، ولاه السلطان المذكور كاتباً بديوانه الملوكى، ثم رقاها إلى الوزارة، ثم إلى الإمارة فى

٢٧٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٤٩٤/٧.

الثغور البحرية والقبائل الفحسية ثم لقبائل العرب من المضرية واليمينية، ثم جعل له النظر والكلام إبراما ونقضا مع نواب وسفراء أجناس النصارى ولم يزل يتقلب فى المناصب العظام، ومعارفه وصدقه وإخلاصه تقدمه إمام، إلى أن لى داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن مولاه أمير المؤمنين مولانا سليمان كما صرح بذلك الزيانى فى جمهرة التيجان، وعن غير واحد من جلة شيوخ وقته. وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام ثلاثين ومائتين وألف.

٢٧٨ - محمد الزرهونى الأصل الفاسى الدار.

حاله: فقيه كاتب، رقاہ السلطان المولى سليمان من الكتابة إلى عمالة وجدة وأعمالها، ثم عزله وردة للكتابة ببساطه الملوکى، ولم يزل بها إلى أن نقله الله إليه.

مشيخته: أخذ عن السلطان المولى سليمان كما لصاحب جمهرة التيجان وغيره من أعلام وقته.

وفاته: توفى بفاس عام ثلاثين ومائتين وألف.

٢٧٩ - محمد بن الطاهر بن محمد بن محمد فتحا بن السعيد بن محمد بن

محمد فتحا بن قاسم بن مولای الحسن بن سيدى يوسف.

نجل مولانا على الشريف من شرفاء بوسلام، أحد قصور ملوية.

حاله: فقيه علامة مشارک نقاد، مدرس فريد عصره، وأعجوبة دهره،

٢٧٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٥٣٩/٧.

محقق إمام فى سائر الفنون عقليها ونقليها، ماهر فى التفسير والحديث وعلوم العربية، كثير المطالعة، غزير الاطلاع، محبوب مسموع الكلمة، محب فى الأولياء والصالحين المجاذيب والسالكين، صلب فى دينه، يقال: إنه كان يظعن ويقيم بكتبه العديدة النفيسة وكانت نحو أربعين جملاً.

وكان ذا جاه ووجاهة، وهمة جاوزت الجوزاء، ونزاهة، قال فى الشجرة الزكية: استوزره إمام وقته مولاي عبد الرحمن ونوه به ولازمه فى حضره وسفره. هـ.

أخذ مبادئ العربية بسجلماسة، ثم ارتحل لفاس واستوطنها، وكانت سكناه بزقاق الحجر منها حسبما أخبرنى بذلك بلدنا حفيده، ثم استوطن مكناسة الزيتون مدة مديدة، ولازال عقبه بها إلى الآن، وكانت سكناه بها آونة بحومة زقاق القرمونى، وأخرى بحومة حمام الجديد.

مشيخته: أخذ عن سيدى حمدون بن الحاج ومن فى طبقته، وشاركه فى الأخذ عن الشيخ التاودى، واعتمد السيد عبد القادر بن شقرون المتوفى زوال يوم الخميس حادى عشر شعبان عام تسعة ومائتين وألف، والشيخ الطيب بن كيران.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد الطالب بن الحاج، وسيدى التهامى بن رحمون، وأجاز للآخرين عامة بتاريخ فاتح رجب عام ستة وثلاثين ومائتين وألف، ومولاي الزكى صاحب الشجرة الزكية، ومولاي الصديق، ومولاي الحبيب أبناء مولاي هاشم بن محمد الكبير.

وفاته: توفى بمراكش منتصف جمادى الأولى عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، ودفن بضريح مولاي على الشريف مع عمه رحم الله الجميع بمه.

٢٨٠ - محمد بن منصور الفويسى المراكشى .

ذكره الضعيف فى تاريخه وحلاه بالأديب ، وقال : إنه توفى بمكناس فى شعبان عام ثلاثة ومائتين وألف .

٢٨١ - محمد بن الطيب الشريف الحسنى العلوى البلغيشى .

حاله : فقيه عالم محقق عدل رضى وجيه ، بركة فاضل منور السريرة وقور معتقد ، على الهمة ، صلب فى دينه ، من أهل زاوية زرهون ، تولى نيابة القضاء بالزاوية المذكورة من عام خمسين إلى ستين ومائتين وألف ، ونسخ البخارى وغيره بيده ، وبه اشتهر عقبه بأولاد ابن القاضى ، وببلده الزاوية الإدريسية ، توفى ودفن بالظهير المقبرة المعروفة بها .

مؤلفاته : منها شرح على الحكم العطائية فى جزئين وقفت على جزء منه بخط يده .

وفاته : بعد الستين ومائتين وألف ، إذ تاريخ زمام تركته ثانى ربيع النبوى عام ثلاثة وستين ومائتين وألف .

٢٨٢ - محمد بن إدريس بن محمد العمراوى الوزير الأديب الكبير .

حاله : فقيه أديب شهير ، ناظم ناثر ، إمام الصناعتين ، وحامل لوائهما بدون مين ، تزرى ببديع الزمان بدائع وأوابده ، وتخجل الفتح بن خاقان رقائقه وفرائده .
حلاه بعض حذاق الكتاب من معاصريه بما لفظه : رئيس الكتاب . الآخذ بحلقة الباب ، الصدر الذى لا يحسن فيه التأخير ، والخبر الذى لا ينبغى أن يعامل باليسير ، برع فى الأدب ، وساد بالحسب والنسب . أخلاقه تنبئ عن نسبه ، وشيمه تفصح بعراقة حسبه ، كان ذا همة عالية وسلامة صدر عن الحقد خالية ، يكافئ المسىء بالإحسان ، ويعامله بما يناسب من الامتنان ، ذا وجه وسيم ، وثغر بسيم ،

ومروءة ورزانة، وعفاف وصيانة، يحلم إذا أُوذِيَ، ويجيب بالسيادة إذا نودى، ويكرم نزله ويواسيه، ويتفقد أحواله ويدانيه، سهل المنال، لين المقال، صاحب همة عالية، ومائدة بأنواع الخيرات وافية، جاهد أولاده فى تعليم القرآن والعلم، ودربهم على الاحتراف بالحلم، أشد الخدم اعتناء بخدمة مولاه، راع وحافظ لما تولاه، ناصح فالح، قادح مباح، إذا أطلق عنان القلم فى القرطاس، أتى بكل غريبة وحجج مضيئة كالنبراس، لا يتوانى فيما أسند إليه من العمل، ولا يتراخى بطول الأمل، حنكته التجارب والخطوب، وعلمته المحن كل مكروه ومحجوب، هـ مختصراً.

وكان له معرفة بالحساب والتعديل والنحو واللغة والعروض والأدب، منحاش لجانب الله، محب فى الصالحين وأهل الفضل والدين، زوار لهم، متطارع على أعتابهم، يحب السماع ويستنشق به ويرتاح له.

وكان فى أول أمره ينسخ الكتب ويؤدب الصبيان، ثم انحاش إلى أبى القاسم الزيانى وصار ينسخ له مؤلفاته فى الدولة العلوية وغيرها، ثم وقعت بينهما وحشة أوجبت انقطاع المترجم عن الزيانى، ثم عادت الوصلة بينهما على ما كانت عليه قبل حسبما أوضح ذلك الزيانى فى بعض كتبه، وهو الذى قدمه إلى سيدنا الجد من قبل إلام السلطان الهمام، مولانا عبد الرحمن بن هشام، أيام خلافته بفاس إثر خمود نار ثورة أهله على السلطان العادل مولانا سليمان ولم يزل يقربه ويصطفيه.

ثم لما جلس على كرسى الخلافة بعد عمه السلطان مولانا سليمان أبقاء من جملة كتبه، بل رأسه عليهم لما رأى من حسن عقله وديانته، ثم استوزره فقام بشئون مأمورية وظيفه أحسن قيام لما أسند إليه الرياسة، واختص بالتدبير والسياسة، وصار لا يدخل إلا من بابه، ولا تنال الرغائب من غير ميزابه، واستمر

على هذا الحال، مرضى المقال، مجاب السؤال، إلى سنة ست وأربعين فعزل فى شوال منها عن الرياسة والكتابة، وأمر بلزوم داره وانقطع عند الوارد والصادر.

ثم سجن ونهب وثقل بالحديد، وأُصيب بالنكال الشديد، وجفاه القريب والبعيد، إرضاء للأوداية الذين أوغروا قلب السلطان عليه، وصرحوا بأنه السبب الوحيد فى إيقاد نيران الفتى بينهم وبين السلطان أبى زيد مخدومه المذكور، وأنهم لا يرضخون للطاعة ما لم يقتض منه، ولا يرضون وساطته ولا يقبلون دخوله فى أمر ما من أمورهم.

ثم بعد مدة سرح من السجن، وبعد أيام خرج بقصد زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش فوشى به بعض الحسدة للسلطان وقرر له أن مقصوده بهذه الوجهة هو الهرب بمال كان دسه، والاستيجار بذلك الضريح، فوجه السلطان فى أثره من رده على عقبه، ثم امتحن محنة أشد من الأولى، فبقى بفاس مدة يلتجئ إلى الله تعالى ويتعلق بأوليائه الصالحين، إلى أن أشار عليه من يشار إليه بالخير والصلاح بالتوجه لمكناسة الزيتون، والسلطان إذ ذاك بها، فذهب إليها واحترم بضريح جد الأملاك مولانا إسماعيل.

ولما بلغ خبره للسلطان أمنه وأمره بالطلوع لشريف أعتابه، فاستكتبه أولا مع وزيره الفقيه السيد المختار الجامعى، ولم يزل فى ترق ودنو إلى أن رده لمنصبه وأعطاه الطابع وعزز له الوزارة بالحجابة، وذلك سنة إحدى وخمسين، ولم يزل على وظيفته بعد عزيزا مكرما، ملحوظا معظما، إلى أن استهل هلال المحرم من سنة أربع وستين فمرض اثني عشر يوما وقضى نحبه على ما سنذكره بعد رحمه الله.

وكان من عادته أنه يلازم الجلوس بباب القصر السلطاني حتى فى الأعياد وأيام البطالة، يذهب أرباب الوظائف والخدم لدورهم، ويبقى هو بالباب لا يبرح، فإذا تم أشغاله نام هنالك، ولا يذهب لبيته إلا فى أوقات محدودة، أو حاجة أكيدة، ويقول: الأيام حبالى لا يدرى ما تلد، فرما يحدث أمر وأكون غائبا.

وكان ذا ملكة واقتدار على الاشتغال، يَسُدُّ مَسَدَّ أربعة إذا اجتهدوا، وكان ينبسط إلى الكتاب ويمازحهم قصداً لإدخال السرور عليهم، وكان إذا تحدث مع جلسائه في فن التوحيد أحجم، وقال: كان شيخنا سيدى محمد الحراق يقول:

نحن في شرعة الغرام أذله إن أقمنا على الحبيب أدله

ويقول: يكفيننا قول من قال: اللهم إيماننا كإيمان العجائز، وكان يقنع فيه بالتقليد ويكره الخوض فيه، ويقول: الخوض فيه مما يوقع اللبس في ذهن العاجز، وكان لا يرى في غالب أوقاته غير كاتب أو مطالع أو مصل، وكان محافظاً على الطهارة كلما أحدث تواضعاً.

قال أبو عبد الله أكنسوس: وجدت بخطه يعنى المترجم في ذكر بعض آبائه الكرام محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس ثلاث مرات، فقلت له: ما هذا التكرار؟ فقال: هكذا بخط والدى السيد محمد بن الإمام إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل، بتكرير محمد بن إدريس في عمود آبائنا تبركا بالجد المذكور، قال: فقلت لوالدى: هذا النسب صحيح؟ قال: هكذا كان آبؤنا يتتبعون، وكانت عندهم ظواهر الملوك المتضمنة التعظيم والاحترام، وضاعت لهم في بعض الفتن الواقعة في باديتهم بعد انتقالهم لفاس هـ.

قال: وكان مقام سلفهم بقبيلة زمور من بنى عمرو منهم من عهد قيام مغراوة على الأدارسة واختفاء الأدارسة في أغمار القبائل هـ.

قلت: وقد وقفت على تحليلته وذكر نسبه وبعض آبائه في رسوم أنكحة بعض أولادها هكذا: «العالم العلامة، الصدر المكين الدراكة الفهامة، الوزير الشهير، الأديب الكبير، الذى نظم درر الفصاحة فى أسلاكها، وضم درارى الأدب فى أفلاكها، وأسكت كل لسان ببلاغته وأعجزه وأخجل، المرحوم المنعم بفضل الله عز وجل، سيدى محمد بن الفقيه الناسك الأجل، الواعظ المحدث المبجل، سيدى إدريس بن الخير الأرضى، سيدى محمد بن المكرم المرتضى، سيدى إدريس بن سيدى التهامى بن سيدى على بن سيدى محمد بن البركة الشهير الشريف المكين

الأنور المرفوع نسبه إلى أحد ولدى مولاتنا وسيدتنا فاطمة الزهراء البتول، سيدنا ومولانا الحسن أحد ريحانتي الرسول، أبي الحسن سيدى على الشريف الإدريسى الحسنى الشهير بالعمراوى الزمورى البويحياوى .

وكذلك عثرت على بعض الوثائق بيد أحفاده أحدها رسم يتضمن معرفة الشهود السيد أحمد بن يحيى ومن عطف عليه من المتعاشرين مع بنى عمر من البربر المستقرين بالدروج بأنهم يعرفونهم على أتم وجوه المعرفة وأكملها وبها ومعها يشهدون ويتحققون انتسابهم للجانب العلى، واتصال نسبهم للسيدة فاطمة الزهراء تاريخ الشهادة رابع محرم عام ستين وتسعمائة، وبعدها أعمال بعض القضاة لها منهم على بن حماد الحسنى، وقاضى سلاً، بتاريخ سادس عشر جمادى الثانية عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف وغيرهم من القضاة المنطمس شكلهم، وبهذا الرسم بتر وانكماش .

والثانى ظهير إسماعيلى نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى :

«كتابنا هذا أسماء الله تعالى وأعز أمره . وأطلع فى سماء المعالى شمسه النيرة وبدره . . . بيد حملته الشرفاء أولاد سيدى أحمد بن يحيى الحسنى وهم السيد يخلف . . . عبد الملك بن أحمد، والسيد محمد بن أحمد، والسيد العميرى ابن أحمد، والسيد منصور بن أحمد، وكافة إخوانهم القاطنين بقبيلة بنى عمر يتعرف منه بحول الله وقوته، ونصره ومعونته، أنه لما ثبت عندنا، واتضح لدينا، وأنهم شرفاء ينتسبون للشجرة النبوية ويدهم رسوم وبروات الملوك المتقدمة على . . . فى ذلك وأسبلنا عليهم أودية التوقير والاحترام، وحملناهم على كاهل المبرة والإكرام، . . . عما يطالبون به العوام، بحيث لا . . . أو يحدث لشملمهم . . . ولا زيادة . . . معارض يعارضهم ولا منازع ينازعهم، ومن نازعهم من قبيلة بنى عمر ولا غيرهم يخاف على رقبته، والواقف عليه يعمل به والسلام فى أوائل ربيع

النبوى عام عشرة ومائة وألف» وبعده شهد على الطابع الشريف صدره عدل فقبل، وانظر اتصال المترجم بهؤلاء المشهود لهم.

ودار سكنى المترجم بمكناس كَأَنْتُ أولاً بحومة حمام الجديد، ثم عوضت لبنيه من بعده بأخرى أحسن بحومة تيبيرين لا زالت تعرف باسمه إلى الآن.

مشيخته: منهم أبو عبد الله بن محمد بن الطاهر بن أحمد الحبابى رئيس الموقتين بمنار القرويين، والفقيه الأزمى، والسيد حمدون بن الحاج، والسيد محمد اليازغى، والعلامة سيدى محمد بن الطاهر العلوى المترجم فيما مر وغيرهم ممن هو فى طبقتهم، وأخذ عن الشريف سيدى الطيب الكتانى، والشريف سيدى عبد القادر العلمى دفين مكناسة الزيتون، وسيدى محمد الحراق، واستجاز سيدى عمر ابن المكى الشرقاوى.

شعره: له شعر كثير، كالدُر النثير، جمع بعضه ولده الكاتب الأديب الحاج إدريس المترجم فيما سبق فى ديوان يقع فى سفرين وقفت على أولهما ينتهى بحرف النون، قال أوله: إنه كان لوالده القدم الراسخ فى موالاة أهل البيت الشريف ومحبتهم، والانقطاع إليهم وخدمتهم، من عصر الشبيبة إلى الشيخوخة والوفاء، وأنه كانت تصدر منه فى أغراضهم أشعار رائقة، وقواف فى أمداحهم رائقة، وعقود جواهر فى تعداد وقائعهم متناسقة، غير أنه لشغله بالخدمة، وأداء حق النعمة، لم يحتفل بجمعها، ولا ابتغى غير الآخرة من نفعها، فتفرقت أوراقها شذر مذر، وحجب تعاقب الليالى محاسن تلك الغرر، فشرح الله الصدر لجمع ما بقى منها فى بطون الأوراق، وصدر أهل الأذواق، مما رق وراق، وأنه لما رأى ذلك من أكد الحقوق، والإعراض عن تلك البقية ضرب من العقوق، فجمع منها عُلَّالَةً^(١) بين أمداح نبوية، وتوسلات وهبية، وفوائد وعظية، وتيجان ملوكية،

(١) العلالة: بقية كل شىء.

وحقائق سلوكية، ونسيب وغزل، وجد في المسامرات وهزل، وقدمه هدية لمخدومه
السلطان مولاى الحسن رحم الله الجميع .

ومن جيد شعره قوله من صدر ميلادية :

أعد الحديث عن الحمى وطلبائه	فالسّمع مشتاق إلى أنبائه
وصل الحديث عن اللوى وعقيقه	والنازليّن الجذع من جرعائه
فهناك معترك النواظر والنهى	ومجال أفراس الهوى وطلبائه
كم من صريع هوى بأفنية الحمى	فتكت عيون العين فى أحشائه
ومتيم لعب الغرام بقلبه	لما سقاه الوجد من صهبائه
وأسير وجد فى إसार جمالهم	قاداته مرسلة العيون لدائه
أن القتل من الغرام ودائه	مثل الشهيد مضرجا بدمائه
يا صاح إن وافيت منزلة اللوا	ومررت ما بين العذيب ومائه
ولقيت أسراب الأطباء رواتعا	يمررن حول الحى فى أرجائه
فاحفظ فؤادك من ظبا تلك الظبا	فلکم كمى صيد فى أحيائه
وإذا بدا سلع فخرج نحوه	وتنشق الأرواح من تلقائه
وإذا مررت بحى قوم حيهم	وصل السلام على الحمى وطلبائه
واخلع نعالك فى مقدس وادهم	واحطط رحالك خاشعا بفنائهم
فهناك طابت طيبة من طيب من	طاب الوجود بطيب طيب ثنائهم
وهناك روضة خير من ركب المطا	وأجل من لاذ الورى بعلائهم
وهناك قبر المصطفى من فضله	غمر الوجود بجوده وعطائهم

وهناك مَنْ أسرى الإله بذاته
وحباه قريبا لا يضاهى وخصه
وأراه من آياته وصفاته
وكساه من إجلاله وجلاله
إلى أن قال يذكر السلطان:

فاق الثواقب بالمناقب والحلى
قد فاخر الأعصار عصر وجوده
غمرتني أنعمه التي قد أعجزت
واتيت من حر الكلام بمدحه
وجلوت عذراء المدائح عادة
أهدى القريض لها عقود جواهر
وأتى بكاملها الرفيع لكامل
والله أسأل بالنبي محمد
ويديم نصرته ويثبت عزه
صلى عليه الله ما حى الحيا
وعلى الأماجد آله وصحابه

وزرى بطيب المسك طيب ثنائه
وتنافس الأملاك فى استصفائه
شكرا فقامت لها ببعض أدائه
خلع الجمال عليها حسن روائه
وشىَّ حلاها الفكر من إنشائه
نظمت على همز الروى وهائه
بحلى الكمال سما على أكفائه
فى أن يمتعنا بطول بقائه
وعلاءه ويثيبنا برضائه
وترنم الحادى بحسن غنائه
والتابعين الحق من خلفائه

وقوله يمدح السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام ويذكر إجراء الساقية
المسماة بتسلطانت حوز مراکش إلى الغراس والجئات السلطانية:

والحسن مقصور على مواجهها
كالشمس طالعة لدى أبراجها
ترمى فريد الدر من أمواجهها
حلت بها الأعطاف من أثاجها
تعبت ملوك الأرض في إخراجها
وتفيض غمر النيل من أفواجهها
كالغصن بين وهادها وفجاجها
وأنتك واهبة حلال زواجها
وليهنها أن صرت من أزواجها
نشرت ذوائبها على ديباجها
وجناتها وجرى على إدراجها
لكنه صرح بغير زجاجها
بدم العدا إذ أدميت للجاجها
قانى الدماء يسيل من أوداجها
غرقت بحار الأرض فى عجاجها
لتنال بعض الصيب من ثجاجها
مرهوبة تستن من إزعاجها
والسابقون رضوا ببعض خراجها
وفتحت مغلق نهرها وشراجها

وردت وكان لها السعود مواجهها
وبدت طلائع بشرها من قبلها
وتسير ما بين الأباطح والربى
وتصوغ من صافى النضار سبائكها
هبطت إليك من الجبال وطالما
وأنتك راغبة تجر ذيولها
تنساب مثل الأفعوان وتنثنى
خطب الملوك نكاحها فتمنعت
فلتهنك الخود الرفيعة منصبا
حمراء عباسية بدوية
وافتك وافدة صبغ الحيا
فكأنها بلقيس جاءت صرحها
حاكت لك السيف الصقيل مضرجا
فكأنما ذبحوا بها زمرا فذا
علمت أناملك الشريفة أبحرا
فأنتك طالبة الأمان لنفسها
لبتك إذ سمعت نداك وأقبلت
ونزعته بالقهر من غصابها
حليت مراكشا بدر عقودها

وجلبت منها للرعية نفعها
كم من مزارع أخصبت وحدائق
يعلى على الإسكندر استدراكها
نالت من النيل المقدس شعبه
لو يعلم الحكماء ما فى مائها
فاق الرضاب حلاوة وعذوبة
لو مازجت ماء البحار بمائها
يغنى عن السكر طعم زلالها
تنسى الغريز ومعبدا نغماتها
حلت لنا دار الهناء وخصصت
أحيت نبات الأرض فى جنباتها
حيث الحدائق شاكلت زهر السما
نسجت زرابى فى الفلا مبثوثة
حفت بها حلل الأعارب رغبة
جعلت بساحتها ملاعب خيلها
وأسامت الأنعام حول فسيحها
يا أيها المحيى شريعة جده
والباعث الجرد السلاهب ضمرا
تهدى أستها ولمع سيوفها

وحللت ما قد عز من أرتاجها
حلتها بالأقراط من أزواجها
ويحار رسطاليس فى استخراجها
وزرى بطيب المسك طعم مزاجها
ما عالجوا المرضى بغير علاجها
وحكى لباب الشهد حلو مجاجها
غلبت عذوبة مائها لأجاجها
وعن الغناء ينوب صوت لجاجها
ويحار إبراهيم فى إهزاجها
روض المسرة إذ أته بتاجها
وأرت نجابة دوحها ونتاجها
فى زهرها الزاهى وفى أبراجها
من نورها كالمسك فى آراجها
فى مائها وكلائها ونتاجها
ومطالع الأقمار من أحداجها
فنمت بنجم جمالها ونعاجها
والمرشد الهادى إلى منهاجها
نحو العدا تستن فى أفواجها
نحو العدا كالشهب تحت عجاجها

تجتأب باسمك كل خرق سبب
الله يسر ما تروم أما ترى
لو شئت من زهر الكواكب وصلة
كم أمة شقيت بسيفك إذ عثت
وقبيلة تبعت سبيلك فاهتدت
ومرد لعب الهوى بضميره
ومحب حق قد جذبت بضبعه
تفد الوفود عليك طالبة الغنى
فتنال غاية قصدها ولو انها
عمت مواهبك الأنام فمالها
أنزلت رحلى فى حماية مالك
ولئن لجأت فقد لجأت لسيد
طود الجلالة أصل كل فضيلة
خذها أبا زيد نتيجة فكرة
طالت فطابت كالمنوه باسمها
والبس من المدح المنظم حلة
واسلم لدهر أنت شمس زمانه
وقوله فى العنب:

عرائس الروض تزهو فى عرائشها

وتعود بالإفلاج عند معاجها
عقم المنى عادت إلى استنتاجها
لهذاك رافعها إلى معراجها
أخنى عليها الدهر باستدراجها
حاطتها حارسة العلا بسياجها
أرضته خطية القنا بزجاجها
فحبته أيدى المكرمات بساجها
تزجى الركائب تحت مبهم داجها
نادتك لبها ندى أفلاجها
إسآدها يهدى إلى إدلاجها
سامى المناقب والحلى وهآجها
كشاف معضلة الورى فرآجها
بدر الخلافة فى الورى وسراجها
بكرآ تهز العطف فى ديباجها
إن شئت سحر البابلى فناجها
قد طرزت واعطف على نساها
ولأمة أنت الكفيل بحاجها
لها خدور لصون الحسن والحسب

قد ربيت فى مهاده ما يحركه
وأرضعتها ثدى السحب درتها
فأصبحت بعد ما تمت رضاعتها
تكاد تسقط سكرا فى أريكتها
فيها لأهل التقى شكر ومهمله
وقوله يداعب الشريف الفكه الظريف مولاي الحجازى العلوى الذى كان
المولى عبد الرحمن يتأنس بمداعبته وكان قد مات له غلام يسمى بيدق وجارية
تسمى شويطرة:

هى الأيام تفجع بالمصاب
تكدر بالمنية كل عيش
وتختلس النفوس ولا تبالى
رمت عن قوس نبعثها سهامها
أصابت بيدقا ورمت جهارا
فهذا كان يتبعنى نهارا
فتحسن عشرتى وتقم بيتى
وذلك كان يحفظ لى مغيبى
وكان الصدق شأنهما ولكن
أأضحك بعد نيل الموت منى
وقد علقت شويطرة المنايا
وتمزج حلو نعمتها بصاب
وتولع بانتهاب واغتصاب
وتستلب النفيس ولا تحاب
أتت من لم يكن لى فى حساب
شويطرة ولم تشفق لمآب
وتلك خديمتى عند الإياب
وتحرسه وتغسل لى ثياب
وأمتعتى ويحرس حول باب
جيوش الموت تولع بالرغاب
وأنعم بالطعام وبالشراب
وجاورت البويدق فى التراب

فأفجعت الفؤاد بها وحسبى
وكانت أنفس الأشياء عندى
وكنت أَعدها لأُمور نفسى
وأطمع فى اقتضائى لافتضاضى
فوا أسفا على ما فات منها
مضت عنى شويطرة وأبقت
وإنى أرتجى خلفا قريبا
من الرحمن مع حسن المآب

وقوله وقد وصله كتاب، من شأنى يريد السباب، فسد فى وجهه الباب:

ألا أيها الرامى بسبابه
رويدك عندى للسفيه مثالب
رميت امرءا لا يعلق الذم ثوبه
ولى من لسانى صارم الحد فاتك
فإن مضك الذم الذى أنت أهله
وإن مزقت أسمال عرضك نفثتى
نهيتك عن أمر تبينت غيه
فآليت أن لا ترعوى لنصيحة
إذا المرء لم يقبل نصيحة مشفق
فدعه وأحداث الزمان تنوشه
سيطره من لم يكن فى احتسابه

وقوله :

ذكرت ريح الصبا عهد الصبا
ما سرت إلا وسرت قبله
باكرت روض النقاد وارثفت
صافحت زهر اللواغب السرى
جررت ذيل دلال سابغا
شوشت أغصان بان عندما
سلبت من كل نور نفحة
جددت وجدا لنجد والحمما
ما هفت يوما على القوم وقد
وأئت من طيها فى حيها
كيف لا تسمو على الطيب وقد
وقوله :

مضى فى المناهى والملاهى شبابى
ولم أدخر زادا ليوم مقامتى
أنافس مثلى فى البطالة والهوى
وأسريت فى ليل الجهالة خابطا
أنعم عيشا فى الورى بعد ما بدا
كأنى لم أومن بيوم حساب
ولم أتخذ عقبى وحسن مآب
وأعرض عن تقوى ونيل مثاب
به خبط عشوا فى هوى وسراب
بياض مشيبى فى سواد شباب

وقوله :

وأنفع النفثات السحريات رقى
وأكبر السحر تأثيراً وأصعبه
قاض على الكل مقبول وقد شهدت
لم يهرم الدهر ما أثنى على هرم
وقوله :

أما الرسوم فلم ترق لما بى
ولقد وقفت بها أكفكف عبرتى
وأسائل الربع المحيل تولها
وقوله :

أريد إقامة الحجج المواضى
وأدحض بالحقيقة كل وغد
لا محو زور أقوال الوشاة
يبين الود وهو من العداة

وقوله وقد كان فى سفر مع السلطان ماراً ببلاد زمور الشلح فبدا سرب من
نسائهم متعرضات للسلطان فاستنشدته بعض الرفقاء فأنشدته بديهة :

أطباء زمور سلبتم مهجتى
وهتكتم بالقهر حصن تنسكى
شنت علينا بالنواظر غارة
كفوا ألحاظكم الكحيلة وارددوا
أولا أأيحوا للشفاه شفاءها
ولتستحلوا لثم تى الوجنات
بقنا القدود وصارم اللحظات
بجيوش حسن خريدة ومهات
فأخذتم الألباب فى الثارات
أسلاب ألباب على المهجات

قالت أفى شرع الغرام تحكم
نحن الملوک على الملوک وإنما
الجور عدل عندنا والظلم حـ
أرأيت منحکم على الفتیات
أحكامنا بالقهر والغلبات
قی بیننا والذنب کالحسنات
وقوله فی معنى التغزل والوداع . وعرض لذلك داع . وتخلص منه لمذح
السلطان :

عرضت لنا کالظبية المغناج
هيفاء فوق قضيب بان أطلعت
ورنت بعین مهة رمل أودعت
لضعيف ذاک الجفن صولة قادر
خرسى الخلاخل والسوار وقرطها
يشکو للیل الشعر مدمج خصرها
والعین من فرط السقام شکت لنا
أعدى سقام جفونها جسمی کما
إن مت من فرط الغرام فقاتلی
دینی على ظبیا تهن مواعد
کم من شفا بین الشفاء لذی الجوى
أصف الدواء لذی الهوى وأظننى
إن التی سفکت دمی بلحاظها
حیت فأحیت صبها بمکحل
تختال فی حلل من الדיباج
بدر التمام بلیل شعر داج
فتنا تنسى فتنة الحلاج
فی العاشقین کصولة الحجاج
والحلی مهما مشت کثیر لجاج
ما مسه من ردفها المواج
ما يشکیه الخصر من إدماج
قلبی بنار الخد ذو إنضاج
غید الغوان بکل طرف ساج
بالقرب منهمام الغرام علاج
ودواء صب فی لذیذ نتاج
من لحظ عین العین لست بناج
وسبت فؤادی بطرفها المعتاج
أحوى ووجهه أبلج وهاج

وتبسمت فأرتنا سمطى جوهر
لم أنس وقفة عيسها يوم النوى
والقلب من ألم الفراق على لظى
تشكو النوى لمحبتها بلواحظ
ساروا فكم من مهجة فى إثرهم
هم أودعوا قلبى الجوى إذ ودعوا
نعب الغراب بينهم فتفرقوا
بانوا فبان تصبرى من بعدهم
سقبا لمنزلة اللوى من معهد
أيام تسعدنى سعاد بقربها
والدهر غرض جفون كل مكاشح
كم ليلة طلعت طلائع أنسها
إذ نطلع الكاسات فيها أنجما
وندير من خمر الصبابة بيننا
لا نفتفى غير العفاف ولا نرى
وعشية رقت وراقت منظرا
يبدو فتحسبه سماء أفرشت
لو كنت شاهده وقد هب الصبا
والشمس ناشرة دوائب شعرها

بمفلج لمدامة مجاج
والظعن فى الإلجام والإسراج
والعين تسخو بمد مع ثجاج
نعس الشفار ومقول لجلاج
ومدامع تستن كالأمواج
وطوا بدور التمس فى الأحجاج
ليت الغراب مقطع الأوداج
وكلفت بالتأويب والإدلاج
فلكم قضينا بربعه من حاج
وتزريح عنى الهم حين تناج
أوقاته للأنس ذات نتاج
فجلت جيوش نوائب ودياج
تجلى على النغمات والأهزاج
صبهاء صافية بغير مزاج
غير الوفا فى الحب من منهج
فى شط بحر زاخر عجاج
أمواجه تلتاح كالأبراج
لعلمت كيف تلاطم الأمواج
تبدو لدى آفاقه كالتاج

وتزين صفحته بمذهب نورها
والموج أمثال الكتائب يرتقى
تهدى إليه بنفسجا من مائها
ويكاد يحكى الملك الرضا
المالك الميمون طائره ومن
ما عابد الرحمن إلا رحمة
وقوله :

قالوا أنراك عدلت عن سنن الهوى
فأجبتهم برد الزمان أصابنى
وقوله :

ترقرق فى وجه الصباح صبوح
وعاودنى للأنس عيد مسرة
ولم أر مثل (المأمونية) معهدا
هو السهب للشهب الزواهر مطلع
قباب كأبراج السما ومنازل
بها للظباء الكانسات ملاعب
وقد صفقت تحت الظلال مذنب
ظللنا بها والسحب يثر دره
تلون فيه الجو كالدهر بشره

فيهز عطف التيه عقبى الداج
ويغير نحو الشط فى أفواج
فيرده متكسرا كالعاج
فى جودها لو كان غير أجاج
حياه وجه السعد بالأفلاج
ظهرت لحسم ضلالة وعلاج

مذ حدث عن نظم القريض ونسجه
فجمود نار قريحتى من ثلجه

فبان به اللهم عنى سروح
به لعهود الأنسات فتوح
بأكنافه تغدو المنى وتروح
وللفضل فيه والجلال وضوح
خلال بروج قد علت وصروح
سمت ولربات الجناح جنوح
وساحت فصاحت فى الغصون صدوح
وللغصن فيه والأضات طموح
يمازجه تحت الغمام كلوح

وللريح فى تلك الخمائل زفرة
وللكأس فى كف السقاة تبسم
فلا زال مأوى للملوك وللعلا
وقوله :

بنفسى روض من جمال جلوته
سقاه حيا حتى ارتوى ورد خده
وغرد ورق الحلى من فوق قامة
فعانقت منها الغصن يهتز ناعما
وقوله :

دعا داعى الشريعة للجهاد
فما هذا التثاقل والتوانى
وكم هذا التغافل والتعامى
وقال من مولدية :

يا نسمة هبت مع الأسحار
وتقر من أهل المحبة أعينا
حيث بأنفاس الخمائل أنفسا
وافت تجر من الدلال ذيولها
تروى أحاديث العقيق وحاجر
فتسوق للصب المشوق صباة

كزفرة صب قد عراه نزوح
وللشرب تقطيب لها وكلوح
تقرر فيه للسرور شروح

وقد غفل الواشون عند صباح
حياء فحيانا بثغر أقاح
سمت فوق ردف كالكثيب رداح
وقبلت منها البدر غب ليح

فلبوا مهطعين إلى الجلاذ
وحزب الشرك يضرب فى البلاد
وقد حفت بكم زمر الأعادى

تحى القلوب بعرفها المعطار
لم تكتحل بعد النوى بغرار
تشرى اللقا بنفائس الأعمار
وهنا وتسمح أوجه النوار
عن بان نجد عن شذا الأزهار
وتشب فى الأحشاء جذوة نار

وتبث عن عرب برامة خيموا	سرا تنزهه عن الإضممار
تتمایل الأشجار عند سماعه	طربا وتفصح ألسن الأطيّار
لم تدر دارين لسالب مسكها	طيب الأريج ولا ظفير ظفار
لم لا تفوق وقد تلقفها الصبا	وروى شذها نسائم الأسحار
وأّت على دار الحبيب فأذنت	منه بقرب مسرة ومزار
وتوافق السعدان فازداد العلا	فصل الربيع ومولد المختار
شهر به اهتز الوجود بأسره	لظهور سر الله فى الأسرار
وسرت مسرته على طول المدى	وتجددت بتجدد الأعصار
لاحت بغرته السعود وأشرقت	فرحا بوسطاه سنا الأنوار
وتزينت فيه الجنان وحوورها	وتبرزت بمنصة استبشار

وقال من قصيدة يهتئى بها مولانا على بن مولانا سليمان بدار أسكنه فيها والده السلطان رحمه الله وقد جمع فيها العلماء والأعيان، لقراءة ختمات من القرآن، وكان ممن جمعته تلك الجملة، وانخرط مع أولئك الجلة، :

حياك حياك رب العرش يا دار	ودار مع ساكنيك العز ما داروا
ولن تزالى بإذن الله دار على	والمجد والجود والعلياء عمار
دار تود الشموس لو تحل بها	وتحسد النازلين فيها أقمار
شيدت بها غرف من فوقها غرف	وقد جرى تحتها كالخلد أنهار
بها سوارى عوارى كالجوار بدت	عليها للحسن والإتقان أنوار
قد نمقت ببديع الحسن ساحتها	كأنها الروض والألوان أزهار

جرى بها سلسل مثل اللجين بدا
فما البديع بديع عند رؤيتها
أُست على الدين والتقوى أَلست ترى
عذراء قد بهرت حسنا وقد عنست
فكفؤها المرتضى الأسمى أبو حسن
وزادها شرفا فخما إلى شرف
بتنا بها ليلة ما كان أقصرها
للقارئین لدى أرجائها
بنعمة تدهش الأبواب مطربة
للند والعود فى أرجائها أرج
وللشموع سطوع فى مجالسنا
قابلن جيش الدجى ففر منهزما
وللمصايح فى تأنيقها عجب
نردد الطرف فى أرجائها عجا
يقول مبصرها من حسن بهجتها
يا روضة الحسن منك الحسن مسترق
أنت التى جمعت للحسن أجمعه

فى خصّة فيها للرائين أسرار
وليس يذكر للزهراء أخبار
فيها مدى الدهر للرحمن أذكار
دهراً لكفاء لها فى الناس تختار
فنعم من حلها ونعمت الدار
أن قد غدا صنوه الأسمى لها جار
كذا ليال الوصال فيها أقصار
وللمصلين بالتسبيح إظهار
ليست تحاكيها قينة وأوتار
وللمدائح إقبال وإدبار
كأنهن قنا سنانها النار
إن الدجا من جيوش النور فرار
مثل النجوم لها فى الليل إزهار
فيرجع الطرف عنها فيه إحسار
وللورى ببديع الحسن إقرار
وللبها منك إيراد وإصدار
لما ثوى بك من للمجد مختار

وقال يهنئ أخاه في الله الفقيه النزيه السيد محمد الشرفى بعرس:

هنيئاً أبا عبد الإله لك البشرى	فهذا زمان السعد قد أظهر البشرى
وهذى رياض الحسن تزهو أريضة	وهذى بشارات السعود أتت تترا
فرد من زلال الود غير مكدر	وجل برياض الحسن واقتطف الزهرا
فقد وصلت من بعد طول تشوق	غزال بلبل الشعر قد أطلعت فجرا
سرت وظلام الليل أرخى سدوله	وزارت على بعد الديار لنا بدرا
عجبت لشمس زارت البدر فى الدجى	وعهدى بأن الشمس لا تدرك البدرا
حكت ظبية وعساء جيذا وناظرا	وأزرت بقد الغصن والصعدة السمرا
تشوق منها القرط صوت خلاخل	فأرسل للإتيان بالخبر الشعرا
وقد غردت من فوق غصن قوامها	حمائم حلى آذنت باللقا جهرا
تريك عقود الدر عند ابتسامها	وتسقيك من سلسال ريققتها خمرا
ولا عيب فيها غير سقم جفونها	وكفل رداح ثقله أنحل الخصر
وغير حديث قد حكى السحر رقة	له فى سويدا قلب سامعه مسرا
فواصل بها وصل السرور ودم على	ذرى المجد والعلياء مرتقيا فخرا
وخذا كما شاء الوداد خريدة	تفوق الذى أعطيت فى وصلها مهرا
ودونكها كالروض قد نشر الحيا	بأرجائه من دمع ديمته درا
ففتق من صوب الكمام أزاهرا	فأعبت الأرجاء من طيبتها نشرا
ونادت طيور الشكر فوق غصونها	هنيئاً أبا عبد الإله لك البشرى

وقال يتغزل:

سحرتك بالطرف الكحيل الساحر
وبغرة كالفجر تحت ذوائب
وبنقطة مسكية فى وجنة
وبريقها المعسول إلا أنه
ريق أعز على من نيل المنى
ماذا وكم أوقعتنى فى حسرة
ولكم جمحت بتيه ميدان الهوى
ولأنت يا قلبى فكم أصليتنى
أدخلتنى فى وسط معركة الهوى
وتركتنى فى حى ليلى مثخنا
يا سعد هل لى فى الهوى من سعد
أم هل بنجد هواهم من منجد
فتكت عيون العين فى أحشائه
وسطت عوامل قدهن بقلبه
أوثقنه بجبال وعد مخلف
نفسى الفداء لظبية فتانة
نامت نواظرها وقد سلبت كرى
وغدا الجمال بأسره فى أسرها

وبحسن قد كالقضيب الزاهر
كدجنة فاعجب لحسن باهر
وردية ذات الأريج العاطر
يشفى الحشا من كل داء ضائر
وألد من رشف الرحيق لخطاير
وجلبت لى من شقوة يا ناظرى
وحصلت فى شبكات ظبى نافر
ورميتنى فى بحر حب زاخر
ما بين جيش قواضب وبواتر
بظبا ظباء لم أجد من ناصر
بشفا شفاه اللعس تحت غدائر
لمتيم فى حاجز بمحاجر
بشفار ألحاظ رمت بخناجر
فغدا أسير عوامل ونواظر
وشددن أسر وثاقه بمغادر
فتاكة بشفار شفر فاتر
طرفى بطرف بابلى ساحر
والسحر أيد جنده بعساكر

فإذا بدت سجد العيون لحسنها
وترى القلوب خواشعا لجمالها
شمس على غصن تكون فى نقا
نصبت قسى حواجب موتورة
فكأنما هاروت عن أجفانها
ورعت رعاها الله فى ربع الحشا
غيداء قد ورثت محاسن يوسف
وتوطنت بالمنحنى من أضلعى
فغدوت ما بين الأنام متيما
وغدا عذولى عاذرا فى حبها
كم من عذول فى الهوى ومكاشح
ولكم رقيب فى الهوى ألفتة
ولكم نظمت سلوكه فى عادة
ولكم ليال قد جلوت فريدة
ومديرنا رفع العقيرة منشدا
يشدو فيبدو الدر من أصدافه
سقيا لأيام الوصال وقربها
إنى لأذكره فأحسب أنى
وأقول للأيام هل من عودة
فعساه يظهر لى المتاب بعودة

تسبيحها سبحان ربى الفاطر
مكسورة من كسر طرف كاسر
من تحت ليل ذوائب وغدائر
بالسحر ترمى كل صب ناظر
يروى فيسند ساحر عن ساحر
حب القلوب ولم تخف من زاجر
ناهيك من حسن بهى باهر
ومحصب الأحشا رمت من حاجر
بجمالها ومهيما فى سائر
فاعجب لعاذل ذى غرام عاذر
غابت شواهد بوجه سافر
بالشعر حتى عاد عند أوامرى
فاقت قلائده بدر فاخر
والكاس نجم فى سماء أزاهر
قطعا ألد من المدام الدائر
ثغر وشعر مع عقود جواهر
وزمان أنس بالأوانس زاهر
من كثرة الأشواق بين محاضرى
لزماننا الماضى بوصل حاضر
ويكفر الماضى بحسن الآخر

وقال يمدح سيدى محمد بن السلطان الموالى عبد الرحمن وكان إذ ذك
خليفة والده بمراكش وولى عهده ووجهها له سنة ١٢٦٢ مع ولده الحاج إدريس :

عرضت وجيرتنا على أوفاز فى سرب عين بالنسيم جواز
هيفاء يعطفها الدلال فتثنى فرحا ويكسوها حلى الإعزاز
هزت من القد القويم مهفهفا ومن اللحاظ الدجع حد جراز
حكمت بحلية الدماء ومادرت أن الشريعة لم ترد بجواز
وقضت علينا بالوفاء ولم تدن فى مطل موعدها لنا بنجاز
بانت فقلبي خافق ومدامعى مرمضة والصبر فى أعواز
تلك الظباء ظباء رامة قد غدت فى جيش أرباب الغرام غواز
من كل قاصرة تطول إذا رنت حزب الكمأة وهى فى تجواز
تبدى التأنس بالنسيب وطالما أعيت مكايدها على الغناز
جور الحسان على الكرام وظلمهم عدل بلا شكوى ولا اشمئزاز
ما ذاك إلا أن أنصار الهوى فى صولة تخشى وفى إعزاز
ملك الجمال على القلوب محكم وجيوشه من أفخذ الأوشاز
تعنو لهيبته الرقاب كما عنت لمحمد المحمود ذى الأحراز
علم تفرد بالجلالة والنهى وغدا لخصل السبق ذا إحراز
زان الرياسة بالسياسة والعلا بسخائه والوعد بالإنجاز
وسما إلى رتب الكمال بعزيمة لا تثنى وبصـارم هزهاز
فاق الثواقب بالمناقب وارتقى عن طيب أخلاق وطيب نجاز

قل للمحاول شأوه أقص فقد
ما كل برق لاح برق تهامة
والطير يظهر فى المطاعم فضلها
حاولت مدح محمد فأقامنى
وأطلت فى أوصافه متطفلا
يا مفردا جمع الفضائل كلها
أرهقت أرباب الضلال بصولة
وأسمت سرحك فى رياض سعادة
وكساك والدك الرضا حلل الرضا
أدركت فى التقديم كل حقيقة
سابت أرباب العلوم ففقتهم
فلك اليد البيضاء فى أنواعها
فسعيت سعى موفق ومسدد
كم فتكة بكر لسيفك فى العدا
كيف النجاة وسيف سعدك طالب
قدت الخميس إلى الوطيس بعزيمة
واسود حرب غابها سمر القنا
لا يعرفون سوى التقدم فى الوغا
وإليكها أبكار فكر غضة

ساويت بين الصقر والخزباز
كلا ولا كل النسيم حجازى
ما صيد باشقها كصيد الباز
إجلاله فى موقف الإعجاز
فوجدت بسط القول كالإيجاز
ما إن لفضلك فى الزمان موازى
ردت أبى النفس كالجلواز
وسواك سام السرح فى الأجرار
وقضى لوعده علاكم بنجاز
لما اكتفى منها سوى بمجاز
بذكاء فهم زائد وحزاز
والسبق فى الميدان يوم براز
ونطقت نطق مصدق ممتاز
ومشاهد مشهودة ومغاز
للمارقين وسيف كفك غاز
تذر الكماة الصيد كالخراز
مشهورة بالفتك فى الشراز
والضرب فى الأعناق والأجواز
جهزتها لحلاك خير جهاز

تاھت على شعر العراق لطافة
يهوى الرقيق الطبع رقة طبعها
قد جئت بالدر النفيس مفصلا
ولطالما طلب الغواة ذخائرى
سمحت بها الأفكار وهى لواعب
وأنتك عفوا حرة من حرة
أنى يعارض الغوى وقد غدت
حصنتها بعلاك خير تيممة
ترمى نجوم سمائها حرسا لها
ويحوط حوزة سرها ذو مرة
ولكم دَعَى رام عجم عقودها
أسدى وألحم فى مجال غروره
والشعر يعرف قدره من حاكه
دم فى ذمام المجد محروس العلا
وقال:

نادى السرور بسعدكم فتنزهوا
بسط الربيع به بساط زبرجد
قد كان كنزا فى التراب مطلسما
أبدت خبايا الأرض من بركاته

وزرت بأهل الرى والأهواز
ويعدها الجھال فى الألغاز
عقدا وما أنفقت من أعواز
حرصا ففاقهم نفيس ركاز
فأئت بغنة قينة ميجاز
والحر لا يحتاج للمهماز
بصفات حمدك فى صوان طراز
من كيد كل مكاشح هماز
شهباً لحرق الكاشح اللماز
فكأنه باز على قفـفـاز
والدر لا يمتاز للبرزاز
ما حرفة الصواف كالقزاز
نساجه أدرى من البرزاز
فى نعمة موصولة بمفاز

فالروض قد أهدى حلاه وخزه
قد أحسنت أيدى السحائب طرزه
فتحت رقى كنز الغمام كنزه
ما أوضحت لسن الكمائم رمزه

طلعت طلائعه بكل ثنية
وجيوشه النوار تظهر في الربى
ملك الفصول له التقدم بينها
فخر الزمان بصفيه وخريفه
متصرف في الأرض عند وروده
تتنفس الجنات فيه أما ترى
وقال:

ما للظباء الجواز
فتكن بي فمن أفتى
بكل قنـاة
لهن في كل يوم
قد طال للعين جور
ولا شفاء لقلبي
سأشتكى الظلم يوما
فهو في الحب قاض
قد حاز كم من خصال
ففي الفصاحة فرد
إن قال أسكت قهرا
وهل لديك صـراخ

تهدى بدائعـه وتنشر بزه
أعلامه يـدى علاه وعزه
من رام شأـو سناه منها عزه
وشتائه يوم الفخار وبزه
فأشبـ نرجسه وشيب لوزه
أرجا سرى أحيا الفؤاد وهزه

أعرضن عند الجواز
في مهجتي بالجواز
وكل شفر جـراز
لدى فؤادي مغاز
وهن حلف اعتزاز
إلا اللقا والتجـازي
إلى (الشريف الحجازي)
يقضى بحسن نـجاز
فهو بها ذو امتياز
ما أن له من مواز
كل فصيح مـماز
إن صـاح في الأفق باز

أقسم بالبيت حقا

وبالصفاء والحجاز

ما إن رأيت ظريفا

مثل الشريف الحجازي

وقال يتغزل:

ألا خبروا ذات الخلاخل والقرط

بأنى ملك للجمال بلا شرط

لقد أودعت قلبي وربك لوعة

غداة بدت بين الوشاحين والمرط

تميس كخوط البان غازله الصبا

وتسفر عن بدر وتفتقر عن سمط

رمتني بسهم الغنج عن قوس حاجب

فأصمت فؤاد المستهام ولم تخط

وما كان الحب إلا بنظرة

وتبتدئ النيران من ضرم السقط

عجبت لها مذ ورد الحسن خدها

وزينة كف المحاسن بالنقط

وحلت بقلب المستهام وأهلها

بذات الغضا ما بين نعمان وأسقط

وقال:

أبصر مقلتي فريد جمال

قد سبى مهجتي بشعر الرباط

ظبى أنس قد قلبي بلحظ

حل في حبه على رباطى

همت فيه لما تطلع بدرا

فوق غصن هفا بـ(برج السراط)

وقال مجيبا لبعض أهل الرباط، ممن كان له به معاشرة وارتباط، وضمنها

مساجلة ومداعبة في عتاب، وملا ما على تقصير في كتاب:

أتانى نظام منك كالدّر في السمط

فأنهلتني كأس الوداد على شحط

وذكرنى عهد الصبا ولطالما

صبا للصبأ النجدى ذو اللمم الشمط

هزرت به عطفى ارتياحا ونخوة

كأنك قد عاطيتنى كأس إسفنت

ودبت حميا لفظه فى مفاصلى
وقرظت أرضا بالجهاد تشرفت
أما فى رباط الفتح للفتح آية
ولكننى أُملى عليك دعاية
وأبديت فى حكم الغرام تلونا
كأنك فى هذا خليع صباية
أراك استباك البحر والموج والهوى
وقابلتنى لما نأيت بجفوة
أما هذه شهران مرت ولم يجئ
إلى أن أتت من بعد نأى رسالة
وجئت بها بدعا لفرط اختصارها
ولولا اتضاح الصفح فى صفحاتها
لأرسلت من عتبى إليك كتابا
ولولا الحياء من صفى أبى العلا
لم يراعى السرى فى الأرى واغتنى
حماك حماه من سماع يراعى
وقم فى مقامى عنده وارع وده
وكن شاكرا للفضل والفصل ذاكرا
فلا زلتما فى نعمة وسلامة

جررت بها من نشوة طربا مرطى
وحلت من العلياء فى موضع القرط
لمن يفهم المعنى المراد من الربط
تلوح كأخت الظبى تختال فى الربط
فطورا أخو ضبط وطورا أخو خبط
يشبب بالسودان طورا وبالقبط
وهمت هيام البط بالماء والشط
ولم تجر فى شرع الوداد على شرط
رسولكم لا بالسلام ولا الخط
خبطت بها عشواء فى مضمهر الخبط
ولم تسم الأخبار والود بالضبط
وما قد حواه الصدر من غرر البسط
مجللة بالزعف والبيض والخطى
أخى المجد والعليا والخلق البسط
على البعد يغرى الكف بالقدر والقط
فلا ترع بعد مربع الأثل والخمط
وراع رعاك الله مالى من قسط
عهودى ولا تصبح لذاك أخا غمط
بجيد كما حلى المكارم كالسمط

وقال من قصيدة:

بدور أعارت للبدور كمالها
حوى كل خدر بدر تم وأسدت
فقلت أفجر قد تبلغ ضوءه
فقليل بلى شمس الجمال تطلعت
تأمل ترى حسن البداوة ساذجا
تعلم منها الظبي حسن تلفت
تشابه حسنا ثغرها وعقودها
وفى الكلة الحمراء بيضاء غادة
لديها قلوب العاشقين أسيرة
عجبت لها والليل أرخى سدوله
نظرت إليها نظرة يوم حاجر
وأخرى بأكناف العقيق فأرسلت
فعدت وفى قلبى من الوجد لوعة
وعاشت لما منت من الوصل برهة
إذا أزمعت وصلى نجازا لوعدها
وإن رمت سلوان الهوى قال قائل
سموت إليها بعد هده وهجعة
فقلت ألىص أنت أم أنت فاتك
وأخفت بأفلاك السعود جمالها
عليها الغوانى الحافظات حجالها
أم الشمس أبدت فى السحاب اعتدالها
فأخفت لنا شهب السما وهلالها
تجل عن التمويه من أن ينالها
وقد سلبت غض الغصون اعتدالها
تأمل ترى أسلاكها وفصالها
تود ذوات الحسن منها دلالتها
تروم ببذل الروح منها وصالها
بآفاقها والنور يبدو خلالها
فأهدت إلى نفس المحب خبالها
إلى القلب من قوس اللحاظ نبالتها
تهد من الشم الرواسى جبالها
وقد سئمت نفسى الغداة مصالها
تصدى لها واشى الهوى فأمالها
من الوجد هل تسلو الجياد اختبالها
وقد جدل النوم الثقيل رحالها
يروم من الحسنة قهرا منالها

فقلت لها إني محب ففقهته
أتهوى وصال الغانيات وقد بدا
فأبت ولم تعلق بكفى ريبة
أشيب وعيب إن ذا غير لائق

وقالت لعا لو كان غيرك قالها
بفودك صبح الشيب ينفي اتصالها
وعدت على نفسي أقبح حالها
بمن يبتغي الأخرى ويبغى كمالها

وقال يصف أهل الزمان، وأن الإنسان لا يسلم منهم كيفما كان:

أرى الناس قد أغروا ببغى وريبة
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم
إذا ما رأوا خيرا رموه بظنة
وليس امرؤ منهم بناج من الأذى

وإن عاينوا حبرا أديبا مهذبا
وإن كان ذا دين رموه ببدعة
وإن كان ذا زهد يسموه نعجة
وإن كان ذا صمت يقولون صورة

وإن كان ذا شر فويل لأمه
وإن كان ذا أصل يقولون إنما
وإن كان مجهولا فذلك عندهم
وإن كان ذا مال يقولون ماله

وإن كان ذا فقر فقد ذل بينهم
وإن قنع المسكين قالوا لقلة

وغى إذا ما ميز الناس عاقل
إلى نحو ما عاب الخليفة مائل
وإن عاينوا شرا فكل مناضل
ولا فيهم عن زلة متغافل

حسيبا يقولوا إنه لمخاتل
وسموه زنديقا وفيه يجادلوا
وليس له عقل ولا فيه طائل
ممثلة بالعى بل هو جاهل

لما عنه يحكى من تضم المحافل
يفاخر بالموتى وما هو زائل
كبيض رماد ليس يعرف حامل
من السحت قد رابى ويس المآكل

حقيرا مهينا تزدره الأراذل
وشحة نفس قد حوتها الأنامل

وإن هو لم يقنع يقولون إنما
 وإن يكتسب مالا يقولوا بهيمة
 وإن جاد قالوا مسرف ومبذر
 وإن صاحب الغلمان قالوا ألاً بنت
 وإن هوى النسوان سموه فاجرا
 وإن تاب قالوا لم يتب لزهادة
 وإن حج قالوا ليس لله حجه
 وإن كان بالشطرنج والنرد لاعبا
 وإن كان فى كل المذاهب نافذا
 وإن كان مقداما ما يقولون أهوج
 وإن يعتلل يوما يقولوا عقوبة
 وإن صح قالوا ليس لله حاجة
 وإن مات قالوا لم يمت حتف أنفه
 وما الناس إلا جاحد ومعاند
 فلا تتركن حظا لخيفة قائل

وقوله مادحا السلطان المذكور ومهنتاً له بشامخ تأييده لما خرج جيش الوداية
 عن الطاعة، وشقوا العصا ونبذوا يد الجماعة، وظهرت له مخايل الإعراض من
 جلالته قبل النكبة، واستجماع الهزبر للوثبة، وكثرت به الوشايات، ودبت له
 عقارب الإذيات، فخرج له المدح بالعتاب. وذكره بصالح خدمته لتلك الأعتاب،
 وما يغنى الدفاع إذا تمكنت الأسباب، وإلى الله المرجع والمآب:

أمولانا أمير المؤمنين
وزادك رفعة وعلو شأن
وحكم سيف عدلك فى الأعادى
فإنك غالب بالله مهما
كفاك به اعتصامك كل عاد
فقد حان حين مهلكهم ونادى
ولو لم تغزهم لكفاك ربه
وقد فشلت رياحهم وخابت
وقد ساموا كبارهم هوانا
وقل لعبيد سيدنا البخارى
ثقوا بالله واعتصموا وقولوا
فأنت ملاذنا وبك استعنا
سيخزيهم وينصركم عليهم
ولا تخشوا فأنتم فى جهاد
فإن الشرع فى الباغين أفتى
وقدم أهل مذهبنا جهادا الـ
وحكم الشرع فى الأعداء ماض
فقد شقوا العصا وبغوا وخانوا
فكم من مثلهم صاروا حديثا

حباك الله نصراً مستبيناً
وإسعاداً وتمكيناً مكيناً
وأودى به البغاة المعتدين
غزوت حبالك الفتح المبين
فعون الله للمتوكلين
فقم بالله ربك مستعين
وكان لهم بمكرهم مهين
مكايدهم وعادوا صاغرين
وأضحوا ما أتوه ناكرين
ومن فى حزبهم والمسلمين
إلهى أنت خير الناصرين
على هلك البغاة المارقين
ويشفى صدور قوم مؤمنين
ونصرة دين رب العالمين
وألحق فعلهم بالمشركين
بغاة على جهاد الكافرين
وليسوا فى الأنام بمعجزين
بغدرهم أمير المؤمنين
وذكرنا سائراً فى الغابرين

وإن البغى مرتعه وخيم
فهم أهل الردى إن لم يتوبوا
وأنتم أهل مكرمة وحلم
يزيد الله أهل العفو عزا
أمير المؤمنين إليك أشكو
وأكبرها صدودك لا لشيء
وإهمال الخديم وذاك عار
فلا كتب تسر ولا سلام
وإصغاء السماع إلى أعاد
وقد أشفوا صدورهم وأضحوا
وكم قاسيت بعدك من أمور
بكيت لها دموع دم ولما
وضاقت هذه الأرضون عنى
فلو كان الممات يباع يوما
ولكنى سأسأل عفو ربى
وأرجو الحق يبدى الحق حتى
فإن الله لا يخفاه شيء
وهل يخفاكم أمرى وأنى
وأفئيت الشبيبة فى رضاكم

عقوبته معجلة يقينا
ولم يأتوا لحكمك طائعين
وعفو عن جميع المذنبينا
كما بحديث خير المرسلينا
أمورا خلفت قلبى حزيننا
سوى زور الوشاة الحاسدين
على أهل الوفاء الأكرمين
به يحيى المشوق إليك حيننا
حسبتهم لملكك ناصيحيننا
بنا بين البرية شامتينا
يكاد الصخر منها أن يلينا
أجد بين البرية راحميننا
لزور المترين المفتريننا
لكنت لكأسه فى الشاربينا
فإن الله خير الراحميننا
يريك الأصدقاء والكاذبيننا
وليس يضيع صدق الصادقيننا
خدمت جنابكم تسعا سنينا
ولم أمدد لغيركم عيونا

ولم تكن الخيانة من فعالي	ولست بناشئ في الخائئينا
ولكن ضاق بى الأعداء ذرعا	فلأبدوا من مكايدهم فنونا
فلولا حلمك البادى علينا	لكنت بمكرهم فى الهالكينا
فديتك إن غدوت بعيد دار	فلا تسمع كلام العار فينا
فشيمتك الكريمة ذاك تأبى	وتأباه قلوب العارفينا
وحسن الظن خلقتك قد عهدنا	فعاملنا بذلك ما حيننا
فرجع حسن ظنك بى فلانى	على حسن المذاهب ما بقينا
وتعلم حالتي وصلاح أمرى	وحسن تقدمى فى الناصحينا
فما بدلت بعد البعد حالا	عرفت ولا رضيت سواها دينا
أنا الياقوت فى طبع ونفع	يزيد علا بنار الموقدينا
وإنى إن عدت عنكم عواد	لملتزم لحضرتك الحنينا
وأسأل ربنا فى كل وقت	يكن لك فهو خير الناصرينا
بجداك سيد الأكوان طه	محمدا شفيع المذنبينا
عليه صلاة ربك مع سلام	وآل والصحابة أجمعينا

وقوله مخاطبا الأمير المذكور وقد بلغه أن أعداءه نسبوا له عنده الخوض مع من خاض من أهل فاس فى الفساد عند خروج الوداية، وتجردهم للفحش والإذاية، وكان السلطان يعرف براءته ودينه، ويورده من حسن الوداد معينه:

مولاي إنى بعهد ودك واثق	إذا أنت بالحال الخفى عليم
قد أكثر الواشون من بهتانهم	والزور فى خلق الورى معلوم

ليس الملام عليهم فيما أتوا
إنى صبرت على المكاره حسبة
وكفى بعلم الله واسع قول من
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
خافوا فضيحتهم بردى فأنبروا
إنى ليحجزنى الوفاء عن الجفا
فالود باق والمحبة غضة
إن كنت ختتك فى المغيب فخاننى
وإذا سمعت بما يسىء سماعه
إنى سعت ولا أزال بفضلكم
وبذلك نفسى وما ملكت لأجلكم
ولسوف تتضح الحقائق جهرة
وإذا علمت بحالتى ولم تصخ
إن صح لى منك الوداد فإنه
ظنى الجميل بكم لحسن وفائكم
أنا عبد إحسان له بولائكم
وعليكم حفظ الوداد لأنكم
حاشاكم أن تشمتوا الأعداء بى
والله أسأل أن يدوم لملككم
بالمصطفى وبآله وصحابه

بل من يصيخ إلى الوشاة ملوم
والله يعلم أننى مظلوم
قبلى وظلم الحاسدين قديم:
فالقوم أعداء له وخصوم
للسعى فى هلكى وذلك لوم
والدين عما زوروا والخيم
والصدر من داء الفساد سليم
حال المصاب الصبر والتسليم
أملت أن لو حل بى المحتوم
أسعى لنيل طلاحكم وأروم
وصبرت حيث المستعين عديم
ويلوح من أسرارها المكتوم
للحاسدين فأمرهم معدوم
حسبى وحسب الحاسدين الشوم
ولدينكم ولفضلكم معلوم
كولاء سلمان له التقديم
أهل الوفاء وعبدكم مكروم
أو أن يساء على الوفاء خديم
النصر والتمكين والتعظيم
فعليهم الصلوات والتسليم

وقوله فى حالة سجنه ، وفقدان أمنه ، يتضرع للسلطان فى إقالة عشرته ،
واستنقاذه من نكبته :

الحلم شيمة أهل البيت والكرم
والرفق ينشأ منهم والحنانة مع
حسن الوفاء وحسن العهد شأنهم
لا يؤيسنك من غير عقابهم
خلائق ورثوها عن أب فأب
أقررت بالذنب والغفران يشملنى
وقد جعلت شفيع الخلق كلهم
ياسيدى عابد الرحمن عفوك عن
قد تاب توبة صدق من جنايته
عامله لله وأعتقه ورق له
قد عم حلمك كل الناس من كرم
لا زال ملكك فى عز وفى شرف
بجاه جدك خير الخلق قاطبة
والآل والصحب ما هبت بجاههم
وما سرى فرج للمستجير بهم
وقال وهو بحال الاعتقال ، وكان الحكيم محمد يفرح رحمه الله رمز له
بمقال ، وأوضح له لغز فال ، فكتب له يستدعيه ، كى يستفيد منه ما يعيه :

عسى نفحة من حضرة القدس تسرح
وتأتى بتفريج وأمن وبسطة
لقد غاب عنى النهار وضوؤه
لئن صدر عنا النهار وضوءه
عليه سلام الله ما هب ناسم
وقال:

ألا عطفة يا آل بيت محمد
أضر به ثقل الحديد وبرده
يحاكى الذى الموصول معنى وصورة
وقال:

ألا يا سيد الشفعاء غوثا
وآله الثقاف وعظم حزن
دعاك وإنه فيك ذو يقين
وأنزل رحله بك مستجيـرا
عليك الله فى القرآن صلى
وقال من قصيدة:

أسيـدنا إني بعفوك لائـذ
تكدر عيشى مذ رأيـتك معرضا
فإن كنت قد أذنبـت فالعفو واسع
وفى سارعوا خير لمثلـك نيله

فيزهو بها قلب المعنى ويفرح
ويصدق ما قال الموفق يفرح
فلا سره يبدو ولا الكتب تشرح
فبعد غروب الشمس مسرى ومسرح
وما دامت الأرواح فى الكون تسرح

على ضائع فى السجن من غير فائدة
وهذى الليالى بالبرودة شاهدة
هبوا صلة بالفضل منكم وعائدة

لعان قد أضر به الحديد
يخر لبعضه البطل الشديد
يعالجه بك الفرح العتيد
فداركه بجاهك يا حميد
وسلم إنه الرب الحميد

من العتب أو من ظنة وملال
وأسهرت فى عد الذنوب ليال
وفى العتب للأحرار ضرب نكال
وأخذك بالآداب خير منال

وسر العلا والود يظهر للفتى
فلا تشمت الأعداء بى بعد ما غدت
ولا ترخصوا عرضى لهم بصدودكم
ولا تجمعوا هجرا على وغربة
خدمتكم عشرا سنين أعدها
قطعت بها شرخ الشباب وقد بدا
ومثلى محسود عليكم ومثلكم
إذا ما حوت نفسى رضاك فحسبها
وقد كنت فى يمينى يديك جعلتنى
وأنت بتميم الصنائع كافل
وعودتنا من حسن عهدك شيمة
تسائل عنا حيث غبنا وتعتلى
وتولى الذى تلقى البشاشة راضيا
ولم يك عن سوء يظن تأخرى
وإنى لمولاكم وكاتب سركم
أعادى الذى عاداكم وأذمه
وإنى لعمر الله حسان مدحكم
وقلدت جيد الدهر كم من قلادة
فلا تحرمونى قربكم بعد نيله

بإفهام حال أو بلحن مقال
رقابهم يوم الفخار نعال
فإنى إن تولوا المبرة غال
وداء عفاكم ربنا المتعال
وسابقت فى الميدان كل مغال
صباح مشيبى فى سواد قذال
خبير بواش فى الأنام وقال
ولست بحزب المبطلين أبال
فلا تجعلنى بعدها فى شمال
وبالرعى للخدام خير موال
ومن خلقتك المحمود حسن فعال
وتمنحنا فضلا بغير سؤال
وتلك لعمرى شيمة المتعال
وأنتم - حفظتم - تعلمون بحال
ولى ذمة منكم وحرمة وال
وأمدح من والاكم وأوال
أنافس فى أمداحكم وأغال
بحمدكم فاقت سلوك لآل
ولا تقطعونى بعد طول وصال

ولا تطردونى بعد ما بعلاكم
بقيتم بقاء الدهر كهفًا لأهله
بجاه رسول الله جدك أحمد
عليه صلاة الله ثم سلامه
وقال :

لمكناسة الزيتون عرج على صحب
وحى به من صفوة الود جيرة
وأوطان أوطار سقى ربعاها الحيا
وقال :

نأت قوت قلبى فالصبابة عائدة
قد استأنفت نفسى لمكناسة هوى
وقد كان قبل بالقديمة لى هوى
وقال :

أحن إلى ثغر الرباط وأهله
وأصبو إليه كلما عن ذكره
وما ذاك إلا أن قلبى ساكن
متى تجمع الأيام بينى وبينه
ويبدى الرضا والشوق منا تعانقًا
فأجنى ثمار الوصل من روضة المنى

عرفت فأنتم سادتى وموال
وهنيتم النعمى بغير زوال
شفيع الورى السامى بكل كمال
وآل وصحب ماجدين وتال

وخيم به فى ذروة السعد والرحب
كرام السجايا عاكفين على الحب
وطيبها العرف الأريج من القرب

وزائدة فى حرقه القلب زائدة
لواذع شوقى نحوها متزايدة
ولكن نفسى بالجديدة واجدة

حين غريم للصبابة والوجد
صبابة قيس أو مضاض إلى هند
لدى سكن فيه قريب على بعد
وأشكو إليه ما لقيت من البعد
بصدر إلى صدر وخذ إلى خد
وأسقى كنوس الأئس من خمرة الود

وقال :

أخلاى بالحمراء هل شفكم بعدى
وهل عهدكم باق كما قد عهدته
وهل عهدكم صافى المناهل سلسل
فلإنى وإن شطت بى الدار عنكم
فإن تدعوا فى الشوق أبعد غاية
سلوا الليل عن وجدى بكم وصبايتى
أكن الجوى والدمع ييدى سرائرى
عسى نفحة أو لمحة من جنابكم
وهل شاقكم ذكر المعاهد من بعدى
فلإنى لعمر الله باق على العهد
جميل صفات الود مستحكم العقد
لأكثركم شوقًا ووجدًا بذى ودى
فأضعف ما تعنون عندكم عندى
وبزل المطايا عن حنينى وعن وجدى
فله ربى ما أكن وما أبدى
تعلل صبا مستهائمًا على بعد

وقال وقد لقي بعض السلويين فسألهم عن أدباء بلدهم فأخبروا عنهم
بالعجب فشوقوه لرؤيتهم والرواية عنهم فأنشد :

أهل سلا إنى مشوق لربعكم
وما هو إلا الدر نظم عندكم
وللقلب سرفى سماع حديثكم
لألقط من أشعاركم حلية النحر
ولا غرو يلفى الدر فى ساحل البحر
ليعلم كيف النفث فى عقد السحر

وقال على شاطئ البحر بسلا فى ٢٠ محرم سنة ١٢٣٨م وكان قد توجه مع
وفد إعلام، ذوى آراء وأحلام، قاصدين السلطان المولى سليمان فمكثوا بالعدوتين
مدة، وخامرهم شوق جاوز حده :

عرانى من ذكر الأحبة وحشة
لطيف سرى بالوهم وهنا خياله
عجبت له أنى اهتدى ومتى ارتقى
تضاعف وجدى عندها ونأى صبرى
فزار على بعد وقد كان لا يسرى
إلى وكم من مهمه بيننا قفر

وولى فكم نار توقد فى الحشا
فبت وجنبى عن قتادة مسند
فقلت أسلى الهم عنى بنظرة
فما زادنى إلا اشتياقًا كلاهما
لعل الذى كان التفرق حكمه
وقال:

يا ظبية الأنس ذات الدل والخفر
تخذت قلبى كناسًا تنزلين به
متى أفوز بوصل منك مفردة
ولا رقيب سوى كأس نروقهها
وقال:

حنت لأحمال أثقال النوى عيرى
يا عيرى حثى الخطا واستنشقى أرجا
فما مقامى بأرض لا أنيس بها
إيه فما البعد عن أرض بها سكنى
فى كل قطر بها روض وساقية
تلقى بها أوجهها راقى نضارتها
وقال:

رأيت العز أجمع والمعالي

اشتياقًا وكم دمع على أثره يجرى
وعينى حديث السهد تروى عن الزهرى
إلى خضرة أو بالتعجب فى البحر
وصرت كمثلى مطفئ الجمر بالجمر
سيجمعنا بالقرب من حيث لا ندرى

كم صدت صبابسهم الغنج والخور
والقلب منزلة تعزى إلى القمر
يا منية القلب والإسماع والبصر
ولا مؤنس غير رنة الوتر

فذكرتنى أصوات النواعير
من نحو فاس وإن عز الخطا طيرى
ولا شراب سوى ماء الخطاطير
أهل الحضارة فيها والقناطير
فلا مجاز سوى على القناطير
مثل الدنانير فى زى النواوير

بظل المشرفية والعوالم

وضرب الخيل المذاكى
وإن خطابهم بلسان سيف
إذا أبدى على الراحة وعظا
ومرهم بندق الجعبات شاف
إذا ومضت بوارقه وحتت
رقت روح الكماة إلى التراقى
وقال:

عسى نفخة الألفاظ يهدى نسيمها
فإني بباب الله أنزلت حاجتى
وجاء رسول الله أفضل شافع
فما خاب من إفضاله متوسل
ومالى مع حسن الرجاء وسيلة
وقولى وقد ضاق الخناق ضراعة
ألا يا رسول الله غوثاً لضارع
وإني وإن علقت كفى بصاحب
وقال:

وتسليط الرجال على الرجال
لأفصح من مخاطبة المقال
هدى رشداً وأنقذ من ضلال
لأهل البغى من مرض الخبال
رعود الوند من طلب النزال
وطار القلب من خوف اغتيال

شذا فرح يشفى القلوب شميمها
وفى فضله آمال نفسى أسمىها
إلى الله فى حاج لعبد يرومها
به فهو مقبول المساعى عظيمها
سوى دعوات بالخضوع أديمها
مقالة مكسور الجناح هضمها
فإنك محمود الخلال كريمها
وقربى بباب الله لست أريمها

وانشقت من شذاها أطيب الأرج
إذا هفت أذهبت ما كان من حرج
أحييت به ميت الأشباح والمهج

حيث فأحييت بروج اللطف والفرج
صباً صبا كل صب نحوها شغفا
عجيبة الصنع لو مرت على جدث

ولو سرى نفس منها على كبد
ولو تنسم يوما عرفها دنف
وافت وقد حملت من كل نافحة
فى ضمنها من ربي نجد وجيرته
جاءت بنشر الخزامى فى تنفسها
فلو درى مسك دارين بهبتها
وهل يقاومها طيب وقد نفحت
محمد صفوة الأكوان من خلقت
ما زال يدعو إلى الرحمن حتى هدى
وكانوا من قبل فى ظلماء مجهلة
خير الوسائل أزكاها وأشرفها
به توسل آدم فنال عـلا
وكل فضل بدا فى الكون منشؤه
وكل من نال تشريقًا ومكرمة
عمت شفاعته دنيا وآخرة
بالمصطفى كل صعب يستلين لنا
وباسمه إن دعونا يستجاب لنا
فسل بجاه النبى كل ما أمل
فجاهه عند رب العرش ذو عظم

حرا لأطفأ ما تلقى من الوهج
عان لعالجه الرحمن بالفرج
شذا به يدرك الإفراج كل شج
ما فواح العنبر الشحرى فى أرج
وحنوة وعبير عبهر بهج
إذا سرى سرقا من نشرها الأرج
من نحو طيبة مأوى صاحب الفرج
لأجله واكتست من نوره البهج
من اهتدى لسبيل الرشd والفلج
حتى استضاءوا بصبح منه منبلج
عند الإله وأوفـاها بمنزعج
وفاز بالتوبة الخالصاء والعـلج
من سيد الرسل والخيرات منه تجى
فمن علاه رقى لأرفع الدرج
لكل فرد بذاك الجاه مندرج
فى كل ضيق بإذن الله منفـرج
أو استجرنا ننال الأمن فى اللـجج
وافتح بجاه الرسول كل مرتـجج
وقدره أرفع الأقدار والحـجج

إنى نزلت حماه الرحب محتمياً
وإن عـررتنى من الأيام نازلة
وإن تخوفت مكرراً أو خشيت أذى
فلن يخيب امرؤ حط الرحال به
أستغفر الله مما ضاع من عمر
وما اقترفت من الأوزار مشتغلاً
يا ليتنى قد خلصت من جبالتها
وليس لى عند حسن الظن أو لجأى
يهيج الوجد شوقى من تذكره
أقول للنفس إذ جد الرحيل بنا
قدمت شيئاً تنالين الأمان به
ما خاب قاصد خير الخلق من مضر
كم ذا التوانى وركب القوم قد سبقوا
فإن حضرة خير الخلق قد فتحت
وسر على نهج أهل الخير مقتفياً
وتب إلى الله واضرع فى القبول له
والجأ إلى الله فى التوفيق مبتهلاً
يا رب بالمصطفى والآل عترته
دارك عبيدك يا رب بمرحمة

بجاهه دافعاً للضيـق والـحرج
ناديت يا أزمـتى بالمصطفى انفرج
فليس إلا على علياه منعرج
وإن غدا عن سبيل الرشد ذا عوج
فى سكرة الجاه محسوداً على الهوج
فى كل ممشى إلى نيل الدنا ومج
رأساً برأس ولم أحصل على حرج
لباب خير الورى بمنطق لهج
وأى قلب بذكر الحب لم يهـج
ونحن من خدع الأيام فى وهـج
قالت نعم برجاء المصطفى فلج
وكيف وهو بكل المكرمات حج
لحضرة الله والمغبون فى هـوج
باللطف بادر إلى أبوابها ولج
أثر الثقات وإن أصبحت ذا عرج
وابك الذنوب بدمع غير ممتزج
بالمصطفى ولتقل بمنطق هـزج
وكل قلب بذكر الله مبتهـج
وستر لطف بسر العطف منتسج

واحفظه فى أهله وماله أبداً
وصل رب وسلم دائماً أبداً
والآل والصحب والأخيار أجمعهم
وارض عن الأولياء الصالحين فهم
إنى بكم يا رجال الله فى وزر
وقال :

والله لولا سبعة أرجو بها
ما قمت فى باب الخلافة آمرا
إبلاغ حاجات وغوث مؤمل
وعلاء إسلام وبث نصيحة
وقال :

أدر كاس البشارة يا نديم
وقابله بإقبال ورفق
علمت بأننى عبء لمولى
يعود على الجناة بفضل حلم
أضعت الحزم من جهلى فأغضى
درى إنى سبيل رضاه أقفو
فلم يهمل لحسن العهد أمرى
ولولا فضله ما كنت شيئاً

وامددهم مدد الخيرات فى فرج
على حبيبك هادى الخلق للنهج
فالكون من نورهم فى منظر بهج
حصنى وأمنى وهم بين الورى سرج
فدار كونا بخير الخلق بالفرج

نيل المفاز ورحمة الرحمن
أو ناهيا فى خدمة السلطان
ودفاع مكروه وبذل أمان
وإعانة الإخوان والأخدان

فقد رضى الإمام على الخديم
وعاتبه معاتبة الكريم
سما بالفضل والصدر السليم
إذا صدقوا ويعفو عن المظلوم
وأدبنى بتأديب كريم
فعلمنى وناهيك من عليم
وأجرانى على العهد القديم
ولكنى انتسبت إلى عظيم

إذا ظفرت يدي برضاه عنى
وإن آنست منه وحاش غيرا
أدام الله رفعتة وولى
وأسأله رضاه فى رضاه
بجاء جده المختار من قد
سلام الله والصلوات تترا
وآل والصحاب ومن تلاهم
وقوله متغزلاً:

حوراء لو نظرت إلى صم الصفا
ولو انتمت يوماً لعزة حسنها
وقال:

من لى بأهيف أحوى الطرف أحوره
بدر ولكن قلبى من مطالعه
رفعت راية حبى إذ خفضت له
لو لم يكن مفرداً فى الحسن ما كتبت
لو لم يكن حبه قد حل فى خلدى
أقول للنفس إذ لج الغرام بها
وقال:

أحب القدود الهيف والأعين النجلا

حصلت على الكرامة والنعيم
يلملنى ممللة السليم
كرامته على النهج القويم
وفوزاً بالنجاة من الأليم
حبا الرحمن بالخلق العظيم
على علياه من رب رحيم
على نهج الصراط المستقيم

عادت كثيلاً باللحاظ مهياً
لا ترتضى غير النجوم قبلاً

ممزق الود حلو الوعد كاذبه
ظبى ولكن فؤادى من ملاعبه
قدرى فجاد بجرى عن نواصبه
يد العذار سطوراً حول شاربه
ما بت ليلى أرعى فى كواكبه
أما ترين الجوى الذى كواك به

وأهوى الثغور البيض والساعد العبلا

وأهفو لذات الردف والعطف إن مشت
فيا رب نعمنى بإدراك عادة
وقال:

وافت تجر من الدلال ذيولا
هيفاء تخطر فى برود شبابها
وتهز مرط قوام قد مثمر
وقال:

سل الرواة عن نفثات شعرى
وكم أظهرن جودا من بخيل
فإن الشعر فى التحقيق سحر
ولى فى نظمه القدم المعلى
فأنظم حين أنظم رائعات
وأرفع بالمديح مقام قوم
وأحمل بالهجاء منار قوم
ولى قلم به بأس شديد
يلين بالبلاغة كل قاس
ويترك ضربه الأقران صرعى

تحمل ضعف الخصر من عظم ثقلا
فإنك يا مولاي عودتنى الفضلا

ومن الهوى تجرى إلى خيولا
فتزيد نظرتها المحب ذبولا
بدرا كسا بدر السماء أفولا

فكم أبرأ من قلب سقيم
وكم أولدن من بكر عقيم
كما قد جاء فى الأثر الكريم
وأسرار تغيب عن العليم
تفوق الدر فى العقد النظيم
وإن كانوا ذوى أصل لئيم
وإن كانوا ذوى قدر عظيم
يثلم حده حد الصريم
ويسحر بالبيان لهى الصريم
لدى الميدان بالضرب القويم

نثره: من ذلك فى ظهير شريف، علوى منيف، أصدره السلطان مولاي عبد
الرحمن لولده ولى عهده سيدى محمد معلماً له بما أتاح له المولى من الفتح

والظفر بمردة قبيلة زمور الشلح فى واقعة سنة تسع بتقديم المثناة على السين وخمسين ومائتين وألف، تلك الواقعة التى فات منهم فيها الأحزاب، وتقطعت بهم الأسباب: «ولدنا الأرمى الابن الأرشد، سيدى محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كنا أردنا الإبقاء على قبيلة زمور رحمة وإشفافاً، وحملهم على الاستقامة بالإرهاب من الشدة فى بعض الأمور هداية وإرفاقاً، فلم يرد الله بهم خيراً لفساد نيتهم، وخبت طويتهم، واتكأهم على حولهم وقوتهم، فما رأوا منا ميلاً وسداداً، إلا ازدادوا شدة وفساداً، ولا أظهرنا لهم عظة وإرشاداً، إلا أظهروا تطاولاً وعناداً، وما أخرجنا المحلة المنصورة عن الركوب إليهم إبقاء وإلفاء، إلا ظنوا ذلك عجزاً وضعفاً، قد طمس الإعجاب منهم بصرا وسمعا. ولم يروا أن الله قد أهلك من قبلهم من القرون من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعاً:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع النداء
فلما رأينا لجأهم وعماهم، وعدم رجوعهم عن هواهم، وأنهم لم يعتبروا
بجلائهم عن بلادهم، ولا بما أصابهم من الفتنة فى أنفسهم وأولادهم، ولم يروا
ما نهب من زرعهم القائم والحصيد، ولا ما استخرج من مخزونهم الكثير العتيد،
رأينا قتالهم شرعاً، وجهادهم ذبا عن الدين ودفعاً، فاعتمدنا على حول الله وقوته
وأمرنا بالزيادة عليهم فى الأخذ والتضييق، والمبالغة فى النهب والتحريق، وتركهم
محصورين فى أوعارهم، ومقهورين فى أوكارهم، إذ رُبَّ مطاولة؛ أبلغ من
مصالوة، فتوالت عليهم الغارات، وتتابع عليهم النكبات، لا يجدون إلى الراحة
سبيلاً، أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً، ففى كل يوم تثمر العوالى رءوس

رؤسائهم، وتختطف أيدي المنايا أهل بأسائهم، وكلما زادوهم إقبالاً وطلباً، ازدادوا توغلاً في الجبال هرباً. حتى نهكتهم الحرب، وضرستهم موالاة الطعن والضرب، وضاع بالحصار الكسب والمال، ولحق الضرر الأولاد والعيال، فجعلوا يرحلون لقبائل جوارهم، طالبين لحلفهم وجوارهم، وبلغ البؤس فيهم غايته، وأظهر الله فيهم آيته.

وهم في خلال هذا كل حين يتشفعون، ويتذللون في قبول توبتهم ويتضرعون، ونحن نظهر لهم التمتع والإبابة لبنى أمرهم على أساس الجد، ونجازيهم على ما ارتكبوه من خلف الوعد، فلما أنجزت القهرية فيهم وعدّها، وبلغت العقوبة فيهم حدّها، قابلنا إساءتهم بالإحسان، ورعينا فيهم وجه المساكين والنساء والصبيان، فولينا عليهم منهم ثلاثة عمال، ووظفنا عليهم خمسين ألف مثقال، وشرطنا عليهم تقويم مائتين من الحراك مثل قبائل الطاعة، والتزام الصلاح والخدمة جهد الاستطاعة، فقاموا بذلك أحسن قيام، وأعطوا المراهين في أداء المال بعد أيام، وكان أخذهم بعد تقديم الأعذار، وتكرير الإنذار، وعفونا عنهم عفو غلب واقتداء، ورب عقاب أنتج حسن طاعة، وتوبة نصوح تداركت ما سلف من التفريط والإضاعة، وفي الناس من لا يصلح إلا مع التشديد، وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد:

وما عن رضا منها عطية أسلمت ولكنّها قد قادها للهدى القهر

أردنا بها الإبقاء فازداد عجبها وأد بها التشديد والفتك والأسر

ولو قيدوا النعمة بالشكر لأمنوا الزوال، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال، والسلام فاتح رجب الفرد الحرام عام تسعة وخمسين ومائتين وألف».

وقوله في مقامة:

«الحمد لله . حدثنا فتح بن سلامة، عن نصر بن كرامة، قال: ألحفتني السعد ببرده، وأتخفني بحلو عيشه وبرده، وبوأنى من حمى الخلافة العلوية العلية ظلالة، وأعلق كفى فى خدمة الحضرة المولوية العبد الرحمانية حبالة، فى دولة علوية أعلى العلاء أعلامها، وحمى الإله حماها، عقد السعود على التناصر عقدها وذمامها، واليمن قد واخاها، فبلغت بطلعتها أمنها ومرامها، وتوصلت لمناها، وبنى الأئمة من قریش مجدها ومقامها بين الورى وعلاها، حموا الشريعة بالسيوف وأوضحوا أعلامها وتنوروا بسناها، فكنت منتظماً فى سلك كتابها، ومعهود فى خدمة أعتابها، وصحبت ركاب مولانا العلى العلوى، وجيشه المنصور المولوى، فى إحدى قدماته من الحوز، فى سفر أسفر طالعاه عن وجه الظفر والفوز:

فى عسكر ملاء القلوب مهابة والأرض خيلاً بالعوارف يفهق
للفتح والتمكن فيه دلائل وعليه ألوية السعادة تخفق
نهض لها أيده الله غرة ذى الحجة متم عام ناشر، والسعد لمعهود العنانة
ناشر، والرعب يقدم جنوده، والسعد ينشر ألويته وبنوده، والنصر تحت ظلال
أعلامه، وحفظ الله من خلفه وأمامه:
والدهر معتدل الأناء مقتبل والشمس حلت ببرج السعد والشرف
ومطارف السندس بالآفاق قد نشرت، وجنود النور حشدت ألوانها
وحشرت:
والأرض تجلى عروساً فى ملابسها وشت حلالها يد الأنواء بالزهر
والنسيم قد عطر بنشره الأودية، وغازل الأغصان فنازعها المطارف والأردية،
وجر ذيل دلالة فى الآكام والأودية.
والريح تلطم أرداف الربى مرحاً وتلثم أوجه الأزهار

ومنابر الأغصان قد قامت بها خطباء مفصحة من الأطيّار
والسن الحال تهدي إلى التفكير في مصنوعات الله وترشد، وكأنها تتمثل
بقول أبي نواس وتنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر بدائع ما بها صنع المليك
عيون من لجين شاخصات على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك
والناظر الأديب المتأمل، ينشد قول المجنس الممثل:

إن هذا الربيع شيء عجيب تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ما ذهبنا ودرُّ حيث درنا وفضة في الفضاء
والجيش المنصور بحر متلاطم الأمواج، يسير فيملاً الفضاء ويغص الفجاج،
ويقيم فيكون هالة على بدر سعود وشرف، وسور حفظ لا يعرف له طرف، قد
رصت صفوفه، وتعددت ألوفه، وتنوعت أجناسه وصنوفه:

من كل أبيض قد تقلد أبيضاً عضبا وأسمر قد تقلد أسمرأ
والخيل تمرح في أعنتها، وتمضى في الخيلاء على سنتها، قد خلّيت من
الأسلحة بما راق وراع، وأعجز وصفه ألسن اللسن وأهله اليراع:
مؤصلة من ذى العقال وداحس وآل الوجيه والنعمامة والخيفأ
فمن أشهب لبس النور رداء، وسابق البرق عداء:

فكانه في حليه وسلاحه صبح تقلد حلية الجوزاء
ومن أدهم خلع الليل عليه إهابه، وأثبت بين عينيه شهابه:
فكأنما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض في أحشائه

واحمر فأما وصفه فمطهم عتيق، وأما لونه فعقيق، واصفر كأثما صيغ من ذهب، أو خلق من لهب:

ألقى الأصيل عليه من نضارته غلالة وشت الظلما حواشيها
ومن أزرق قد تسربل حلة السماء وتحلى بالنجوم، أو رام استراق السمع
فرمته بشهب الرجوم:

عطايا أمير المؤمنين وبره بأجناده والبر بالجند يحمده
ملك حليفاه التوكل والرضا وأوصافه علم وحلم وسؤدد
يصاحبه أمن ويمن ورحمة ويعضده فتح ونصر مجدد
فتى المجد أما هديه فموفق رشيد وأما رأيه فمسدد
به الدين سام والشريعة غضة تروق وركن المجد عال مشيد
وإن له فى مقعد الحكم حكمة يحل بها فى الله طورا ويعقد
فلا زال محمود المساعى مؤيدا يغور ثناه فى البلاد وينجد

فسرنا تحت ظلال العدل والأمن، نستجلى كل حين من غرته الميمونة طالع
الفتح واليمن، ونرفل فى أردية المعالى الضافية، ونكرع فى بحار الجود الصافية،
ونتمسك من النجح بالعهود الوافية، ونرتع فى روض الأمانى والعافية:

وقد بدت لنا وجوه الهدى مسفرة ولاح نور الفلاح
فلما خيمنا بشاطئ وادى العبيد، قابلنا بوجه الجبار العنيد، وأبدى من مده
آية الإعجاز، وقال بلسان حاله لا مجاز لا مجاز، واستعان من ثلج الجبال
بالمذاب، فأرانا بحرًا طامى العباب:

نهر يريك السهم سرعة جريه والبحر عمقًا والشفير سعيًا

فليسلم النفس المريد عبوره إن لم يكن لطف الإله ظهيراً
فأحجم عن عبوره القوم، واستبشر بالزبون العارف بالسباحة والعموم، وبات
الناس فى الآراء يترددون، ولقصص الناجين والغرقى يعدون، وقصارى أمنية كل
واحد عبور ذلك الصراط، والانتظام فى سلك الناجين والانخراط، حتى أنشد
بعضهم واستحسن، وتمنى ما تمنى الحسن:

ألا ليت شعرى هل أبين^(١) ليلة بسهب الثنين أو بسهب بنى ورا
وهل تعبرن نهر العبيد ركائبى وهل أتركن دايا وأدواءها ورا
فلما تبلج أدهم الليل عن أشهب الصباح، وحيعل الداعى بحى على
الفلاح، وتولت نجوم الليل تقفو إثره، وغدت سيوف ذكاء تخرق ستره، وأدى
الناس النفل والفرص، وأشرق بنور ربها الأرض.

ولاحت لنا شمس النهار كغادة بدا حاجب منها وضنت بحاجب
صدر الإذن المولوى بالعبور، وقدم له الصبور فالصبور، وجعل فاتحة ذلك
نجله الأسعد، وفرعه الأنجب الأصعد، سيدنا ومولانا محمد، تفاؤلاً لتستحسن
العاقبة وتحمد، وكان قد تقدم الأمر المطاع بإعداد المعادى، للإعانة على عبور ذلك
العدو العادى، فلم يكن إلا أن عبر الأول مكتفياً بالمختصر عن المطول، وظهر من
لطف الله وسعادة مولانا ما عليه المعول، وحمد الناس الله على ما سهل من ذلك
وخول، وتتابع العبور على الريح والأعواد. مع سلامة الأنفس والأزواد. وشاهد
الناس لجيش مولانا المنحمر، شبه ما ظهر من الكرامة لعبد الله بن الحضرمى، ولا
غرو أن يعطى التابع حكم المتبوع، ويظهر للعيان حقيقة ما هو مروى ومسموع،
ولله قوم يسعدهم ويسعد بهم، ويظهر عنايته على من تعلق بسببهم.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أبين» وهو غير صحيح عروضياً، والبيتان من بحر الطويل.

وإذا السعادة أحركت عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حباله واقتد بها الجوزاء فهى عنان

ولما خيمت الجموع بالعدوة الأخرى، ورأوا السلامة غنيمة وذخرا، وعان
الناس ما تعودوه مع أمير المؤمنين من النجاة والصعود، والفوز المشهور المشهود،
والتيسير المعلوم المعهود، هنا بالسلامة بعضهم بعضاً، وجعلوا ذلك بينهم سنة
وفرضاً، فلا تلقى غير حامد وشاكر، ومقر بنعم الله ذاكر، واتسع لديهم المجال،
فى الروية والارتجال، فمن ناظم وناثر، ومقصر ومكاثر. ومن قائل:

أرى نهر العبيد غدا عنيدا يعاملنا بجور واشتطاط
عبرناه على خطر وخوف على غير اختيار واحتياط
وذله الإله لنا فسرنا من الريح المسخر فى بساط
يهنى بالعبور البعض بعضا كأننا قد عبرنا على الصراط
ومن متمثل فى عبور الوادى. على المعادى:

لئن كنا ركبناها ضلالا فإيا لله إنا تائبونا
فأخرجنا عن المرغوب منها فإن عدنا فلإنا ظالمونا
ومن مشد، وإلى لطف الله مرشد:

عبرت نهر العبيد قهرا على بساط من الهواء
ولما حمد الناس الإيراد والإصدار، واستقرت بهم بعد العبور الدار، وشكروا
على فضل الله إمامهم، وجعلوا القبيلة التادلية أمامهم، وذكروا معاهد البلد
ورجالها، وأطالت الألسن فى ذلك مجالها، وأوضحوا بذكر كراماتهم غرر السيادة
وأحجالها، فقام زعيمهم، فقال: يا قوم إن الشعر ديوان العرب، ووسيلة لقضاء

الأرب، ومفتاح لكنوز الأسرار، ووصلة إلى عطف الأبرار، وحلية للفضلاء والأحرار، تنفعل النفوس الكريمة لنشيدته، وتعنو الهمم العلية لبديعه ومشيدته، وترتاح إليه الطباع العربية، وتهتز له النفوس الأبية، فتستجلب الأرباح بتقليد أعلق فريده، وتستحلب أخلاف الفضل بحديثه الغض وجريده:

فكم شفع القريض فنال سعدا وقرب للسيادة من قصي
وكم أغنى أخا فقر وأقنى وكم أعلى أخا قدر دنى
وحسبك آية إكرام كعب وما قد نال من عطف النبي
فهل فتى منكم يورى فى مدحهم زنده، وينفق على أخوته مما عنده،
ويجلب للجميع بديع الاستلطاف، ورفيع الاستعطاف، ما تفيض به أبحر
المواهب، وتستجلى به وجوه المذاهب. فقال أحدهم أجل، وقام وارتجل:

أرجال تادلة إليكم عزمتى تسمو وعطفكم الذخيرة والسنا
أنزلت رحلى فى حمى عرصاتكم فعلى الكرام لضيفهم نيل المنى
فتعطفوا لنزيلكم وتلطفوا ونداكم يقضى بإدراك الغنى

فقالوا لقد دعوت منهم مجيباً، وسترى من سر الله عجيباً، غير أنك
اقتصرت واختصرت، وقصرت لما اقتصرت، فهلا أثرت من نحن جميعاً تحت
ظلاله الوارفة، وخصصت من ملكنا بفضلته تالد المجد وطارفه، واستجلبت فإن
المولى، أحق بالآثرة وأولى، مع أن نواله للبرية شامل، وأفضل ما به يدين الإنسان
الله ويعامل، وقد أفصح عن ذلك وأعرب، أثر الدعاء إذا كان أعم كان إلى
الإجابة أقرب، فأنشد فتى وما روى، وأنقع غلة السامعين وروى:

أرجال تادلة الأكسا	رم أنتم خير الرجال
وإليكم تنمى العوا	رف والمعارف والمعال
ولديكم يرجو المؤم	ل عطف أرباب الكمال
هذا أميير المؤمنين	ن بحيكم حط الرحال
متفئاً من ظلكم	وعلاكم ضافى الظلال
وقراه نيل العطف من	كم والقبول والوصال
راج منكم فتحاً ونص	راً ظاهرين بلا قتال
وصلاح أحوال الرء	ية فى مقام وارتحال
ومنال تيسير المقام	صد كلها فى كل حال
فلأنتم أسمى الوسما	ئل فى السؤال والابتها
ولأنتم الحصن الحص	ن إذا طغا خطب وهال
ولأنتم العضد القو	ية والقواضب والنبال
وحماكم الحرم الأمي	ن لذى اعتلاء واعتلال
ما أمكم متوسل	بعلاكم إلا ونال
كلا ولا انتصر امرؤ	بجنا بكم إلا وصال
فلتقبلوا ولتقبلوا	بالفضل يا أهل الكمال

إلى أن قال: فلما أكمل الإنشاد، وأشاد من المفاخر ما أشاد، بلغت النفوس مرادها، واستحسنوا ختام المجلس بذكر أهل الفضل والنسك، واستنشقوا مسك ختامه وكان ختامه مسك».

بعض ما قيل فيه: من ذلك قول الأديب الشيخ بدر الدين يوسف المدني لما وفد على حضرة السلطان سنة ١٢٥٧:

شنت أسماعي بقول مطرب
لاطفنتى وجبرتنى وسررتنى
ورضاك حسبى فى الفخار فكيف إذ
ما كنت أهلاً للثنا كلا ولا
أتم أولو المجد الذى يأوى إلى
وبحلية العلم الشريف وبالتقى
فلكم بدا الفضل المبين وغيركم
وعقود درك سيدى جمع الثنا
شكراً فإن جميل برّك قد حوى
حليت منى عاطلاً وذكرى مـ
لن أستطيع لك الجزا لكن من
فاعذر وإن قابلت درك بالحصا
وعليك من محض الوداد تحية

لله درك من بليغ معرب
ولقاء شمس علاك غاية مطلبى
ألبستنى حلل الثناء الأطيب
جيدى لذاك العقد بالمستوجب
بيت على هام السماك مطنب
والحلم زينتم جلال المنصب
مستنجع لوميض برق خلب
فيها وكان الفخر حال المطنب
رقى وضاق بنيل كفؤك مذهبي
نى خاملاً وأزلت حالك غيهبى
بالوسع جاد فذاك غير مؤنب
هذا مقام العائذ المستعتب
أذكى وأشهى من سلاف الأكؤب

وفاته: توفى ضحى يوم الاثنين الرابع من المحرم الحرام فاتح سنة أربع وستين ومائتين وألف.

٢٨٣ - محمد أبو عبد الله بن على بن حرزهم المكناسى أصلاً ومنشأً وداراً.

حاله: فقيه أستاذ حافظ، أعدل أديب خطيب بجامع مكناسة الكبير، كان

قد حاز قصب السبق في ضبط القرآن وحسن الصوت، فكان يخطب بأمير المؤمنين مولانا سليمان، هكذا ذكره أبو العباس الأغزاوي الجبلي في بعض تقايده.

٢٨٤ - محمد فتحا بن أبي سالم عبد الله بن الطاهر الشريف الأمراني.

والد المولى الكامل المتقدم الترجمة، وقد تقدم رفع نسبهم الكريم في ترجمة ولده المذكور.

حاله: علامة مشارك، خطيب مصقع، صالح عابد، ذاكر ناسك، فاضل جليل القدر، ولد بأفران ونشأ بزrehون، وقرأ بفاس وسكن مكناسة الزيتون، وتولى خطبة الجامع العتيق بها، وكان لا يخطب بخطب غيره ينشئ كل جمعة خطبة بحسب مقتضيات الأحوال، وكان ناصري الطريقة ناهجاً نهج السنة والجماعة في سائر شئونه.

صاهره السلطان أبو الربيع سليمان ببنته المصونة السيدة أم هاني، وكانت صالحة عابدة ناسكة، تقرأ دلائل الخيرات، والورد الناصري، لم يكن في وقتها أجمل منها، فما مات والدها السلطان أبو الربيع ولم يكن دخل بها بعلمها هم السلطان بعده أبو زيد بن هشام بالعقد عليها لنفسه، فلما بلغها الخبر ذهبت إليه وقالت له: يا فلان، اتق الله فإن هذا لا يحل، ألسنت تعلم أن والدي كان زوجني من الأمراني، فتراجع وأمر بزفافها لزوجها المذكور ودونك نص عقد الصداق:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه أولى البر والتعظيم، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث إلى سائر الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

٢٨٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في موسوعة أعلام المغرب ٧/٢٦١٢.

أما بعد: فإن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المنصور بالله . المتمسك بأذيال سنة رسول الله، المصحوب بالأمن والأمان، أبا المواهب سيدنا ومولانا سليمان، زوج بنته المصونة البكر التى فى حجره، وتحت نظر أمره، سيدتنا أم هانى شقيقة سيدنا ومولانا إدريس أصلحه الله وحفظه وأقر به العين أمين للشرىف الأرضى، الفقيه المرتضى، مولای محمد بن مولای عبد الله الأمرانى لمروءته، وطلبه وقرابته ومسكنته، على صداق مبارك قدره ونهايته أربعون مثقالاً سكية حلولا حضر الزوج المذكور وقبل ما ذكر وارتضاه، وألزمه نفسه وأمضاه، شاكراً فعل سيدنا وداعياً له بأن يجعل جزاءه رضا الله والنظر فى وجه رسول الله ﷺ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، إشهداً تاماً وقبولاً عاماً، كما يجب على سنة المسلمين، وطريقة سيد المرسلين، شهد على مولانا دام نصره وهو على كرسى ملكه وعلى الزوج بحال الكمال من أشهاد به وعرفه فى عشرى رمضان المعظم عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف عبد ربه تعالى محمد التهامى البورى، لطف الله به وعبد ربه تعالى أحمد بو عشرين لطف الله به».

ووقفت على كتاب للوزير المختار الجامعى بعثه للمترجم يستدعيه للحضرة السلطانية نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«سيدنا الشرىف الجليل، الماجد الأصيل، والفقيه العلامة الداركة مولای محمد بن عبد الله الأمرانى سلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أيده الله ونصره.

وبعد: فاعلم بأن والدكم البركة مولای عبد الله شاور عليك سيدى نصره الله فأثنى عليك سيدى غاية، وأمرنى أيده الله بأن نكتب لك بأن تقدم لحضرته العلية فبوصوله إليك جد السير ولا تتراخى بارك الله فيك، وعلى عهدك ومحبتك والسلام فى ٢٣ من جمادى الأولى عام ١٢٤٧ المختار خار الله له ولطف به»:

مشيخته: أخذ عن الأزمى وغيره ممن فى طبقته العلوم العقلية والنقلية الأصلية والفرعية، أخبر المؤرخ الثبى الفقيه القاضى حينه بقبيلة بنى حسن السيد عبد الحفيظ الفاسى أن نجل المترجم العلامة مولاى الكامل حدثه أن والده المترجم حدثه أنه قرأ مختصر الخليلى على شيخه الأزمى فى أربعين يوماً فى كل يوم يقرأ الشيخ درسين أحدهما صباحاً والآخر مساءً فى كل درس نصف حزب، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أبى بكر بن على الناصرى، عن والده على المذكور عن والده سيدى يوسف، عن ابن عبد السلام بنانى، عن أبى العباس أحمد بن ناصر، وأخذها أيضاً عن والده عن سيدى على بن يوسف المذكور وعن غيرهما. وفاته: توفى بفاس متم سنة خمس وسبعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية الناصرية هناك.

٢٨٥ - محمد بن العربى بن عمر الصنهاجى أصلاً المكناسى داراً ومنشأً.

حاله: فقيه صوفى منور السريرة، درقوى الطريقة، لقنه إياها الشيخ المحبوب المدعو بأيوب.

مؤلفاته: منها تقييد على الأبيات الثلاثة المنسوبة للإمام الجنيد وهى:

توضاً بماء الغيب إن كنت ذا سر	وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر
وقدم إماماً كنت أنت إمامه	وصل صلاة الفجر فى أول العصر
فهذى صلاة العارفين بريهم	فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

وقفت على مبيضته فى نحو الكراسى فرغ من تبيضه ليلة الأربعاء ثانى شهر رجب عام أربعة وسبعين ومائتين وألف.

٢٨٦- محمد فتحا ابن الهادى غريبط المكناسى النشأة والدار المراكشى الإقبار.

حاله: من أهل المشاركة فى العلوم، ومن يشار إليهم فى تحرير المنطوق منها والمفهوم، حصل على الإجادة والإتقان، وأصبح علما يهتدى به، قوى العارضة، جيد النظم والنثر، ماهر فى علم الطب وخواص النباتات، تقى نقى، هين لين، صالح خاشع متواضع، انتقاه سيدنا الجد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لنفسه وحرمه وجعله الطبيب الخاص به، له فيه الثقة الكاملة، يعتقده ويعظمه ويقدره، ويأتمنه على حياته، لا يفارق على بابه، يظعن بظعنه ويقيم بإقامته.

وكان رحمه الله مغرمًا بحب الصالحين وأهل الفضل، معتقدًا خصوصيتهم منتسبًا ظاهرًا وباطنًا إليهم، وعلى الأخص العارف الكامل أبو محمد عبد القادر العلمى فكان ملازمًا لخدمته، فانيًا فى محبته. مستغرق الأوقات فى مجالسته. والثناء عليه والحض على صحبته. والعرض عليها بالنواجذ، وقفت على عدة مكاتيب له أصدرها لخاصة أصدقائه بما ذكر ودونك بعض نصوص بعضها ومن خطه نقلت:

عوض أخى وولدى حقًا وصدقًا، الطالب السيد الهادى بصرى أصلحك الله وحفظك، وسلام عليك ورحمة الله عن خير ولله الحمد.

وبعد: فقد وصلنى يا أخى كتابك، وأفهمنى مضمونه خطابك، وقد لوحث إشارتك، ووضحت عبارتك، وإنى وأنت يا أخى كلمحة برق فى بعض العوالم، غير أن الله تعالى تفضل علينا جميعًا بنفحة كرمه تنسمت نسمات طيبها العاطر فى مظهر منة العلمية، فاستوجبت منا جميعًا أن ننفق بضاعة عمرنا فى أداء شكر من بسط ضياء شمس وجودها علينا جميعًا، ومتعنا بوسع كرمه اللدنى فيه حتى شملتنا مبرته فأوسعنا خاطره رضى الله عنه بالتنزل الرحمانى الربانى، حتى إنه

رضى الله عنه مع ثقب نورانية كوكبه الدرى فى بسط خلقه معنا جميعا كأحدنا،
وأحنى وأشفق علينا جميعا من والدينا، يهتم لما أهمنا وما يهمننا أكثر من اهتمامنا
لأنفسنا .

وهذا الأمر يا أخى فى كثير من المعارف والأحباب صار كعنقا مغرب فى
زماننا، بل وفيما قبله فى غالب غابر القرون الماضية، فلم يبق لنا جميعا يا أخى
والله إلا حصر الشوفة القلبية والقلابية فى انتظار كرم الكريم فيمن أظهر لنا
كرامته، وأوسعنا مبرته، ففيه برنا وربنا غاية المنى، وشفاء الضنا، وفى إقبالنا بالله
عليه تسهيل المقاصد، لكل قاصد، وسترى أنت وأنا وجميع أهل محبته رضى الله
عنه من فضل الله ورحمته ما لم يكن لنا فى حساب، فالله يا أخى معنا حيثما كنا
حاضر لا يغيب، ودائم الحياة لا يموت، وعلى ما يشاء قدير لا يعجز أبداً.

هذه مذاكرة معك فيما لا يخفى عليك، والحمد لله يقننا الله وإياك بكمال
اليقين، وطوى طويتنا وطويتك على إخلاص الموقنين، ورزقنا وإياك شكر
الصابرين وتوبة الصديقين إلى الآخرة.

وما أوسع يا أخى حلم الحليم، ورحمة الرحيم، وإن ربى لطيف لما يشاء،
ولا تغفل يا أخى عنى وعسى نصر من الله وفتح قريب، متعنا الله جميعاً يا محل
إخوتى فى مطالعة كتب محاسن قدرته، ومحاضرة أنس بشائر ذخائر مبرته، فيما
تفضل الله علينا به، فجعله لنا قدوة الاهتداء، وجمعنا به إليه فصار لنا خير دليل
عليه، وبالحقيقة كان الله ولا شىء معه، وفى قريب يرى عبد الله حسن الشفاء
والعافية بالضامن الملى جل وعلا، وطالع يا أخى والخير العظيم فى قراءة ما شاء
الله من القرآن العظيم بالترتيل والتأمل، وفى الأسحار ربيع الأبرار، وملازمة ما
تيسر من دلائل الخيرات بالتأمل التام أيضاً، تستلزم جلب المسرات، ودفع المضرات

بمنة الله، واذكرنا بقلبك لله وعلى المحبة والسلام فى سبع عشرى محرم عام ثلاثة وستين ومائتين وألف هـ. من خطه.

فانظر هذا النفس النفيس، وتأمل ما منحه صاحبه من الرسوخ وثبوت القدم فى توحيد الله وانغماسه فى بحر الحقيقة الذى هو عبارة عن مقام الإحسان من الله علينا بالولوج فيه على أكمل الحالات وأرضاها لله وكم للمترجم من رسائل على هذا المنوال.

مؤلفاته: منها رجزه المسمى رياض الأئس والفكر والقلب فى التصوف والنصائح والمواعظ والرقائق وأحوال طريق القوم وآدابها، وسيرة شيخه العلمى وأوصافه من نشأته إلى وفاته ومعاملة أصحابه وما تلقاه منه من الحكم والأسرار والآداب، يزيد هذا الرجز على ثلاثة آلاف بيت قال فى طالعته:

سبحان من كون ما أرادا تكوينه إعدامًا أو إيجادا
والكون محتاج إليه وفقير لفضله سواء صغير وكبير
وفى تسميته يقول:

سميتها رياض أئس الفكر والقلب كى يروى بنيل الشكر
لله فى مستودعات الإنسان من فضله جل بمحض الإحسان
وفى بعض أوصاف شيخه المذكور قال:

والجذب معه نحو أربع سنين وبعضنا به من المستيقنين
ومع ذا بسائر الأذكار يصدع بالليل وبالنهـار
حتى قضى بفجر يوم الاثنين ليلة يوم سادس وعشرين

شعره: من ذلك قوله متوجًا بحروف حسبنا الله ونعم الوكيل:

بحفظ الحفيظ من أذى الغي والأعدا
حفظنا وعين الله تكلؤنا ومن
سلمنا من الآفات والله ناصر
بك الله لذنا واعتصمنا وحسبنا
نواصى العباد فى يدك زمامها
أجرنا من أيدى الجائرين ورد من
أعدنا من الخذلان وأجعل مآلنا
لو المجد ملجأ اللائذين فكن لنا
لنا كنت قبل الكون فاجعل عناية
أسأنا وحمل الوزر أثقل ظهرنا
هداك لنا المطلوب منك مع الرضى
ومجداك يا ذا النول حتى تصوننا
نصول بك اللهم فاحم جنابنا
عوائدك الحسنى لنا قد تكاثرت
موائدك العظمى إلينا تواردت
أيقوى جميع الخلق شكراً لبعضها
لك الحمد حمداً بالمزيد على المنى
ونشركك اللهم شكر موقوف
كفى بك برا واهباً متفضلاً

وساتر منه يرعاه من سائر الأدوا
يكدنا بسوء فى مكايده يهوى
مجير لنا وقاصد الشر لا يقوى
حماك فلا تلمم بساحتنا بلوى
وتصريفها إلى نهايتها القصى
يروم أذانا فاقدنا نيل ما يهوى
إلى جنة الفردوس يا سامع النجوى
وبالفضل تؤوينا إلى ذلك المأوى
لنا منك تحمينا من الضر والأسوا
ولكن من الغفران أوزارنا تطوى
وخيرك يا ربى يزيد ولا يطوى
وتنقذنا من المهالك والأهوا
ومن كادنا رغماً على أنفه يلوى
ولولا رضاك ما على نيلها نقوى
ولا الشكر ودينا وما قدرنا يسوى
وهيهات يحصى الرمل أو تحصر الأنوا
كفياً لنا أشهى من المن والسلوى
تبر به من دون سؤل ولا شكوى
وفضلك مع رضاك من أعظم الجدوى

يوارى جميع العيب سترك منة
لو أذى بوجهك الكريم وقدرك الـ
بجاه عظيم الجاه أعظم شافع
عليه الصلاة والسلام مع الرضا
وقوله :

وسيلة خير بالخيار محبره
مشيش أبو بكر على وحرمة
محمد إدريس فإدريس كامل
وبالخل فى ذات المهيمن يخلف
وأسلافه الغر الكرام ومن لهم
كمثل عبيد القادر العلمى ومن
وكل محب مخلص فى جميعهم
بصفو اليقين الراسخين به فهم
تجلى لهم نور الرسول وسره
فيا ربنا بالفضل عامل جميعنا
إليك بجاه الأصل والفرع كن لنا
وصل وسلم ثم بارك على الذى
وأصحابه والآل مع كل تابع

فللذنب أول الصفح يا رب والعفوا
عظيم التماسا للإجابة والدعوى
ومن شربوا من هديه المشرب الصفوا
على حزبه الألى فضائلهم تروى

بعبد السلام للرسول مشوره
وعيسى وسلام ومزور حيدر
وبالحسنين أختم بدور منوره
أخى ابن مشيش فى الطريق المبرره
من أخلافهم وأولى المعالى المقرره
له الله بالمختار فى الحب خير
من أهل القلوب النيرات المعمره
سرائرهم لله فيه محرره
فنالوا الكرائم العظام المسطره
وصير لنا الخيرات منك مسخره
وللشيخ والأحابب دنيا وآخره
أتى رحمة للعالمين مبشره
ولله أبحر المواهب زاخره

وقوله :

بيملح ابن مشيس الرشاد وحمدان حامد رب العباد
ومن نوره منهم فى ازدياد بنجله قاسم المستشاد
ضياه بمكناسة فى اتقاد بعبدك يا قادر يا جواد
تفضل علينا بغير نفاذ بفضل مديد ليوم المعاد
فرجوك والمصطفى خير زاد لنيل الرضى وكمال المراد
وفاته : توفى بمراكش عام واحد وسبعين ومائتين وألف ودفن بضريح مولانا
على الشريف رحم الله الجميع .

٢٨٧ - محمد بن عبد السلام بن عبود أبو عبد الله المكناسى أصلاً ومنشأً
الساوى الدار والمدفن.

حاله : صوفى ينحو منحى أرباب الحقائق، فصيح اللسان ذو ذكاء وحذق
تام، كان لهجاً بالقرآن، متدبراً لمعانيه، مستشهداً به فى كل أحواله، حاد المزاج
ضيق العطن، قل ما ترى العين مثله فى حاله، تجرد على طريق أهل التجريد،
ولازم العبادة على الحالة المعروفة عند كمل الطائفة الدرقاوية من رفع الصوت
بالهيللة فى الطرق، ووضع السبح المتنوعة فى العنق .

ثم رحل إلى فاس واشتهر اسمه بها، وأخذ الطريقة عنه بعض المنقطعين بها
والراجلين إليها، ووقع بعض الإنكار عليه من أفرادها، ولم يزل يلقي أذكاره بها
إلى أن أخرجه منها قاضيها أبو التقى الهادى الصقلى المتوفى بالمدينة المنورة بعد
أدائه فريضة الحج وزيارته لجدّه صلى الله عليه وآله وسلم فى محرم الحرام عام
أحد عشر وثلاثمائة وألف، ودفن ببقيع الغرقد رحمه الله .

٢٨٧ - من مصادر ترجمته : سل النصال فى موسوعة أعلام المغرب ٢٩٤٨/٨ .

فتوجه المترجم إلى ثغر سلاً، واعتنى به عاملها إذ ذاك الخير الناسك الطيب الذكر الحاج الطيب الصيحي مع بعض المحيين له، واشتروا له داراً قرب المسجد اتخذها زاوية لنفسه، ووقعت له مع معاصره علامه سلا، ومؤرخها سيدى أحمد ابن خالد الناصرى مراسلات بمناسبة ما كان الناصرى المذكور ينكره على الطرق، وبالأخص على الطائفة الدرقاوية، وجهها له فى معرض النصح له والتحذير من الإنكار على أهل النسبة، فلم يحتفل أبو العباس طبق ما أراد المترجم لعلمه بطرق الإنكار، وأما أنكرته الشريعة لا محاباة فيه، ولم تزل زاوية المترجم مزاراً للوافدين على سلا المنتسبين لطريق القوم رضوان الله عليهم، والمترجم فى كل ذلك لائح عليه أثر الجذب، كثير النطق بذكر هادم اللذات إلى أن أجاب داعى مولاه رحمه الله ورضى عنه.

مشيخته: أخذ القرآن بمكناسة الزيتون عن أبى العباس أحمد الأعرج والمكى القصرى، وأبى عبد الله بن عزوز الحسنى، وقرأ العلم بها على أبى عبد الله بن عزوز المدعو الهويج، وسميه ابن الجيلانى السقاط، والمختار الأجرأوى، وأخذ الطريق الدرقاوية عن الحاج محمد العياشى أبى الشمع المكناسى المتوفى سنة أربع وتسعين ومائتين وألف، عن سيدى مالك الزرهونى، وأخذ أخيراً عن أبى عبد الله محمد العربى المدغرى العلوى وعنه تلقى الحفيظة الدرقارية.

الآخذون عنه: أخذ عنه الطريقة الدرقاوية على قاعدة أهل التجريد جماعة منهم العلامة أبو بكر بن محمد التطوانى السلاوى قاضى قبيلة زمور الشلح المتوفى بسيدى سليمان من بنى حسن سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف ١٣٣٧، وأخذ عنه الطريقة العلامة المشارك الميقاتى الفرضى سيدى المهدي متجينوش الرباطى، والعلامة المحقق شيخنا سيدى أحمد بن الجيلانى الأمازيغى الفاسى، وصديقنا المؤرخ القاضى سيدى عبد الحفيظ الفاسى فى آخرين.

آثاره: له رسائل عدة على نمط رسائل مولاى العربى بعث بها لبعض مريديه والمحبين له، ورسائل فى كراريس بعث بها إلى العلامة الناصرى، أخبرنى من وقف على بعضها، وأشعار ملحونة ومترنة كما أُخبرت من طريق البعض ولست على يقين، كما أن له رسالة بعث بها إلى أبى عبد الله الحجوى.

وفاته: توفى فى رابع ربيع الأول عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف.

٢٨٨ - محمد الوزير أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله غريط.

يدعى الفقيه بوغنبور الأندلسى الأصل المكناسى النشأة والدار، الفاسى النقلة والإقبار.

حاله: قال حفيده صديقنا الفقيه الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن الوزير الصدر المفضل غريط فيما ترجمه به ومن خطه نقلت: رجل الوقار والجد، أصيل السؤدد والمجد، شاعر تنبع الحكم من لسانه، وتمد أكف التسليم لإحسانه، كاتب حسن الشمائل، ذو رأى لا متأود ولا فائل، وحال عن العرض الزائل مائل، وخط تحسده الخمائل، ويحفه القبول عن اليمين والشمائل، وتبتهج العيون برونقه، وتنعطف النفوس لنسقه، كما قال المتنبى وأبلغ به من قائل:

من خطه فى كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء

وله يد فى الرباعيات والأزجال، وحظوة لدى بلغاء صلحاء الرجال، كالولى الصالح السمى، سيدى عبد القادر العلمى، والولى المجذوب الذى لا زالت كراماته تبدو، سيدى حفيد بن عدو، وذى الأحوال الباهرة والمدد العرفانى، مولاى الطيب الكتانى، قدم من مكناسة مسقط رأسه، ومنبت غرسه، إلى فاس مطلع شمس، بعد أن حصل من العلم قدرًا كافيًا، وورد من الآداب منهلاً صافيًا، فاستكتب لعاملها الودينى مدة ولايته، اقتصر على صروف الدهر براية رعايته، إلى أن عزل العامل لسيئة اجترحها، وفتنة اقتدحها.

قيل : إنه عبث بنسوة بعض الأعيان، وأطاع فيهن داعى العصيان، فاستجار أزواجهن بمن لهم كلمة مسموعة، وأسرة مجموعة، من الشرفاء الطاهرين أهل العدو، وأثاروا ما لهم من نجدة ونخوة، فخرجوا عن طاعته وتمالئوا على الفتك به، وأعلنوا بعد صلاة الجمعة بحرم مولانا إدريس نور الله مضجعه بلعن القائد وسبه .

وخشى السلطان مولانا عبد الرحمن أن يتسع الخرق بسببه، فأطفأ النار بحبسه، وسد ثلثة الهيعة برأسه، وحمل إلى سجن المدينة، بهيئة مهينة، وولى على أهل فاس القائد الأحمر، فأذاقهم البلاء الأكبر والوبال الأمر، ونفى بعض أولئك الشرفاء إلى مرسى الصويرة جزاء على فعلتهم الخطيرة، ونقل الوزير المذكور لأعتابه، مؤمناً من ملامته وعتابه، وأدرجه فى خاصة كتابه، وأغناه الله بالبحر على النهر، ومكث على ذلك حيناً من الدهر، ولما كان فذ أهل أهل طبقته فى الاختصار، والتجافى عن الإسهاب والإكثار.

كان الإمام المذكور يؤثره لذلك بتنقيح واختصار ما استطوله، وتوضيح ما أشكله، فيرتب فصوله، ويلغى فضوله، ويبقى محصوله، ويغص به من يجر فى مقام التشمير ذيوله، ثم ولاه الصدارة فأوسع لها درعه، واستفرغ فى إدارتها وسعه، ولما رأى أن هذا المنصب محك القول ومحط الأهواء، وهدف سهام الوشاة والأعداء، صاحبه على غرر. وإن استخرج منه الدرر. ومعتقده فى هم وتعب، وإن افترش السندس ومشى على الذهب، فهو كراكب الأسد، يخافه الناس وخوفه منه أشد:

قرب الملوك يا أخا البدر السنى حظ جزيل بين شدى ضيغم

قدم للسلطان طلب إعفائه. واعتذر بأنه ليس أهلاً لهذا الأمر ولا من أكفائه. لكبره وضعفه عن تحمل أعبائه. فقال الملك ما معناه: مالك أيها الرجل كلما أردنا لك رفعا ونفعا. أظهرت إباء ودفعاً؟ أما الكبر والضعف. فكلنا بذلك الوصف. فاصبر واحتسب. فى مصالح الأمة على ما لا تحب، فأجابه بما معناه: يا مولانا إننى لا أصلح أن أكون رئيساً معلماً، بل يجب أن أكون مرؤوساً مسلماً، ثم أعفى بعد مراجعة، وعتاب فى طيه منازعة.

واستشاره السلطان فيمن يولى هذا المحل بعده، ويطوقه عقده، فأشار بجماعة كلهم للتقديم طامح، وللا انتخاب لامح، ولسمك تلك المرتبة بسنان أمله رامح، حتى وقع الاختيار، على الفقيه الكاتب أبى عبد الله الصفار، وهو إذ ذاك متعلق من المسكنة بسبب، عاطل إلا من العلم والكتابة والأدب، فأنته الوزارة على قدر، تقود البدور والبدور، وبقي المترجم له محفوظ الحرمه، كاتباً مستشاراً فى كل مهمة.

ثم استوزر لأمير المؤمنين سيدى محمد زمن استخلافه عن أبيه وخليفته بفاس إلى أن خبت ريحه، واشتمل عليه ضريحه.

ومن مناقبه المحموده. ومآثره التى هى على هامة الاعتبار معقوده، أن السلطان مولانا عبد الرحمن قدسه الله لما جرى عليه من الجيش ما جرى، واعتري عبيده من التشريد ما اعتري، بعد أن تفانوا على حماية جنابه، وتباروا فى التزام ركابه، حتى تغير شكل موكب، ونهب ما عدا علمه المقدم ومركبه، واشتد عليه الظمأ، حتى لا ساقى ولا ماء. التفت فلم ير سواه، فاستدناه وآواه، فأسقاء بخفه حتى أرواه. ودخل صحبتته إلى مكناسة الزيتون، فأحله حيث تجله العيون، واستنجد بأفكاره على استنتاج أطواره، حتى أدبر جيش الفتنة بسنان قلمه وفيصل رأيه، فاعترف بمزيد فضله وحميد سعيه.

ولم تزل تلك اليد محفوظة له ندية، متلوا حديثها فى جميع الأندية، وحضر مع أمير المؤمنين سيدى محمد زمن خلافته، بوصف القيام بوزارته، فى الليلة التى أسفر عن وجه النصر صباحها، وكسر سورة الخسر ربحتها، ليلة أجلب الحاج عبد القادر بن محبى الدين على ملحته بخيله ورجله، وألقى بكيده وحيله.

أخبرنى من سمعه أنه قال: لما انسدت جلايب الظلام، وتكافأ الساهرون والنيام، وابتسم ثغر البسيط لبكاء الغمام، جاء المذكور بمن اقتفاه من صحبه، المستميتين لإعلاء كعبه، فأطلقوا على سمت المحلة من الرصاص شؤبوبا، وعبابا مشبوبا، بعد أن أوقدوا ناراً على متون الركاب، وشردوها بين الأخبية والأطناب، فامتلات القلوب والجوانح قرحا، والجوانب قتلى وجرحى، وصارت الجيوش السلطانية ترمى بعضها، وتهم أن توسع فى الفلاة ركضها، حيث لم تدر للعدو ناحية، ولا شعرت بالدهاية، ولسان حال الزعيم يقول رب حيلة، أنفع من قبيلة.

ثم نودى بالنهى عن الركوب، والصبر على الأمر المكتوب، فتراجع الطبجية إلى المدافع ففجروا منها بحاراً ذات أمواج، اهتزت لها الجبال والفجاج، وتلتها شهب منقضة من أفواه المكاحل، كحلت بميل الردى كل مدبر وواحد، فشرق الزعيم، لا يلقى على حميم، وأصبح جمعه كسيراً، ووزيره البوحمدى أسيراً، فى جماعة من تلك الفئة، التى كانت نحو الألفين وخمسمائة، ووجد على أصحابه أقبية الحرير، والعمائم الموسومة بالتذهب والتجبير، إغياء منه فى الترفيه، وزيادة فى الأثرة والتنويه، وكان ذلك فى المحرم فاتح عام أربعة وستين ومائتين وألف. هـ بمعناه.

وعلى الإجمال ففضل هذا الوزير عند أهل الفضل معلوم، وأثره فى صحف المفاخر مرسوم، ولولا تمسكه بذيل العفاف، وقناعته من الدنيا بالكفاف، وانقباضه عن غير من ترجى بركته، وتحض على السكون حركته، لساو صيته مسير

الشمس، وأشير إلى محله بالخمس، وتغنت طيور الطمع بمدحه، ونما نتاج النفاق
بسرجه. وما أحسن قول ابن الحسين:

وإذا خفيت عن العيون فعاذر أن لا ترانى مقلة عمياء
مشيخته: أخذ عن السيد اليمنى بو عشرين أصول الخط، أخذ إحكام
وضبط، وعن العارفين الجليلين الشريف سيدى عبد القادر العلمى وسيدى حفيد
بن عدو وغيرهم ممن يقتدى به علما وعملا:
شعره: من ذلك قوله مجيباً أبا عبد الله أكنسوس وقد أبدع فى ترصيع
نفائس الحكم، وأتقن وأحكم:

من أوتى الدين على القدر مغبوط	وغيره معلوماته أغاليط
والنقط ليس يزيد الحرف تكرمة	كم مهمل دونه ما هو منقوط
والجد ليس بمجد من مقاصده	يلفى بها عند الانتقاد تخليط
وأحمق الناس من قد غره عرض	به الذهاب والاضمحلال مربوط
وليس يسلم فى حال القيام به	من ذى قلى قوله بالزور مخلوط
ومن عجائب ما أبداه ذا الوقت أن	يعز شرط ولا يعز مشروط
ومن تحقق فيه ثمة لم	يفز بمشروطه لا شك مغموط
يا فاضلا فوق هام المجد أخمصه	ماذا يكافى به ثناك غريط
ألبيستنى منه أبهى حلة فغدا	بها لنفسى تفريج وتنشيط
كأننى قد شربت فى معتقة	ما أن يمس بها الأعضاء تثبيط
لله من قطعة عنى قطعت بها	موصول هم به الفؤاد مضغوط
ما حاك نجل الحسين مثل بردتها	ولا ابن حجر إذا ما كان تمليط

كل المسامع تهوى أن تكون لها
وكل جيد مجيد قد تشوق أن
تنشيه ثم توشيه الأنامل من
بمثلكم دولة الأشراف تفخر لا
وأنت غرة هذا العصر دمت وما
وقوله:

عبيد العصا فاضرب منهم كل من عصى
وإن كنت فى شك فجرب تجدهم
وفاته: توفى بفاس عام ثمانين ومائتين وألف ودفن بالمسجد المجاور لضريح
الولى الأشهر سيدى على أبى غالب وكتب على قبره هذا البيت^(١) المضمن تاريخ
وفاته:

فرش السعادة فى ذا القبر تاريخ
هـ من فصول الجمان، فى أبناء وزراء وكتاب الزمان، لأبى عبد الله بن
المفضل غريط المذكور.

قلت: وقد كان المترجم زاهداً ناسكاً، حدثنى ولده الفقيه الكاتب السيد
المهدى وزير الشكايات فى العهد العزيزى سابقاً ووزير الخليفة السلطانى بمراكش
حينه، أن فريقاً من قبيلة عبدة وردوا عليه ذات ليلة بأمة وحمل سكر وجرباً من
الريال الدور وهدية إليه مدة وزارته، فرد ذلك عليهم وعنفهم وأقسم لهم بالله أنه
لا يسمع منهم كلاماً إلا إذا حملوا هديتهم، فلم يسعهم إلا الامتثال، ولما حملوا

(١) فى هامش المطبوع: «البيت لولده السيد محمد».

هديتهم قالوا له: إننا نأمل أن ترفع شكايتنا للجلالة السلطانية بطلب رفع ضرر عاملنا فلان، وكامل العامل من خاصة المولى عبد الرحمن، فأجابهم بأن السلطان لا يقبل فى ذلك العامل كلامًا لإفراطه فى محبته ولكن لا بد لى من أن أبلغ كلامكم لمحلّه، ولما كان الفجر توجه لشريف الأعتاب طبق عادته ولما أخبر الأمير بحضوره وجه عليه، وقال له: يا فقيه أراك لا تنفع نفسك ولا تنفع غيرك، فقال له: يا سيدى ماذا فعلت؟ فقال له الأمير: الهدية التى رجعت البارحة على أصحابها لم تحزها لا لنفسك ولا لبيت المال، وكان اطلاع السلطان على ما حصل غريبًا إذ لم تكن له عيون للمراقبة مبنوثة تراقب الأمور ثم تطلعه عليها بسرعة فائقة.

وللمترجم أيضًا:

وعار على الحر المقام ببلدة يكون بها نذل العبيد شريفًا

قاله لما آخر عن منتصب الوزارة، وأكثر عبيد البخارى من التعريض به وإظهار الشماتة وحاول التنقل من مكناس لفاس، وله شعر جيد فى احتلال تلمسان وتطوان.

٢٨٩ - محمد أمزاج المكناسى الأصل الفاسى النقلة والدار.

حاله: فقيه صوفى تال لكتاب الله ذو ذوق عجيب، وإدراك مصيب، له معرفة كاملة بالرقائق وطريق القوم ودقائقها متأدب بأدابها، ولوع بحضور مجالس العلم، متقشف معرض عن زهرة الدنيا وزخارفها، كثير الخمول متجرد لا يتشوف لما فى أيدي الناس، ولا يرضى بالدون، لباسه لباس الزهاد والبهايل، إلا أنه لا ينبغى فى الأسواق ولا يدعى لنفسه مزية، وربما سأل الناس إذا دعت الضرورة لقمع سطوة الجوع.

كان فى ابتداء أمره يحترف بصناعة الدباغة بجد واجتهاد وحزم وعزم، يلبس الثياب الرفيعة، ذا تودة ونخوة وافتخار، طوفا على خلق العلم، وكراسى الوعظ، متبعاً للسنة مستحضراً للسيرة النبوية، حافظاً للأمداح المصطفية، يحفظ جل ما فى سيرة الكلاعى من الأشعار، قال الزبادى فى سلوك الطريق: إنه سمع منه أنه يحفظ من كلام ابن الفارض ستة آلاف بيت، وكثيراً من كلام الششتري وغيرهما من كلام الصوفية.

مشيخته: أخذ عن سيدى محمد جسوس الحكم العطائية، وكان يباحثه ويعجب الشيخ بأبحاثه ويستحسن سؤالاته، وأخذ عن أبى محمد العربى بن أحمد ابن محمد فتحا بن عبد الله معن وغيرهما رحمهم الله جميعاً بمنه.

٢٩٠ - محمد بن هاشم العلوى الحرونى المكناسى الدار والإقبار.

حاله: فقيه بركة عفيف منيف، أستاذ فاضل جليل، محب فى الصالحين معتقد لهم، صاحب الولى الكامل سيدى عبد القادر الشريف العلمى وانتفع به واغترف من بحر معارفه، حدث عنه أبو عبد الله محمد التاودى السقاط الفاسى فى رحلته الموسومة بالمنح الوهبية، فى الرحلة الحجازية، أنه أخبره أنه سمع من الشيخ يعنى العلمى المذكور أن كل سارية من سواري جامع الزيتونة الشهير بولى وأوصاه بزيارة المسجد المذكور والمواظبة عليه، وأنه ذكر له أنه لازم الإمامة به فى الصلوات الخمس أربعين سنة احتساباً بالله تعالى، وأنه صلى به الضحى مرة وسأل الله بجاه النبى أن يجمع بينه وبين صاحب الوقت بالمسجد المذكور، فإنه لا يخلو من حضوره هناك وفق ما تلقاه من الشيخ المذكور، قال: فلما فرغت من الصلاة والباب مغلق وإذا بسيدى قدور بسارية بالقرب منه فأتى إليه فقال هو هذا الذى طلبت، يشير إلى نفسه.

مشيخته: أخذ عن مولاى عبد القادر العلمى وغيره.

وفاته: توفي في ثالث عشرى قعدة الحرام عام خمسة وثمانين ومائتين وألف ودفن بضريح سيدى الحاج القدوة من الحضرة المكناسية.

٢٩١ - محمد بن محمد بن التهامى بن حمادى الحمادى المدعو السريح المكناسى.

حاله: فاضل وجيه نزيه، فقيه مدرّس نفاع، حافظ حجة لافظ، متضلع مطلع متقن، شهد له بالتبريز جماعة من الأئمة الأعلام المقتدى بهم فى الحضرة الفاسية، وقفت على موجبين متضمنين للشهادة له بالاشتغال بالإفادة والتصدى للتدريس نص الأول منهما:

الحمد لله، يشهد من يضع شكله إثر تاريخه بمعرفته للفقهاء الأنجب سيدى محمد بن الفقيه الأماجد سيدى محمد المكناسى، المعرفة التامة بها ومعها، يشهد بأنه مشغول بتدريس العلوم مدة تزيد على ثمان سنين، فمن علم ذلك قيد به شهادته مسئولة منه فى حادى عشر من شهر الله المحرم من عام أربعة وسبعين ومائتين وألف عبيد ربه أحمد بن محمد المرينسى، ومحمد بن الحاج، وعمر بن سودة، والحاج محمد الفيلالى، ومحمد البدرأوى وناصر النسب، وحفيد الأمرانى، وعلال المرينى، وأحمد بن الحاج، وحفيد بن محمد الحسنى، كل هؤلاء العشرة من الأعلام المحققين المدرسين بكلية القرويين عمرها الله بدوام ذكره.

ونص الثانى:

الحمد لله الذى اختص بفضله ورحمته من شاء، وأقدره على التصرف بالإخبار والإنشاء، وتوجه بعقل الكمال والتشريف، وحلاه بعد التنكير بأداة التعريف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مادة الوجود، ومعدن الفضل والكرم والجلود، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأقطاب، وأصحابه الذين آتاهم الله الحكمة وفصل الخطاب.

وبعد: فإن ماسكه الفقيه الحبي العفيف النزيه، العالم الوجيه، سيدى محمد ابن الفقيه العلامة الأريب، الحافظ الحجة الصدر الخطيب، سيدى محمد بن الحمادى المكناسى ممن تصدر هذه مدة مديدة، وسنين عديدة، لنشر العلم والتدريس والتعليم، وتصدر بين الصدور للتبليغ والتفهيم، وأنفق يواقيت عمره فى حل المقفلات، واستعمل دقائق فكره فى النتائج والمقدمات، وسبر أقسام المسانيد والعلل والألقاب، وكشف عن وجوه مخدرات المعانى والبديع النقاب، واقتنص من المهمات شواردها، واقتنى من النكت فرائدها وفوائدها، وسائر أرباب البلاغة فى مجالها حتى ظهر أنه من أفضل رجالها، مع ماله من الحياء والمروءة والاستكانة، وعدم الدعوى والمحافظة على دينه والصيانة، لكن قد تقرر واشتهر، وعلم لدى الخاص والعام وانتشر، أن الاهتمام بالرزق والكد على العيال، يخل بالجد والاجتهاد فى نشر العلم فى الحال والمآل، ويوجب الفتور والكسل والكساد، ويقطع الإنسان عما هو بصده من نفع العباد.

ومقصود مولانا أيدى الله، وأدام وجوده وعلاه، كثرة نشر العلم وتكثير طالبيه، وصيانة أهل العلم عما يندس حرمتهم وحفظ ذويه، فمن المستحسن بالنظر والقياس، أن يقوى على نشر العلم بمرتب من الأعباس، ليحصل غرض مولانا من تكثير العلماء فى الناس، وأن يعان بما يكون سببا له فى كثرة اجتهاده، أبقى الله مولانا رحمة لعباده، آمين. وفى مهل رمضان الأبرك عام خمسة وسبعين ومائتين وألف عبيد ربه تعالى أحمد بن محمد المرينسى وفقه الله بمنه، وعبد ربه أحمد بن أحمد بنانى ستر الله عييه آمين.

رحل المترجم لأداء فريضة الحج وزيارة خير الأنام سنة أربع وتسعين ومائتين وألف وهو من جملة الأعلام الذين شهدوا بصحة نسب الشرفاء الدباغيين المنتقلين للحجاز ورفع له خير الأنام.

مشيخته : أخذ عن والده ومن فى طبقته .

الآخذون عنه ، ممن أخذ عنه الشيخ عبد الكريم الكتانى والد صديقنا المحدث
أبى الإسعاد عبد الحى ، وشيخاننا أبو عبد الله محمد فتحاً بن قاسم القادرى ،
والمرحوم أبو محمد عبد السلام الهوارى قاضى فاس ، وأبو العلاء إدريس بن أبى
العشرين .

وفاته : توفى بالحجاز عام حجه المذكور رحمه الله .

٢٩٢ - محمد بن الهادى بن عبود المكناسى النشأة والدار والقرار والإقبار .

حاله : فقيه عالم ، عدل نزيه ، تقى نقى ، مدرس فاضل واعظ خطيب بليغ ،
من أهل الخير والصلاح والزهد والرغبة عن الدنيا وزخرفها ، سراداً للأحاديث
النبوية وبالأخص صحيح الإمام البخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان
ورمضان ، ذو صوت حسن لا يمل سامعه ، تولى الإمامة بالمسجد الأعظم ،
والخطبة بمسجد باب البرادعيين ، ونيابة القضاء عن السيد العباس بن كيران والحاج
المهدى ابن سودة .

وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ ثالث رمضان عام ثمانية وسبعين
بتقديم السين على الموحدة تحت ومائتين وألف محلى فيه بالعلم والإمامة
والتدريس والنبيل والنزاهة .

وآخر بخطه وشكله بتاريخ ثالث شوال عام تسعين بتقديم المثناة على السين
ومائتين وألف يتضمن تحييس الحاج محمد بن يعيش البخارى قائد مشور السلطان
إذ ذاك جميع النصف الواحد من العرصة الكائنة بسيدى عبد العزيز من ناحية حارة
بنى موسى من الحضرة المكناسية على من يقرأ ذخيرة المحتاج بمسجد الشافية من
روى مزيل قرب داره هناك ، كل يوم بعد الفجر وقبل صلاة الصبح إلا أن القراءة
صارت اليوم قبيل العصر وشرط المحبس يأبى ذلك .

وفاته: توفي بعد التسعين بالحضرة المكناسية، ودفن بمسجد أبي العباس أحمد الشلبي بالصف الأول منه.

٢٩٣ - محمد العياشي بن المكي بو شمعة^(١) المكناسي.

حاله: فقيه فاضل صوفي عالى الهمة منحاش إلى الله دال عليه فى سره وعلايته، ملازم للذكر وتعمير الزاوية الدرقاوية فى سائر الأوقات، محافظ على صلاة الجماعة، إذا رُئى. ذكر الله، يحض أصحابه ورفقاه على الذكر والمذاكرة فى أحوال السلف الصالح، والتأسى بأقوالهم وأفعالهم، مشغل بقراءة الحكم العطائية، والمباحث الأصلية، ورسائل مولاي العربى الدرقاوى.

وكان يسرد صحيح البخارى مع جماعته فى الأشهر الفاضلة الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، ويحتفل لختمه كل سنة، وكان كثير السياحة، رحل إلى حج بيت الله الحرام، مجلسه مجلس علم وخير وخشية، وكان يكتبه بعض شيوخه بعيش القلوب، وكان يقول كثيرا: لا يعتبر فى الفقير المقال ولا الكرامة، وإنما يعتبر فيه الحال واتباع السنة، ولما حضرته الوفاة ازدحم الفقراء أتباعه عليه وأكثروا الإلحاح عليه فى الدعاء لهم، فكان جوابه ما معناه دعونى الله الغنى.

مشيخته: أخذ عن الولي الصالح السيد مالك الغرباوى دفين زاوية مولاي إدريس الأكبر من جبل زرهون وعن غيره.

الآخذون عنه: منهم السيد محمد بن عبود المكناسي الأصل والنشأة السلوى الدار والاستيطان وخلق.

مؤلفاته: منها تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

٢٩٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٥٧.

(١) فى المطبوع: «بوالشمع» والمثبت من إتحاف المطالع.

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ... ﴿٣٢﴾ [سورة فاطر آية ٣٢]، وشرح على الصلاة المشيشية حل فيه ألفاظها.

وفاته: توفي في حجة الحرام سنة أربع وتسعين ومائتين وألف.

٢٩٤ - محمد بن المجذوب ابن عزوز يدعى الهويج بالتصغير المنكاسي.

حاله: فقيه علامه، جليل مشارك نقاد، دراکة، نبيل عدل مبرز مدرس نفاع، تحرير ذو خط بارع، وربما قال الشعر وإن كان لا يحسن صناعته ولا يجيد، وسيمر بك بعض شعره.

مشيخته: أخذ عن ابن عمه العلامة السيد فضول بن عزوز، وعمن في طبقتة، وشاركهم في بعض مشايخهم كالحاج المهدي ابن سودة، والسيد مبارك، وابن كيران رحم الله الجميع.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة السيد الغالي الستيسي، وشيخنا العلامة الناسك سيدي محمد العرائشي، والفقيه السيد محمد الواستري، وعمنا مولاي عبد القادر، وسيدنا الوالد، وقاضي أحواز مكناسة الحالي السيد أحمد الناصري وجماعة.

شعره: من ذلك قوله:

تبسمت الأيام واحتفت سعدها	وقد لبست من كل حلى زهجرا
دنا قطف آمال لصب له رنا	بلحظ ذكى قد ألهب من الكرا
تفتحت الأزهار في كل شارع	وفاح لها ريح بمسك تعطرا
وقال:	

إليك رسول الله أرفع حاجتي	ومنك رسول الله أرجو قضاءها
---------------------------	----------------------------

وأنت لها يا سيد الناس كلهم
وأنت لها يا من يقول أنا لها
وأنت الذى ترجى لكل عزيمة
وأنت الذى تحيى القلوب فتهتدى
وأنت الذى لولاك ما كان مهتد
وأنت الذى أوليت كل فضيلة
ومن سرك الأسرار فاض عبابها
ومن روضك الزاهى الأزاهر فتحت
ومن برك الطامى الحياض تدفقت
إذا عقدت يمينك فيهم لواءها
إذا نكصت رسل الأنام وراءها
إذا قطعت نفس المرید رجاءها
بأنوارك الحسنى وتجلو جلاءها
ولولاك لم تدر النفوس اهتداءها
فلا نعمة إلا وصلت عطاءها
ومن نورك الأنوار تبدى ضياءها
ومنه استمدت حسنها وبهاءها
فله ما أحلى وأعذب ماءها

نشره: من ذلك ما خاطب به تلميذه عمنا مولای عبد القادر: سيدنا الشريف، العالم المنيف، ذا الأرج الأدبى العاطر، مولانا عبد القادر، أسعد الله صباحك وشرف أيامك، ونشر فى ميادين المجادة أعلامك، وسلام على شريف سيادتك ورحمة الله.

وبعد: فنحب حضورك ختام الخلاصة، ليكمل سرورنا بلا خصاصه، وأعط حامله عروش إقامة، أمدك الله بسر الاستقامة.

وفاته: توفى يوم الاثنين رابع حجة الحرام سنة سبع وتسعين ومائتين وألف، ودفن بزاوية سيدى على بن عبد الرحمن أمام فرن الكدية حذو حمام مولای عبد الله بن حمد.

٢٩٥ - محمد بن محمد بن أحمد المصمودى.

حاله: فقيه موقت، متقن محقق، حيسوبى، نبيل فاضل.

مشيخته: أخذ عن الموقت الماهر السعيد السعيدى المدعو الفاسى آتى الترجمة.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن سميّه بصرى صاحب إتحاف أهل الهداية، علم التوقيت علما وعملاً وغيره.

٢٩٦ - محمد بن الهادى الشريف الحسنى العلوى حفيد السلطان مولانا سليمان نزيل مكناس ودفينها.

حاله: فقيه أستاذ مجود مقرئ له معرفة شافية بعلم القراءات وإتقانها وتوجيهها، انتهت إليه رئاسة ذلك الفن فى زمن، حكى عنه أنه سئل عن الإشمام والروم، فأجاب سائله عن ذلك بالأبيات الآتية، ولما تم الأبيات ذهب للحجّام وأمره بقلع ثنيته ليتمكن من النطق بالإشمام على حقيقته، وقد كان مدرراً يعلم الصبيان ويرشد الشيوخ الأساتيد نفع الله به خلقاً.

الآخذون عنه: منهم العدل البركة سيدى محمد بن الرضا الطاهرى ومنه استفدت ترجمته، وآخرون:

شعره:

يا سائلى نظماً على الإشمام	والروم فاستمع أخى كلامى
الرفع فيه الروم والإشمام	والخفض بالروم فقط يرام
النصب لا روم ولا إشماماً	فى مذهب القراء خذ أحكاماً
وفى عريض شكل قل بالمنع	وهاء تأنيث وميم الجمع

٢٩٧ - محمد بن سميّه بن العناية ابن فقيرة الأنصارى المكناسى.

حاله: فقيه علامة، متقن محرر متبحر، مدرس نفاع، ذو سر وبركة، لقى

الشيخ الرباني أبا العباس أحمد التجاني وصحبه وانتفع به، وكان من أخص أصحابه.

مشيخته: أخذ عن الشريف القاضي مولاي أحمد بن عبد المالك العلوى المطغرى، وعن السيد العباس بن كيران وطريق القوم عن أبى العباس التجانى. الآخذون عنه: منهم أبو حامد العربى بن السائح العمرى الشرقاوى دفين الرباط، وناهيك به مفخرة للمترجم، والسيد المختار الأجاوى وجماعة، حسبما أفادنى بهذا كله حفيده الفقيه السيد أحمد الكاتب الأول بالصدارة حينه ولم أحفظ وفاته.

٢٩٨ - محمد بن محمد المترجم قبله يليه ابن محمد بن فقيرة.

حاله: أستاذ فاضل مقرئ، مجود متقن، حسن التلاوة، أخبرنى ولده أنه أخبره أنه حفظ قراءة البصرى قبل بلوغه.

٢٩٩ - محمد الأمرانى.

حاله: فقيه علامة معدل ماهر، ذكره خاتمة المحققين ذو الباع الطويل فى سائر الفنون والعارضنة العريضة أبو إسحق إبراهيم بن عبد القادر التادلى الرباطى فى إجازته لأبى عبد الله محمد بن خليفة المدنى آتى الترجمة قائلاً فى حقه: كان آية فى علم التعديل، كان يجىء إلى المدرسة العنانية بمكناس يقرأ معى كل يوم منهاج ابن البنا فى التعديل الذى لا أصعب منه فى كتبه هـ.

وناهيك بهذه الشهادة من هذا البحر المتلاطمة بالتحقيق أمواجه فى حق المترجم، وكفاه فخراً وشرفاً كون أبى إسحاق هذا من تلاميذه.

وقد ذكره أيضاً فى فهرسته التى لا تزال مسودة بخطه بما نصه: وكان شيخنا الشريف سيدى محمد المرانى السجلماسى المكناسى المجاور الآن ١٣٠٦ بأهله

وأولاده بالمدينة المنورة غاية فى المسكنة والصمت، لا يتكلم إلا فى علم أو ذكر، ولا يعلم سوى التعديل والتوقيت والحساب والكيمياء، والغالب الأول، كان شديد النصيحة فى التعليم، سافرت من فاس لأجله بمكناس فقعدت فيها شهرين فى دار ساداتنا الكرماء العلماء دار العلم والولاية والكرم سيدى بصرى نفعنا الله به، وقرأت عليه المنهاج لابن البنا فى التعديل إلا قليلا بلا مطالعة منه .

ثم تلاقينا بشيخنا الشريف المذكور المكناسى بالمدينة أيام مجاورتنا بها، فوجدته ملازما للمسجد لا يخرج منه إلا لحاجة، لا يعرف ولا يخالط أحداً فى غير علم، فقرأت عليه شيئاً من ذلك أيضاً وأخذنى لبيته وأكرمنى وأعطانى تقويم كسوف بعمل يده فى قطعة كاغد بعمل المنهاج وغريتم يتحير الماهر فيه، وأتقنه رضى الله عنه كل الإتيان، ربما يبقى غيره فى استخراجهم نحو شهر فأخذته لمكة، وأطلعت عليه تلامذتنا الشرفاء الذين قرأنا معهم التعديل باللمعة فتعجبوا من ذلك ووضعوه ورصدوا وقت الكسوف كما هو مؤرخ فى القطعة المذكورة فصادف الوقت واليوم وصلينا مع أهل مكة صلاة الكسوف عقب صلاة الظهر بالخطبة. هـ من خط من نقل من خط التادلى مباشرة، وكذلك عدة من شيوخ أبى إسحاق المذكور تلميذه العلامة الشريف الربانى سيدى محمد بن الحسنى الرباطى فيما كتبه بكناشته ترجمة لشيخه أبى إسحاق رحم الله الجميع .

الآخذون عنه : منهم أبو إسحاق التادلى وناهيك به .

٣٠٠ - محمد الزهنى الزرهونى .

من أهل زاوية مولانا إدريس الأكبر .

حاله : فقيه عدل رضى من وجوه أعيان عدول الزاوية، تولى نيابة القضاء بها عن قاضى وقته .

٣٠١ - محمد فتحا الأمراني .

يدعى البيصارة بياء موحدة مفتوحة بعدها ياء ساكنة ثم صاد مفتوحة مشبعة فراء فهاء .

حاله : فقيه علامة ، ، تحرير ماجد ، أصيل ألمعى ، نبيل عدل ، مبرز ، كان يتعاطى الشهادة بسماط العدول ، دين فاضل مشتغل بما يعنيه .

مشيخته : أخذ عن الحاج المهدي ابن سودة ، والسيد العباس بن كيران ، والحاج مبارك الفيضى وغيرهم من الجهابذة النقاد .

٣٠٢ - محمد بن على النيار أبو عبد الله الأندلسى القصرى مولداً ومثلاً المكناسى داراً ووفاة .

حاله : صالح بركة ، منقطع إلى الله تعالى ، هذا ما وقفت عليه من ترجمته .

٣٠٣ - محمد بن محمد بن الجيلانى بن المعطى السقاط الأندلسى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار .

وجزم بعضهم فى نسبه غير هذا مما لا أتحققه والله أعلم .

حاله : فقيه علامة مشارك ، مدرس نفاع ، عدل رضى ، مبرز خاشع ، ذاكر ناسك ، صالح أواه ، ذو دين متين ، وإقبال على الله فى كل حين ، وخشية وحشمة ووقار وسمت حسن ، تولى نيابة القضاء ، وإمامة مدرسة الشهود ، ثم إمامة المسجد الأعظم وكان من صدور مدرسيه مشاراً له بالخير والفضل ، متبرك به فى السر والعلن ، منظور إليه بعين الإجلال والإكبار ، وكان ذا صوت حسن له حلاوة ، عليه طلاوة ، يسرد ذخيرة المحتاج بالمسجد الأعظم فما تسمع الأذان أحلى من صوته بها ، وكانت بينه وبين الشريف البركة المعتقد المشهود له بالمعرفة والفضل العلامة المتضلع أبى مروان عبد الملك الضرير محبة ووداد .

٣٠٣ - من مصادر ترجمته : إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٧٦١ / ٨ .

حدثني ابن عمنا العلامة المفضل مولاي عبد السلام بن عمر العلوي، أن شيخه المولى عبد الملك رحمه الله، كان يقول له: ربما حملني على السفر لمكناس زيارة ولدنا ابن الجيلاني، كان ملازماً للمولى عبد الملك المذكور مدة رحلته في طلب العلم بفاس، وأنه ربما سمع شيخه يقول للمترجم: ستكون رأس علماء مكناسة فكان كذلك، كان في وقته من هو مشهور بالعلم والتحقيق، ولكنه لم تكن له منزلة صاحب الترجمة في الإقبال على الله والشهرة بالديانة، وأنه وقعت له معه كرامة، وذلك أنه أي المترجم توجه لزيارة مولانا إدريس الأكبر وهو - أعني ابن عمنا، المذكور - إذ ذاك صغير يحفظ شيئاً من المختصر الخليلي، فسأل عنه بعد دخوله لدارهم هل قرأ شيئاً من العلم، فأخبروه أنه يحضر بعض المجالس، فذكر له بعض الأمثلة وطلبه في إعرابها فأعربها له، فسكت قليلاً ثم قال: أنت سنعطيك شريفة بفاس وتكون من أهل فاس أو من علمائها، شك المحدث، قال: وما خطر لي شيء من ذلك قبل، ثم كان ما أخبر به كما أخبر.

ومن إفادته ما حدثني به ابن عمنا العلامة الثبت سيدى محمد بن أحمد العلوي قائلاً: إنه حدثه تلميذ المترجم شيخنا ابن عبد السلام الطاهري عاشر شعبان عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف سماعاً منه، أن التجربة العادية حكمت بأن رابع شوال إن كان هو الجمعة أو السبت أو الأحد، فإن صابة صيف العام تكون تامة كاملة، وإن كان الاثنين فالصابة على النصف، وإن كان الثلاثاء فعلى الثلث، وإن كان الأربعاء فعلى الربع، وإن كان الخميس فإنما يرجى لطف الله وقد جربها الشيخ زروق السنين الطويلة فوجدها صحيحة.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة السيد مبارك الفيضى، والقاضيين السيد العباس بن كيران، والسيد الحاج المهدي ابن سودة، والسيد الهادي بادو، والمولى عبد الملك الضيرير، ومن في طبقتهم من شيوخ فاس ومكناس.

الآخذون عنه: منهم شيخنا القاضى سيدى محمد بن عبد السلام الطاهرى،
وشيخنا سيدى محمد القصرى، والسيد التهامى بن عبد القادر السوسى، والغالى
الستيسى وغيرهم من الأعلام.

وفاته: توفى صبيحة يوم الجمعة ثالث ربيع الثانى عام واحد وثلاثمائة
وألف، ودفن بضريح السيدة العلمية من حومة حمام الجديد بالحضرة المكناسية،
ولم يتخلف أحد من وجوه أهل البلد وأصحاب الحிثيات وأعيان رؤساء البساط
الملوكى عن تشييع جنازته.

٣٠٤ - محمد بن عبد الله الغريسي المشرى الحسنى نزيل معسكر.

حاله: كان فقيهاً نابغة، نبيلاً قاضياً، رحالة شاعراً دراقة، وجيهاً، ورد على
أمير وقته مولانا عبد الرحمن بن هشام فى سنة خمسين ومائتين وألف لدار المملكة
مكناسة الزيتون.

آثاره: لم أقف على شىء من آثاره إلا على قطعة شعرية ألفيتها على ظهر
كتاب بخط بعض الأثبات، نظم فيها صور الشغار الثلاث ونصها على ما فيها:

غريس خلا مذ غاب عنه الإمام	عليه من الله الرضا والسلام
وقد صار مفتى الوقت من آل واشق	عليه من الطود العظيم سلام
مررت به يقرى الشغار كنائم	 ثم أيقظته سلام
فلم يدر ما قد قاله فى منامه	ولا ما عراه يقظة أم منام
فقلت له والقوم محدقة به	كحوض بلا ماء عليه زحام
فهاك نظاما ما فى الشغار وحكمه	نظاما بديعا ما حكاه نظام
فإن صرحوا بالمهر قل ذلك جمعه	وإن سكتوا فهو الصريح الحرام

وإن قرنوا بين السكوت وضده
فهذى أصول للشغار ثلاثة
وحكم الجميع الفسخ ما عدا جمعه
وقيل بمهر المثل مثل صريحه
ولا مهر من قبل البناء فى ثلاثها
كذا فصل الأشياء يا جاهلاً بها
وصل فى بلاد الله تلو أئمة
وقل لهم يا آل ودى تكرموا
وراقب فجر شمس علومهم
ولم يبق يا من فى دجا ظلماته
وجانب مزاج الأذلين من الملا
وسلم لأهل العلم تسلم ولا تكن
فذلك قسم منهما مستقام
وبالقبلى والبعدى ست تقام
إذا تم يمضى بالكثير التمام
وإن كان هذا فيه لا يستدام
وقس قسمى التركيب كى ترام
وداو سقام الجهل فهى حرام
أقاموا بحق الله ثم استقاموا
على عبدكم من جودكم يا كرام
فأنت إذا راقبت ذاك همام
إذا طلعت شمس العلوم ظلام
فإن مزاج الأذلين حرام
ملوما مشوما فى الملا فتلام

٣٠٥ - محمد الخرزة .

رفيق المترجم يليه .

حاله : فقيه كاتب نشيط نبيل ، ورد على المولى عبد الرحمن بن هشام رحمه
الله فى سنة خمسين ومائتين وألف ، صحبة صديقه سيدى محمد بن عبد الله
الغريسى .

٣٠٦ - محمد بن عبد الله بن محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن

فخر الملوك مولانا إسماعيل .

حاله : من أنجب أقرانه وأفقههم وأجلهم وأفضلهم وأبرعهم وأتقنهم ، نسخ

بخطه البارع كتباً عديدة حديثة وفقهية ونحوية، وكان من أهل الفضل والدين المتين والاشتغال بشأئه.

مشيخته: أخذ عن السيد الطاهر بوحدو، والسيد فضول بن عزوز، والسيد محمد الهويج، والسيد فضول السوسى وغيرهم، وحفظ القرآن وجوده على سيدنا الجدل المولى عبد الرحمن بن زيدان.

ولادته: ولد بمكناس بدارهم من الستينية سابع ذى القعدة الحرام سنة ستين بتقديم السين على المثناة فوق ومائتين وألف حسبما وقفت على ذلك بخط يد والده.

وفاته: توفى فى متم ربيع الثانى عام أربعة وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة سيدى عمرو الحصينى الشهيرة بالحضرة المكناسية.

٣٠٧ - محمد بن الأمين السيد المعطى المسطارى المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه عدل، مبرز موثق ماهر، فرضى جليل، أديب بل ناظورة الأدب، ومصدر مفاخر لسان العرب، بارع القلم واللسان، له فى الارتجال أكبر باع وشان، جامع لأشتات معانى الكلام فى بديع خطاب، مجيدا فصيحاً دون عى ولا إغراب، يراعه يسيل أدبا، وفكره يبدى عجباً، له اقتدار تام على الإنشاء، صرفه الله تعالى فيه كيف شاء، من أجل ذلك كانت له المرتبة السامية، والمكانة العالية، ومزيد الحظوة والعناية لدى أفخر الملوك العظام، وسلالة آل بيت الفخام. أمير المؤمنين المقدس أبى عبد الله سيدى محمد، ونجله مولانا الحسن ذى الخلق الحسن الأحمد، أفنى رحمه الله جل عمره فى خدمتهما، والتشرف بملازمة عتبتهما، مواظبا على الكتابة فى بساطتهما الملوكى من أعيان الشعراء والكتاب، محافظاً على

٣٠٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٧٧٣/٨.

الآداب اللائقة بذلك الجنب، مخصوصاً بمزيد الاحترام والاعتناء، أعطى اسم شاعر الحضرة دون من عداه من الشعراء.

مشيخته: أخذ عن جلة أعلام بلده مكناسة الزيتون كالشيخ عبد الرحمن بصرى ومن فى طبقته.

شعره: من ذلك قوله:

عذب فتعذيب هذا الصب فيك حلا	فالكحل لما هواك من سواك خلا
لو قلت طأفى لظى وطئت مبتدرا	طوعا ولا أنقى حرا ولا وهلا
يامن إذا نظرت عيناى طلعتيه	قبلت موطنه وصرت مبتهلا
دل الكئيب على وصل فقد لعبت	به عواصف أشواق بها ذهلا
ورد طيف الكرى لطفه كرما	عسى يراك خلال النوم إن حصلا
وارع لذمة رق يشتكى لهفا	كى يستقى من كريم عطفك العسلا
وانظر لفرط جواه فهو متحل	جفا المضاجع والسلوان والبجلا
لم يبق يرقب إلا لسانك ومن	سواك لا يرتجى عطفًا ولا بدلا
أنى وحقك لم أزل أقارع ما	قد هالنى من جوى بين كفى شغلا
يا من شمائله جلت فليس لها	حد ويا مالكا به المنى كملا

وقوله:

مضى الحسن لا تسأل فقلبى فى أسر	وقلبك جذلان تسارع للفخر
ولا عذر لى دون التشبث بالرضا	وأما الهوى يقضى بما شاء من قهر
وأى فتى يهوى ولم يذق الجوى	وأقرب ما فى الحب وقف على الجمر

وأعذبه هو العذاب فلا تقل
ففيما مضى كان الحسان إذا رأوا
ورقوا له ثم انتحوا لوداده
فدام عليهم رونق الحسن والبهها
لذاك رأيت العاشقين تملوا
ولو عاينوا ما شمتة اليوم لم تجد
فكنت غيبا بالزمان وأهله
وصرت على حكم الغرام علامة
وقوله:

عبث النسيم بقده فتأودا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى
قمر هدى أهل الضلال بوجهه
مغرى بإخلاف المواعد فى الهوى
سلبت محاسنه العقول بناظر
يا صاحى الأعطاف من سكر الطلا
قاسوك بالغصن الرطيب جهالة
حسن الغصون إذا اكتست أوراقها
إن كنت محبوبا فقلبي حاجب

مذاق الهوى عذب فكم فيه من مر
عفيفا أنالوه الأمان من المكر
ومالوا إليه ميل من شاق للبر
ونال الذى يهواهم الفوز بالبشر
بمدح شمائل المحسن فى الشعر
أديبا أتى إلا بهجو بلا نكر
وهمت بأنسى سنين من الدهر
سميعا مطيعا صنته فى دجا فكر

وسرى الحياء بخده فتوردا
لما غدا بجماله متفردا
وأضل بالفرع الأئيث من اهتدى
يا ليتة جعل القطيعة موعدا
يصدى القلوب وباسمه يروى الصدا
ما بال طرفك لا يزال معربدا
تالله قد ظلم المشبه واعتدى
ونراك أحسن ما تكون مجردا
لك فاطمئن النوم لا تخش الردى

وقوله وقد طلب منه بعض الطلبة تخميس الأبيات الأربعة المشهورة وهى:
صبرت على النيران الخ فخمسها فى الحين فقال:

إلى الله رد الأمر وارض وقل عسى ولا تكثرت مهالك القنط عسعسا
فكم سر مضنى حيث قال منفسا صبرت على النيران والضرب والأسا
فأبلغنى صبرى لرشف المباسم

فدو الملك يبدى ما يشا ويعيده وفى يده بسط القضا ومديده
فالصبر ما قد غاب تصيده تأن ولا تعجل لأمر تريده
وكن راحما بالناس تبلى براحم

فداج القضا بدر الرضا قد أناره وما موقد إلا سيصلى جماره
ومن ظن شرا للهوان أصاره ومن يزرع المعروف يحصد ثماره
ومن عاند الأيام ليس بسالم

فما ضل حادى البزل أحسن سوقها وما خاب والى الناس يرفأ خرقها
فتحمده نفس قد أحمده شوقها وما من يد إلا يد الله فوقها
ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

فلما فرغ منها قال مؤذن الظهر الله أكبر، فقال للسائل: قد استجيب لك قد
استجيب لك .

وفاته: توفى أواسط جمادى الأخيرة عام خمسة وثلاثمائة وألف، ودفن
بصحن روضة ولى الله تعالى مولاي عبد الله بن حمد من الحضرة المكناسية .

٣٠٨ - محمد بن إدريس بن الطيب الواسطري المكناسي .

حاله : فقيه علامة أديب نجيب له مشاركة وخط بارع نساخ للكتب، تولى خطة الكتابة بالحضرة السلطانية وخدمها نحو الستة أشهر ثم احترمته المنية .
مشيخته : أخذ عن السيد الطاهر بوحدو، والسيد فضول بن عزوز، والسيد فضول السوسي، والسيد محمد بن الجيلاني السقاط، ومن في طبقتهم من أهل التحقيق .

شعره : من ذلك قوله :

يا من يرى ذلي وضعفى وغربتى	إنى ببابك واقف يا عمدي
يا من تفضل بالوجود على من	بعد انعدام مكونا من نطفة
يا من تكفل لى برزقى مذ أنا	طفل صغير إلى انقضاء مدتي
يا من يتوب على العصاة بمنه	إنى سألتك أن تمن بتوبتي
مالى سواك وسيلة فلان رجوع	ت من ندائي خائباً يا سواتي

وفاته : توفي بعد الثلاث مائة وألف .

٣٠٩ - محمد بن الخليفة التونسي الأصل المدني الدار، المغربي الرحلة والجوار، المكناسي الإقبار، يعرف في تونس بالرقاع .

حاله : فقيه علامة، مشارك ناقد، راوية مسند متقن، رحال، ناظم ناثر، مجيد ناثر، مجيد فى الصناعتين، ماهر مقيد جماع، قلّ بلد إلا وله فيه أثر، وعنه بها آخذ، وله كثير من التقايد والأنظام، ذو همّة عالية فى جمع الكتب واقتنائها، وبذل الأمور فى استنساخ الغريب منها، حتى تجمع له من ذلك عدد وافر .

٣٠٩ - من مصادر ترجمته : إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٨٠٤ .

رحل فى صغره إلى المدينة المنورة وأقام بها مدة فى طلب العلم وخدمته حتى برع وفاق، ثم رحل إلى مصر وتونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش والصويرة وآسفى والرباط ومكناسة الزيتون وبها كانت منيته كما يأتى، ووقفت فى دفتر مرسى ثغر الصويرة على ظهير حسنى لأمنائها نصه بعد الحمدلة والصلاة والطائع:

«خدامنا الأرضيين، أمناء مرسى الصويرة المحروسة بالله، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: فنأمركم أن تركبوا الطالب محمد بن خليفة المدنى مع صاحب له واصلين للإسكندرية من غير كراء يلزمهما، والسلام فى ٧ شعبان عام ١٣٠٨»، وقد ذكر فى فصل الصوائر المختلفة من باب الصائر من الدفتر المذكور المبلغ الذى أُرْكَبَ بِهِ «اللقيه الشريف محمد خليفة مع صاحبه بريال ٤٠».

مشيخته: أخذ بالمدينة عن الشيخ أبى خضير الدمياطى المدنى، وأبى حفص عمر بن إبراهيم برى المدنى، والمفتى محمد بن عمر بالى المدنى الحنفى، والسيد جعفر البرزنجى، وأبى المحاسن محمد بن خليل الطرابلسى.

وبمكة عن الشهاب دحلان، والشيخ محمد حقى النازلى، صاحب خزينة الأسرار والشيخ رحمة الله الهندى صاحب إظهار الحق.

وأخذ بمصر عن الشيخ عبد الهادى الأييارى، والشمس الأنبانى، والشيخ إسماعيل الحامدى وغيرهم.

وبالقيروان عن الشيخ الصدام، والشيخ محمد بهاها الصغير.

وبتونس عن الشيخ سالم بو حاجب المتوفى فى الرابع عشر من رجب عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، والشيخ الطيب النيفر المتوفى فى رجب عام أربعين وثلاثمائة وألف، والشيخ الطاهر جعفر.

وبالجزائر عن المفتى الشيخ على بن الحفاف، والشيخ على بن موسى .
وأخذ بفاس عن سيدى جعفر الكتانى، وولده سيدى محمد، وقاضيه
حميد بنانى، وأبى محمد عبد الله بن خضراء السلوى، وأبى محمد عبد الهادى
الصقلى، وأبى محمد عبد الله بن إدريس البدرأوى وغيرهم .
وأخذ بالرباط عن أبى إسحاق إبراهيم التادلى وتدبج فيه مع قاضيه سيدى
أحمد بنانى .

وأخذ بمراكش عن الحاج محمد أزنيت، وأبى حامد العربى بن السائح،
وأبى العباس أحمد الوعزونى التنانى الصويرة وغيرهم من شيوخ المشارق
والمغرب، وجل هؤلاء أجازوه عامة ومنهم من تدبج معه .
الآخذون عنه: أخذ عنه السيد أحمد بن العباس البوعزاوى، والشيخ فتح
الله بنانى الرباطى، وأخوه أبو محمد زين العابدين وغيرهم .

مؤلفاته: منها رسالة فى جدار المحراب أهو من المحراب، وفى صورة أنه من
المحراب فالمصلى بحذاء المحراب إذا لم يسجد فى المحراب فهل يكون مصليا
خارجا أو يكون مثل مصل سجوده فى المحراب وقدماه خارجه، وعلى تقدير أنه
يعد مصليا خارجه فهل يكره .

شعره: من ذلك قوله مقرظاً رسالة شيخه الشيخ عمر برى المسماة رسالة
الأفراح والبشائر، لطالب العلم والمجاهد والحاج والزائر، فى نحو الكراسة:

يا مغرماً بمناصب الدنيا ارعوى	أو ما دريت بموتك المستقرب
فالعلم أنفس منصب فى دارك الـ	أخرى فما لك نحوه لم تذهب
أو ما ترى البرى كيف زهت له	أيامه وحبى بأصفى مشرب
ترك المناصب واستعد لنصرة الد	ين القويم وذاك أعظم مأرب

ولئن تخلى عن مناصب أرخت

برسالة الأفراح أكد منصب

وقوله فى تقرّبطها أيضاً:

لله درك أيها المفضال إذ

أبدت لؤلؤ فكرك السماح

وأجلت فكرك فى فرائد سنة

فجمعت منها نزهة الأشباح

وجنيت من روح البيان دقائقاً

تورى الجهول محجة الأفلاح

وأزلت عن غرر الأدلة برقعاً

حتى غدت فى غاية الإيضاح

واخترت أقوى حجة تتلى بها

أبكت كل معارض ملحاح

قد كان يبطل حكم هجرتنا التى

أفصحت عنها أكمل الأفصاح

يا زائرين عليكم بزيارة الـ

بىرى مولى البر والإصلاح

عمر المعمر للمدينة بالتقى

والعلم معجز ألسن المداح

يا حادياً عرج بساحته وقل

نفديه بالأجسام والأرواح

إذ قد أفاد جنانه ولسانه

وبنانه بنظيرة المصباح

أضحت به مفتاح كل عويصة

لكنها تسمو على المفتاح

بعذيب مشربها فارخ طاب لى

من مبدع لرسالة الأفراح

ونظمه رسالة الجانى، ومزيلة ترح العانى، فى مدح القطب الصمدانى،

مولانا أحمد التجانى، بها أبيات سبعمائة.

وقوله معارضا قول من قال:

ألا يا مستعير الكتب دعنى

فإن إعارتى للكتب عار

فمحبوبى من الدنيا كتابى وهل أبصرت محبوبا يعار
ومن خطه نقلت :

ألا يا مالكا للكتب عرها فما بإعارة للكتب عار
لئن أحببت من دنيا كتاب فمحبوب الأوبة قد يزار
وقول من قال :

لا تعيرن كتابا واجعل العذر جوابا
واقبض الرهن عليه إن فى الرهن صوابا
بقوله :

عرا لى الخل كتابا لا يك العذر جوابا
واترك الرهن عليه لا ترى فى ذا صوابا
فإذا خالفت قولى أنت ضعيف الصحابا

وفاته: توفى سن الخمسين بمكناسة الزيتون بالعلى الذى بالزاوية التجانية
منها ربيع الأول عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الشيخ محمد بن
عيسى خارج باب السبية أحد أبواب العاصمة المكناسية.

٣١٠ - محمد بن العربى المنونى المكناسى الأصل والنشأة والدار والإقبال.

حاله: فقيه علامة، مشارك مدرس، خطيب مفوه، تقى نقى، عدل فصيح
حلو الشمائل، حسن الصوت لا يمل سامعه، كان الناس يأتون لسماع قراءته
وسرده الأحاديث والوعاظ والأمداح المصطفية من الحومات البعيدة عنه لما رزقه من
الحلاوة والطلاوة، وتأثير ما يخرج من فيه بالقلوب التأثير العجيب.

وكان ميالا لجناب الله محبا في المنحاشين إليه، ملازما للتدريس، وغالب تدرسه كان بزاوية شيخه التجاني، وكانت له معرفة بعلم الأسماء والأوقاف، وكان ممن يرجع إليه في الطريقة التجانية غير متغال ولا متنطع فيها ولا متقول على الشيخ رضى الله عنه ما لم يقله، ولا ملصق به ما هو برىء منه براءة الذئب من دم يوسف، بل كان لا يحيد فيها عن نهج السنة الذى بنيت عليه، مقتد فيها بقول الشيخ: ما سمعتموه منى فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالف فاضربوا به وجه الحائط، شأن السلف الصالح، تولى آخر عمره عدالة المرس المخزنى الذى تجبى إليه الأعشار.

مشيخته: أخذ عن العلامة ابن الجيلاني السقاط وهو عمدته، وعن أبى العباس قاضى الحضرة المكناسية السيد أحمد ابن سودة المرى، وعن الشيخ السيد المفضل بن عزوز، وعن أبى حامد العربى بن السائح العمرى، دفين الرباط، وتلقى منه فوائد عملية مشافهة مدة مقامه بمكناس وغيره ومراسلة، وعن غيرهم من حاملى لواء التحقيق والإتقان من علماء وقته.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا وابن عمنا مولاي الحسن بن اليزيد العلوى المحمدى، والشريف الفقيه العدل سيدى محمد بن إدريس الإدريسى الشيبهى، والفقيه الشاعر العدل السيد عبد القادر بن أحمد العرائشى، والأستاذ الفقيه النجيب السيد محمد فتحا بن العربى بن شمسى وجماعة.

وفاته: توفى ثالث جمادى الأولى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح العلامة الصالح سيدى يوسف الخطيب من حومة براكة بفتح الباء وتشديد الراء مشبعة.

٣١١ - محمد بن أحمد بن المكي السوسى .

حاله : فقيه نجيب ، علامة فاضل ، عدل مبرز ، مدرس نفاع ، قليل العبارة ، لا يستطيع أن يعبر عن مقصوده كما يريد ، كثير الانحياش لجانب الله ، محب فى أهل الخير والدين ، زوار للصالحين ، وكان فيه انقباض وضيق صدر حتى ربما يقع له ذلك بأذى سبب فى مجلس درسه فيقوم قبل تمام الدرس مغضبا منقبضا ، وكان يفر من كل هرج ويحب العزلة .

مشيخته : أخذ عن عمه السيد فضول ، وعن قاضى الحضرة أبى العباس أحمد السودى المرى وغيرهما ممن هو فى طبقتها .

الآخذون عنه : أخذ عنه أخوه شيخنا السيد محمد فتاح السوسى ، وابن أخته مولاي إدريس بن عمر المطهرى ، وشيخنا أبو على الحسن بن اليزيد وجماعة من نجباء وقته .

وفاته : توفى فى أواخر عام ستة عشر وثلاثمائة وألف .

٣١٢ - محمد بن محمد فتاح المتونى الحسنى المكناسى النشأة والدار والوفاة .

حاله : عدل رضى ، فاضل من أهل الخير والصلاح ، كثير الاعتناء بمطالعة كتب القوم والمذاكرة فيها ، حسن السمات والهيئة والمروءة ، وافر الحياء ، هين لين ، عالم بالحساب والتوقيت بالمسجد العتيق من حضرتنا المكناسية كأبيه وجده من قبله ، ثم رشح لنظارة الأحباس الصغرى مدة ، ثم كاتباً بالحضرة السلطانية زمن السلطان المقدس مولانا الحسن برد الله ثراه ببنيقة الداخل من الأعتاب المولوية ، ثم

٣١١ - من مصادر ترجمته : إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٨١٦ .

٣١٢ - من مصادر ترجمته : إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٨١٥ .

بعد وفاة السلطان تنازل عن خطة الكتابة ورجع لوطنه مكناسة، وتصدى لتعاطي خطة الشهادة بسماط العدول إلى أن لبي داعى مولاه.

وفاه: توفى رحمه الله فى سابع جمادى الثانية عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى غريب من حومة الأنوار بمحروسة مكناسة.

٣١٣ - محمد أبو عبد الملك بن زيدان.

ابن جد العائلة المالكة الأعلى المولى إسماعيل السلطان الأعظم الطائر الصيت فى المشرقين والمغربين.

حاله: فقيه خير دين ناسك، متواضع كريم الأخلاق، ذاكر تال لكتاب الله له معرفة كافية بالفقه والعربية، ومزید تثبت، لا يرى نفسه شيئاً ولا تهمة زهرة الحياة الدنيا، راض بما قسم له، كان يؤدب الصبيان فى آخر عمره، وعليه حفظت القرآن وجودته، تخرج على يده عدة من حملته، وكان له خط بارع، ومعرفة بالرسم والتجويد.

والله ما خرج من الدنيا حتى كاشفنى بأمور جاءت بعد وفاته وفق ما أخبر، من ذلك أنه ورى لى محذرا إياى من بعض أبناء العم، وقال لى ما معناه: ما لى ولفلان عينه لى مهما أغمضت عينى فى هذه الليلة يقف أمامى يريد كيت وكيت ثم يأخذه رحمه الله مثل السنة ثم يستيقظ يكرر مقالته.

ومن ذلك أنه ورى لى بانقضاء أجله، وأنه يموت صبيحته قائلاً جاءنى الآن الشيخ فلان رجل صالح عين لى اسمه وناولنى مفاتيح وشيئاً آخر وقال لى: خذ أجرك فقد تم بناء دارك.

ومن ذلك أنه حدثنى بتشاجر عظيم بين رجلين كانا على قلب واحد إذ ذاك

٣١٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٨٢٠.

فوقع بينهما من التشاجر ما أخبرنى به، وتصدى كل منهما لإذاية صاحبه كما تصدى لإذائتى من حذرنى منه بكل ما فى طوقه فكفانى الله شره، وأوقفنى سبحانه على ما دسه لى بخطوط يده بعد وفاته سامحه الله، وجزاه على إذائته لى بالجنة، والكل حدثنى به قبيل انسلال روحه بنحو ثلاث ساعات برد الله ثراه.

مشيخته: أخذ عن شيخنا أبى عبد الله القصرى، والطاهر بوحدو، والمفضلين ابن عزوز، والسوسى، وأبى عبد الله الهويج، وشيخنا أبى عبد الله محمد بن عبد الهادى الفيلالى، وشيخنا المعطى بن عبود، وقرأ القرآن والتجويد على والده، وأتقن حفظه على شقيقه الأستاذ أبى محمد عبد القادر.

الآخذون عنه: منهم عمنا المولى الطاهر حفظ عليه القرآن العظيم، والمولى الطيب بن عبد الله المترجم فيما سلف، والمولى العربى بن إبراهيم بن عبد الله وجماعة من حملة القرآن، وعليه حفظت الكتاب المبين، وجملة من المتون، وعليه تعلمت أحكام الوضوء والصلاة ومبادئ النحو، رحمه الله وجزاه عنى أفضل ما جزى به أبا عن ولده.

وفاته: توفى بعد طلوع شمس يوم الثلاثاء سابع عشرى حجة الحرام متم عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة ضريح الولى الكامل أبى زيد عبد الرحمن المجذوب جوار ضريح جده الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل، حيث مدفن سلفه.

٣١٤ - محمد أبو عبد الله السوسى الأصل.

حاله: أستاذ مقرئ مجود يحفظ العشر ويحرره، حافظ متقن ماهر، له معرفة بعلم النار، أخبرنى من شاهد مباشرة عمله لذلك من أهل العدل الثقات الأنبات، وأنه خرج بمحضره سبيكة فضة خالصة، وكان يستحضر الألفية، وابن

عاشر، وصدرًا من المختصر الخليلي، ولامية الشاطبي، ودالية أبي العباس بن المبارك، ومنظومة ابن الجزري في التجويد وغير ذلك.

وكان خيرا دينًا فاضلا، تقيا نقيًا، زكيا مرضيا، كثير التلاوة لا يعرف كللا ولا مللا، قدم مكناسة الزيتون بعد الحادية عشر من القرن الرابع عشر، وأقام بها مدة ودخل الأستانة والجزائر وغيرهما في طلب علم النار.

مشيخته: أخذ عن شيخنا العلامة أبي الفضل الفاطمي الشراذبي، ولازم دروسه بفاس نحو ستة أعوام، وأخذ القراءات السبع عن المتبرك به الشيخ الزوين، والعشر الكبير عن القاضي الفلاق، والولي الصالح ابن يرمق.

الآخذون عنه: منهم صديقنا الأستاذ المقرئ المجود أبو عبد الله محمد بن أحمد الحميدى، أخذ عنه العشر الكبير.

٣١٥ - محمد أبو عبد الله الريفي.

حاله: علامة مشارك، أستاذ مجود يحفظ السبع ويتقنه، فاضل زكى، كان يؤم بمسجد باب عيسى، وكان العلامة الناسك أبو عبد الله محمد جنون لا يبغي بالصلاة خلفه بدلاً إذا كان بمكناس، يأتى الصلاة خلفه من حومة أبي العباس أحمد بن خضرا، فقليل له فى ذلك، فقال: إن نفسى تطمئن بالصلاة خلفه لما اجتمع فيه مما تفرق فى غيره، فإنه عالم بأحكام الصلاة، عارف بفن التجويد، كذا حدثنى الفقيه الحميدى المذكور فى الترجمة قبله يليه قائلاً هكذا حدثه شيخه بل شيخ جماعة الأساتذة المقرئين بالعاصمة المكناسية أبو الحسنات العربى بن شمسى، وهو ثقة صدوق، أخبر عن مشاهدة، ويكفى صاحب الترجمة فخرا شهادة أبى عبد الله جنون له.

٣١٦ - محمد بن الهادي فرموج الصنهاجي الأصل المكناسي النشأة والدار والإقبار.

حاله: عدل مبرز فقيه، نبيه مدرس، تولى نيابة القضاء عن العلامة أبي العباس ابن سودة المترجم فيما مر، وكان تدريسه بالزاوية المعروفة بزاوية حمادشة. مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة السيد مبارك الفيضى، وعن السيد المهدي ابن سودة، والسيد الهادي بادو، ومن فى طبقته. الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد الزيانى، والسيد عبد القادر الربو، والسيد قاسم بن حمدوش.

وفاته: توفى فى جمادى الأولى عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية من الحضرة المكناسية.

٣١٧ - محمد بن المهدي المنونى الحسنى المكناسي.

حاله: فقيه مجود مرتل له الطولى فى معرفة الرسم وتعليم الصبيان، وإفادة المقرئين، لا يرى فى غالب أحواله إلا تاليا أو ذاكرا أو معلما، وقور مهاب، معتقد عند الخاصة والعامة، محبوب لديهم، متبرك به، اتخذ عدة مكاتب لتعليم القرآن العظيم عامة وخاصة، ونفع الله به أقواما، ثم رشحه السلطان مولانا الحسن لتأديب بناته بداره المحروسة المحوطة، وأفاض عليه من سجال البر والإحسان ما هو له أهل، ورتب له أحسن قيام إلى أن لى داعى مولاه وانتقل لما اختير له رحمه الله.

الآخذون عنه: منهم شيخنا الشريف سيدى الحسن بن اليزيد ختم عليه ختمات من القرآن، وغيره ممن لا يعد كثرة.

٣١٦ - من مصادر ترجمته: إتخاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٣.



الخليفة سيدى محمد الأمرانى

وفاته: توفي في حجة الحرام عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح الولي الصالح سيدى محمد فتحا الغمارى حذو سيدى عمرو بوعودة، من حومة حمام الحرة من الحضرة المكناسية.

٣١٨ - محمد بن الشريف الفقيه العدل مولاي عمر بن هاشم العلوى المدغرى.

حاله: فقيه وجيه عدل رضى، من صدور العدول، وأعيان الأشراف، ملحوظ بعين التبجيل والتكريم بين قومه، كريم السجايا، سمح الأخلاق، فاضل نبيه، كان يتعاطى خطة الشهادة بالزاوية الإدريسية مدة، ثم رشحه أبو العباس بن سودة للنيابة عنه فى القضاء بالزاوية المذكورة إلى أن أُعفى. مشيخته: أخذ عن العلامة الصالح المتبرك به مولاي عبد المالك الضرير، وعن غيره ممن هو فى طبقة.

وفاته: توفي زوال الاثنين ثانى جمادى الثانية عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن أمام الخارج من باب جامع الموتى بالمزارة الفوقية من الزاوية الإدريسية.

٣١٩ - محمد بن سميه بن هاشم العلوى الحرونى المدعو الشيخ التيكر.

حاله: فقيه نبيه، مسن بركة نزيه، ذاكر متبتل، محاضر مستحضر، مقبل على شأنه، خلع لباس الدعوى وارتدى برداء الخمول والوقار، له اليد الطولى فى نسج الأزجال الملحونة على أبدع منوال وأحسن أسلوب، وكان يميل إلى التقشف، ولباس ما خشن من الثياب، وربما احترف بخدمة حب الزيتون وعصره زيتا.

عنَّ له يوما من الأيام لدى الوزير الصدر غرض من أغراضه الشخصية فذهب إليه لحل مأموريته بالحضرة السلطانية، فوجد معه جلة أعلام منهم

أبو محمد العربي بن السائح، وجماعة يتجاذبون أطراف المذاكرة إلى أن قال بعضهم لمزيتهم عليه السلام، والمترجم وراء الباب مع أوباش الشرطيين غير مبالى به، وعليه أثواب رثة وسخة، فناداهم قائلاً: يا فقيه المزية لا تقتضى التفضيل، فبهتوا وانقطع حديثهم، وصار بعضهم ينظر لبعض فقال لهم الوزير وهو إذ ذاك موسى بن أحمد: ما لكم سكتتم؟ فقال المترجم مجيباً له من وراء الباب بقوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [سورة النمل: آية ٨٥].

فاستدنوه إذ ذاك منهم، وقالوا له مثلك لا يجلس هنالك، وسألوه عن حسبه ونسبه وأين قرأ، وعمّن أخذ فعرفهم بذلك وشاركهم فى المذاكرة، فقالوا له: بين لنا معنى كون المزية لا تقتضى التفضيل، فقال: إن الوزير رعاه الله وأعز أوامره له من نفوذ الكلمة والأوامر المطاعة ما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، إذ قد ميزه المولى تبارك وتعالى بجعل سر كلمة التكوين بين شفثيه، أرايتم لو أمر بضرب أحدنا أو سجنه وإخراجه من هذا البساط مذموماً مدحوراً لامثل أمره على الفور ونفذ بالفعل وفق ما أمر به، فهذه مزية له امتاز بها دوننا وهى لا تقتضى تفضيله، بل منا من هو أفضل منه، فأنتصت الكل لمقاله وأنصف، وله بالفضيلة الجميع اعترف، وأقدوه قدره، وقضى الوزير فى الحال أمره، ثم إن المترجم تخلى فى آخر عمره عن جميع الأشغال الدنيوية، ولازم الضريح العلمى، واشتغل بعبادة ربه حتى أتاه اليقين، ولم يزل نهما يتطلب العلم ويحضر مجالسه ويذاكر أهله إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن السيد المفضل بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسيد المختار الأجرأوى، والسيد محمد بن الجيلانى السقاط، والسيد أحمد ابن سودة المرى، والحاج المختار بن عبد الله وشاركهم فى جل شيوخهم، كالسيد مبارك بن عبد الله الفيضى، والسيد الهادى بادو، والسيد المهدي ابن سودة، والسيد العباس ابن كيران.

وفاته: توفى رحمه الله بالحضرة المكناسية فى يوم الجمعة تاسع عشر حجة الحرام، متم عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتبية بالصف الأول منها.

٣٢٠ - محمد القصرى شيخنا أبو عبد الله العبدوى^(١) المكناسى الأصل والاستيطان والوفاة.

حاله: فقيه علامة مشارك، مدرس نفاع، كان فى أول أمره يحترف بعمل الخبز، ثم أقبل على التعلم بجهد واجتهاد حتى وجد ضالته المنشودة، فأكب على التدريس بحزم وعزم، وكانت له ملكة كاملة يقتدر بها على التدريس بدون مطالعة، وكان مقترا عليه فى الرزق، ثم رشحه السلطان المولى عبد العزيز لإقراء إخوته وأعمامه ونفذ له مؤنة ضافية طعامية يومية وشهرية، تحسنت بها أحواله المادية، ثم حالت الأحوال وأسقطت عنه تلك المؤنة ورجع لأشر مما كان عليه، ولم يزل صابرا محتسبا إلى أن لقي الله مع همة عالية، ونفس آبية.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد فضول بن عزوز، والعلامة السيد فضول السوسى، والعلامة السيد محمد بن الجيلانى الساقط وهو عمدته وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه قاضى الأحواز المكناسية أبو العباس الناصرى، والعلامة السيد محمد الواسترى، وشيخنا السوسى، والفقيه السيد محمد فتحا بن مبارك الهلالى، والفقيه مولاي إدريس بن عمر المطهرى، ووالدنا المقدس، وشيخنا أبو على الحسن بن اليزيد، وجامع هذا الديوان عفا الله عنه وغيرهم من أعيان نجباء فقهاء مكناس.

٣٢٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٤٣/٨.

(١) فى الإتحاف: «العبدوى».

وفاته: توفي ليلة الاثنين خامس صفر الخير عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى الدغوغى من حومة جامع الزرقاء.

٣٢١ - محمد بن عبد الواحد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر النقيب بن عبد الواحد بن الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا أبى العباس أحمد الشيبه.

دفين روضة رأس التاج المعروفة اليوم بروضة عمرو الحصينى، إحدى الروضات الشهيرات بالحضرة المكناسية، وإلى أبى العباس هذا يتنسب كافة الشيبهين.

وهو ابن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبى غالب بن عبد الواحد بن محمد بن على بن عبد الواحد المجاهد، وهو أول نازل من الجوطيين بمكناسة، وفيه يجتمع الشيبهون والطاهريون.

وهو ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد بن على بن حمود بن يحيى ابن يحيى مرتين بن إبراهيم بن يحيى الجوطى على قول ابن القاسم بن إدريس الأزهر، باني مدينة فاس ودفن بها ابن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن ابن الحسن بن على وفاطمة الزهراء ابنة سيد المرسلين ورسول رب العالمين، مولانا محمد الصادق الأمين، صلى الله عليه وآله وأصحابه والتابعين، الشريف الحسنى الإدريسي الجوطى الشيبه من أهل زاوية جده مولانا إدريس الأكبر رضى الله عنه وأرضاه.

حاله: فقيه علامة، مشارك محاضر، ممتع، باقعة فى السياسة والكياسة، كان إليه المرجع فى الفتوى بالزاوية الإدريسية، وبيده أزمة نواب قضاتها، وعليه

٣٢١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٤٤.

التعويل فى التعديل والتجريح، وعند إشارته يقف الولاية وغيرهم من الأكابر فى كل مهم، مع السمى الحسن، والهدى المستحسن، والدين المئين، والأخلاق الحسنة، والكرم المبذول، والتجيب إلى أهل الخير ومولاتهم والسعى فى مرضاتهم ومجاملة كل فريق، بما هو به خلىق، مع المبادرة إلى كل فضيلة، والتخلى عن كل رذيلة، مرت عليه سنون عديدة وهو لا يرى إلا فى مسجده أو فى داره ولا تراه خارجا عنهما إلا فى النادر لموجه القوى.

أما الولائم فقد كان تاركا لحضورها، عكس عيادة كل من له حق يقتضيها من المرضى، ولا يكاد يتخلف عن حضور جنازة تجده فى كل ذلك من أهل الرعى الأول، ولقد كان الإمام فى الخمس بالضريح الراشدى، والواعظ الوحيد بالمسجد الجامع من بلده إثر صلاة الصبح يصعد كرسى الوعظ وهناك ويشنف آذان السامعين برقائى التفاسير القرآنية، وجوامع الكلم المصطفية، ونافع معارف السادات الصوفية، فترتاح لذلك القلوب وتنشرح الصدور لحسن تحبيره، وتمكن تصديره.

ولقد كان مع هذا كله لم يترك نصيبه من الدنيا يحسن تدبيرها، وخصوصا الفلاحة، وقد كان قائما بحظ وافر منها، وسيطا بذلك فى الثروة وتنمية العقار، وفذاً واحداً فى الجاه وعلو المنزلة، وخصوصا بعد وفاة مشاركته فى الصدارة وكمال المنزلة ابن عمه العلامة مولائى الفضيل.

حدثنى ابن عمنا العلامة الأعد سيدى محمد بن أحمد العلوى أنه شاهد يوم موت المترجم رجلا كان يشار له بالخير يقول خطابا لبعض الحاضرين إنه - يعنى صاحب الترجمة - من أهل الخير والصلاح، قال محدثى المذكور: ومن قرائن ذلك أنه لما بقى لموته نحو عشرة أيام صمم العزم على أنه حان وقت لقيه لمولاه تبارك وتعالى، وتجرد من كل العلائق وأوصى وحبس وأعتق وأعطى وقسم على أولاده حتى فراشه ولباسه، ولم يبق فى محل سكناه إلا الفراش الذى هو

راقده عليه والثياب التي هو لابس لها، وودع أحبابه ومعارفه من حضر منهم بالمشافهة ومن غاب بالمكاتبة، وهياً نعشه وعين صدقة أيام مآتمه، ومن يغسله، ومن يصلى عليه، ومن يلقيه في قبره إلى غير ذلك، وصار بعد ذلك لا يأذن لمن ودعه في الدخول عليه، ويقول: قد ودعته في الله، واختلى تلك المدة بربه لا يدخل عليه عند الحاجة إلا ولداه الفقيه المولى على والفقيه سيدى محمد، إلى أن انتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

وأنه شاهد يوم وفاته جماعة من سعاة أهل بلده يكون عليه ويقولون مات أبو الدراويش، كان يعطينا ويفعل معنا. وبالجمل فوالرجل لم يترك بعده ببلده مثله رحمه الله.

وكان سكنى هذه الشعبة الشبيهية التي منها المترجم أولاً بمكناس، ثم انتقل جلهم لجوار ضريح جددهم بزواية زرهون، وبقي البعض إلى الحين الحالى بحضرتنا المكناسية، صانها المولى من كل بلية.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدى أحمد المرنيسى، والعلامة الحاج المهدي ابن سودة، والعلامة سيدى الحاج عمر ابن سودة، والعلامة الحاج أحمد بن سودة، والعلامة ابن عبد الرحمن الحجرتى وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

الآخذون عنه: منهم ابن عمنا العلامة مولاي عبد السلام بن عمر العلوى المدغرى، وابن عمنا النقاد الأعد الثبت السيد محمد بن أحمد، والعلامة سيدى الفاطمى بن الفضيل الإدريسى، وولداه مولاي على وسيدى محمد وغيرهم من أهل العلم والدين.

مؤلفاته: له تقييد فى أدب زيارة الأولياء والترغيب فى ذلك، وآخر فى جواز تأخير السحور إلى طلوع الفجر، وطرر على صحيح البخارى من كتاب

التفسير إلى الختام وغير ذلك حسبما أخبرني بذلك ولده الفقيه العدل مولاي على قائلا: لازال الكل تحت يدهم فى مسوداته لم يخرج .

وفاته: توفى سحر ليلة عيد الأضحى متم عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بترتبه التى أعدها لنفسه أعلى الظهير بالتصغير، الروضة الشهيرة خارج باب زاوية زرهون رحمه الله رحمة واسعة.

٣٢٢ - محمد بن محمد فتحًا المتقدم الترجمة ابن عبد الله بن الطاهر الشريف الأمراني.

أمه بنت السلطان المولى سليمان .

حاله: فاضل وجيه نزيه، نسيب حسيب نبيل، سياسى ماهر، داهية عاقل، حنكته التجارب وحنكها، فارس شجاع، خبير بالأمر، بصير بالعواقب، كان السلطان المولى الحسن اصطفاه وقربه وصاهره بشقيقته المصونة السيدة أم كلثوم، وكانت أحب الناس إليه يجير من أجارت، ويجيبها لما أشارت، وبسبب ذلك حظى المترجم لديه بكل عناية، واختص لديه بكل حظوة ورعاية، فكان يتد به للطواف بالنواحي والنظر فى أمر القبائل وإصلاح أحوالهم وجمع الموظف عليهم، وتأديب من ارتكب العصيان منهم، وتعيين من يصلح لهم من العمال، وإصلاح ذات بينهم، فكان يقضى تلك المآرب المولوية على أحسن وجه تارة بالسياسة، وتارة بالقوة حسبما تشهد بذلك أعماله فى القصابى وملوية ونواحي زيز وآيت يوسى وأولاد الحاج وآيت يزدك وقبائل الريف وغيرها.

وقف على عدة ظهائر ملوكية علوية فى التنويه بقدره وقدر عائلته الكريمة والحض على احترامهم وتبجيلهم وتوقيرهم واعتبارهم، منها ظهير حسنى منيف ودونك نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

٣٢٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٨٧٨/٨.

«يعلم من كتابنا هذا النافذة أوامره، المسفرة عن وجوه الحق بواطنه وظواهره، ويتعرف من فحوى خطابه، لمن أمعن النظر فى أساليبه وأسبابه، أننا بحول من له القوة والحول، والمنة والطول، أقررنا حملته أبناء عمنا سيدى محمد ابن المرحوم بكرم الله مولاي محمد الأمرانى وشقيقه مولاي عبد السلام، ومولاي الكامل على ما ألفوه من جانبنا العالى بالله، وجانب أسلافنا قدسهم الله، من التوقير والتعظيم والاحترام، ومزيد القرب والاجتباء والإكرام، وزدناهم على ذلك توقيرا واحتراما وعناية وتعظيما بحيث لا يسام جانبهم باهتضام، ولا يعاملون إلا بالجميل والإعظام، وأبقيناهم فى ذلك على عادتهم المألوفة، وطريقتهم المعروفة، من التحرير من جميع الكلف المخزنية، والوظائف السلطانية، وجعلنا أمور زكواتهم وأعشارهم بيدهم جريا على عادتهم إقراراً تاماً، نأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعملوه ويعمل بمقتضاه؛ ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، صدر به أمرنا الشريف فى حادى عشر جمادى الأولى عام تسعة وثلاثمائة وألف» هـ.

وكان السلطان المذكور يقدمه للشئون ذات البال، ويعتمد على سياسته ودهائه ويعترف له بذلك، ودونك نص اعترافه له بما ذكر بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف الذى نصه (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه):

«الفقيه الأرضى القاضى السيد عبد الوهاب البادسى سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وافى كتابكم بتيسير ما وجه لأجله ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى، على أقصى الأمانى. مثنيا عليه بحسن السياسة ولطف التدبير. وجميل المباشرة والعقل الكبير. فنعم هو كذلك ونحن نعرفه منه سدد الله والسلام فى سادس عشرى حجة الحرام عام واحد وثلاثمائة وألف» هـ.

وكان يأخذ برأيه فى مهمات الأمور ويعتمده وله الوثوق التام بصدقه وأمانته قامت لدى الخاص والعام على ذلك براهين ساطعة، فكم جهاز الجيوش الهامة ذات العدة والعدد، وعقد له عليها وأسند إليه أمرها، وقصر النظر فيه عليه، وبالجمله فقد كان له لديه جاه ووجاهة ومكانه لم يلحقها غيره، يرافقه فى الأسفار. ويخصه ببث الأسرار. حتى إنه كان كلفه بالنظر فى كل ما ينسب لفل ذة كبده وأعز أبنائه لديه وولى عهده من بعده السلطان السابق مولاي عبد العزيز، ودونك نص الظهير الصادر له فى ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله مقداره. وأجرى على فلك الإسعاد مداره. أننا بحول الله وقوته. وشامل يمنه ومنته. كلنا ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى بالنظر فى كل ما ينسب للولد عبد العزيز أصلحه الله من الماشية والحرث ونحو ذلك مما تنتجه المواشى من الغلة كالصوف والسمن والتاج ونحو ذلك، وكذلك الحرث بحيث يكون بصيرة فى الكل يعرف الداخل والتاج والغلة وما زاد وما نقص حتى لا يضيع شىء منه، ويعلمنا عن ذلك بما ظهر له فيه من صلاح أو ضده، وكذلك فى عمل المكلفين به، وما يرى فى ذلك من استحسان وتسديد أو غير ذلك، لأنمر فيه بالمقتضى والسلام صدر به أمرنا المعتر بالله تعالى فى خامس محرم الحرام فاتح عام أربعة وثلاثمائة وألف»هـ.

وقد اقتفى أثر هذا السلطان العظيم المقدار فى تبجيل المترجم وإجلاله وندبه للمهمات وترشيحه للملمات، بنوه الملوك الجلة من بعده ووجهه المولى عبد العزيز لقبيلة الأحماس وطنجة وتطوان لما تفاحش أمر الريسونى بتلك النواحي، ولو تتبعنا خصوص ما بمكتبتنا من الأوراق الرسمية المتعلقة بمأمورياته لجاء فى مجلدات، وإليك مثالا منها كتبه له أحمد بن موسى باقعة الوزراء وداهية الصدور والرؤساء:

«محبنا الشريف الأرضى، سيدى محمد الأمرانى أمنك الله وسلام عليك
ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصل كتابك أحدهما بتاريخ رابع عشر شهر التاريخ، والثانى بتاريخ
خامس عشر منه أخبرت فى الأول بأنك لما حلت المحلة السعيدة ألفيتها بخير،
غير أن فساد الأعشاش وملا من شوكتهم اشتدت شوكتهم وكثرت آراؤهم فى
تعمير موسم طبق ما تقدم الإعلام به بعد ما كان أخير عمال الأعشاش باضمحلال
أمره، وأن الفساد تمالئوا واجتمعوا بسوق أولاد محمد ونادوا بعمارته رغما على
كل أحد، وصار الفساد يسرى، وأن العمال لم يغنوا فى ذلك شيئا ولم تظهر لهم
خدمة ولا نتيجة، وأنك لما رأيت ما هم عليه من الرعب خاطبت قواد أولاد مراح
والشبانى والبرهمى بإنهاض حركتهم حلة ومحلة امام المحلة لعزمك على الرحيل
غد التاريخ والتخيم بطالع السلطان قرب بلاد الأحلاف والأولاد بعد مفاوضتك
فى ذلك، مع عمال الشاوية المخيمين بالمحلة وجوابهم لك باستحسان ذلك وعدم
المصلحة فى طول مقام المحلة، وأن بسبب ذلك استطال الفساد حتى صاروا
يزحفون لقرب المحلة، واشتد طمعهم فيها وسرى ذلك لغيرهم من القبائل التى
كانت تنالها الأحكام، فامتدت أيديهم لنهب السبل وقطعها على المارة، وأن من
المتعين إنهاض محلة القرب للتخيم بقربكم وتجديد شريف الأمر للجوار بشد
العضد والتضييق بالفساد حيث لازال لم يظهر أثر منهم عدا أولاد عبدون الذين لم
يقصروا فى ضرب الخزازرة.

وأن من المصلحة تعجيل نهوض الركاب العالى بالله لتدارك رقع أولئك
خرق أولئك الفساد، وجعل ذلك بيت القصيد، ذاكراً أن من هون أمر تلك الناحية
وسهل أمرها، فقد خان وغش الجناب المعتز بالله.

وأخبرنى فى الثانى بنهوضهم يوم التاريخ المذكور بالمحلة السعدية وتخميمكم بطابع السلطان قرب دار الحاج عبد القادر الحلفى وقرب الأولاد وتلقيه لكم مع قواد الأولاد والخدمين الإبراهيمى والشبانى بعدد وافر معتبر من الخيل، مظهرين الفرح والسرور، وتخميم بعض حلة أولاد مراح مع حلة الشبانى والإبراهيمى بقرب المحلة، ذاكرًا أن هذا النهوض يكون بحول الله سببا فى إخضاد شوكتهم وتفريق جمعهم الفاسد، وأنه ظهر بسببه أثر الخير، وطلب منك عمال الأعشاش الزيادة بالمحلة لقصة المعاريف قرب دار ولد توزرت، وأشار عليك البعض بالتخميم بدار ابن أحمد، حيث إن بعض أولاد محمد نازل بقربها، وأنت كتبت لأعيانهم وكبرائهم بما تقتضيه المصلحة من التأليف المشوب بالإرهاب مع التأمين عليهم، وأنه إن أفاد ذلك فيهم فذاك المراد، وإلا فلا بدّ من الزيادة بالمحلة السعيدة للتخميم بأحد المحليين المذكورين إظهاراً للسطوة المولوية عليهم، وصار بالبال بعد اطلاع العلم الشريف، فقال دام علاه: أما ما كانوا توافقوا عليه من عمارة موسم الفساد إلخ فقد كان بلغ شريف علمه ذلك وصدر الأمر بالبحث عن حقيقة ذلك، وأما ما خاطبت به أولاد مراح ومن ذكرت معهم من إنهاء حركتهم حلة ومحلة أمام المحلة السعدية بقصد التخميم بطالع السلطان، فقد استحسنته مولانا دام علاه وعده من الحزم، وأما ما أنتجته مفاوضاتك مع عمال الشارية من تعيين نهوض المحلة الغربية للتخميم قربكم إلخ، فقد صادف الحال أن الأمر الشريف صدر لمولاي الأمين بالنهوض بها والتخميم بمائة بير وبير من بلاد الحلاليف من زعير فى الحدود بينهم وبين الأعشاش، ولا يكون الأوصل وجدد له شريف الأمر بالتضييق بهم فقد جدده لهم وأكد عليهم فيه، وها مكاتبه الشريفة بذلك تصلك طيه لتوجهها لهم على يدك، إلا أنك لم تبين المراد بالتضييق هل بشد الوطأة عليهم فقط كما أمروا الآن أو بضربهم فلتبين ذلك.

وأما ما ذكرته من المصلحة فى تعجيل نهوض الركاب الشريف فقد تقدم لك الإعلام بما ظهر منهم، فلتمض على ذلك.

وأما ما أشرت إليه من عدم تهوين أمر تلك الناحية، فسيدنا أيده الله من ذلك على بال، وسيحكم الله فى كل فاسد بباهر قدرته.

وأما نهوضكم وتخييمكم بالمحل المذكور، فقال أعزه الله جعله الله نهوض يمن وظفر وسلامة.

وأما ملاقة من ذكر من الخدام للمحلة السعيدة بعددهم وعددهم فقال نصره الله: ذاك المراد منهم أصلحهم.

وأما ما ذكرت من ظهور أثر الخير بسبب نهوض المحلة فقال أعزه الله: كمل الله بخير وحكم سيف عدله فى رقبة كل باغ، آمين.

وأمامه طلبه عمال الأعشاش من نهوض المحلة لقصبة المعاريف وما أشار به الغير من نهوضها لدار ابن أحمد، فقال نصره الله: الحاضر بصيرة، والذى تقضيه المصلحة من التخييم بأحد المحليين يرتكب.

وأما ما كتبت لهم به إلخ فقد استحسنه دام علاه.

وأما ما ذكرته من كونهم إن لم يظهر منهم انقياد فلا بد من الزيادة لأحد المحليين المذكورين إلخ فقال دام علاه: العمل على ذلك ولا تغيب خبرا وعلى المحبة والسلام فى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٣١٥ أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به».

وقد استخلفه السلطان مولانا عبد الحفيظ بثغر الدار البيضاء ودونك نص ظهير التولية بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأعز أمره، أننا بحول الله وعونه جعلنا ماسكه ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى خليفة عن جانبنا العالى

بالله بالدار البيضاء المحروسة، وأقمناه مقام عمنا مولاي الأمين فيما كان له من التكليف هنالك، والنظر في أمور المخزن ومباشرة المصالح المنوطة بتلك الناحية، فنأمره أن يجرى في ذلك على ما يراه من المقابلة بجهد واهتمام، وعدم ارتكاب ما يخل بالمصالح في نقض أو إبرام، كما نأمر من يقف عليه من خدامنا وولاءة أوامرنا الشريفة أن يعرفوا قدر ما أسندناه إليه من ذلك التكليف، وطوقناه من ذلك الوظيف، والله يلهم الجميع رشده والسلام، صدر به أمرنا المعترز بالله تعالى في ثامن عشر حجة الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف» هـ.

وأقره على ذلك هنالك السلطان المعظم مولانا يوسف، وزاد بأن جمع له بين الخلافة عنه والعمالة هناك، ونص الظهير الشريف الذي أصدره له في ذلك: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه (يوسف بن الحسن بن محمد الله وليه) ومن تكن برسول الله نصرته إلى منتقم:

خدامنا الأرضيين أهل الثغر البيضاوى كافة، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

فقد اقتضت المصلحة العامة اجتماع ووظيفتى خليفة حضرتنا الشريف وعامل البلد في ذلك الثغر في يد واحدة، وعليه فقد أعفينا خديمنا الطالب محمد الجباص من التكليف هنا كم ووظفناه بالوزارة الكبرى، وأسندنا لابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى الوظيفتين المذكورتين وأمرناه بالقيام بشئونهما، فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق الجميع لما فيه رضاه، والسلام في متم رجب عام ١٣٣١هـ.

ولم يزل قائما بأعباء تلك المأمورية أحسن قيام إلى أن قبضه الله إليه.

وهو الذى ترأس جيوش الحماية عند مقدمها لفاس، ثم لمكناس عند انتصار السلطان مولاي عبد الحفيظ بها على باغية البرابر زمن قيامها عليه بمكناس على ما

سنوضحه بعد بحول الله، ولولا حسن سياسة المترجم لأصبحت مدينة مكناسة فى خبر كان.

مشيخته: أخذ العلم عن شيوخ عصره والطريقة الناصرية عن سيدى محمد ابن أبى بكر الناصرى، والعلامة الصالح سيدى محمد بن طلحة النسب بمراكش، وهو عن سيدى على بن يوسف.

ودلائل الخيرات عن والده، وعن خاله الشريف الفقيه الناسك مولاي يوسف بن الأمير مولانا سليمان عن والده الأمير المذكور عن والده الأمير العظيم الشأن مولانا محمد بن عبد الله.

كما أخذه أيضاً عن ابن طلحة المذكور، وكان أخذ السلطان المولى سليمان له عن والده ومناولته إياه له وما معه من الأحزاب بالمسجد الأزهر المعروف بجامع الأروى من القصة السلطانية المكناسية عام ستة وتسعين ومائة وألف.

كما أخذ دلائل الخيرات عن الشيخ عبد الكبير بن المجذوب الفاسى، وكل ما له فيه رواية من الأذكار والأوراد والدعوات.

ولادته: ولد فى ربيع الأول عام تسعة وأربعين ومائتين وألف، حسبما وقفت على ذلك فى ظهير أصدره سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام فى جواب لابنة عمه والدة المترجم الشريفة المصونة السيدة أم هانئ بنت السلطان الأعدل سليمان عن إعلامها إياه بازدياد المترجم عندها، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الفخيم.

«بنت عمنا لال أم هانئ سلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصلنا كتابك وعلمنا بالولد المتزايد لك جعله الله مبارك الناصية، وها أمرنا يوافيك للأمين السيد المعطى المزطارى بأن يدفع لك أربعين مثقالاً عَقَى بها عن الولد، وقد سميناه محمداً والسلام ٢٣ ربيع الأول عام ١٢٤٩ هـ.

وفاته: توفى بثر الدار البيضاء ضحوة رابع عشر رمضان عام واحد وثلاثين
وثلاثمائة وألف، وحمل فى سيارة لفاس ودفن من غده بروضتهم الشهيرة حذو
الزاوية الناصرية هنالك.

٢٢٣ - محمد بن العباس المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه نبيه لودعى، فاضل دين خير ذاك متهجد، مشرف على تاريخ
المتقدمين ووقائعهم وطرق أخبارهم، حبيت إليه العزلة، له اليد الطولى فى علم
الأوفاق وسر الحروف واستخدام الجان، تواترت عنه فى ذلك وقائع، أخبرنى من
وثقت بخبره ممن أخذ عنه أنه سمع من بعض خاصة المترجم المعروفين بالصدق
ومتانة الدين أنه كان كثيرا ما يخرج مع المترجم لاسترواح النفس خارج البلد فى
بعض الأصائل ويتحرى الأماكن الخالية من الناس، ثم إنه فى بعض الأيام نسى
المخير لبدة له كان جالسا عليها مع المترجم لم يتذكرها حتى رجع وفارق المترجم،
ثم لما خرجا على عادتهما من الغد، واما الجلوس بحث الشيخ تلميذه عن اللبدة
فأخبروا بتلفها، فسكت الشيخ، ثم من الغد وجدوا اللبدة عند الشيخ، فظن
التلميذ أن الشيخ هو الذى كان أخذها بقصد أن يباسطه ويختبر ذكائه، فبحثه من
أين له بها فقال له: إن الذى وجدها هو الذى أتى بها إلى، وذلك أنى لما أخبرتنى
بضياعها توجهت إلى الله ببعض أسمائه فما أتممت ذكرى حتى أتانى فلان وطرق
الباب بإزعاج واضعا يده على إحدى عينيه وهو يتألم أشد الإيلام^(١)، فقال: يا
سيدى نزل بى حالا ما تراه من غير سابقة سبب، ووقع فى نفسى أن شفائى لا
يكون إلا على يدك، فقلت: اذهب اثنى باللبدة التى أخذت من المحل الفلانى،
فأتى بها مسرعا بعد أن أبدى أعذارا، وبمجرد ما مكنتى منها زال ألمه بإذن الله.

(١) فى المطبوع: «أشد الامام» ولا وجه له.

وكان مقصوداً للرقيا يرقى المصابين بالمس وسائر ذوى العاهات، فيحصل لهم الشفاء بإذن الله تعالى وسر الله فى صدق الطلب.

وكان مدرراً يعلم الصبيان، له ملكة على التدريب وقدرة على حسن التعليم، وجد واجتهاد لم يلحقه أحد فى ذلك.

رحل إلى الحج وزيارة خير الأنام مرتين، ولقى كمل المشايخ بالحرمين، وأفاد واستفاد، وكان كثير الولوع بمطالعة مقامات الحريرى لا يخرج من داره إلا لمكتب تعليمه أو لأداء الفريضة جماعة، أو لاسترواح النفس عند سأمها.

مشيخته: أخذ عن الشريف سيدى إدريس بن إدريس البوعنانى علم الأوفاق وتوابعه وغير ذلك من العلوم الدينية والأدبية، وعن غيره من أئمة عصره.

الآخذون عنه: أخذ عنه الفقيه السيد محمد بن العربى غريط أحد الكتاب بالصدارة سابقاً بالخضرة السلطانية، ومحتسب فاس الجديد حالا، وسيدى مشيش الومغارى، وسيدى عبد القادر بن بنعيسى آل الشيخ الكامل سيدى محمد بن عيسى أخذ عنه أصول الخط ومبادئ العرابية والفقه وعليه حفظ القرآن العظيم كما أخبرنى بذلك هو نفسه.

وفاته: توفى فى صفر عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الشيخ الكامل حذو الجدار عن يمين الداخل الصحن الضريح المذكور رحمه الله.

٣٢٤ - محمد بن أحمد حلام المكناسى.

حاله: فقيه وجيه عدل رضى، من أعيان العدول المبرزين وأعرفهم بالتوثيق وأعلمهم، له يد فى عدة فنون وبالأخص النوازل الفقهية.

مشيخته: أخذ عن قاضيه العلامة السيد أحمد بن سودة، والسيد فضول السوسى، والسيد فضول ابن عزوز، وشيخنا الحاج المختار بن عبد الله وغيرهم.

وفاته: توفى أواسط جمادى الأولى عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف.

٣٢٥ - محمد يدعى منصور أبو منصور أبو عبد الله المرباط بن محمد بن عبد الله القادر بن محمد بوعزة بن سميه بن الولي الصالح السيد سعيد ابن عبد السلام آل الولي الكامل أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المَشْرَائِي.

دفين خارج باب الخميس من الحضرة المكناسية.

حاله: مجذوب ساقط التكليف، ذو كشف واضح، وأحوال خارقة، تَفِدُ الناس لزيارته والتبرك به ولا سيما النساء، يكاد مجلسه أن لا يخلو منهن، يسمى كل من يدخل عليه في الغالب باسم منطبق عليه غير اسمه، إما تلميحا لبعض أجداده أو عائلته أو وظيفه أو وظيف يرشح له استقبالا، وكان ولوعا بشرب الأتأى ولو بالماء البارد.

كان في أول أمره يؤدب الصبيان بمنار جده أبي عثمان سعيد، ثم انتقل منه إلى قبة الذكر من الضريح المذكور التي بها ضريحة الآن، ثم بعد ذلك اشتغل بقراءة دلائل الخيرات وكان محبا في الصالحين معتقدا في كل من يشار له بخير، كثير التردد لسيدى عبد القادر العلمى، ثم من بعده لسيدى عبد الكريم بن الرضى الوزانى، لازمه مدة، قيل: إن سبب جذبه أن سيدى عبد الكريم ألبسه يوما من الأيام قميصا له فغاب من حينه عن حسه، ثم بعد لازم بيته وشاع أمره واتضح كشفه وكثر معتقدوه، وصار الناس يقصدونه في المهمات والمدهلمات فيفرج الله عنهم الكروب وينيلهم المأمول، ودام على هذا مدة ليست بالقصيرة، ثم انتقل لضريح جده ولازم عتبة بابه لا يخرج إلا في النادر لباب الضريح، ثم في آخر عمره صار يطوف على أضرحة بعض الصالحين وبالأخص ضريح الشيخ محمد بن عيسى، وكان يدخل ضريحه راكبا دابته، زرتة مرارا، وكان ينادينى قبل الاحتلام بالمزوار مولاي على بن المتوكل، ولم يزل ينادينى بهذا الاسم إلى أن لى داعى

مولاه، وكان ربما أقسم على الله فأبره، يورى فى كلامه للزائرين بمقاصدهم وما يعقل توريته إلا العالمون.

مشيخته: قرأ القرآن وحفظه على المسن البركة المدرر السيد عبد القادر المدعو هويضرة البخارى والأسرار والمعارف عن سيدى عبد القادر العلمى، وسيدى عبد الكريم بن الرضى وغيرهم من الكمال.

وفاته: توفى ظهير يوم الأحد ثانى عشرى ربيع الثانى عام أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن من يومه بضريح جده فى قبة الذكر، ولم يتخلف أحد من العلماء والأعيان الفضلاء فمن دونهم عن تشييع جنازته رحمه الله ورضى عنه.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول ابن عمنا النابغة مولاي عبد السلام المحب أتى الترجمة وذلك عام ١٣٢٣:

طلول عفت آياتها أدمع الطل	وطال على أشخاصها العهد بالظل
طلول لسلمى لائحات رسومها	كما لاح وشم الواشحات على رجل
ولم يبق من آثارها غير ما بدا	على الخد من خيلان أوحق نجل
تمشى بها الآرام كالروم فى الضحى	فيحسبها المتتاب من عدد النمل
بأطلع يغلى المسك فى عقد نحره	فيغلو إذا أهريق صائكه المغلى
وأحور مخضوب الأكارع والشوى	خضيب بلا حنا كحيل بلا كحل
تهيج به هوج الرياح لواقحا	فتعقب من نكبائها المحل بالمحل
ولو جادها من جود منصور ماطر	لأسمع فى أرجائها دوى النحل
هو الوابل الهطال والأسد الذى	يحامى بلا ظفر ويصمى بلا نبل
هو ابن أبى عثمان والوارث الرضا	وهل يرث الليث الهصور سوى الشبل

مناقبه كالشمس فى رونق الضحى
وفرع على أقوى الأصول نباته
أمولانا يا منصور إني رضيعكم
وإني بلا ريب محبكم الذى
وإني لخفّاق الجناح إليكم
فياليت شعرى هل أبيت ليلة
بمغنى السنا والعز والسعد والهنا
بعود بلا تدخين ماء بلا قذا
وإني إذا ما سرت نحو حماكم
عليكم سلام الله ما فاح ذكركم
وأسراره مثل الكواكب فى الليل
وأطيبها والطيب فى الفرع بالأصل
فحنوا فإن الأم تحنو على الطفل
برابط راج منكم صلة الوصل
على نصه فى الشوق صرت لدى شغل
وأصبح فى مكناس حطت بكم رحلى
ومغنى الهدى واليمن والخير والفضل
عطاء بلا من وجود بلا مطل
فما سرت من أهلى إلا إلى أهلى
وعطرت من مسك الختام به قولى

٣٢٦ - محمد فتحا ابن عمنا مولاي على بن الكبير العلوى الإسماعيلي.

حاله: أستاذ فقيه عدل رَضِيَّ، نزيه وجيه نجيب، كثير المطالعة لا يمل من
السرد حتى يمل السامع، معمر للمساجد، متقن لعبادته، ربما تحرى الناس الصلاة
خلفه لتطويله فى السجود والركوع، وكان يتعاطى خطة العدالة، ولم يزل يتعاطى
الإشهاد حتى لبي الدعى.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول ابن عزوز، والسيد المهدي الوزاني، والسيد
أحمد بن الجيلاني الفيلالى، وسيدى أحمد بن الخياط، والحاج المختار بن عبد الله
وغيرهم.

وفاته: توفى متم شوال عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح
سيدى الورزيغى من حومة قعروردة، إحدى حومات مكناس الشهيرة.

٣٢٧ - محمد بن عبد السلام الطاهري.

شيخنا قاضى مكناس .

حاله : فقيه مشارك، مدرس مفت موثق نقاد، متضلع حسن الإدراك، متواضع، يعرف من أين تؤكل الكتف، له معرفة كاملة ومهارة كافية فى صناعة القضاء، وكان مجلسه مجلس تحقيق وتدقيق، وكان ممتع المذاكرة مع إنصاف واعتراف بالحق حتى للمبتدئين من الطلبة .

تصدر للعدالة بسماط الشهود، وتولى إمامة مدرسة الشهود المعروفة بالفيلاية والنيابة فى القضاء عن أبى العباس ابن سودة مدة مديدة، ثم استقل بالقضاء فى الدولة الحفيفية، وصدرًا من الدولة اليوسفية، وأُخر عن خطة القضاء يوم الأحد الآخر من شعبان عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وتولى بعده أبو العباس بن أبى بكر عواد السلوى .

مشيخته : أخذ عن العلامة السيد محمد بن الجيلانى السقاط، والعلامة السيد فضول ابن عزوز، والسيد المختار الأجرأوى، وأبى العباس ابن سودة وأجازاه الأخير عامة .

الآخذون عنه : أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله العرائشى، وشيخنا السيد محمد فتحا السوسى، ومولأى إدريس بن عمر المطهرى، وابن عمنا مولأى على ابن الشاد الأمرانى، والحاج الجيلانى بن الباشا حم بن الجيلانى، والسيد محمد بن مبارك الهلالى، وجامع هذا الديوان، ونقيب الأدارسة الحالى المولى راشد، والسيد العباس المسطارى وجماعة .

مؤلفاته : منها نظم رسالة الوضع، وحاشية على ورقات إمام الحرمين فى الأصول، وكنت القارئ بين يديه زمن تأليفه إياها للمتن المذكور بشرح المحلى، وحاشية السيد عبد الله بن خضراء السلوى، وكان كثيرا ما ينتقد كلامه، وتويف

فى جواز العمل فى الصوم والإفطار وغيرهما من الأمور الشرعية بالتلغراف،
وتقييد فى جواز إنشاد شعر فى خطبة الجمعة، وسببه أنه كان أنشد بيتا من الشعر
فى خطبته الأولى بعد بيعة السلطان مولاي عبد الحفيظ فسأله بعض تلامذته، هل
إنشادها إياه منصوص عند الفقهاء؟ فكتب فى ذلك التقييد المذكور.

وفاته: توفى غروب الشمس يوم الأحد رابع شوال الأبرك عام تسعة بتقديم
المثناة على السين وثلاثمائة وألف، ودفن من غده بالزاوية الكتبية من الحضرة
المكناسية.

٣٢٨ - محمد بن حمدوش المكناسى الخزرجى.

حاله: فقيه أديب، ناظم نثر، وقفت على عدة أشعار له، ومع الأسف قد
أتى التلف عليها وصيرها فى خبر كان لا يمكن تلفيق بيت منها على وجهه، ولم
أقف على تاريخ وفاته، ولا على شىء زائد على ما ذكر فى ترجمته.

٣٢٩ - محمد بن إدريس سميه بن عبد السلام ابن يوسف البوعنانى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه وجيه، نزيه ماجد جليل خير دين خاشع ناسك تقى نقى مبجل
فاضل معتقد ذو شبيبة منورة متبرك به مقصود للرقيا، له معرفة بالأوقاف وخواص
الأسماء وكان مدررا يعلم الصبيان القرآن الكريم فنفع الله به وتخرج عليه من
حملة القرآن عدد وافر.

الأخذون عنه: منهم العلامة مولاي الكامل الأمرانى وأخوه مولاي عبد
السلام والسيد محمد السوسى والأستاذ العشرى السيد علال بن صالح، وقد
تقدمت تراجم بعض هؤلاء كما أخذ عنه غيرهم ممن لا يكاد يعد كثرة.

وفاته: توفى عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف بالعاصمة المكناسية.

٣٣٠ - محمد أبو عبد الله الرجراجي المكناسي.

حاله: قال في حقه بعض تلاميذه: الفقيه الأوحد، العلامة الفهامة الأمجد، شيخنا وبركتنا.

ولم أقف على زائد يتعلق بترجمته غير ما ذكر، وغير رثاء أبي عبد الله بن حمدوش المترجم فيما مر لم تُبق يد البلا منه غير قوله:

من للمجالس بعد فقد محمد كهف العلوم وعمدة الإقراء
من للمنابر والمحابر بعده من للفصاحة حالة الإلقاء

٣٣١ - محمد دعي حمود بن محمد بن العربي بن محمد فتاح بن العربي.

المكناسي النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه عدل رَضِيٍّ، مبرز موثق ماهر محقق، ناقد فاضل زكي، تقى نقى، ذو خط بارع ومروءة ودين متين، يقصده الوجهاء والأعيان وذوو الحشيات للإشهاد فيما يعرض لأمانته وكامل معرفته وتحريره، وكان يسرد بالمسجد الأعظم الذخيرة المعطوية، والتفسير، وكان يجيد قراءة ذلك ويفهمه الخاص والعام، حسن النعمة، حلو القراءة، متواضع هين لين، وكان مرشحا لإقراء أئمة السلطان مولانا الحسن بداره العلية المحنشة، كما كان مرشحا لإقراء أبناء عمه مولانا العباس.

مشيخته: قرأ القرآن على البركة السيد محمد بن الحاج أغربي، والعلم على السيد المفضل ابن عزوز، والسيد محمد بن الجيلاني السقاط، والسيد أحمد بن سودة المري، وشاركهم في شيوخهم كالقاضي السيد المهدي ابن سودة وعن غير هؤلاء.

الآخذون عنه: أخذ عنه عم مولانا المنصور بالله مولاي أبو بكر بن الحسن

حفظه الله والشريف الفقيه العدل مولاي على بن الشاد الأمراني آتى الترجمة،
والشريف الفقيه مولاي أبو بكر بن العباس وغيرهم.

وفاته: توفي بمكناسة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف.

٣٣٢ - محمد الشريف الأصيل ابن الحاج عبد الله بن البركة مولانا أحمد
الوزاني.

المكناسي الدار والإقبار.

حاله: زكى ذكى، حىي أريحى، مهذب هين لين، ذو أخلاق نبوية،
وأحوال مرضية، فقيه نبيه، فاضل صالح فالح، بشوش صادق اللهجة من الذين
يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين إذا رءوا ذكر
الله، وكانت له معرفة بالأوفاق والتنجيم، وإمام بالنحو والفقه والحديث، مشتغل
بما يعنيه، تارك لما لا يعنيه، مائل إلى الخمول، رحل لفاس فى طلب العلم ولازم
بجد واجتهاد حتى فتحت له النجاة أبوابها، وأدخلته النباهة حجابها، ثم عاد
لمسقط رأسه وأقبل على شأنه حتى أتاه اليقين.

مشيخته: أخذ عن شيخنا أبى محمد عبد السلام بنانى وهو عمدته، وعلى
غيره من الأعلام.

وفاته: توفي ليلة الأربعاء ثامن عشرى رمضان عام واحد وأربعين وثلاثمائة
وألف، ودفن بروضه أسلافه من الحضرة المكناسية.

٣٣٣ - محمد بن أحمد أبو عبد الله الوزاني الأصيل المكناسي الدار
والإقبار.

حاله: فاضل ناسك ذاكر معتقد، ذو دين متين، مشتغل بما يعنيه، مقبل
على شأنه، معظّم لأهل البيت النبوى محب لهم، استوطن أولا بمدشر موساوة

أحد مداشير جبل زرهون حتى عرف بالموسوى، ثم انتقل لمكناس وبقى بها معظمًا ملحوظًا عند سائر الطبقات إلى أن لقي ربه، وكان ولوعًا بالرماية مسدد الرمي ماهرًا في صنع البارود، وكان يلقين أوراد سلفه الوزانيين.

الآخذون عنه: فممن أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله محمد بن الحسين العرائشى لقنه الصلاة المنسوبة للعارف أبى محمد التهامى بن محمد الوزانى، وهى: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السماوات والأرضين، وأجر يا رب لطفك الخفى فى أمرى وأمر المسلمين يكررها، مرات ١٢٩ حسبما قرأت ذلك بخط شيخنا المذكور.

وفاته: توفى بين العشاءين من ليلة الاثنين ثامن محرم عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن حذاء ابن أخيه المترجم قبله يليه يوم الاثنين المذكور بزاويتهم الشهيرة، وحضر تشييع جنازته جمهور أهل البلد وغيرهم. برد الله ثراه آمين.

٣٣٤ - محمد اليزناسنى.

٣٣٥ - محمد غازى.

٣٣٦ - محمد القباب.

٣٣٧ - محمد بن عزوز.

٣٣٨ - محمد الغمارى.

٣٣٩ - محمد الإسحاقى.

٣٤٠ - محمد دادوش.

٣٤١ - محمد الزرهونى الفقيه الأستاذ.

٣٤٢ - محمد الزولاتى .

٣٤٣ - محمد الجرارى .

٣٤٤ - محمد اقلال .

٣٤٥ - محمد المطاعى .

٣٤٦ - محمد البوعصامى .

٣٤٧ - محمد بن محمد البوعصامى .

٣٤٨ - محمد مخلوف الأستاذ .

لم أقف على ترجمة واحد من هؤلاء الخمسة عشر، غير أنهم كانوا من العلماء المدرسين بالجامع الأعظم الذين يقبضون المرتب العلمى، كما ذلك بحسابات النظار المعاصرين لهم بتاريخ عام تسعة وأربعين ومائة وألف وفتح الخمسين، لغاية أوائل محرم الحرام فاتح واحد وخمسين، وربما كان ذكر بعضهم قد تقدم فى التراجم السالفة.

٣٤٩ - مالك ابن العناية بن المفضل بن خدة الغرباوى الزاوى قرارا ومدفنا.

مشيخته: أخذ عن مولاي العربى الدرقاوى .

الآخذون عنه: أخذ منه سيدى إدريس بن الشريف جد ابن عمنا العلامة سيدى محمد بن أحمد، ومولاي الفضيل الشيهى خطيب الحرم الإدريسى، وأخوه سيدى أحمد، وجل أعيان شرفاء الزاوية الإدريسية فى وقته، ولم أحفظ وفاته، بيد أنه كان حيا سنة ست وخمسين ومائتين وألف، وضريحه بالزاوية الدرقاوية قرب مزاراة الضريح الإدريسى .

٣٥٠ - المختار بن الحاج الحبيب الأجرأوى.

حاله: فقيه صالح ناصح مرشد علامة متبحر، متضلع نقاد، مشارك محقق، متقن حافظ لافظ، زاهد ورع، حجة جدا، واجتهد فى قراءة العلم وإقراءه والعمل به، ما شهد قط ولا أفتى ولا تعاطى سببا دنيويا حتى قضى نحبه، قلما تجد أحدا فى وقته لم يقرأ عليه، ختم المختصر إقرأء دون قراءته هو على غيره إحدى عشرة مرة، تسع منها بالقطب الدردير، واثنان بالخرشى، وكان يحفظ التسهيل وغيره من مطولات الشروح.

حدثنى بعض العدول ممن كان يلزم درسه أنه اشترى يوما كتابا فى النحو مبتور الأول والآخر لم يدر ما هو، فجاء به إلى شيخه صاحب الترجمة يسأله عنه، فلما اطلع عليه أخبره أنه تسهيل ابن مالك، وأنه كان يحفظه عن ظهر قلب منذ عصر قديم.

وحدثنى شيخى أبو عبد الله بن الحسين العرائشى أن بعض الطلبة طلب من المترجم أن يقرأ معه تلخيص المفتاح فقال له إن شئت أقرأ معك النصف الأول فذاك، لأنه الذى قرأته على أشياخى، وأما النصف الثانى فلا أقدر على قراءته معك لأننى لم أقرأه عليهم، وذلك غاية الورع، وكان إماما بمدرسة الشهود ثم رشح للإمامة بالمسجد الأعظم.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيضى، والسيد المهدي بن سودة، والسيد العباس بن كيران، والسيد محمد بن محمد بن العناية بن فقيرة.

الأخذون عنه: أخذ عنه شيخنا القاضى محمد بن عبد السلام الطاهرى والسيد الغالى ابن المكى الستيسى وشيخنا أبو عبد الله محمد القصرى وشيخنا

٣٥٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٧٥.

السيد المعطى ابن عبود وشيخنا أبو عبد الله محمد بن الحسين العرائشى وغيرهم
من أعيان العلماء النقاد .

وفاته: توفى رحمه الله يوم الأربعاء سادس ربيع الثانى عام ثلاثمائة وألف
ودفن بروضة سيدى عمرو الحصينى ورثاه تلميذه السيد الغالى الستيسى بما
لفظه :

يا لهف نفسى على قوم عهدتهم	كانوا هم جنة من سواء أغيار
جادت بهم راحة الأيام فانبلجت	شمس السرور بهم من كل أقطار
من كل مكرمة عضوا بناجذهم	على فريدها فى المنظر الفار
علم وحلم وزهد عفة وتقى	جميل ظن وصبر ثم سجوار
كفاك بأعلم منهم فقه مختصر	ونحو ألفية من خير خيار
إذا أساء إليهم فاحش صفحوا	وعن قبيح يغض طرف أبصار
لو أن رضوى أتى مع ضعفه ذهباً	إليهم أدبروا هم أى إدبار
لعلمهم أن مولا هم مطهرهم	لم تلتفت أنفسهم لفتا لأكدار
وكيف والله ذو الأنعام ملبسهم	من التقى لبس أخيار وأبرار
يرون كل محب مخلصا ومقا	ويسترون مساويه بأستار
لكل نائبة يولى الزمان بها	صبر جميل إليها منهم سارى
لا يعذب العيش إلا فى جوارهم	وكان طول على من أمهم جارى
بيناهم كالذى قد قص وصفهم	مستوطنون سواد وسط إبصار
إذ صاح فينا غراب البين يندبنا	من قد ألفنا بهم من كل أوطار

فأصبحت كائنات الكون قائلة أين الذى حبه فى طى أسرارى
 أين الذى أمت الطاعات أمته قد أوهنتها عبادة بأسحار
 يا عين فابك عليه غير مصحية واستفرغى الجفن منك كل أقطار
 واستبكه كل عين مدمعا هطلا واستمطريه كثيرا سحب أقطار
 يا عين فابك فيما أنت باكية فلا أمنت، المكروه والعار
 فلست أرضى به حبا سواه عدى أن يبدل الله مختارا بمختار
 هـ من خطه وقد أثبتاها على ما بها تتيما للفائدة.

٣٥١ - المختار بن الباشا عبد الله بن احمد^(١) السوسى الأصل، المكناسى
 الدار والإقبار، الصدر الأعظم.

حاله: عالم علامة فاضل نحير، مشارك بشوش، كريم الأخلاق
 والسجايا، حسن السميت والبزة، كثير الصمت، هين لين، لطيف المحادثة، أديب
 أريب ناقد بصير سياسى ماهر، كاتب مجيد راوية للشعر وأمثال العرب، ممتع
 المجالسة والمذاكرة، مدرس نفاع، يتلقى بحث الطلبة فى درسه بكل إنصاف.
 استوزره السلطان مولانا الحسن مع ولده مولاي عمر مدة خلافته بفاس،
 وكذا مع ولده وخليفته مولاي محمد وجعله السلطان المولى عبد العزيز وزيرا لعمه
 وخليفته بفاس مولاي عرفة.

ثم لما توفى الشريف مولاي الطاهر البلغيثى الكاتب الأول بالصدارة العظمى
 اختاره ابن عمه الوزير الصدر أبو العباس أحمد بن موسى المار الترجمة للتولية
 مكان المتوفى المذكور، حذرا من اطلاع الكتاب الأجانب على سره.

٣٥١ - من مصادر ترجمته: سل النصال فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٩٨/٨.

(١) فى المطبوع: «أحمد»، والمثبت رواية سل النصال.

ثم رشح للصدارة العظمى بعد وفاة ابن عمه المذكور وذلك فاتح عام ثمانية عشر، ثم عزل أواخر ذى الحجة من السنة المذكورة، وأخرج من مراکش وسلب مما كان خرج به من ماله بعد مبارحته بأهله لها، وذلك أنه رجع يوما من دار المخزن فى موكب وزارته فوجد كل ما بداره محمولا والنساء ينتظرنه بالبواب، وكتيبة من الخيل فى انتظار وروده لتذهب به لمكناس، فأركب نساءه وسافر صابرا محتسبا، ومن الغد أدركته كتيبة أخرى بالطريق وفى معيتها مكلف من قبل المخزن للإتيان بجميع ما خرج به من مال ومتمول، فسلب من ذلك كله على وجه التعنيف والانتقام.

قيل: أخذ له من خصوص الناض ستون ألف ريال، وصدرت الأوامر المخزنية فى اليوم نفسه لفاس بإحصاء جميع ما لديه بها وحيازة ذلك لجانب المخزن منفذ الأمر الصادر، وهو فى ذلك كله يقرأ قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ...﴾ [سورة آل عمران آية ٢٦] الآية ولما وصل رباط الفتح أنزله عامله على يده ومنعه من التوجه لمكناسة، وبقي فى حكم الاعتقال بالرباط مدة، ثم غرب لتطاوين تبكيئا له، وأقام بها مدة ينشر العلم، ثم أذن له بالتوجه لبلده مكناسة، ولما حل بها أقبل على نشر العلم وبثه فى صدور الرجال غير مبال ولا مكترث بما امتحن به من العزل وسلب بعض أمتعته.

ثم فى أول تسعر نيران الفتنة البربرية فى الدولة الحفيفية وذلك فى ربيع الأول عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، سلبه البرابر بمقربة من فاس جميع أمتعته وأثاثه، ولم يتركوا له ولا لعياله وصغار أطفاله زائدا على ما يستر العورة المغلظة، حيث إنه كان قادما من فاس لمحل استيطانه بمكناس بعد أن باع كل ما كان له بفاس من العقار وما لا يحتاج له من الأثاث، فرجع لفاس على حالة تخجل المروءة والإنسانية، وأقام بها مدة، ثم رجع لمكناس وأقام بها إلى أن وافته منيته، وقد كف بصره فى آخر عمره رحمه الله فصبر وشكر.

مشيخته: أخذ عن العلامة المحدث أبى محمد عبد القادر العراقى الفاسى المتوفى بالإسكندرية فى ربيع الأول عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف وأجازه عامة، وعن جنون مختصر الرهونى، وسيدى إبراهيم التادلى المتوفى فى سابع عشر حجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف برباط الفتح، والقاضى العلامة سيدى أحمد ابن سودة، والسيد فضول السوسى، وأجازه عامة وقفت على إجازته له بخطه وهى عندى يظهر مما سطره فيها أنه يرى أن الإجازة شهادة وليس الأمر كذلك كما هو مقرر مشهور، وعن السيد فضول بن عزوز، وشاركهم فى مشايخهم، وأجازه سيدى على بن ظاهر المدنى عامة عن الشيخ عبد الغنى بن أبى سعيد الدهلوى بأسانيده المفصلة فى اليانع الجنى، وأبو العباس أحمد بن زينى دحلان صاحب الشهرة العظيمة وأجازه عامة.

الأخذون عنه: منهم شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى، أخبرنى أنه قرأ عليه درسا أو درسين فى الخرجية، وشيخنا العرائشى، وعمنا وشيخنا مولائى عبد القادر بن زيدان، وسيدى محمد بن عبد الله بن الطاهر المترجم فيما مر، والسيد الجيلانى بن حم، والسيد محمد بن حلام والمولى راشد بن على الشبيهى نقيب الأدراسة الحالى، والمولى إدريس بن عمر المطهرى، وجامع هذا الكتاب، وأجازنى رحمه الله عامة وغير من ذكر بفاس ومكناس وغيرهما.

وفاته: توفى بمكناس أواسط شعبان الأبرك عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكنتية من حومة صدراته.

٣٥٢ - المكى ابن القاضى أبى القاسم العميرى.

حاله: فقيه علامة نبيه عدل رضى مبرز مفضل، ماجد زكى، من صدور أعيان عدول سماط مكناسة ووجهائها الموثوق بدينهم وأمانتهم.

٣٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٦٧.

مشيخته: أخذ عن والده ومن عاصره من الأعلام الجلة.

وفاته: توفى أواخر محرم أو أوائل صفر عام أربعة عشر ومائتين وألف، إذ قد كان ب قيد الحياة ووقع الإشهاد عليه بوصية فى عشرى محرم من العام، وقومت داره بعد وفاته فى سابع صفر كما برسم الشهادة على العراف.

٣٥٣ - المكى بن المختار الحناش.

حاله: فقيه علامة مفوه جليل عدل رضى كان يتعاطى الشهادة بسماط العدول من أعيان وجوه صدور عدول الحضرة المبرزين وقاداتها الأخيار المعترين، وقفت على نسخة رسم بشهادته بتاريخ سادس شوال عام خمسة وستين ومائتين وألف، وتولى النيابة بالحضرة عن قاضى وقته.

وكان أوحد زمانه فى الأدب والإنشاء نظما ونثرا، نساخا للكتب، شديد المحافظة والضبط والإتقان، حتى انتقاه سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام لنسخ مهم الكتب بحضرته السلطانية.

ويقال: إنهم أشراف أدراسة من ذرية مولانا عبد السلام بن مشيش، وإن سبب ورودهم لمكناسة هو أن لصا سرق جدهم الأعلى وهو إذ ذاك صبى يقرأ بالمكتب وأتى به لحضرة فاس زاعما أنه ابن له، والصبى ينفر منه ويفند دعواه إلى أن علم بذلك أولو الأمر وافتضح اللص، فأبق ناجيا بنفسه، ولما فشا الأمر وبلغ سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل وجه على الصبى واستفسره عن حقيقة الأمر فأخبره بالواقع فأبقاه بشريف أعتابه، وأدخله المكتب من جملة أبنائه ثم بعد قلائل جاء بعض أقاربه يتطلب أثره فدل عليه، فأتى الأبواب السلطانية فأخرج له الصبى فتعارفا، وحن كل منهما للآخر، ولما تيقن السلطان صدق الواقع أمر الولد بالتوجه لذويه فامتنع الصبى من الذهاب لما رآه من البرور به والإحسان إليه، فأبقاه السلطان

من جملة أبنائه، وكبر فى عينه وأحسن لأهله وأكرم مثواهم ووفادتهم عليه،
فرجعوا لأوطانهم مبتهجين، وبشكر صنيع السلطان لهجين.

ثم بعد مدة ورد والده بسائر أهله واستوطن مكناسة الزيتون، فقبلوا بكل
اعتبار من لدن الجلالة السلطانية، وقلدوا الوظائف العالية المناسبة لهم كالكتابة
والنساخة والدأ عن والد، إلى أن انقرض عقبهم والبقاء لله وحده، ولم يبق لهذا
العهد من نسلهم غير امرأة مسنة تناهز التسعين، ومنها استفدت بعض الترجمة
بواسطة والدها من غير نسبها، وإلى الله علم تفاصيل الحقيقة.

شعره: من ذلك قوله كما بكناشة أديب الرباط السيد محمد بن عمرو:

لما حللتكم جنب اليم أمكم	وقبل الأرض مسرورا بكم وربا
وصار يهدى إليكم من ذخائره	وصاب بالحوث إكراما لكم وحبا
أعداه جودكم حسن شدوكم	فاهتز لقرب منكم راقصا وحبا

وقوله:

محيالك شمس الضحى المشرقة	به حدقات الورى محدقة
وأسهم لحظك ترمى الحشا	تخالها شهب السما المحرقة

وقوله:

يا من إذا الصبح أقبل	حكى ضياء جبينه
ومن إذا الليل أسبل	حكى سواد جفونه

وفاته: توفى فى حدود السبعين ومائتين وألف.

٣٥٤ - المكي بن أحمد السوسى والد السيد فضول.

حاله: فقيه عالم عدل زكى مدرس، كان يتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره من مشائخ عصره.

الآخذون عنه: أخذ عنه ولده السيد فضول ومن فى طبقته، ولم أحفظ وفاته.

٣٥٥ - المكي أبو زكري المكناسى الأصل والدار.

حاله: فقيه كاتب بذر، حلاه الزيانى فى الجمهرة فى عدد الذين لازموا الأخذ عن مولانا سليمان فى المقام والترحال، ولم أقف له على ترجمة.

٣٥٦ - منانة مزوارة المكناسية.

حالتها: مجذوبة ساقطة التكليف، تخرج فى أسواق مكناس بادية فى قشابة خضراء منقبة بثوب أبيض أو أحمر، كثيرة الوقوف عند باب المسجد الأعظم، وربما جلست ببعض الدكاكين تكلم الناس بكلام لين غالبا، ولها مكاشفات كالشمس الضاحية، تقول للناس: أعطنى كذا يكن لك كذا، هذه كانت حالها إلى أن لبت داعى مولاها.

قال الزبادى كنت أزورها كلما دخلت مكناس تبركا بها وبدعائها ولما قرب أجلها لقيتها بقبة السوق فسلمت عليها فقالت لى: إنى قد تزوجت جئت تحضر عرسى، فقلت: نعم، فقالت: عاهدنى على ذلك، فقلت لها إن شاء الله تعالى ولما رجعت إلى فاس مرضت وفى أثناء مرضى رأيت فى المنام أنى بمكناسة الزيتون وجازت جنازة عظيمة معها خلائق عديدة فسألت عنها، فقالوا: منانة مزوارة، فقلت فى ذلك المنام: الحمد لله الذى أكرمنى بحضور هذه الجنازة المباركة وتبعتها

حتى دفنت بروضة السيدة العلمية، واستيقظت ومن الغد وبعد الغد دخل بعض الفقراء وذكر لى أنه جاء من مكناسة وبلغنى السلام عن الإخوان هناك فسألته عن السيدة المذكورة، فقال لى: توفيت بالأمس رحمة الله عليها، ودفنت بروضة السيدة العلمية، وكانت لها جنازة عظيمة، فكان يصف لى وأنا أنظر فى ذلك.

وفاتها: توفيت سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

٣٥٧ - المصطفى الشريف العلوى المدغرى ابن محمد الكبير بن عبد الرحمن بن محمد، عبد الله بن محمد بن طاهر بن قاسم بن عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مولانا على الشريف.

حاله: علامة مشارك، له معرفة بعلم الأوقاف وتجويد القرآن، حسن التلاوة خلو الشمائل، كريم الأخلاق، له معرفة بعلوم القراءات درس ابن برى وختمه مرتين، ثم حدث به مثل جذب واعتراه قلق وضيق صدر، فصار يطوف على أضرحة الصالحين ويتطارح على أبوابهم ويدعو بقوله: اللهم إنى أسالك بمشاهدة أسرار المحبين، وبالخلوة التى خصصت بها سيد المرسلين، حين أسريت به ليلة السابع والعشرين، أن ترحم قلبى الحزين، وتجيب دعوتى يا أكرم الأكرمين، ويكتب ذلك فى أوراق ويلصقها بجدران أضرحة الصالحين، ولم يزل ذلك شأنه حتى تيسرت له أسباب السفر لبلاده بالصحراء، فوجد شيخه العارف بالله مولاه المهدى نزيل أبار فى مرضه الذى مات به، فلزمه إلى أن انتقل لوطن الرحمة محمود المسامى، وكان يحدث عن شيخه المذكور أنه لما قربت وفاته أكثر من تلاوة قوله تعالى: ﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ [سورة الأعراف آية ٥٤] ثم بعد وفاة المولى المهدى رجع لمكناس، وأقبل بكليته على القراءة تعلمًا وتعليمًا، ثم رحل لفاس وأخذ عن جهابذة نقادها الأعلام، ثم رحل لبلاده وذلك آخر العهد به.

مشيخته: أخذ عن ابن الجيلاني السقاط، والسيد فضول بن عزوز، والسيد محمد بن التهامي الوزاني، وشيخنا البركة أبي عبد الله محمد بن قاسم القادري والسيد التهامي جنون، وأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد ابن سودة المدعو الجلود، والشريف القاضي مولاي محمد، والشريف سيدي جعفر الكتاني.

وأخذ القراءات عن الأستاذ العلامة أبي عبد الله محمد التهامي بن الطيب الغرفي.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا العرائشي، والسيد محمد الواستري، والسيد أحمد ابن فقيرة وغيرهم.

نثره: من ذلك قوله في خطبة شرحه على منظومة الهلالي بالدعاء بأسماء الله الحسنى ولفظه: الحمد لله الذي تعرف لعباده بصفات الاتحاد والانفراد، وهياً بتوفيقه من شاء لطاعته فقاموا بالجد والاجتهاد، وكشف عن بصائرهم بنور الهداية والرشاد، نحمده على ما أسدى، ونشكره على ما أولانا قديماً وعهداً، وصلاته على سيدنا محمد نور الهداية والهدى، وعلى آله نجوم الاهتدا، وأصحابه أئمة الإقتداء، وبعد فهذا شرح لدعاء الهلالي، بأسماء الله الكبير المتعالي.

مؤلفاته: منها شرحه على نظم أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي في الدعاء بأسماء الله الحسنى عنون هذا الشرح بالمنة الإلهية، في شرح الأسماء الهلالية، ودونك مطلع النظم المشروح:

إذا نابني خطب وضاق به صدرى تلافاه لطف الله من حيث لا أدري
ولاسيما إذ جئته متوسلاً بأسمائه الحسنى المعظمة القدر

٣٥٨ - المعطى بن العناية البخارى الغربوى السفينانى المعتكى من أولاد علال.

حاله: ناسك فاضل جليل، له مهارة تامة فى التوقيت والتعديل والحساب وما يرجع لتلك الفنون، يحسن كل ذلك ويتقنه إتقاناً تاماً، وكان يحفظ قراءة ابن كثير حفظاً متقناً، كثير التلاوة والذكر، مشغول بما يعنيه، تارك لما لا يعنيه، وكان سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام نظمه فى سلك موقتيه الملازمين له حضراً وسفراً بعد أن كان مستخدماً لديه فى جملة أصحاب فراشه المولوى، وكان يجله ويقدره قدره ويرضى أمانته حتى إنه رشحه لإقراء بناته، ولما كبر سنه ووهن عظمه تقاعد عن الخدمة السلطانية، واستقر بمحل استيطانه مكناسة الزيتون، فنفع الله به وبمعلوماته أقواماً.

مشيخته: أخذ عن البحر الزاخر السيد عبد الرحمن بن محمد فتحا بصرى المكناسى وغيره.

الآخذون عنه: منهم الطالب بوعدة بن العربى الفشار، والعدل الطالب صالح الحلمونى المترجم فيما يأتى وجماعة من مهرة الحيسوبيين وأهل الميقات. وفاته: توفى فى ربيع الثانى عام ستة وسبعين بموحدة ومائتين وألف، ودفن بروضة الولى الصالح أبى العباس أحمد المعروف بالضأوى من سوق الغزل الواقع خارج باب بريمة من حضرتنا المكناسية.

٣٥٩ - المعطى الشاوى المسكينى القرقورى نزىل مكناسة.

حاله: يحب فى الله ويبغض فيه لباسه حائك صوف وبرنس منه وقميص وعمامة صغيرة ذو أتباع وعيال، نفقته من الفيض الوهبى، نزيه على الهمة، كثير الخشية، لا تأخذه فى الله لومة لائم، له مشاركة فى فنون شتى، وأكثر دروسه فى التوحيد.

وكان فى أول أمره منعزلاً عن الناس ، مشغلاً بعبادة ربه فى خلوة بعيدة عن رهطه وعشيرته ثم فى بعض الأيام خطرت بباله مسألة اعتقادية حيرت ذهنه وعسر عليه فهمها ، فرحل لفاس بإشارة من بعض أهل الخصوصية الربانية ، ولازم العلامة الصالح الحاج محمد جنون مختصر الرهونى ، ومن عجيب الاتفاق أنه أول ما حل بفاس حضر درس جنون المذكور ووجده يقرر المسألة التى أشكلت عليه ، وكانت سبب رحلته فلازمه مدة حتى مهر وحصل غاية منيته فى فنون شتى ، ثم رحل لبلده وتصدر للإفادة وأقبل على التدريس ، وأسس زاوية للإلقاء الدروس ، وإفادة الناس ، فاشتهر صيته ، وأقبل الناس عليه من كل صوب .

ثم مر السلطان المولى الحسن فى بعض حركاته على زاويته فلقى واعتنى بشأنه ورفع المغارم وسائر الكلف المخزنية عن أقاربه وسائر المتعلقين بأذياله ، فاشتد لذلك غيظ عامل بلده حسداً من عند نفسه ، ولم يزل يضر له سوء وينصب له حبال المكاييد حتى قبض عليه وأودعه السجن ومكر به ، ولما علم بذلك السلطان المذكور قبح فعل ذلك المتولى الخبيث ، وسب وجدع وقرع ووبخ ، وأمر بتسريحه حالاً والإتيان به إليه على كاهل المبرة والإكرام لحضرته المكناسية ، فأقام بمكناس واشتغل بالتدريس وإفادة الناس مدة ، ثم رجع لبلده ، ثم نقل لسطات بقصد تولية القضاء بها وبها كانت منيته .

وقد ظهرت له مدة مقامه بمكناس كرامات ، وخوارق عادات ، لازال المسنون يتحدثون بها ، من ذلك ما أخبرنى به بعض من وثقت بخبره من الآخذين عنه الملازمين له أنه كانت عنده آنية من العود أعدها لطعام الأضياف تسع ملء الكفين مرتين ، وكان يطعم منها العدد الوافر من الناس ولا تنفد ، وأنه جاءه رجل بولديه يدعو له فقال له : ارجع بولدك فإنه ولى من أولياء الله تعالى فكان الأمر كما قال ، نشأ ذلك الصبى فى عبادة الله تعتقده الخاصة والعامة ويتبركون به ، ولم يحفظ عنه

ما ينقم عليه فى أمر دينه، وأنه كتب له بعض أهل مكناس كتابا فأجابه بقوله: أخانا فى الطين، فقليل له: لم لم تقل له أخانا فى الدين؟ قال: ما شهدنا فى وصفه إلا الأخوة فى الطين، ولا أثر عليه من الدين، فاستقرئت أحوال الرجل فوجد كما قال، وكان لا يأكل طعاما حتى يعرف حال صاحبه فإن كان من أهل الظلم والتعدى رده عليه، ثم إنه أكل يوما مع العلماء طعام السلطان فندم وبكى واستغفر الله من ذلك.

مشيخته: أخذ عن مختصر الرهونى.

الآخذون عنه: منهم السيد الطاهر السوسى وهو مخبرى بجل ترجمته.

٣٦٠ - المعطى بن محمد بن الهادى بن عبود المكناسى.

حاله: عالم خاشع ناسك ورع، ذو عفة ووقار وهيبة، محب فى النبى ﷺ وآله، وسائر المتعلقين بأذياه، فاضل متبتل، واعظ خطيب مصقع، مدرس نفاع، عدل رضى، عارف بالتوثيق ماهر، كان إمام المسجد الأعظم وخطيب مسجد البراذعيين، سراداً للخيرة المعطوية، وتفسير الثعلبى، وسيرة الكلاعى النبوية، وصحيح البخارى فى رجب وشعبان ورمضان، مستحضراً لأحاديثه تولى نيابة القضاء بالحضرة المكناسية، ورحل إلى الحج وزيارة خير الأنام عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد فضول السوسى وهو عمدته وشاركه فى مشايخه كالشيخ مبارك شيخ الجماعة، والسيد العباس بن كيران، والسيد المهدي ابن سودة.

الآخذون عنه: أخذ عنه سيدنا الوالد، والشريف سيدى محمد بن إدريس

٣٦٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٦٧/٨.

الشيبي، والسيد عبد القادر بن أحمد العرائشي، والسيد الغالي السنتيسي، وكاتب هذه الأحرف، والفقيه الكاتب السيد أحمد بن محمد بن فقيرة والنفيب سيدي مشيش بن المختار الشيبي، ومولاي إسماعيل بن عبد الرحمن العلوي، وجماعة من أعيان أهل العلم.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة قرظ بها همزيتي الموسومة بكفاية المحتاج،
في مدح صاحب اللواء والتاج.

أعد المديح بزيب الزيداني فالوقت أبرز نغمة الزيداني
كم أشعلت في مهجتي حرقا وكم سدلت على مآزر السلوان
برزت فأدهشت العقول بحسنها ورمتهم بذوابل الأجفان
إلى أن قال:

همزية همزت عقولا وارتقت بفصاحة وبلاغة وبيان
إلى أن قال:

لا زلت في فلك السعادة ساميا تجلى عليك فضائل الرحمن
وفاته: توفي ليلة الثلاثاء آخر يوم من حجة الحرام متم عام ثلاثين وثلاثمائة
وألّف.

٣٦١ - مغيث أبو الفضائل زغبوش القرشي.

حاله: فقيه عدل صالح، نبيه كامل ناصح، عابد سالك ناسك متبرك به
فالح، ذو مواهب سنية، وأحوال مرضية سنية، وقفت على تحليته في بعض العقود
القديمة بالذكي العابد، الناسك المجاهد، قدوة العباد، وعلم الزهاد، قطب
العارفين، وغوث المستغيثين، من ظهرت بركاته، وبانت مآثره وكراماته.

لا زال ضريحه مزاراة مقصودة للتبرك إلى الحين الحالى موقعه قرب باب البرادعيين من هذه الحضرة المولوية المكناسية، وقد غابت عنى وفاته بعد مزيد البحث والتنقيب، بيد أنى وقفت على عقد صداق لبعض عقبه مرفوع فيه نسبه إلى المترجم بتاريخ أحد عشر ربيع الثانى عام سبعة عشر ومائتين وألف، صاحب الترجمة هو الجد الحادى عشر له، وفى ذلك دلالة على تقادم عصره.

٣٦٢ - المفضل بن أحمد الفلوسى الزرهونى الوربى الأصل المكناسى النشأة والدار.

حاله: من صدور أعلام الدولة الإسماعلية، ودولة ولده مولاي عبد الله، وحفيده سيدى محمد رحم الله الجميع.

فقيه عالم، أصبح علمه واضح المشاعر والمعالم، خاتمة المحققين، وأوحد النقاد المحررين المدققين، منع وأجاز، وتصرف فى الحقيقة والمجاز، وجاز إلى بيوت الدراية على أوثق مجاز، حتى تصرف فى طرفى الإسهاب والإيجاز، ووعد العقول بسحر بيانه فاختر الإنجاز، وكان من العدول المبرزين، والقادات المميزين، فى طبقة أبى القاسم العميرى، والطالب بوعنان وغيرهما من أمثال الجهابذ وكان يتعاطى خطة الإشهاد بالأحباس وغيرها بتاريخ خمسين وواحد وخمسين واثنين وخمسين بعد مائة وألف حسبما وقفت على عقود بإشهاده فى الأزمنة المذكورة.

مؤلفاته: منها شرح على همزية البوصيرى سماه الفوائد الفكرية ومن فوائده فيه لدى قول المتن:

والأقاويل عندهم كالتماثيل ل فلا يوهمنك الخطباء

ما نصه: وقال آخر يعنى من العلماء ما من شىء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى إن عمره عليه السلام كان ثلاثا وستين استنبط من آخر

سورة المنافقين لأنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده ﷺ وتوجد نسخة منه بمكتبتنا عتيقة فى مجلد فى غالب الظن أنها بخط مؤلفه .

٣٦٣ - المفضل بصرى.

وقفت عليه فى زمام المدرسين بالجامع الأعظم من الحضرة المكناسية الذين يقبضون المرتب العلمى بتاريخ خمسين ومائة وألف، وكذا عام واحد وخمسين، ولم أقف على شىء من ترجمته .

٣٦٤ - المفضل بن العدل الزكى السيد الهادى بن أحمد بن المجذوب صنو العارف بالله سيدى الطيب بن على بن عبد الرحمن بن على بن عزوز.

دفين زغوان، بلاد قرب تونس كما بخطه .

حاله : بحر علم متلاطم الأمواج، ينسل الناس للالتقاط من فرائد فوائده فرادى وأزواج، فقيه جليل عالم بالتفسير والحديث والسير والفقه والأصول وعلوم البلاغة، ماهر مهارة كاملة فى جميع تلك الفنون وغيرها عدا العروض وقرض الشعر، مقتدر مستحضر، متقن للقواعد غواص على درر المعانى واستخراجها من أصدافها بذهن ثاقب وفكر كشاف، عارف بإدراج الجزئيات تحت الكلّيات، فصيح اللسان، ثبت الجنان، سريع الإدراك والجواب، مع إصابة صوب الصواب، شديد الولوع بالمطالعة، وقفت على عدة من كتبه الطبعية لا تكاد تجد حرفا واحدا فى الغالب إلا وأعاده بقلمه .

تولى نيابة القضاء ببلده مكناسة، وانتهت إليه رياسة النوازل والأحكام فيها،

٣٦٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٢٦/٨ .

ثم رشح للقضاء ببلد القصر، وتقلد به تلك الخطة التى هو أحق بها وأولى، وذلك عام واحد وثلاثمائة وألف.

وكان خروجه من مكناس مسقط رأسه لمحل مأموريته القصر الكبير فى السادس عشر من ربيع الثانى عامه، ودامت توليته للقضاء ستة أعوام، ولم يشغله القضاء عن التدريس والتقييد، تخرج عليه قادات أجلة، وكانت دروسه للمنتهين أفيد ما خاض فى مسألة الإقرار فيها فنونا وأتى بما يبهر العقول، من منقول ومعقول فيبرز المعقول، فى قالب المحسوس بأسهل عبارة وأبدع أسلوب، له من المقدرة على التصرف فى الكلام والتفنن فى أفانين التعبير وتنويع الأمثلة ما أبهت كل معاند، لا يخشى أحدا، ولا يراقبه لين العريكة، يتواضع مع العالم والجاهل، يبتدئ بالسلام كل من لقيه عرفه أو لم يعرفه، يياسط الصغير والكبير، قليل السعد مع الولاة وذى الحشيات، صادق الفراسة.

اجتمع يوما مع جمع حفيل من أعيان الأعلام فى وليمة وقد تأخر بعض الأعلام المعزومين عن الوقت المعين للحضور فيه، فسأل عنه رب المنزل فأجابه المترجم بقوله: إنه يطالع مسألة ليلقيها علينا، فلما جاء الفقيه واستقر به الجلوس، والتفت إلى المترجم وقال له أيها الفقيه ما معنى قوله تعالى: ﴿... وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ...﴾ [سورة الإسراء آية ٦٠] مع أن الشجرة لا تكليف عليها، فلا تستحق اللعن الذى هو الطرد عن رحمة الله، فنظر القوم بعضهم إلى بعض تصديقا للفراسة، ثم أجابه المترجم بما معناه فى الآية احتمالان: الأول أن يكون اللعن بمعنى الذم مجازا لا بمعنى الطرد، وهى أى الشجرة شجرة الزقوم قد ذمها الله تعالى فهى مذمومة، الثانى أن يكون المجاز فى الإسناد أى الملعون أكلها وهو الكافر قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة

الدخان]، فلما فرغ المترجم من تقرير الاحتمالين قال السائل المذكور: والله أيها الفقيه إن هذا هو الذى قالوه فضحك الحاضرون وعلموا صدق فراسة المترجم.

وقد سأله يوما بعض الجلة من أعلام فاس بمجلس عاملها إذ ذاك السيد عبد الله بن أحمد عن قوله تعالى: ﴿... فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا...﴾ [سورة المؤمنون آية: ١٤] والحال أن العظام مكسوة لحما وجلدا فسكت المترجم، فقال له السائل: أنظرك إلى أن تطالع؟ فقال له المترجم: لا تنظرنى، فلا أخرج من المجلس إلا بعد أن أجيبك، وبأثر ذلك قدمت لهم حرية^(١) فتركت أمامهم إلى أن بردت يسيرا أو جعلت جلدا فنظر المترجم إلى السائل وقال له: ما على الحرية من الجلد هو حرية أو غيرها؟ قال: حرية، فقال له: قد أجبتك فاستحسن السائل جوابه.

وسأله هل قرأت بفاس؟ فقال: الناس يشدون الرحلة إلى فاس بقصد القراءة على أعلامها، وأنا فاس شدت إلى الرحلة حتى قرأت، فقليل له: وكيف ذلك؟ قال: أعلم أهل فاس السيد العباس بن كيران جاء قاضيا لمكناس فأخذت عنه، ثم لما قبضه الله إليه خلفه السيد الحاج المهدي ابن سودة، فكان مضارعا له فى سعة العلم والإدراك، وربما فاقه فأخذت عنه كذلك، ولم أحتج إلى ذهاب لفاس، فهذا هو الجواب، فاستحسن منه ذلك.

والذى يظهر لى أن الإشكال فى الآية المتقدمة غير وارد، وذلك أن الآية إنما سبقت للاستدلال على باهر قدرة الله تعالى وإلزام المنكر لإحياء الموتى الحجة، ولم تسق لبيان التشريح واستيعاب الأجزاء التى يتركب منها الإنسان، ويمكن أن يقال على تسليم ورود الإشكال إن العظام مكسوة باللحم لا بالجلد واللحم هو المكسو بالجلد، فوقع الاختصار على المباشر غالبا.

(١) فى هامش المطبوع: «الحرية دقيق يطبخ بلبن أو دسم قاله فى القاموس».

أو تقول فى الآفة حذف الواو مع ما عطفف واللّه تعالى أعلم؁ وإنما قفدت بقولى غالبًا لأنه ربما باشر الجلد بعض العظام والنادر لا حكم له .

هذا وقد مدح المترجم غير واحد من الأعلام فمن ذلك قول بعضهم وقد ختم صحف البخارى :

جاءت بوصل قرة الأعفان	ذات الجمال الفوسفى الففان
جاءت فمفس كأنها بدر الدجى	فى غاية الإشراف واللمعان
أهدت لنا من عطفها روحا سرى	كالروح فى الأحشاء والجثمان
أفنى فؤادى حبها ولطالما	كابدت ففاه مرارة الهمفان
فا لائمى فى حبها ومعنفى	دعنى فما منها قسفت كفانى
لو عافنت عفاف ما عاففته	لغدوت فى أسر الهوى مففانى
لكن فؤادك منه فلو لم فذق	ما ذاقه الحذاق من الحان
أهل الهوى أهل الوفا أوصافهم	محمودة من سالف الأزمان
كف السبفل إلى السلو وقد فوت	رقى وأفنت مهبجتى وجنانى
فهى المنى وهى الهنا وهى الغنى	وهى الشففا مما برا وعنانى
لا فسلنى عنها سوى فتم البخا	رى عند طود الففر والعرفان
الفاضل العلم المفضل من غدا	فى النفل مشكور بكل لسان
الفاضل بن الفاضل بن الفاضل	بن الفاضل بن الفاضل الربانى
الطفب العطر الهمام المرتضى	شمس الهداة السادة الأعفان
العالم العلامة البحر الذى	جلت مناقبه عن الحسابان

ذاك الذى صحت دلائل فضله
الألمعى اللوذعى الأريحيـ
هذا هو القدر الرفيع وذا هو الـ
هذا ابن عزوز وحاش جاهه الـ
هذا هو البر الزكى المحتمى
أخلاقه محمودة أحكامه
آدابه غـرا وآية فضله
همم له شما سمت أسمى السما
ما شئت من حلم ومن علم ومن
فالزم مجالسه السنية تلق ما
وتجد بها بحرا يموج ذكاؤه
وترى الفصاحة والصباحة والسكينة
وترى الختام الأسعد الباهى المنى
ختم شريف طابت الدنيا به
ختم شريف أشرفت أنواره
له ختم خصنا المولى به
عمت مواهبه وعم نواله
فالله يحفظ ذا الهمام وجاهه
وينيله ما شاء من خير وإقبال
ما ضاع مسك ختامنا الزاهى وما

وكماله من غير ما برهان
ى وسيلتى ومنيتى وأمان
ركن المنيع مؤسس الأركان
أسمى يعزز فى الوجود بثنائى
بحماه فى سر وفى إعلان
فى غاية الإحكام والإتقان
كبرى فلا تحتاج للتبيان
وعلت معاليه على كيوان
كرم ومن حسن ومن إحسان
تبغيه من فهم وسبك معانى
بلطائف ودقائق وبيان
والوقار هناك رأى عيان
ر المشرق ألتلألئ النورانى
وتتوجت بمفاخر التيجان
وبدت بجامعنا الكبير الشأن
وأزال ما بالقلب من أدران
كل الورى قاصيهم والدانى
من سائر الأغيار والحدثان
ومن عـز ومن سلوان
جادت بوصل قرة الأعيان

وقول آخر:

زارت فأزرت بالنقا والبان
غيد تلاًلاً نورها فأضات الـ
حيث فأحيت كل صب هام فى
فاستنشقت أرواحنا من روحها
بزغت من الفلك المضى لكنها
ظلت تقدر العاذلات بقدها
أنى يماثل حسنها وجمالها
عجبا لريم راضت الأسد الغضا
لما درت أن أرقىتنى بالنوى
إذ طوقت حلى المكارم والوفى
وتتوجت بشراف أخلاق تهـ
وأرت بمعصمها المسور آية
خل العواذل لو تسارع غيهم
هذى التى منها الصبابة أفصحت
هذى ذكاء فريدة العقد النفى
هذى التى زفت لكفؤ شاقها
بدر سما فوق السما بصبابة
قد فاق أهل الفقه بالتوفيق والـ

تفتتر عن در زها وجمان
أرجاء بالإشراق واللمعان
ذاك المحيا الفائق الفتان
عرفا ذكيا عم بالسلوان
سقط العشاء بها على سرحان
وترى الغوانى نخوة الميسان
بدر الدجى وخرائد الغزلان
ب إلى حمى الإسعاف والإذعان
رقت فراقت مهجتي وجنان
وتسربت بلطائف الإحسان
ز الراسيات بلازم الإمكان
منها شاهدنا باهر البرهان
للإفك هذى قرة الأجفان
للفاضلين بدرة العرفان
س من هبتك قلائد العقيان
وهنائة ما إن لها من ثانى
علم الأجواد غرة الأعيان
تدقيق والتحقيق والتبيان

جبد الشوارد من علوم أحجمت
وأتى الحديث بعفة ونباهة
وأماط عنه خماره فأقره
فعنا له التحرير والتقرير وال
وغدا يعرف بالثقات عن الثقات
بفضيلة التدريس والتدريب فى
هل كل من أقرأ البخارى راق من
ما مثل قاضينا ابن عزوز المفضل
أعطاه ربى رفعة وسيادة
أو ما هو ابن الأوليا وكريمهم
أو ما مواهب ربنا هذى التى
خال الصفا فتواصلت أمداحه
لو لم يكن أهلا لكل جليلة
لما تصدى للحديث ففاز من
لله من ختم بمسجدنا المع
حضرتة أهل الفضل يا بشراهم
إن ابن إسماعيل نور يهتدى
لم الأحاديث الصحاح وجاء فى
فهو الرشاد أمن بغاه فانتهج

عنها الليوث فقادها بعنان
فجلى عنا الأصداء والأدران
قاعا قريرا فى قرى الأذهان
تصدير فى سر وفى إعلان
بنقله من غير ما ديوان
أحكامه شهدت له الثقلان
يصغى إليه فمال كالسكران
حسن روض عاطر فينان
وكلاءة من صولة الأزمان
هذا المهذب سيد الأقران
ظهرت عليه من رضى الرحمن
فى كل قلب نير ولسان
ما أوتى الفصل المزيج الران
ه السامعون برقة وحنان
ظم ليلة القدر ارتقى لعنان
فازوا برأفة ربنا المنان
بكتابه فى حالك الديجان
أبوابه بمفاتح الإيمان
بسبيله تحظى بأى معان

تخذ الأساتيد العظام أئمة
ملكوا زمام العلم والتقوى فمن
عرفوا من اليم الخضم شهامة
حياتهم المولى الذى سناهم
وأمدنا من عطفهم بالمبتغى
سبحان من يعطى لكل ما نوى
من يرتجى مدد النبى محمد
وعلى الصحاب وآله ما قيل قد
وقول آخر:

حديث الصبا رويته عن قرنفل
عن الآس والنسرين والياسمين عن
عن الملك عن عرف البنفسج عن سنا
عن الجزع عن نشر الخزامى فلعلع
عن الشعب عن جيران ساكنة الحمى
عن الشوق عن قلبى عن الوصل عن لقا
عن الفجر عن صبح تلتته لويلة
فناهيك من صبح تاللاً نوره
تاب جليل أظهر الله سره
تفرد بالإسناد عن ستة هم

أكرم بهم من ستة تيجان
يقفو طريقهم اكتفى بأمان
فسقوا معينهم لذى الإمعان
لحبا الرضا وعناية الرضوان
من مالك الملك العظيم الشأن
ويقل عثرة ذا الأسير العان
صلى عليه الله كل أوان
زارت فأزرت بالقنا والبان

عن الورد عن زهر الربيع المفضل
أكارم زهت بالقيقلان وصندل
رياض أنيق فيه راق تغزلى
فربع بنى سعد خيام التجلل
حمى له فى كل المسالك موئلى
حبائب منهم الغزالة تجتلى
تنزلت الأملاك فيها من العلا
بختم البخارى فى ضحاه المهلل
فخص به التعظيم فى كل محفل
ذوو العزم فى أبناء أكرم مرسل

حباهم من أولاهم كل رفعة
فسادوا جميع الناس حيث تأهلوا
فجاه ابن إسماعيل سيدنا الرضا
لذلك مزياه توالى وأنهجت
فقراؤه والسامعون كفاهم
أما ثملوا لما سقوا جام عطفة
فيا آل بدرها مشوقكم رجا
فأنتم وقاية الضعيف وأنتم
فمنوا وجودوا واعطفوا وتفضلوا
فإني مكظوم وحالي ما خفى
وها بالبخارى جئكم متوسلا
وبالجامع الكبرى التي ضاع نشره
من امتاز في هذى البلاد بيره
ولا غرو إن الفرع يتبع أصله
تشبث صان الله ربي شبابه
فأصبح يقفو نهجه بدراية
وأوضح أبواب الوصول لفهم ما
فإدراكه لا يمتطيه مشارك
أنور الدياجى لا برحت مفضلا

وبوأهم من فضله كل منزل
لجمع صحاح حبها كل أمثل
محمد التحرير دون مترا على
لنا سبل الإرشاد رآد تأمل
تغشاهم الإشراق من نوره الجلى
أصارتهم فى زمرة الحزب الأول
بجاهكم يحظى بكل مؤمل
وسيلة أندادى عليكم معول
على عسى ما هال قلبى ينجلى
على علمكم يا جيرة الجانب العلى
فحاشاكم تشنوا على توسيلي
بها عند تدريس الفقيه المبجل
وصار نجيبا فاق كل مفضل
وكيف وهذا من سلاله أفضل
بمن سن إيضاح الحديث المسلسل
ففض وثاق القفل عن كل معضل
تقاصرت السباق عنه بأجمل
فيال ابن عزوز الزكى المفضل
بريئا نزيها عن أذى المتقول

وقاك الذى رقاك أسنى منصّة
وتوجك التقوى لتزداد عزة
وأعطاك من يحيى النبى إجابة
ولا برحت عليك يبرق سعادها
وهاك أبدر التم منى خريدة
بختم البخارى ضمت الحسن والبها
بها فكرتى رامت قبولا فجدا لها
وإنك ممن حاز علما وسوددا
فإن تفتخر فاس بأعلامها فها
فلا شك هذا الختم مفتاح رحمة
أيا يا عالم النجوى ويا سامع الدعا
وجد واعف وارحم وامح كل جريمة
وأخلص لوجهك الكريم مدائحى
وعن أمة الهادى الشفيع محمد
وصل عليه يا كريم وآله
صلاة تناجى بالبشائر من يقل
إلى غير هذا مما لو تتبعناه لجاء فى مجلد ضخّم ولكن ما لا يمكن كله لا
يترك كله .

مشيخته : أخذ عن شيخ الجماعة فى وقته بالحضرة المكناسية السيد مبارك بن

عبد الله الفيضى المترجم سابقا، والسيد العربى بصرى المدعو قطيطة، والسيد المهدي بادو، والسيد المهدي بن سودة، والسيد العباس بن كيران وغيرهم من الفحول النقاد.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا الحاج المختار بن عبد الله، وشيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الطاهري، وشيخنا أبو عبد الله محمد القصري العبدري^(١)، وأبو عبد الله المدعو الهويج، والعلامة السيد التهامي بن عبد القادر المدعو الحداد، والعلامة الأديب السيد الغالي بن المكى السنتيسى، والشريف مولاي المصطفى بن عبد الرحمن المترجم فيما مر، والسيد إدريس بن اليزيد، والشريف سيدى محمد بن العربى المنونى، وشيخنا أبو عبد الله محمد العرائشى حفظه الله، وخلق^{*}.

مؤلفاته: منها كشف الران، عن قلب مانع الزيارة ومفضل الوظيفة على القرآن، والنصيحة الشافية النافعة للطريقة الدرقاوية، وشرح على رجز سيدى العربى الفاسى فى الذكاة اختصر فيه شرح الزياتى، وكواكب البسملة، وشرح على أبيات الهلالى: ألا يا لطيف لك اللطف إلخ، وشرح على الألفية لم يكمل، وشرح على الهمزية لم يكمل وغير ذلك.

وفاته: توفى فى شهر صفر عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكنتية بحومة صدراته من العاصمة المكناسية، وقد رمز لوفاته أحد نجباء تلاميذه وهو السيد إبراهيم بن محمد بن قاسم المسطاسى بحروف (حمدا وشكرا وزهدا حاز) من قوله:

هذا ضريح سليل الأكرمين ومن	قد فاق مجدا وعلمنا سائر العلما
هذا المفضل نجل القرم من فخرت	به الدنيا فامتطى من فخره السنما

(١) فى الموسوعة: «العبدوى».

عبد الهاد بن عزوز وذلك من غدا وحيد الدهور مفردا علما
وإن ترد على عام القرض فابغ تجد (حمدا وشكرا وزهدا حاز) فاكتهما

٥٣ ١٢٢٧ ١٦ ٣٢ ج ١٣١٩

٣٦٥ - المفضل بن المكي بن أحمد السوسى.

المكناسى الششاء والدار، الفاسى الإقبار.

حاله: كان رحمه الله صدراً شهيراً علماً أصيلاً، جم التحصيل، قوى الإدراك، منطلق اللسان، مشارك نقاد، حسن العبارة، مقتدر على التفنن فى أفانين التعبير، إماماً فى العربية، ذا هبة وجلال، وحزم وعزم، لا يقدر أحد أن يكلمه فى مجلس درسه، ما سئل عن شىء إلا رد السائل مسئولاً، ذا سمت وتؤدة، شديد المحبة فى الصالحين، كثير الزيارة لهم والبحث على التعريف بهم ونشر كراماتهم، وجيهاً عند الأمراء والولاة، مبعجلاً عند العظماء، مسموع الكلمة.

وكان يقرأ فى دروسه الليلية عدة مؤلفات فى مجلس واحد يتخلص من فن لآخر بأربع تخلص وأحسنه، لا يجارى فى ذلك ولا يبارى، لا يقدر أحد من الآخذين عنه فى حلقة درسه أن يتحرك أو يتنحج أو يفوه ببنت شفة، يجلسون أمامه كأنما على رءوسهم الطير، ثم إنه ترك القراءة فى آخر عمره ولازم الوزير أحمد بن موسى إلى أن لى داعى مولاه، ثم لازم المتولى بعده المهدي المنبهي، ولم يزل يظعن بظعن السلطان ويقيم بإقامته إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيض، وأبى الإسعاد المهدي ابن سودة، وأبى اليمن العباس بن كيران، وأبى الفتوح الهادي بادو، ووالده السيد المكي وغيرهم من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا الحاج المختار بن عبد بن أحمد، وشيخنا أبو

٣٦٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٨٢٩/٨.

عبد الله محمد القصرى، وشيخنا الحاج المعطى بن عبود، والعلامة الأديب السيد الغالى بن المكى السنتيسى، وابن أخيه السيد محمد فتحا السوسى، وأخوه السيد محمد السوسى، والسيد الطيب بنونة، وابن عمنا سيدى الحسن بن اليزيد، والوزير أحمد بن موسى فى جماعة من الأعلام.

نظمه: من ذلك قوله جامعا بين قول الشيخين القاضيين فى مدح السفر وذمه:

أقول وقول الحق يعظم وقعه تخالف طبع الناس مبنى الطرائق
فإن رمت تحقيق الحقائق سلمن أمورك للمولى تكن خير واثق

نثره: من ذلك قوله مجيبا ابن عمنا الفقيه الأديب الأكتب مولاي إدريس بن عبد السلام الأمرانى ولفظه ومن خطه نقلت: هلال اليمن والسعد والسعادة، الدال مبتدأ بزوجه على خير أكمل زيادة، غصن شجرة أصلها ثابت المحاسن بلا ريب، وجدول حديقة الفضائل السالمة من النقص فى علم الغيب، الطالع السعيد، فى أفق الرشاد والمجادة الحميد، من برع على الأقران، وانهزم بين يدي رشده حزب الهوى والشيطان، واقتنى كنز الحياء ساعيا فى المرضى بلا توانى، ولدنا حقا بمحبته الصادقة مولانا إدريس الأمرانى، لازالت الكمالات تخدم أبوابه، والسعادة ترتضى أسبابه، وأمنه الله من كل مخوف وحفظه وسلمه على الدوام، عن خير من أنام الأنام، فى ظل الأمان مولانا الإمام، أدام الله مجده وأناله جميع المرام.

أما بعد فقد وفى لذيذ خطابك المطرب، وعجيب بليغ فصيح إعرابك العرب، مقرطا به ومشنفا، حتى لم تبق فصاحتك المفحمة على الحقيقة معارضا ولا معنفا، فيا لها من جواهر استحقها بالأصالة من أعارها، ومعارف لا ترضى بمفارقة من أنارها، فكل فضل فى العالمين، فمن فضل جدكم سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيات فى كل وقت وحين، فبجاهه وحرمته عند الله تعالى نسأله أن يبرد لهيب الاشتياق، بتحيات المشافهة والمعاينة وحسن التلاق،

ولولا^(١) ما جبل الله سبحانه عليه هذا الحب العزيز المثال، الذى لم ينسج على منواله فيما يظهر لأحد بمنوال، من علا قدره وطاب سره، وحسن بين الناس كغيبة علانيته وجهره، الفقيه العلامة الوزير الأرشد، الأسعد الأمجد، المسئول لنا وله من المولى الكريم فى كل وقت حسن العاقبة، وكمال الحفظ والسلامة كما نسأله سبحانه أن يرزقنا وإياكم التوفيق والإعانة، ويجعلنا من أهل طاعته وطاعة رسوله ومن الحافظين للأمانة، وأن يفتح علينا وعليكم، ويرضى أفعالنا وأفعالكم، ولا بأس على الحب الأود، الأعز الأمجد، الصادق فى الود شهادة وغيبا. ولم يكن لعدو أن يثبت له عيبا، والدك حفظه الله وجعل الضيافة التى كان فيها طهوراً؛ وجعل عقب ذلك سرورا وحبورا ونورا، ولما أطلعت علم الفقيه الوزير، بكتابتك الحبير المنير، تهلل وجهه نشاطا، واغتبط بمثلك اغتباطا، وأعجب كل الإعجاب فأفصح فى الدعاء الحينى الأحسن، وشهد بأن هذا أفضل هدى وسنن، وعنده من خبر ضيافة الوالد ما أغنى، وهو بأموره وأمور أمثاله أعنى وأغنى وأقنى، كما ثبت عنده من نصحه وصداقته وبره ومروءته، فالحمد لله الحمد لله والسلام وفى رابع جمادى الأولى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف المفضل السوسى لطف الله به من خطه.

وقوله من رسالة خاطب بها بعض أصدقائه المخلصين وكلفه فى النيابة عنه فى إعلام أحد تلاميذه النجباء الجللة، وهو ابن عمنا مولانا الحسن بن اليزيد العلوى بوصول رسالته التى أصدرها له ويعلمه بأنه متهيئ لجوابه ولفظ الغرض منها: واعلم أن الشريف المحبوب، المخصوص من الله الكريم بأفضل موهوب، قد وجه رسالة عجيبة، ترى النفس من بلاغة تلك الرسالة، أن أجوبتها غير وافية ولا مصيبة، فهى جداول بلاغة جرت فتضاءلت البحار، وأسرار مواهب سرت فأذعنت لمحاسنها وجميل محياها الأفكار، أعنى بذلك النبات الطيب معدنه وأصله، الحسن

(١) فى هامش المطبوع: «أغفل جواب لولا صح مؤلف».

فصله ووصله، ابن من فضله من شرف سيد الورى ﷺ يزيد، وكل خطاب زورته فى نفسى ليكون جوابه كان لمبتدأ تلك الرسالة شاهدا بأن خبرها له مزيد، وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد.

ولما عزمت على ممكن الجواب فى المستقبل، عجلت لك هذه التخيبة بأنى لا أضيع فصاحته البارعة الفائقة، بل تكرم وتعز وتقبل، ولا عطر بعد عروس، وهكذا تكون طيبة الغروس، زادنا الله تعالى وإياه من الفضائل والكمال، وأصلح أحوالنا فى الحال والمآل، ولا تقصر فى إكرامه باللائق، وإنما جعلت لك النيابة عنى فى أمثاله لأنك المحب الصادق، وقد بالغ حفظه الله فى الأوصاف، فتح الله بصيرتنا وبصيرته وألهمنا الصواب وباعدنا من الإطراء والإجحاف، وجعل سلوكنا سواء الطريق، وألهمنا الرشد والتسديد والتوفيق، آمين والسلام فى ثامن شوال عام ستة عشر وثلاثمائة وألف.

وقوله فى جواب الرسالة المشار لها تبارك الذى من هيئته وجلاله وعظمته سبحت بصريها الأقلام، وخضعت لكبريائه وسبحت قدسه سطور السماء طروس الأرض ودفاتر جهابذة الفصحاء الأعلام، أرسل أفصح البلغاء وأفضل الرسل لإبلاغ ما حمله فقام به أحسن قيام، وأمر بالمستطاع من عمل البر فمن أتى به لا يذم ولا يلام، ونحمده ونشكره، ونذكر بنعمائه بعض من يكفره، على ما أنعم به من الخير المزيد، المقدر فى الأزل لمن شاء من العبيد، فلا يقدر أحد منهم على نقض ولا إبرام، ونسأله الغفران لذنوب أوقفنا لباب الاضطرار، وسترها بسعة رحمته وكفى بكرمه ومته شؤم الإصرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من ظن كما أمر بربه الجميل، فنال أفضل مرغوب ومسئول ومأمول من عطاء خالقه الرب الجليل، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المحبوب، عين الرحمة المهداة

المبعوث ببيان السبيل الموصلة فى الدنيا والآخرة لنيل كل مرغوب، صلى الله عليه وعلى آله سفينة النجاة والأمن والأمان، وصحابته الجليلة الكمل المقتدى بهم فى تحقيق إخلاص الطاعات وبمحبتهم الكاملة زيادة الإيمان، صلاة وسلاما نخوض بهما بحار المعرفة، ونتحلى فى الدنيا والآخرة بأحسن حلة مرضية فى الدين وأفضل صفة.

أما بعد فالله أكبر ولا أكبر سواه، فسبحان من صور الخلق كيف شاء فأحسن خلقه وعدله وسواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الذى جعل الأسفار مطايا الرسائل، وممكن نيل الوسائل، ومجرى مجار الفواضل والفضائل، بتوالى الغدايا والأصائل، ومظهر ما تقر به العين وتنشرح به الصدور، من أسرار نتائج الأرواح أصحاب الصدق والمحبة الواصلة الموصلة لنيل الحبور، لما تضمنت أضلاعهم وانطوت عليه من خالص البر وصادق البرور، خصوصا من طاب أصله وفضله، وقد شب حسن خلقه وكرم فعله، حائز قصب السبق فى مضمار الأدب والحياء والمروءة والعفة والسماحة، من أصوله الطيبة ومعدنه المتأصل فى كمال الذكاء والرجاحة، حافظ زمام اللسان، الشريف الحىى التقى النقى الملقب بالاسم الحسن، فقد أجادت قريحته اللطيفة فى رسالتها كل الإفادة، وبنات شفته نثرت على الأسماع جواهر المعانى وأفادت أكمل الإفادة، فله الحمد وله الشكر والثناء الجميل، حيث أظهر بما قدره من هذه الأسفار من أولاد الروح مثل هذا القليل، وشاهدت الأبصار ما تقر به العين، وانتعشت الأسرار بما أملت فيه فكان بمنظر منها ومسمع قبل أوان الحين، وهذا بحمد من له القدرة والحول، يجبر خواطر كراسى العلم والمسجد الكبير ويقشع عنهما سحاب توهم الحين والأين والتحسر والهول.

فحيث حللتكم هناك بهذه الأحوال العجيبة، والأقوال اللطيفة المصيبة،

تراجعت أمواج هيجان الوجد، فبشروا المحبين بالقفول القريب إن شاء الله تعالى وحلول النير المنير في برج السعد، ولو تذكرت الكراسى والمسجد ما تلى هناك غير ما مرة في أسباب الخروج من الأوطان والرحاب، من سفر لتجارة أو هجرة أو زيارة أولياء أو أحباب، لذهب في الوقت ما توهم لها من الأوصاف، وسطع سرورها ولها العيش طاب، فلتذكر ما كانت تسمعه، فالعقل اللبيب لا يتحول عما ينفعه، ولو استحضر مع ذلك ما أعد الله تعالى في المقاصد الحسنة المستحسنة، الصارفة عن العقل غفلته ووسنه، لعاد الحنين والرد عليه بالحنيب ضحكا وسرورا، واستحسنت خدمة أسكفة هذا الوزير المبارك الأرشد الأسعد، المخلص في النصيحة للمسلمين القريب والأبعد، إجلالا وإعظاما وبرورا، فلن يكافئ إحسانه إلا أن نرفع جميعا أيدي الضراعة والابتهاال، ونخلص له في ظل مولانا الإمام، نصره الله على الدوام، ما أمكن العبد من مستجاب الدعاء وأكمل سؤال.

اللهم يا ذا الطول والحول والفضل والامتنان، أحسن عاقبتنا وعاقبته وبارك في عمره وأحسن في أثرنا وأثره وافتح بصيرتنا وبصيرة تلامذتنا أجمعين، واجعلنا ممن علم فعمل، وعمل فقبل يا قوى يا معين.

وفاته: توفى بمحروسة فاس يوم الأحد سابع ربيع الثاني عام عشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية هنالك رحمه الله.

٣٦٦ - المستضيء بنور الله ابن السلطان الأعظم أبي النصر والفدا إسماعيل.

صفته وحاله: أبيض اللون، حسن القد، مليح الوجه، أمه عودة الدكالية، قاله أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد المعروف بالضيف الرباطي المولود سنة خمس وستين ومائة وألف حسبما قال ذلك عن نفسه في تاريخه.

كان المترجم منكوس الراية، مسيكا ذا خفة وقساوة وطيش، غير متأن ولا ناظر فى العواقب، ولا متوقف فى سفك الدماء، ببيع له بعد أخيه أبى عبد الله محمد المدعو ولد عربية عشية يوم السبت ثالث ربيع النبوى عام واحد وخمسين ومائة وألف، وهو يومئذ بسجلماسة، فوجه له عبيد البخارى الذين سعوا فى البيعة له شردمة من الخيل تأتى به من تافيلالت وبمجرد ما اتصل به الخبر، خرج مسرعا يطوى المراحل، ولما وصل صفرو، وخرج إليه أشراف فاس وعلمائها وأعيانها وأدوا بيعتهم له، ولما حل بفاس ولى عليها القائد أحمد الكعيدى، واستخلف الكعيدى شعشوعا اليازغى، كما عزل قاضيهما الشدادى، وولى مكانه السيد محمد الدلائى البكرى، وأصلح ما كان بين الأدارسة وعامة أهل فاس هناك.

ونهب لمكناس عاصمة ملك والده، ولما دخلها كتب العبيد له البيعة العامة، ووافق عليها أهل الحل والربط ظاهراً لما كان للعبيد من الاستبداد والسيطرة، ثم وفدت عليه بها الوفود بهداياهم وبيعتهم.

وكان وصوله لمكناسة فى رابع عشر ربيع المذكور، وكان فاتحة أعماله بها بعثه بأخيه ابن عربية السلطان المخلوع قبله المذكور موثقاً بالأغلال لفاس، ومنها لسجلماسة سجيناً ينضم لغيره من الأشراف الذين بالسجون هنالك، كما وجه السيد عبد المجيد المشامرى بوطالب، والشيخ أبا زيد عبد الرحمن الشامى يسجنان بفاس الجديد، وأمر بنهب دار المشامرى المذكور والتنكيل به وسومه سوء العذاب، فامتثل أمره فيه، ولم يزل المشامرى المذكور يتقلب فى أنواع ألیم العذاب إلى أن مات، وسبب محنة الرجلين شكاية مولاى عمر الأمرانى نهب داره بفاس بتداخل الرجلين.

ثم اشتغل بالبحث على ما فى خزائن والده التى لم يلق لها بالاً أحد من

إخوانه الذين تملكوا قبله لاحتياجه إلى ما يصرفه ابتغاء مرضات العبيد، ولم يترك خزيننا من الخزائن إلا ونسف ما به نسفا حتى الحديد والكبريت الذى كان يعد بآلاف القناطر وملح البارود والشب والبقم وغير ذلك مما كان مدخرا من الغنائم التى كان يغنمها والده من أجناس الفرنج، وباع ذلك كله، فلم يجد المتحصل فيه شيئا وأزال بعض السراجيب المذهبة والشبايك، وألزم أهل الذمة بأداء ثمن ذلك.

ثم أنزل المدافع النحاسية من الأبراج فكسرها وضربها فلوسا كما فعل ذلك قبله أبو العباس أحمد بن إبراهيم السلطان العثمانى الذى هو أول من ضرب سكة النحاس الأحمر وموهها بالفضة، وكل ما ذكر لم يغن المترجم شيئا، كما أفصح بذلك الزيانى فى الروضة السليمانية وغيرها من كتبه، ثم وظف على أهل فاس أموالا طائلة عجزوا عن الوفاء بها، وألقى القبض على جماعة منهم وأودعهم السجون، وأمر ببيع عقارهم لاستيفاء ما بقى بذمتهم مما وظف عليهم، وألزم التجار بشرائه، وقبض على بعض الأشراف العراقيين وهو السيد العربى بن السيد عبد الكريم صاحب الدار الكبرى بجرنيز بعد أن أوجعه ضربا، وزج به فى السجن بدعوى أن خنائة بنت بكار زوج والده استودعت عنده أموالا.

ولم يترك بابا من أبواب القساوة إلا وطرقه، فكم استصفى من أموال، وأزهق من نفوس بغير حق، وذلك بإغراء من رفيقه أبى حفص عمر الأمرانى انتقاما من أهل فاس، حيث إن داره نهبت على عهد أبى عبد الله محمد ولد عربية أخ المترجم، ولم يدافع عنها أحد منهم وولى أبا حفص المذكور على فاس، وأغرى البرابر على العيث فى الطرقات وشن الغارات على الودايا، فانقطعت بسبب ذلك السابلة، وتعذرت أسباب المعاش، وأصدر أوامره بتوجيه أخيه المولى زين العابدين سجيناً مقيدا إلى تافيلالت بعد أن ضربه ضربا مبرحا، ولولا أن العبيد وجهوا من انتزعه من يد المتوجهين وبعثوا به لأبى العباس الكعيدى بنى يازغة واستوصوه خيرا فاحتفظ به واعتنى بشأنه لهلك.

وكتب لصهره الباشا أحمد الريفى يأمره بالإيقاع بأهل تطاون لتخلفهم عن بيعته، وقد كانت بينه وبينهم عداوة وشحناء، فاعتنمها الريفى فرصة واقتحم تطاون على حين غفلة من أهلها فدمر ونهب وقتل من وجوهها نحو الثمانية، ووظف على من بقى ما ضاقوا به ذرعا مما لا طاقة لهم بوفائه.

وقد كان الحوات هو صاحب أمر المترجم ولم يزل حاملا راية الدفاع عنه والسعى فى نصرته إلى أن قبضه الله إليه، وكانت وفاته فى ثامن ربيع الأول عام اثنين وخمسين بعد أن دعا المترجم عليه بالهلاك.

وفى سابع جمادى الأولى من العام سرح المترجم أخاه ابن عريية من عقاله. وفى عاشر رجب عاثت فرقة من حجاوة وانضم إليها خليط من الرعاع وأطلقوا يد السلب والنهب فى السابلة، ولما تفاحش أمرهم أرسل المترجم عليهم القبائل المجاورة لهم، وأمر بإلقاء القبض عليهم حيثما وجدوا والبعث بهم لمكناسة.

وفى السادس عشر من شوال أمر بضرب أعناق عدد ممن وصل لحضرته المكناسية من المتمردين المذكورين، وعلقت رؤوسهم على أبواب المدينة وجدرانها، ولم يزل هذا شأنه معهم إلى أن تابوا وأنابوا.

وفى يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة الحرام وجه أخاه المولى بناصر لقتال عبدة لما كانوا عليه من التمرد والعيث فى الطرقات والاستطالة على القبائل الحوزية، فقتل منهم عددا وأرغمهم على الرضوخ للطاعة، ووظف عليهم مالا له بال، وآب لأخيه المترجم سالما غانما.

ولما كان عام اثنين وخمسين ومائة وألف، أوقع صاحب الترجمة بالباشا العياشى وتوالت الأمطار وقام الناس على ساق فى الحراثة رغما عما كانوا عليه من

الفاقة والإملاق وعدم الدواب لتوالى السنين الشهباء عليهم جلهم كان بالفئوس والأغنياء منهم حرثوا على الحمر، قال فى الدر المنتخب نقلا عن بعض المؤرخين لقد علمت أن سبعة اشتركوا فى زوجة حمير، فحملوا عليها إحدى وعشرين وسقا، وأعطى الله تبارك وتعالى البركة فى تلك السنة وتدارك عباده باللفظ بعد الشدة هـ.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عزل السيد محمد البكرى الدلائى عن قضاء فاس، وولى مكانه أبا عبد الله محمد بن على الشدادى، وعزل أبا العباس أحمد الصبيحى عن الإمامة والخطابة والتدريس بالحرم الإدريسى، وولى مكانه العلامة أبا المواهب عبد الكبير السرغينى.

وفى الرابع والعشرين من صفر صدر الأمر السلطانى بين العشاءين بإخراج محمد مامى من الضريح الإدريسى، وقد كان مستجيرا به، فأخرج قهراً ولما مثل بين يدى المترجم بمكناسة قتله من حينه.

وفى يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول ألقى القبض على العربى بن عزوز ناظر القرويين لما تحقق لديه من اشتغاله بما لا يعنيه، واجتماعه مع لفيف من خاصته على الغناء والملاهى بداره، وسجنه مع جماعته ثم وقعت الشفاعة فيه للسلطان فعفا عنه وردده لمأموريته.

وفى سادس جمادى الأولى وقيل صبيحة يوم الاثنين الحادى عشر منه، نهض المترجم إسعافا لرغبة العبيد واتقاء لشهرهم لجبل فازاز فى عساكره وجنوده، حيث بلغهم أن السلطان عبد الله بويع له بمراكش وأحوازها، والحال أنه كان بعيداً عنها، وأقام المترجم بجبال فازاز مدة تنيف على الشهر، ثم اعتراه انحراف فى المزاج فانقلب لمكناس، ودخله فى عاشر جمادى الثانية، ونزلت تلك المحال

بضواحي البلد فمدت يد التعدى بالنهب والإفساد فى أجنة وبحائر البلد وأحوازاها .

وفى فاتح شعبان قتل جماعة من رؤساء العبيد منهم الباشا غانم، والقائد عبد المجيد سعدون، والقائد عيسى مفتاح، وأولاد الريفى .

وفى أوائل رمضان عزل بوعزة الزيزى عن حسة فاس ووليها العدل الحاج محمد سوسان، وفى يوم الأربعاء رابع عشر رمضان أكلت قافلة بين فاس ومكناس وتعذر المرور فى السابلة من يومئذ، وفى آخر رمضان المذكور عزل سوسانا .

وفى أوائل شوال كتب لأبى عيسى المهدي الفاسى يستقدمه لحضرته للوساطة فى إصلاح ذات البين بينه وبين الباشا أحمد بن على الريفى، إذ كانت حدثت بينهما وحشة تكدر بها جو الصفا وأصبح الريفى المذكور حجر عثار فى طريق نجاح مساعى المترجم، وفى سابع شوال وجه أبا عيسى للريفى بكتاب لفظه بعد الحمدة والصلاة:

«الأجل الأسمى، المجاهد الأحمى، أخونا فى الله تعالى الباشا أحمد بن على أمدك الله بمعاونته، وأبقاك مصونا فى حوز حمايته، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وأمانه وتحياته .

أما بعد: أبعد الله عنك كل ما يطويه الفكر، وأبقاك سالم الأحوال فى جميع الآصال والبكر، وقوى محاسنك بالجد، ومطالعك بالسعد، آمين فلقد اتصل بمقامنا العلى بالله الفقيه الجليل، العالم النحرير النبيل، نجل السادات الأبرار، العلماء الصلحاء الأخيار، الأئمة الأعلام، والقُدوة لمن أصلح الله حاله من الأنام، سيدى المهدي حفيد نبراس أولياء الله الأصعد، القطب الأوحد، أبى يعقوب سيدى يوسف الفاسى نفعا الله ببركاته، وأفاض علينا من بحر كمالاته، آمين يا رب العالمين .

ولما حل بنا ديننا، وخاض معنا فى ماء واديننا، أجللناه وأعظمناه، وفى داخل الأحشاء جعلناه، فتفاوضنا معه الحديث، القديم والحديث، وعقدنا له مجلسين فزنا فيهما بمحاورته، وحسن محاضرتة، فألفيناه من حسن أوصافه، على طريقة أسلافه.

ولما كان من ينبوع الحكمة والعلم والصلاح، تطارحنا معه الحديث فى جانبك من إفشاء ودك وتعظيم منصبك مما هو علينا واجب ومباح، وعرفناه بما لك عندنا من المرتبة السامية، والمحبة الصافية النامية، وجلنا معه فى السر والجهر، وأطلعناه على مكنون الجوانح والصدر، لتحقيقنا فيه أن مثله ممن تذاق بين يديه الأسرار، ومن يتحمل أداء الأمانة من صدق الأخبار، وما كتمنا عنه شيئا مما هو فى الخلد والضمير، فهو يخبرك بما سمع منا ولا ينبئك مثل خبير.

فاعقد له مجلسا سرىا حتى يشفيك الغليل فى جميع ما قلناه من الإبلاغ لك، فإنك تجد فى ذلك بغيتك، ومينتك وأملك، فإنه لم ينفصل عنا حتى اتضح له الأمر ظاهره وباطنه ووقف فينا على حقيقة الحال، ونفى الظنون والشكوك والمحال، وقد وجدنا فيه من محبتك، وكمال مودتك، ما حملنا على البرور به وقربه، زيادة على الوصف الذى هو قائم به.

فقد شرح صدورنا بطيب كلامه وحسن حديثه مما نحن فيه فى جانبك أغرف.

والى إيذاعه والتحدث به من مثل هذا السيد ونشره بين أيدينا أشوق وأشوف، فإذا بلغك الأمانة التى حملناه ف(اتها) فيه واستوص به خيرا ففى مثله تنفع الصنيعة والمعروف، ولا يستوى فى إسداء النعم الشريف والمشروف.

فهذا السيد له شرف العلم وشرف الحسب وشرف الصلاح وشرف الدين، ولا يخفى عن علمك ما كان لسيدنا الوالد قدس الله روحه فى سلفه الصالح من

صدق المحبة وخالص الوداد، وجميل الاعتقاد، فكان يؤثرهم ويعظم أقدارهم، ويرفع على سائر الديار ديارهم، مع ما أكرمهم الله به من العلم والصلاح والقيام بسنة رسول الله ﷺ وإظهار معالمها، والاصطفاء لحاملها وعالمها، وتشبيدهم لبنانها، وتدعيم أركانها، ووقوفهم في بثها وتعليمها، وحضهم على تخليصها.

فقد أعلوا منارها بوضع التآليف، وحسن التصانيف، فكثرت في ذلك دفاترهم، وعظمت عند العلماء والصلحاء والملوك وذوى السلوك مآثرهم، فناهيك بتلك الدار، وما لها من الحرمة والمقدار، حتى إن بعض علماء العصر ذكر في قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله، وفي بعض الروايات وهم بالمغرب، قال: ولعلها أن تكون زاوية سيدى عبد القادر الفاسى من كثرة ما تواتر عنها من وقوف أهلها في إحياء السنة، جعلنا الله وإياكم ممن يقوم بشروطها، ويختال إن شاء الله في حالها ومروطها.

فثق بهذا السيد فى كل ما يبلغه عنا لسانه وبيانه، فهو كتابنا إليك حقيقة، وهذا الكتاب إنما هو عنوانه، ولما تحدثت معه على شأنك آليت له بأيمان غليظة على صدق ما حدثته به، ولا يعرف تلك الأيمان إلا من هو مثله، إذ لا يعرف الأشياء على حقائقها، وكشف دقائقها، إلا ذووها، ومعاده عليكم الرحمة والبركة وفى ٧ شوال عام ١١٥٢هـ.

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شوال أتت فرقة من آيت يوسف بقصد قتال الودايا وشبت بينهما حرب مات وجرح فيها من الفريقين عدد، ونشأت عن ذلك قلاقل وفتن، وفى آخر شوال المذكور رفض عبيد البخارى طاعة الباشا الدكالى لقبح سيرته ومقابلته إياهم بغاية الصرامة والأذى حتى بالقتل، وولى مكانه القائد بو عزة مولى الشربيل وكان ممن حنكته التجارب، ومن أهل السبقية فى الخدمة السلطانية فى العصر الإسماعيلى، عصر الجد والنجدة والحزم، فقام فى

مأموريته أحسن قيام، وأحيا سياسته وتديره ما أمكنه مما اندرس من رسوم الخلافة ونوامسها، وأمن بولاية هذا السياسي المقتدر كل من كان خائفا يترقب.

ثم اتفق الباشا المذكور ورؤساء الديوان ومن يشار إليه من الجيوش على خلع المترجم والمبايعة لصنوه أبى محمد عبد الله، وتم الوفاق على ما ذكر يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، ولما اتصل الخبر بالمترجم بارح مكناسة ناجيا بنفسه فى شيعته وأنصاره، ويوهم أنه يريد زيارة أبى محمد عبد السلام ابن مشيش، وكان الزمن زمن برد قارص وأمطار هاطلة، ولما علم العبيد بذلك اقتفوا أثره فوق بينهما قتال كانت الكرة فيه على العبيد، فولوا الأدبار منهزمين وسار المترجم إلى أن وصل طنجة، فاستقبله الباشا أحمد الريفى بالإجلال والترحيب، وبقي فى ضيافته أياما، ثم استنجد الباشا المذكور وصديقة السلوى فى نصرته وشد عضده حتى يرجع لمكناسة، وينكل بمن سعى فى خلعه من العبيد.

ولما تعذر ذلك وحالت الظروف بينه وبين ما يريد، طلب من الباشا الريفى أن يوجه لمراكش، فأسعف رغبته وزوده بجميع ما يحتاج إليه ويكفيه من مئونة ومال ودواب لحمل أثقاله وأثقال أتباعه، وشيعته رسله من قبيلة إلى أخرى، إلى أن قطع تلك الجبال الفحشية، ووصل إلى كارت ومنها إلى الصحراء، ولما لم يحصل على ضالته المنشودة انقلب راجعا إلى أن وصل للقصبة التى كان بناها بجبال مسفيوة بناء محكما بواسطة أخيه وخليفته بمراكش المولى بناصر.

ثم دخل لمراكش فوفدت عليه القبائل الحوزية بهداياها وبيعاتهم ما عدا قبيلتى أحمر وعبدة، ومن انضم إليهما فإنهم رفضوا طاعته ولم يبايعوه، فأرسل لهم سبخته وأمنهم إن هم دخلوا فيما دخل فيه غيرهم، فوجهوا له مائة فارس منهم ومعهم كسوة أبى محمد صالح فلما مثلوا بين يديه، قتلهم عن آخرهم وأعطى خيلهم لدكالة.

وفى عاشر ربيع الثانى من عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف اجتمع على جيش السلطان عبد الله الذى كان بأكدير شيعة المترجم من قبائل أحواز مراكش كالحامنة ودكالة وزمران ومسفيوة ووقع بين الفريقين حرب شديد كانت الهزيمة فيه أولا على أتباع المترجم، ثم رجعت الكرة على الجيوش التى بأكدير لاشتغالهم بالسلب والنهب ولم يأخذوا بالأحوط والحزم، فأتاهم من خلفهم خليفة المترجم صنوه المولى بناصر واستولى على جميع ذخائرهم وأمتعتهم حتى الأخبية، ثم وقعت ملحمة أخرى بين الفريقين المذكورين فى التاسع والعشرين من جمادى الأولى كانت الهزيمة فيها على المترجم وأتباعه ففر إلى القصبه التى كان بناها بمسفيوة.

وفى أوائل محرم عام خمسة وخمسين دخل المترجم مكناسة عاصمة ملك أبيه، وأتت الوفود لتهنئته وتقديم الطاعة إليه.

وفى أواخر المحرم أرسل الباشا أحمد الريفى لأهل فاس يطلب منهم تجديد البيعة للمترجم فلم يجيبوه لذلك، فاغتاظ وأضمر لهم سوءا، وخرج المستضىء لمضايقة فاس إلى أن يرضخوا لطاعته ونزل بظاهر فاس يوم الثلاثاء رابع عشرى ربيع الأول وصار يشن الغارة على البلاد.

وفى خامس عشرى الشهر وقع القتال بين العبيد أتباع المترجم ومن انضم إليهم، وبين أهل فاس وأشياعهم، وكان الحرب سجالا، ثم وافى السلطان عبد الله جيش جرار من البرابر، ولما رأى المترجم أنه لا قبل له بهم فر ليلا وحمل أمتعته وترك الأخبية مضروبة فارغة ليس بها ما يطلق عليه اسم شىء غير رجل أنهكه المرض، ولما أصبح الصباح زحفت إليهم الجنود البربرية فأخبرهم ذلك السقيم المخلف بحقيقة الواقع، وسار المترجم على بلاد شراكة والحياينة فنهبوا

الزراع والماشية، وسار على ورغة إلى أن دخل تازا ثم آب لمكناسة، ولم يدخلها لفشو الطاعون بها إذ ذاك.

وفى عشية يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح عام ستة وخمسين ومائة وألف، نزل المترجم وصهره أحمد الريفى بالعسال من مزارع فاس قرب وادى سبو، وأعجبتهم كثرة جنودهم المجندة منقسمة على قسمين قسم مع المترجم، وقسم مع الريفى، وفى يوم الخميس رابع عشرى الشهر وقعت مناوشة خفيفة بين محال المترجم ومحال أهل فاس.

وفى يوم السبت سادس عشرى الشهر وقعت معركة عظيمة مات فيها خلق، ولما كان زوال يوم الخميس الثانى والعشرين من صفر حشد الريفى ومتبوعه جنودهما وقطعوا قنطرة سبو، يريدون استئصال الجنود الفاسية، فقذف الله فى قلوب شيعة المترجم الرعب بدون قتال فولوا الأدبار، ووقع فيهم الطعن والقتل فازدحموا على القنطرة وسقط فى الوادى عدد كثير منهم، وفر المترجم لبنى حسن واحتمى بهم، وسار الريفى على بلاد صنهاجة يطوى المراحل إلى أن وصل طنجة وترك جميع ما أتى به غنيمة.

ثم رجع المترجم بنواحي مكناس يأمل النصرة.

وفى ثانى جمادى الثانية دخل المترجم ومن انضم إليه من بنى حسن والعبيد وشرذمة من البربر وذلك على حين غفلة من أهلها، ومدوا يد النهب والإفساد، وجاسوا خلال البلاد؛ فقاومهم أهل البلد وأخرجوهم ناكسين وقتلوا منهم عددا عديدا وقاموا على ساق فى تحصين البلاد.

وفى يوم الأحد التاسع عشر من رجب نزل المترجم على الرئيس عبد الحق فنيش صاحب سلا، وطلب منه النصرة فبايعه بسلا انتقاما من السلطان عبد الله كما فى تاريخ الضعيف، ثم تبع أهل سلا، فى بيعة المترجم قبائل بنى حسن وفرقة

من عبيد دكالة لا غير، وقد راود أهل الرباط على الدخول فيما دخل فيه أهل سلا، فأبوا من إجابته، فحاصروهم أربعة عشر شهرا وبالع في التضييق عليهم.

وكان ابتداء حصاره لهم في رمضان العام وألقى القبض على أبي عيسى المهدي مرينو الأندلسي الذي صار قاضي الرباط بعد أن هم بقتله، ثم سرحه وخلي سبيله لحفظه مختصر خليل.

وفي رجب الفرد عام سبعة وخمسين اتخذ السلاليم وأراد التسور بها على الثغر الرباطي ليلا من ناحية البحر، ولما أحس بذلك عالج من الحرس الذي كان بالأبراج أخرج فيمن طلع نفضا مات منه خلق وكسرت تلك السلاليم، وتسارع أهل الرباط للإلقاء القبض على من انفلت من الموت ممن هبط إلى مدينتهم.

وفي ذى القعدة من العام أوقع المولى عبد الله بنى حسن وقعة كادت أن تحص منهم كل شيء بتلماغت، ففر صاحب الترجمة لمسفيوة حيث كان اتخذ بها دارا فشرده منها صنوه أبو محمد عبد الله، فذهب إلى مراكش، فوجد صنوه الذي كان خليفة عنه بها وهو بناصر قد لبي داعى الله.

وفي ثمانية وخمسين ثار المترجم بجبال مسفيوة واجتمع عليه هنالك بعض الغوغاء أيضا وسماسرة الفتن وبابيعوه، فوجه صنوه أبو محمد عبد الله من يشرده ويبدد أحزابه وشبت بينهما حروب كان انطفأؤها بتشريد صاحب الترجمة عن جبال مسفيوة، ولجأ إلى مراكش فطرده أهلها، فسار إلى دكالة فتامسنا بنى حسن، ولما لم يرفع له رأس في جهة من الجهات المذكورة صرف وجهته لطنجة وأعمالها، واستقر به الثوى بالفحص، فأقام به أياما عسف فيها أناسا منهم القائد عبد الكريم الريفى سجنه وسلمه واستصفى أمواله، فثار عليه بسبب ذلك أهل الريف وألقوا القبض عليه، وسلبوه من كل مال ومتمول وامتحنوه وأوثقوه وموا بتوجيهه لصنوه المولى عبد الله، ثم بدا لهم فسرحوه، فعند ذلك كتب لصنوه المذكور وكان يومئذ

بفاس يعتذر له عما صدر منه ويطلب منه محلاً يستقر به فأجابه بقوله: إنك لم تأت إلى ذنبا ولم ترتكب في حقى عيبا، إنما كنت تطلب ملك أبيك كما كنت أطلب ملك أبي، والآن فإن أنت أردت الخمول مثلى فأقم بأصيلا واسكن بها، فانها أحسن من دار دبيغ التى أنا بها، وأرح نفسك كما أرحتها، وإن كنت إنما تطلب الملك فشأنك وإياه فإنى لا أنازعك فيه والسلام.

فلما وصل إليه هذا الكتاب من صنوه السلطان المذكور انتقل لأصيلا واستوطنها، واعتنى بها وأصلح منها ما يحتاج إلى الإصلاح كما أصلح دار الخضر غيلان التى بقصبتها وسكنها سنة أربع وستين ومائة وألف.

ثم اتصل به بعض الأشرار من قرناء السوء الذين يستفزهم الطمع فدلوه على التكسب بالبيع والشراء فى الزرع بجلبه من الداخلية ووسقه للبلاد الأجنبية فارتأى برأيه وتصدى لالتجار فى ذلك، حتى تضرر الناس ورفعوا شكاياتهم للسلطان، فصار يقرع سن الندم على إذنه له فى السكنى بالثغر المذكور، وأصدر أوامره إلى القائد أبى محمد عبد الله السفينانى بالزحف إلى المترجم وإرغامه على الخروج من أصيلا، وكتب لولده خليفته بمراكش أبى عبد الله محمد أن يبعث إليه من يعززه فى إجلاء المترجم عن الثغر، فبعث سيدى محمد رفيقه ابن عمه أبا العلاء إدريس ابن المنتصر فى مائة فارس وأمره بالحق بالقائد المذكور طبق إشارة والده، فسار أبو العلاء إلى أن لحق بالسفينانى ونزلا على أصيلا وأرغما صاحب الترجمة على إخلائها، ولم يقبلوا منه عذراً فى التأخير، فلم يسعه غير الخروج منها.

ثم استولى أبو العلاء على جميع أمتعته وأمواله وذخائره الحربية وغيرها، وتوجه بجميع ذلك لعمه السلطان أبى محمد عبد الله، وسار المترجم إلى أن نزل بضريح الشيخ أبى بكر بن العربى من فاس، ووجه ولده للسلطان يشكو بما فعل به خليفته ولده سيدى محمد فكان من جواب السلطان له قل لأبيك: لا سبيل لى عليه هو أعظم شوكة منى ومنك، فسر إلى بلاد أبيك وجدك وأرح نفسك من

التعب والموت قريب منى ومنك، فلما بلغه الجواب لم يسعه غير التوجه إلى صفرو، وذلك بعد أن ترك عياله بدار الشريف أبى محمد التهامى ونزل هو بدار الإمارة من صفرو.

ولما أوصل أبو العلاء للسلطان ما استولى عليه من أمتعة عمه المترجم أخذ السلطان البارود والسلاح، ووجه الباقي لربه قيل، ولما طال المشوى بصاحب الترجمة بصفرو، وبعث إلى آيت يوسى يندبهم لنصرته، والقيام بدعوته، فتخاذلوا عنه وأحالوه على آيت يدراسن وجروان وواعدوه بإسعاف رغبته إن أجابه المذكورون لمطلبه، ولما لم تنجح مساعيه بعث من أتى إليه بعياله وأثائه من فاس وذهب إلى سجلماسة فاستوطنها، وذلك فى عام ستة وستين ومائة وألف.

وكانت أيامه كلها غلاء ووباء ونحس مستمر، وما جلبناه فى هذه الترجمة هو الزبدة واللباب مما فى توارىخ أبى القاسم الزيانى وتابعيه، وتارىخ الضعيف، وتقاييد ابن إبراهيم الدكالى، مع مزيد إيضاح وتهذيب.

وزراؤه وقضاته وكتابه وعماله: فمن وزرائه العلامة أبو الحسن على بن سعيد العميرى أتى الترجمة، ومن قضاته أبو القاسم بن سعيد العميرى والشدادى، الأول على مكناس، والثانى على فاس.

ومن كتبه أبناء الوزير الیحمدى الحسن ومحمد.

ومن عماله الباشا محمد الدكالى، والباشا عبد المالك، والباشا سالم الدكالى.

بناءه: منها داره التى لا زالت إلى الآن بمسفیوة أحواز مراکش مع قصبتها.

بعض ما قيل فيه من المدح: من ذلك قول بعض أدباء العصر ولفظه:

ظفرت فصل ونل قدرا رفيعا أتاك الملك مستمعا مطيعا

وقد حقت لك العلياء فردا
مولاي المستضى قطب المعالي
نصحت فكنت ذا حزم وعزم
إذا دعى الملوك لأى أمر
أطاع بهيبة المنصور رغما
لك الأمر المطاع فدم هنيا
وحق لمن وليت من البرايا
وينعش آمنا بل مطمئنا
لأنك للرعية خير واق
حميت بسيفك المسلول منهم
وكم أوليت ذا بؤس نعيما
تصول إذا الوغى شبت لظاها
كأنك فيهم ليث عبوس
وأعجب ما رآه الناس طرا
سحائب فى يمينك أم بحار
أقر بها الانام فكل من قد
وصار لك المدا حقا ينادى:

فطب نفسا بما تهوى جميعا
لنا بنت العلا حصنا منيعا
فمن قدام بابك لن يضيعا
وكل الكل عنه وقد أضيعا
وإن لم يجتهد فيه سريعا
ودان لك الورى ريعا فريعا
وقد خاف الحوادث أن يريعا
قريير العين لا يخشى مريعا
تدافع عنهم الأمر الفظيعة
جنابا كاد قبلك أن يضيعا
وذا بأس تغادره صريعا
على الأبطال منشرحا وليعا
يطارد من ظبا داي قطيعة
مواهبك التى جلت صنيعة
تناولت المشايخ والرضيعة
رأك غدا سمائمه ربيعا
ظفرت فصل ونل قدرا رفيعا

وفاته: توفى بسجلماصة بلده سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، رحمه الله
وغفر لنا وله آمين .

٣٦٧ - مَسَلَمَة ويقال له بسلامة وسلامة ابن السلطان الأفخم أبى عبد الله محمد بن السلطان أبى محمد عبد الله ابن السلطان الأفخر أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى أبى النصر إسماعيل الجد الأعلى.

حاله : كان جوادا كريما لا يكبر فى عينه شىء من متاع الدنيا وزينتها، آية فى السخاء وعلو الهمة، بطلا شجاعا، كريم الأخلاق والسجايا، أمه شهرزاد العلجة، استخلفه شقيقه المولى اليزيد المترجم فيما يأتى لنا بحول الله ببلاد الهبط والجبل، وأسند إليه تدبير أمور ثغور تلك الجهة، وفوض إليه فى النظر فى مصالحها فأحبه أهلها لسلوكه فيهم مسلكا حسنا، ولذلك لما اتصل به نعى أخيه اليزيد المذكور ودعا لنفسه بايعه أهل تلك البلاد ولم يتخلف أحد منهم عن بيعته، واتفقت كلمتهم عليه، وذلك عشية يوم الجمعة ثانى رجب عام ستة ومائتين وألف.

وكان حامل راية بيعته أبو الحسن على بن أحمد بن الطيب الشريف الوزانى، وتشيع له جروان ودخيسة وأولاد نصير وآية يمور - وكانت منازلهم بسلفات - وبنو مستارة، وأهل جبل زرهون، وزمور، وزعير.

ولما تمت له البيعة وجه ولده الرشيد وجعفرًا لتطاوين بقصد إلقاء القبض على عشعاش وذلك يوم السبت الموالى ليوم بيعته، ولما وصلا إليه أنزلهما وبالح فى إكرامهما ونجا بنفسه ليلا إلى جبل العلم واستجار بضريح أبى محمد عبد السلام بن مشيش، فرجع الولدان المذكوران لأبيهما وقصا عليه القصص، وفى يوم الاثنين خامس الشهر ورد عليه قاضى تطاوين أبو محمد عبد السلام بن قريش وفى معيته الشرفاء والفقهاء والأعيان فاهتبل بوفادتهم، وأكرم نزلهم ووصلهم بصلات ضافية، وفى اليوم نفسه وردت عليه بيعة شفشاون مع قاضيها عبد الكريم الوردى وأعيانها، ووفدت إليه القبائل الجبلية وأهل طنجة والعرائش والقصر

٣٦٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٥٤٣/٧.

الكبير ووزان، ووجه له البيعة أبو الحسن على الوزاني المذكور، وأهدى له فرسا من عتاق الخيل وندبه للإسراع إلى العاصمة المكناسية.

ثم وجه المترجم من يقطع رأس محمد وعزيز، وسعيد بن العياشي، وغيرهما من قواد العبيد فلما سمع بذلك وعزيز المذكور وجه للشيخ التاودي ابن سودة بفاس يطلب منه أن لا يبايع أحداً من أولاد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فأجابه الفقيه المذكور لتأخير ذلك إلى أن تجتمع كلمة المسلمين، ويتفق أهل الحل والربط على إحضار أبناء السلطان المذكور، وينظرون لأنفسهم من يبايعونه منهم بالتسليم أو القرعة، وإلا فالأحق بها هو مولانا هشام الذي حارب عليها وقتل أخاه، وهو أيضا بالأرض التي مات فيها السلطان، ثم بعد هذا بدا لوعزيز المطيري المذكور أن يبايع أبا الربيع سليمان وزيف قول الفقيه المذكور وذلك بعد موافقة رؤساء العبيد معه على البيعة للمذكور.

أما المترجم فإنه أقام بتازروت، وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من رجب ورد عليه أبو محمد التهامي بن الحسنى بالفرس الذي أهده أبو الحسن على بن أحمد وتولى أبو محمد التهامي المذكور كلمة المترجم وصارت كالوزير له.

وفي يوم الأحد حادى عشر الشهر نهض المترجم من تازروت بخيل أهل الريف وسفيان وبني مالك والخلط وطلیق وغيرهم، وفرق فى الأشراف وغيرهم نقودا ذهبية وخيم ببني عروس، ومن الغد ارتحل بعد أن التقى بالمرابط السيد هدى وسار إلى أن نزل بزيتونة بنى كرفط، ومن الغد ظعن لوادى المخازن ودخل القصر يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر وأقام فيه فريضة الجمعة، وبات يوم السبت بصرصر، ونزل يوم الأحد بآزجن، وفي يوم الاثنين دخل وزان وخيم بالظهر الطويل، وأعطى الشرفاء ألف دينار ذهباً وكساهم بالملف والحريز والكتان.

وفي يوم الجمعة تمم الشهر جددت له البيعة بوزان على يد أبى الحسن على ابن ريسون وخطب به الفقيه أبو عبد الله محمد الرهونى فأعطاه نحو خمسين دينار، وأظهر الشعار الملكى هنالك ولعب البارود طلقا على الخيل، وقبل هذا

اليوم وردت عليه بيعة كلعية، ووفد عليه البعض من برابر زمور وآيت يَمور وعرب بنى حسن، وتجرد أبو الحسن بن أحمد لندب القبائل للعض بالنواجذ على بيعة المترجم وحثهم على ذلك وكتب بذلك للشاوية، وسَلَا، والرباط.

وأما محمد وعزيز فإنه صار يندب الناس لبيعة أبي الربيع، وكتب للرباط وسَلَا أيضا والقبائل البربرية وأهل مكناس والعييد وفاس وتازا وغير ذلك، فأجابوه لبيعة أبي الربيع وبايعوه، فصارت الدولة دولات والملوك وكذلك: مولاي هشام أمير مراكش، وأبو الربيع أمير فاس، والمترجم أمير وزان والجبال الهبطية وما والى ذلك.

وفى يوم السبت فاتح شعبان قدم بنو مستارة لصاحب الترجمة فرسا برسم الهدية وكذلك قبيلة دخيسة وأولاد نصير وآيت يَمور وجروان، وفيه أيضا وجه القائد عمر الرحيوى البخارى للإتيان بعيال أخيه اليزيد من تطاوين وكذلك من بقى بها من نساء أبيه.

وفى يوم الاثنين ثالث شعبان وردت عليه خيل جروان وآيت يَمور وأثنى عليهم بالشجاعة والثبات، وأمرهم بالتعرض لمحلة العبيد التى بقيت بعد وفاة أخيه اليزيد بمراكش، حيث بلغه أنها من أهل طاعته فليتركوها وليعززوها إلى أن تأتى إليه، فإن رأوا أنها تريد اللحق بأخيه أبى الربيع فلينهبوها، فإنها حاملة للانفاض والسلاح والمزارق وغير ذلك مما خلفه اليزيد، ومعها نحو الثمانين بغلة وعدد رجالها ما بين فرسان ورماة نحو الألفين، ووصلهم بنقود ذهبية والتزم لهم بأداء دية من هلك منهم، وغرم ما عسى أن يموت أو يتلف لهم من أفراسهم فأجابوه بالسمع والطاعة، وتوجهوا لما أمروا به يوم الثلاثاء رابع شعبان فوجدوا المحلة التى توجهوا من أجلها دخلت مكناسة يوم الاثنين ثالث الشهر.

وفى يوم السبت الثامن منه بلغ الرحيوى المذكور أنفا جبل الحبيب راجعا من

تطاوين بمن ذكر من النساء اللاتي توجه لأجل الإتيان بهن للمترجم، فتعرض له عشعاش الذي كان صاحب الترجمة همَّ بالإيقاع به أول ما بويغ له ونزع منه ما أتى به من مال ومتمول وسلاح وبارود وثياب، وأعاناه على ذلك الشرفاء أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش، وذلك يوم السبت الثامن من شعبان المذكور، وفيه وردت عليه ثلاثمائة فارس من زمر السِّلح مبايعين.

وفى اليوم نفسه اجتمع أهل العدوتين سَلَاً، والرباط بالزاوية التهامية بقصد المفاوضة فيمن يبايعونه من المنتصين للملك، إذ المترجم كان قائماً بوزان وما والاها مما ذكر، وأبو الربيع سليمان بفاس ومن انضم إليهما، وهشام براكش ونواحيه، فوقع النزاع بين أهل العدوتين عبد الله براكش مال لبيعة هشام محتجاً بأن أبناءهم تحت يده، وأنه قاتل على الملك حتى ظفر به، وأن كتابه بطلب مبايعتهم له سبق غيره فى الوصول إليهم، وبأنهم إن بايعوا سليمان أو مسلمة يقتل هشام أولادهم، وكانوا ثلاثين ما بين أهل الرباط وسَلَاً، فنازعه الحاج العباس مرينو وأبى إلا المبايعه لصاحب الترجمة، واحتج بكتاب أبى الحسن على بن أحمد الوزانى، فنازعه أولاد الرايس بكتاب من أبى عبد الله محمد بن عبد القادر يقول فيه: نحن أهل وزان ما بايعنا أحدا من سليمان ولا سلامة، وقال فقهاء أهل سَلَاً لبركاش: بايع من شئت، وحسبنا الإشهاد عليك، فأجابهم بقوله: لا تشهدوا على ولا أشهد عليكم، وأنتم فقهاء تحللون وتحرمون، فإن بايعتهم سلامة مكنونى من خط يدكم فإن ورد هشام فمكنه منه ودونكم وإياه، أو قدم سليمان فكذلك، وكان فقهاء العدوتين يريدون سلامة إلا محمد الغربى الرباطى، فإنه كان يعزز براكش فى رأيه، ثم اتفق رأى العلماء بعد أخذ ورد على البيعة لأول قادم عليهم من المذكورين، ثم وقعت إثر ذلك حيل وخدع لا حاجة بنا لذكرها وقد بسطها الضعيف فى تاريخه.

وفى يوم الأربعاء الثانى عشر من شعبان وجه المترجم ولده جعفرًا مع بنى مالك وسفيان وبعض بنى حسن والبعض من زمور الشلح وآيت يمور ووصلهم بنصف دينار لكل نفر، وكانوا نحو الألفين وأمرهم بالتعرض لبوعزة القسطالى وقطع رأسه، ولما وصلوا وادى بهت وجدوه دخل مكناسة.

وفى اليوم نفسه وجه أبو الربيع سليمان أخاه الطيب فى جيش لمطاردة الرشيد ابن المترجم، إذ كان يومئذ مخيما بزrehون مع آيت يموريشن للغارات على الزراهنة الذين هم فى طاعته، وكان المترجم بعث للعبيد الذين خلفهم اليزيد محاصرين لسبته، وكان عددهم نحو الخمسمائة، ولما وافوه لوزان وجههم ردءًا لولده الرشيد المذكور، وفوض الأمر لرئيسهم ابن على، وأعطاه بطائق مختومة بخاتمه يكتب فيها للقبائل بما يراه مصلحة وفى اليوم نفسه وجه المترجم ولده جعفرًا لإغاثة صنوه الرشيد بزrehون مع آيت يمور وزمور الشلح وبنى مالك وسفيان وبنى حسن وغيرهم، فأوقعوا بمحال المترجم شر وقعة ونسفوا أموالهم وبددوا جموعهم، وفروا إلى الريف ولحق المترجم بابنيه المذكورين وابن أخيه الحسن.

ثم بعد ذلك نهض إليهم أبو الربيع فى جنود جرارة لا قبل لهم بها، ولما التقى الجمعان على ضفة وادى سبو بالمحل المعروف بالحجر الواقف وقعت الهزيمة على المترجم وأنصاره فى أول غارة، فولوا الأدبار وتركوا جميع مقوماتهم غنيمة باردة لأبى الربيع، وبإثر ذلك وافى نساء آيت يمور وصبيانهم على الحضرة السلیمانية متشفعين تائبين، وفى العفو عنهم راغبين، فعفا عفو قادر، ثم بعد هذا عسكر المترجم وسط بلاد الحياينة فتوجه إليه أبو الربيع وفلَّ جموعه ورجع الحياينة فى قيود الهوان والصغار يطلبون العفو والأمان، فأمنهم قال فى الجيش: ولم يبق مع المترجم إلا خاصته وولده وابن أخيه الحسن بن يزيد.

وفى يوم الجمعة الرابع عشر فرق على عرب الصباح صندوقين من جعاب
المكاحل الرومية وكساهم وولى عليهم أحد أتباعه يسمى العياشى، وفى اليوم نفسه
وقع هرج ومرج برباط الفتح حيث إن بركاش المذكور رام أن يخطب بهشام والحاج
العباس أراد الخطبة بالمرجم، وآخر الأمر لم ينفذ مراد واحد منهما، وصلى الناس
الجمعة ظهراً، وكثرت الأهوال، وفسدت الأحوال، واضطربت الأمور، وتخرجت
الصدور، وأصبحت الدوائر على المترجم تدور؛ وفى وقت فى عضده فخلع نفسه وقد
كان فرق فى الأشراف وغيرهم نحو السبعين قنطاراً.

وفى ليلة السبت الثامن والعشرين من شعبان عام ستة ومائتين وألف، خرج
وزان ناجياً بنفسه، حيث رأى أن شوكة أخيه سليمان قد بلغت الغاية فى الشدة،
وكانت دولته بوزان نحو شهرين، ونفوذه سائر فى القبائل الجبلية وأهل الفحص
وما والى ذلك من الثغور.

ثم لم تزل أيدى التغريب والنوى تلعب به إلى أن رحل إلى الحج ودخل
مصر وأقام بها مدة، ثم توجه إلى مكة فنزل على سلطانها صهره على أخته، ثم
عاد إلى مصر، ومنها توجه إلى تونس فعظم أميرها حمودة باشا شأنه وأكرم مثواه
ونزله ورتب له جراية كجراية ولى عهده، وبقي بتونس معظماً مكرماً، وتزوج
عقيلة من بيت الشيخ القصرى أولدها ذكراً توفى صغيراً.

قال فى تعطير النواحي: زار المترجم إمام عصره الشيخ أبو إسحاق الرياحى،
ولما أراد الخروج قال له: لا أسرحك فى حر الشمس، وألزمه أن يتغدى معه، ولما
أراد الشيخ الرجوع عشية أنشد للمترجم.

ولما نزلنا فى ظلال بيوتكم أُمنا ولننا الخصب فى زمن المحل
ولو لم يزد إحسانكم وجميلكم على البر من أهلى حسبتكم أهلى

فقال له المترجم: إنك إن أتيت أخى مدحته وأجازك وهو سلطان، وأنا غريب وكان بإصبعه خاتم ثمين فنزعه من خنصره وناوله الشيخ فأخذه الشيخ وضمه إلى صدره وأنشد:

نظرت لخاتم قد جل قدرا تحف به الخلافة والكرامة
فقلت له شرفت وأى فضل حويت بلبس مولانا سلامة

وقال له: إن خاتمك شريف، والشريف لا يستعمل، وقد أجازنى أخوك فى الدنيا وجائزتى منك فى الآخرة، ووضعه بين يديه فامتنع مولانا سلامة من قبوله، فقال له الشيخ: لا تحرمنى من جائزة الآخرة، فهى خير وأبقى والأعمال بالنيات فتركه الشيخ بين يديه، وخرج. رحم الله تعالى الجميع.

ثم بعد هذا عاد إلى المشرق ولم يزل يتردد به إلى أن وافته منيته.

هذا ملخص ما للزيانى، والضعيف، والجيش مع ترتيب، وتحرير وتهذيب، يظهر للقارئ المنصف بمراجعة الأصول.

وكان ختم أنفاسه بتونس بعد أن اعتراه شبه اختلال، وأقبر بزاوية أبى الحسن على عزوز قرب سوق البلاط، على ما أخبرنى به صاحب التعطير صديقى الحميم الشيخ عمر الرياحى التونسى حفيد الشيخ أبى إسحاق إبراهيم المذكور آنفا.

وقال أبو العباس أحمد وابن أبى الضياف التونسى فى تاريخه: إن مولاي مسلمة خرج من المغرب إثر خلعه وجاب الآفاق وأقام مدة بالديار المصرية، واجتمع فيها بنابليون الأول ووقعت بينهما المهادات، وكان هذا الشريف منصفاً يذكر ما شاهد من حزم نابليون وشجاعته وثقوب فكره وإخباره بما آل إليه حال المسلمين وأسبابه من الانغماس فى النعيم والتفنن فى الحضارة واستعمال السرف؛ فى مذاهب الترف، حتى إن أثقال أمراء الجيوش توازى أثقال الجيش أو معظمه،

والحال أن بيت هذا الأمير تحتوى على فراش منامه وموضع جلوسه وأمامه مائدة عليها دواة وقراطيس وأرائك لجلوس من يأتيه لا غير .

قال : واتفق أن يوم قدوم هذا الشريف الشيخ على الباهى بحلق الوادى فقال للكاهية : عجل بإرسال الشوانى لنزول الشريف فورا ، فقال له نتوقف فى ذلك على إذن خاص من الباي ، فقال له : أنا رسوله إليك فى هذا الشأن وأتى الشيخ الباهى إلى الباي بباردو - وكان مقربا عنده - فقال له : إني افتت عليك فى أمر يزيدك فخراً ، وقص عليه الخبر ، فقال له : اشكر الله حيث لم يكن الأمر بالعكس ، فشكر صنعه وعظم مقدم الشريف وأكرم نزله ورتب له جراية كجراية أخيه ، وعين له منزلا ، وبقي بتونس معظما مكرما مرموقا بما يجب لمقامه الدينى والدنيوى ، وتزوج عقيلة من بيت الشيخ القصرى أولدها ولدا وتوفى صغيرا .

قال : وله فى الإيثار والسماحة أخبار ، ثم اعتراه فى آخر عمره جذب احتقر به مقام السلطان والدنيا القليل متاعها الفانى ، فكان يأخذ من الأغنياء ويناول الفقراء ، إلى أن لى ربه للدار الآخرة ، بهذه الحالة الفاخرة .

وفاته : قال ابن أبى الضياف : إنه توفى فى منتصف جمادى الثانية من عام خمسين ومائتين وألف ، ودفن بزاوية سيدى على عزوز ، بالحاضرة بموكب شهده الديوان والأعيان كجناز ملوك الحاضر رحمه الله .

٣٦٨ - مسعود الموقت ابن العلامة المشارك أبى محمد عبد القادر الطليطى الأندلسى .

الفاسى داراً نزيل مكناس وموقت جامع قصبتها السلطانية .

حاله : خير دين فاضل ، نزيه وجيه له الباع الطويل العريض فى التوقيت ،

٣٦٨ - من مصادر ترجمته : نشر المثنى فى الموسوعة ١٨٢٧/٥ .

تولى رئاسة التوقيت بمنار القرويين، وبقي بها سنين عديدة، ثم نقله السلطان إلى مكناسة الزيتون، وولاه رئاسة توقيت جامع قصبته.

مشيخته: أخذ عن مشايخ فاس، وحصل التوقيت على الحافظ أبى زيد الفاسى.

وفاته: توفى بفاس سنة أربع ومائة وألف.

٣٦٩ - مسعود بن جلون.

القاطن بمكناسة الزيتون، ترجمه الزبى فى سلوك الطريق الوارية.

حاله: قال فى سلوك الطريق فى حقه: المرباط الأرضى، الخير الناسك الحامل، المتجرد المحب، إلى أن قال: كان رحمه الله سنيا، ذاكرا محبا صادقا، ذا أخلاق كريمة، وتواضع لله وللعباد، وخشوع وخضوع، ممن تعتريه الأحوال، وتظهر عليه ذو وجد وغيبة، يخبر عن أشياء فى حال سكره، وينكر فى حال صحوه، وكان متقشفا متجردا عن الدنيا وأهلها، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، زوّاراً للصالحين الأحياء منهم والأموات، وله خبرة بمقابرهم، حتى كان رحمه الله ما دخلت مكناسة قط فى حياته وسلمت عليه إلا وقبضنى من ىدى فى الحين، ويمر بى ويطوف بى على جميع من بمكناسة داخلها وخارجها من الأموات والأحياء، ولا يفارقنى مدة مقامى هناك ليلا ولا نهارا، وإذا ورد علينا لفاس لا يلتفت حتى يصل إلى دارنا وينادى علىّ، فإن وجدنى وإلا فيقول لأهل الدار: إذا جاء قولوا له: إن مسعودا جاء ساعيا بأبوابكم، وكان يعتمد الشيخين مولاى التهامى، وأخاه مولاى الطيب الشريفين اليملاحيين الوزانيين رحمهما الله ورضى عنهما.

مشيخته: أخذ عن مولاى التهامى، وأخيه مولاى الطيب المذكورين.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون عام تسعة وستين ومائة وألف، كذا في سلوك الطريق الوارية.

٣٧٠ - مسعود البريشي.

حاله: كان متوليا خطة النيابة عن القاضى بالحضرة المكناسية، وقفت على رسم مؤدى عليه بتاريخ خامس عشرى حجة عام عشرين ومائتين وألف، محلى فيه بنائب قاضى الجماعة بالحضرتين فاس ومكناسة.

٣٧١ - المهدي الزريهني بالتصغير.

جد بنى الزرهونى بفاس وهم بربر من جبل زرهون.

حاله: شيخ فقيه صالح، خير متمسك بالدين، وأولاده فقهاء صلحاء، ذكره بعضهم فى تأليف له فى بيوتات فاس فى القديم، وكذا الشيخ أبو زيد الفاسى فى تأليف له فى ذلك، وهو أول قادم على فاس من زرهون، وانظر هل هو القاضى الزريهني الذى كان بفاس وكان صلبا فى الحق معاصرا لأبى الفضل راشد الوليدى، وأبى الحسن الصغير والله أعلم، ولم أحفظ تاريخ وفاته، بيد أنه مات بفاس.

٣٧٢ - المهدي بن عبد المالك بن إدريس بن عبد المالك بن المنتصر بن

السلطان الأعظم سيدنا الجد مولانا إسماعيل.

حاله: فقيه علامة مشارك، مطلع سياسى ناقد خبير حنكته التجارب، عارف بالأمور بصير بالعواقب، مهذب الأخلاق لين العريكة، محاضر فاضل، نبيل ذكى زكى، كريم النفس، عالى الهمة، وقور هيب، اجتمع فيه من العلم والفضل والدين والشعور ومكارم الأخلاق وحسن العشرة ما افترق فى غيره من أبناء

٣٧٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٢٦٢١/٧.

عصره، صاهره سيدنا الجد أبو زيد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام بابنته الدرة المصونة السيدة زينب، وكان له لديه جاه ووجاهة، ثم جاء من بعده ولده السلطان سيدى محمد فزاده حظوة على حظوة، واصطفاه لمجالسته ومشاورته والمفاوضة معه فى المهمات، وكان لديه مستودع سره يتيامن بأرائه لما يعلمه من فضله ودينه وأمانته، ولم يزل محبوبا مبجلا منظورا إليه بعين الإكبار والرعاية إلى أن لى الداعى، وانتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

مشيخته: أخذ عن فطاحل علماء وقته، ولازم العارف بالله مولاي عبد القادر العلمى، وانتفع بأسراره ومعارفه، وظهرت عليه بركته ولا كظهور شمس الظهيرة.

وفاته: توفى ببلده محروسة مكناسة الزيتون عام ثمانية وسبعين بموحدة بعد السين ومائتين وألف، ودفن بضريح أبى العباس أحمد الشبلى الولى الشهير قرب دار سكناه.

٣٧٣ - المهدي الكحاك.

من أولاد الكحاك من أهل فاس الإدريسية المستقرين بمكناسة الزيتون.

حاله: رأس المترسلين، وصدر الكتاب المعبرين، قال أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري فى الأزهار النادية لدى تعرضه لذكر المترجم ما لفظه: خدم السلطان مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل إلى أن سار إلى سوس، ثم خدم بعده أخاه السلطان مولاي المستضىء بالله ابن مولانا إسماعيل، ثم اتصل بخليفة العصر أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله الحسنى، فكان صدرهم، يحسن الإنشاء فى الترسيل ويجتنب الفضول والتوغل فى التصريف، ولا يتكلم إلا فيما يؤمر به مشغول بما يعنيه، يطلب من الرزق ما يكفيه، ولا يطمع فى أحد

سوى السلطان، عالى الهمة متعفف، ثقة كتاب العصر، يحب الخمول، هذا دأبه، إلى أن توفى بمكناسة الزيتون.

وفاته: توفى عام ثمانين ومائة وألف.

٣٧٤ - المهدي بن العلامة الخير الدين أبى محمد الطيب بن الصغير بصرى.

المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه علامة عامل مشارك، محرر تحرير، متبحر نقاد متفنن، نبيل جليل، مدرس نفاع.

مشيخته: منهم السيد محمد فتحا بن محمد بصرى صاحب الثبت المذكور فيما مر وغيره، أخذ عنه الألفية وبعض مختصر خليل، وبعض الأجرومية، وصغرى السنوسى.

وفاته: توفى يوم الاثنين موفى عشرين من جمادى الأخيرة عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف.

٣٧٥ - المهدي قاضيها شيخ شيوخنا أبو عيسى ابن الطالب بن محمد فتحا

ابن محمد الرضا بن أحمد بن محمد فتحا بن محمد بن عبد الرحمن

ابن حمدون بن عبد الله بن القاضى على بن أبى القاسم بن القاسم.

أول قادم لفاس من غرناطة على عهد أبى عنان.

حاله: شيخ الإسلام، وحجة الأنام، بحر علم زاهر لا تكدره الدلاء، ولا يدرى له أول ولا آخر بين السراة الألباء؛ إمام الفقه والحديث والسير والأصول والفروع، متفرد فى المعقول والمنقول، ذو عارضة طويلة عريضة، وأبحاث دقيقة،

٣٧٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤١٥.

٣٧٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٦٥٧.

ومشاركة كاملة فى سائر الفنون، ضابط متقن، راوية ذرب اللسان، ثبت الجنان، سياسى ماهر، مطلع خبير بصير بالعواقب، حامل لواء التحقيق فى زمانه، مشار إليه بالبنان بين أقرانه، درس العلم بأقطار المشرقين والمغربين فأجاد وأفاد، وخلد الشاء عليه فى الأغوار والأنجاد، وكان شيخ مجلس السلطان العادل سيدنا الجد مولاي عبد الرحمن بن هشام، ثم السلطان سيدى محمد، ثم السلطان مولاي الحسن فى صحيح البخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان.

رحل إلى الحج ثامن ربيع النبوى عام تسعة بتقديم المثناة وستين ومائتين وألف فحج وزار، ولقى هنالك جماعة من الفضلاء والأخيار، ودرس بمصر والحرمين، وأقر له بالفضل والتقديم دون مين، ووقع له هنالك ظهور كبير، أخبر به الجم الغفير، وقد مدحه غير واحد من أعلام تلك الأصقاع، فمن ذلك ما مدحه به الشيخ إبراهيم بن سراج الدين الإسكندراني وذلك فى ٢٥ ربيع الثانى عام ١٢٧٠ من جملة قصيدة طويلة:

فسبحان من أمضى على الجور حكمها وجدد بالمهدى ما كان أخلقه
همام له فى صولة البحث مدرك به أنطق الدين الحقيق ومنطقه
وما مدحه به الشيخ حسن بن الحاج على اللقانى فى جمادى الأولى عامه.

أفاتكة الأحاظ مائسة القد أضلتك عن نهج الهداية والرشد
إلى أن قال:

أم الدين والدنيا أشارا وأشرقا فهل هذا روح الله أم قدم المهدي
همام له فى الفضل والعلم والعلا خصائص قد جلّت عن الحصر والعد
هو البحر بحر العلم والحلم والتقى وكشاف ما تخفى العبارة عن قصد

وهى طويلة طنانة مثبتة بخطه فى كناشته كسابقتها ولاحتتها.

وما قاله فى حقه الشيخ محمد محمود أفندى الإسكندرانى من قصيدة رائقة

طويلة :

إن يكن فى الهوى صدودك حظى لا تدع للوشاة منك نصيبا
خل قوما هم الغواة فإنى قد رأيت المهدي فينا قريبا
قام فينا للدين ركنا حصينا وتخلى للعلم صدرا رحيبا
قرشى عنه سمعنا حديثا فرأينا من الحديث عجيبا

ثم رحل ثانية إلى الحج فى معية أنجال السلطان المقدس مولاي عبد الرحمن، وهم: موالينا على، وإبراهيم، وجعفر، وعبد الله، وابن عمهم أبو بكر ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله فبارحوا مكناسا يوم الاثنين خامس رمضان من عام ١٢٧٤، ودخلوا مصر فى ١٢ شوال، وخرجوا منها فى تاسع ذى القعدة، فدخلوا مكة يوم الجمعة ١٧ قعدة، ودرس بها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [٢٣] الآية ووقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [٢٣] [سورة الحج ٢٣-٣٨] ومن ليلة الأحد سابع ذى الحجة توفى نجل السلطان مولانا إبراهيم ودفن بالمعلى، بجوار مولاتنا خديجة، ثم رحلوا من مكة ودخلوا المدينة سادس المحرم فاتح عام ١٢٧٥، ثم أعادوا الرجوع، فبلغوا إلى الحضرة الملوكية بمكناس فى أواخر صفر، وما جاء فى الاستقصا من أنهم لحقوا بالأمر بمراكش سبق قلم، والحق ما نقلناه من خط المترجم مخبرا عن نفسه.

وقد عد فى كناشته حسبما وقفت عليه بخطه عدد المراحل التى قطعوها وبعض الوقائع التى لاقوها فى طريقهم، وسمى شيوخ الأزهر الذين فرقت عليهم صلة السلطان على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم بعد أن عين للطبقة الأولى ثمانية

وأربعين ريالاً، وللثانية خمسة وأربعين، وللثالثة اثنين وأربعين وها نص أسمائهم طبق ترتيبهم:

الطبقة الكبرى من المالكية خمسة وعشرون نفراً، وهم: الشيخ محمد عlish، الشيخ محمد المصورى، الشيخ محمد كموة، الشيخ أحمد منة الله، الشيخ عمر فتح الله، الشيخ بوشتى التتائى، الشيخ عيسى الغزولى، الشيخ عمر البرطوسى، الشيخ حسن العدوى، الشيخ عبد الغنى المكواتى، الشيخ منصور كساب، الشيخ أحمد الإسماعيلى؛ الشيخ على الطهولى، الشيخ عيسى مرزوق، الشيخ ظفر الدسوقى، الشيخ محمد الحداد، الشيخ محمود بن الشيخ عlish، الشيخ محمد رابح التونسى، الشيخ عبد الله عlish؛ عبد المنعم الجرطاوى، الشيخ محمد قطة، مصحح الطبع الشيخ محمود الفيومى مكرم، الشيخ عبد الله الدسوقى.

الطبقة الثانية من المالكية عددهم ٢٢: محمد الصاوى، محمد البساطى، محمد السنهورى، محمدى أبوهر، إبراهيم دقيس، منصور المناوى، محمد بن شهاب، إبراهيم النائى، عبد الرحمن عlish، محمد الشماخ، محمد النظراوى، محمد الحفناوى، محمد هلال، أبو الحاج على، سليمان الصفن، عيسى البولاقي، عبد القارى المازنى، محمد الكوفى، إبراهيم الدسوقى، أحمد السمخراطى، محمد الناصرى، محمد العدوى.

الطبقة الثالثة من المالكية عددهم ٣٥: محمد الجزيرى، محمد الشعبوتى، محمد نقموس، محمد العبادى، حسن داود، أحمد الشريف، عبد الفتاح المطيع، سليمان الخونكى، على شعبان، سليمان البولاقي، إسماعيل الخامرى، مضر ناظر المساكين بمسجد أبى العباس بن طولون، عبد الله الطحاوى، محمد اللقانى، أحمد العطار، عبد الله المكارى، معتوق الفيومى، على الفيومى، محمد الكاوى الموقت، محمد الأنجباوى، عبد الرحمن الفيومى، أحمد كبره، إبراهيم التونسى، محمد الفاسى، محمد الأيوبى، يوسف الطحاوى، محفوظ العدوى، أحمد

المسلاتي، عبد اللطيف الطهولي، الشيخ عرفة، رزق مجلس، علي المصرعاوي، عبد القادر المتيحي.

الطبقة الأولى من الشافعية: الشيخ إبراهيم الباجوري، الشيخ إبراهيم السقاظي المسلط، ظفر الذهبي، عبدة اللقاني، محمد الابراستي، أحمد أبو مصلح، محمد الخناني، خليفة القشني، عبد الله النبراوي، السيد أبو عماشة، محمد الطوخي، يونس البوهي.

الطبقة الثانية منهم: عيسى البلتاني، علي المخلاسي، إبراهيم الزور، محمد الأشموني، محمد العشماوي، محمد الدفلاوي، محمد الخطمي، نور الدين مسرا بيردي، عبد الرحمن القيانى النجريدی، إسماعيل الكلاوي، محمد القلماوي، حسن المرصفي، محمد السبكي الطحاوي، عبد القادر القبلشلي.

الطبقة الثالثة منهم: أحمد راضي، سيد الشرشمي، محمد عميرة، حسن شخيخة، مصطفى عز، عبد الحى عبد اللطيف الشامي، محمود الغري، فتوح الشجري، أحمد الغربي الشرقاوي، محمد الأنباني، محمد مليحة، أحمد الحماقي، فيروش الدمهوري، علي المناوي إمام الحسين، محمد البلقامي، ظفر الأشراقي، عبد الله الكفراوي، أحمد الأجهوري، أحمد المرصفي، عبد النبي البرديني، علي الأسيوطي، صالح اليحياوي، إبراهيم الشنجليقي، إبراهيم الشافعي، سليمان الخواجة، محمد التتيني خضر.

الطبقة الأولى من الحنفية: محمد العباس، المهدي الدافعي الطرابلسي، محمد القطب، ظفر القورسني، إسماعيل الحلبي، عبد الرحمن البحراوي، علي البلقى، عبد الحميد شيخ الأتراك.

الطبقة الثانية منهم: أحمد أبو العز، سليمان الخلفاوي، عبد المطلب إبراهيم الربعي، حسن الحليلي، وهبة الأسيوطي.

الثالثة منهم: عبد العظيم الطحلاوي، عبد القادر الرافعي، إبراهيم القطب، عبد الوهاب السليمانى، يوسف أفندى العاجز، أبو العلاء الحلفوى.

من الحنابلة الطبقة الأولى منهم: عبد الرحمن الحنبلي انتهى لفظه.

وفى أوائل صفر عام اثنين وسبعين ولى قضاء بلدنا مكناسة الزيتون، وبقي واليا بها إلى أن نقله الله، ومع ما كان عليه المترجم من الخطوة والجاه، فقد كان كثير التنصل من توليته خطة القضاء، فقد وقفت على عدة مكاتيب بعث بها إلى جلالة السلطان يطلب الإعفاء من الخطة ويعتذر بشدة رغبته فى التأليف والتدريس مع كبر السن، فلم يجب إلى رغبته لما عرف به من العدل والاستقامة والصرامة فى الحق.

فمن ذلك مكتوب بعث به إلى الوزير الطيب بو عشرين بتاريخ ٢٩ شوال عام ستة وسبعين ألح فيه كثيرا وأكثر من الاستعطاف، ومكتوب آخر بعث به إلى المذكور أيضا لم يدع بابا من أبواب الالتجاء إلى الأعتاب الشريفة إلا وكّجه، ومع ذلك قدمت الجلالة الشريفة حقوق الأمة على حقوقه رحمه الله رحمة واسعة.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدى عبد السلام الأزمى المتوفى يوم الأحد عاشر شعبان عام واحد وأربعين ومائتين وألف وهو عمدته فى المعقول، وعن السيد عبد القادر الكوهن المتوفى بطيبة الطيبة عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف وهو عمدته فى الفقه، وعن سيدى محمد الحراق وهو عمدته فى التفسير والحديث، وأجازه الثلاثة عامة، وعن سيدى على بن إدريس قصارة أخذ عنه النحو والحساب والعروض، وعن سيدى بدر الدين الحمومى، وشيخ الجماعة السيد محمد بن عبد الرحمن الفيلاى وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه بمصر الشيخ عlish، والشيخ عبد الهادى نجا الأبيارى، وبدمشق الشيخ دكدوك، وبفاس أخوه السيد أحمد قاضى مكناسة من بعده، والحاج محمد جنون صاحب اختصار الرهونى، وشيخنا أبو العباس بن الخياط الزكارى، وشيخنا السيد العباس بن أحمد التازى، والعلامة سيدى جعفر الكتانى، والقاضى السيد حميد بالتصغير بنانى، وخلق وبمكناس السيد فضول ابن

عزوز، والسيد فضول السوسى، وابن الجيلانى السقاط، والسيد المختار الأجرأوى،
والسيد محمد الهويج وغيرهم.

مؤلفاته: حاشية على السلم فى المنطق وحاشية على رسالة العضد، وشرح
على الهمزية، وحاشيتان على الخرشى، وحاشية على المحلى على جمع الجوامع،
وحاشية على صحيح البخارى، وحاشية على السعد، وتقاييد كثيرة فى أوضاع
مختلفة.

شعره: من ذلك قوله داعيا ربه بتيسير الحج له ولإخواته:

يا ربنا يسر لنا المحجة	لبيتك العتيق كى نحجه
بالمال والصحة والهناء	ورفقة طيبة الثناء
يدعوك ربى أحمد والمهدى	وعمر متعمهم بالقصد

وقد استجاب الله دعاءه فحج جميع من ذكر.

وقوله معتذرا وقد استدعاه السلطان الأعدل سيدى محمد بن عبد الرحمن
قدس سره، للخروج معه فى بعض أسفاره، وذلك فى ربيع الأول عام أربعة
وثمانين ومائتين وألف بواسطة وزيره السيد الطيب بن اليمانى حسبما ذلك بخط
يد المترجم فى كناشة له ومنها نقلت:

بلغت سنين فقل البصر	وأثقل فكرى وعظمى الكبر
وبان المنام وجمع الملاذ	فماذا أؤمل ما المنتظر
وأترابنا قد مضوا جملا	فكانوا كطيف بدا فغبر
وأنت الإمام الرؤوف الشفي	ق بكل الورى وجميع البشر
فكيف بمن عمره معكم	مضى فى الحديث وآى السور

وهذا شفيع عظيم فجد على من بدا عجزه فاعتذر
بقيت مشيداً لدين الإله ومنك ينال المنى والوطر

ولادته: ولد سنة عشرين ومائتين وألف بالحضرة الفاسية.

وفاته: توفى عن ثلاث وسبعين سنة عشية يوم الخميس رابع رمضان عام
أربعة وتسعين ومائتين وألف، ووافق أن كان أول يوم من شتنبر، وصلى عليه من
الغد بعد صلاة العصر بجامع القرويين، ودفن برحبة الزبيب بمحل اتخذ له زاوية
بين مسجد عقبة الزرقاء المعلق الأسفل والمكتب الكائن أسفل منه.

٣٧٦ - المهدي بن علي الإسماعيلي.

الشريف الأصيل، نزيل أبار من تافيلالت.

حاله: ولى صالح، مكاشف فالح، ذو وجهة ودين متين، وأسرار ظاهرة،
وأنوار باهرة، واستغرق فى بحار المحبة الإلهية، والذات المحمدية، كثير التفكير
والعبادة، دائم السكوت إلا لأمر بمعروف أو نهى عن منكر أو إبداء حكمة، يخبر
بما كتته الضمائر، تواترت عنه كرامات، وخوارق عادات.

امتحن أيام السلطان مولانا عبد الرحمن بالسجن فى قيود الحديد فى دار
مكناسة أياما عديدة لأسباب كانت فى الكتاب مسطورة، فكان يراه بعض الناس
يحضر الجمعة بالمسجد الجامع والحال أنه مثقف عليه قيود الحديد، وإذا حان وقت
الصلاة نزع القيد عن رجله وكان إذا مشى الهوينا لا يماشيه المهول، حدثنى غير
واحد ممن وثقت بخبره من أهل بلدنا ممن كان يحرسه مدة اعتقاله أنه دخل يوم
جمعة حين حان وقت الصلاة على المترجم فوجد القيد مطروحا ولم يجد المقيد
والحال أن الحرس بالباب، فتحير واشتد خوفا من العقوبة المخزنية التى تلحقه

٣٧٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٦٦٤/٧.

حيث يعتقد فيه التفريط، فرجع للباب وجلس فى حيرة عظيمة فبينما هو يضرب أخماسا فى أسداس إذ سمع نحنحة المترجم بالمحل، فدخل فزعا فوجده مقيدا، فقال له: مالك أخى حتى الصلاة مع الناس نتركها إلى غير هذا مما يطول.

ولما شاعت وزاعت فى الناس كراماته سرحه الأمير المذكور، وأبدى له أعذاره وطلب مسامحته، فسامحه على أنه لم يؤثر فيه ذلك شيئا، وحدثنى بعض أهل العدل الأعلام أنه أى المترجم كان يدعو للسلطان المذكور فقيل له: كيف تدعو له وهو قد فعل بك كيت وكيت؟ فأجابه بقوله: كيف لا تدعو لمن كان السبب فى ربحك وفلاحك.

وبالجملة فقد كان المترجم كعبة خير وفضل وصلاح وفلاح، يطوف حولها أئمة الدين، وحملة شريعة خير العالمين، لاستصباح قلوبهم من فيض أنوار هديها، منظور إليه بعين الإكبار، والإجلال والاعتبار، معتقدا عند العامة والخاصة.

فلقد كان الشيخ القدوة الحاج محمد جنون كثير الإنكار على أهل الدعوى من المتصوفة شديد الشكيمة فى الله، ومع ذلك فلم يسعه غير الإذعان والخضوع والإقرار والاعتراف بفضل صاحب الترجمة، فكان إذا حل بفاس لا يتقاعد عن تعاهد زيارته ومن ذلك ما عاينه تلميذه أبو العلاء المولى إدريس الفضيلى العلوى، قال: رأيته - يعنى شيخه - جنونا يوما وقد دخل على صاحب الترجمة وحوله جمع عظيم يناهز المائة نسمة ما بين أشراف وعلماء وغيرهم، قال: وشيخنا رحمه الله محتبى بين يديه مطأطئ رأسه بعد أن احتبى حبوات بين يديه، فلما رفع رأسه - أعنى صاحب الترجمة - طلب منه صالح دعائه فدعا له بخير وانتفع رحمه الله بدعائه.

وفاته: توفى بسجلماصة أواخر شعبان أو أوائل رمضان عام ستة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بداره بأبار، إذ قد تنازع بعد وفاته فى مدفنه أهل تلك

البلاد، ثم أقرعوا فخرجت القرعة أن يدفن بقصره المذكور، وبنيت عليه قبة عظيمة، وله الآن هناك شهرة كبيرة، ولا تجد إلا من يلهج باسمه بتلك الأقطار رحمه الله ورحم به .

٣٧٧ - المهدي بن فضول بصرى.

حاله: شاب نشأ فى عبادة الله فقيه نجيب وجيه، فاضل نزيه، حىى أريحي، مهذب طلب العلم ببلدة مكناسة ثم رحل لفاس بعد العشرين من هذا القرن، واستقر بمدرسة الشراطين من فاس، ولازم الأخذ عن شيوخها حتى فتحت له النجاة بابها ثم رجع لمسقط رأسه.

مشيخته: أخذ عن شيوخنا الجللة كالقاضى ابن عبد السلام الطاهرى، وأبى عبد الله بن الحسين العرائشى، والسيد الحاج المعطى بن عبود، وسيدى الفاطمى الشرادى، ومولاي عبد الله الفضيلى، وسيدى محمد بن قاسم القادري، وأبى العباس أحمد بن الجيلانى، وأبى العباس ابن الخياط الزكارى وغيرهم.

وفاته: توفى فى بلده مكناس عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف.

٣٧٨ - موسى بن محمد بن معطى العبدوسى وبه عرف أبو عمران.

حاله: علامة محصل، ناقد خبير متضلع، نقاد مشارك، مفت مدرس نفاع، انتهت إليه رئاسة العلم والفتيا فى زمنه، آية فى المدونة، وكان الشيوخ يقولون: فقهاء العصر على ثلاثة أقسام: من أعطى الحفظ فقط، ومن أعطى الفهم فقط، ومن جمعا له وهو سيدى العبدوسى.

٣٧٨ - من مصادر ترجمته: «جذوة الاقتباس ١/٣٤٦، شرف الطالب فى الموسوعة ٢/٦٤٨، كفاية المحتاج ٢/٢٤٩، نيل الابتهاج ٢/٣٠٠، وفيات ابن قنفذ - ص ٣٦٩.

قال ابن الخطيب القسنطيني فيه: شيخنا ومفيدنا طريقة الفقه، الشيخ الحافظ، مجلسه بفاس أعظم المجالس، يحضره الفقهاء والمدرسون والصلحاء وحافظ المدونة يحضره من نسخها بيد الطلبة نحو أربعين، وله إدلال عجيب في إقراء التهذيب، سمعته يقول: لى أربعون سنة نقرأ المدونة، وفي عام وفاته وقف قارئ الرسالة على باب الجنائز فكره ذلك الطلبة وأرادوا الزيادة ففهم وقال لهم: كرهتم الوقوف على الجنائز، والله لا أقف إلا عليها، فوقف القارئ، وتوفى الشيخ تلك السنة وقال: كان له في الفقه مجلس لم يكن لغيره في زمانه، لازمته في المدونة، والرسالة بفاس ثمان سنين، وكان يعظم الشيخ أبا يعزى، ويحكى عنه في باب زكاة الحرث أنه يخرج للضعفاء تسعة أعشار صابته ويتمسك بالعشر، ويقول: من سوء أدبى أن أخرج العشر وأتمسك بتسعة أعشار.

مشيخته: أخذ عن عبد العزيز القورى، وأبى زيد عبد الرحمن الجزولى الذى ينسب إليه شرح الرسالة المتوفى فى حدود أربعين وسبعمائة، وهو عن الفقيه راشد كما أخذ المترجم عن غيرهما من حفاظ المذهب المالكى.

الآخذون عنه: منهم الإمام ابن عباد، وأبو حفص الجراجى، وأبو عبد الله الهوارى، وابن الخطيب القسطنطينى، والحافظ عمران بن موسى الجاناتى وخلق.

مؤلفاته: له تقييد على المدونة، وآخر على الرسالة، وقيد عنه الحافظ الجاناتى التقييد البديع على المدونة فى عشر مجلدات.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون كما فى الجدوة سنة ست وسبعين وسبعمائة - بتقديم السين على الموحدة فيهما - ورمز لوفاته صاحب الإعلام، بوفيات الأعلام، بلفظ (وعست) من قوله:

وجده موسى أبو عمران فى (وعست) وفاته الأقران

٣٧٩ - موسى العزاف.

حاله: صالح عارف كامل، له قدم عال في التقشف والصبر على سلوك سبيل الخير والمثابرة على فعل الأوامر واجتناب النواهي، أظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات، ذكره العلامة المؤرخ الأديب أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في كتابه السلسبيل العذب والمنهل الأحلى، المرفوع للخلافة العزيزة - يعنى المرينية - التي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى، في سلك من تحلى سلكم في الأربعين في الجبل جيل فاس ومكناسة وسلا، وذكر له كرامات. مشيخته: أخذ عن الشيخ أبي العباس بن عاشر السلاوي، ولم يذكر له الحضرمي وفاة.

٣٨٠ - موسى بن الحجاج أبو عيسى المكناسي.

حاله: إمام في العربية، قال في الروض محلها له: بشيخ شيوخنا، يقوم على تسهيل ابن مالك، ويقرر الألفية بجامعها الأعظم تقريراً حسناً وكثيراً ما يتمثل:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسؤدد

حدثني عنه بذلك الشيخ المعمر أبو عبد الله ابن الأستاذ ابن جابر. هـ.

ويغلب على ظني أنه هو صاحب الضريح الشهير المتبرك به بحومة التوتة إحدى حومات حضرتنا الهاشمية المكناسية والله أعلم.

٣٨١ - موسى بن علي الزرهوني.

المعروف بذي الصخرة دفين مدشر موساوة أحد مداشر جبل زرهون.

حاله: ولي شهير، عارف كبير، ذو سمت حسن، ولين عريكة وخلق مستحسن، يلوح عليه أثر الخير والصلاح، كان يأتي إلى الحجارة الكبيرة والصخور

العظيمة التي لا تطاق فيجهد نفسه في قلعتها وقلبها وتشيعها، فإذا قلعتها ودحرجها عن مكانها أخذ في الاعتبار، والتدبر في باهر صنع الواحد القهار، ولذلك سمي بذى الصخرة، وقد أظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات.

مشيخته: أخذ عن سيدى عبد الله الخياط وغيره من صلحاء الأمة.

الأخذون عنه: أخذ عنه الولي الكبير أبو يحيى الخلطى الدخيسى المتوفى بفاس عام عشرة وألف.

وفاته: توفى بجبل زرهون أواسط العشرة التاسعة من القرن العاشر وضريحه بالمدشر المذكور مزار شهيبة مقصودة.

٣٨٢ - موسى بن أحمد^(١) بن مبارك.

حاله: شعلة ذكاء ودهاء ونباهة، تقدمت ترجمة والده وولده فى الأحمدين، ولأه السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن هشام الحجابة فقام بها أتم قيام إلى أن لبي السلطان داعى مولاه، وأقره السلطان المقدس أبو على الحسن على وظيفه إلى أن استبد على الوزير الصدر إذ ذاك، ولم يزل مستبدا على المنصب إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

وقفت على كثير من رسائل مولاى الحسن إليه لما كان لا زال خليفة عن أبيه والمترجم هو الحاجب، بعضها بخطه كلها، والبعض بتوقيعه، والبعض بطابعه وهى فى الشئون التى كانت تجرى على يده وفى محل خلافته، وقد مرت بك أمثلة منها فى الترجمة المحمدية، وأقدمها تاريخا فيما رأيت أوائل عام واحد وثمانين، وبخزانتنا أيضاً مجلدات مجموع فيها بعض رسائل المترجم الرسمية التى كان يبعث بها فى العهد الحسنى.

٣٨٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٦٢.

(١) فى إتحاف المطالع: «أحمد».

إليك بعضا منها، وهي مما كتب به لأخيه باشا فاس فى مختلف الأوامر.
نص الأول بعد الحمدلة والصلاة:

«أخانا الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الباشا الأسعد سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما كتب لك به السيد عبد السلام احرضان من جعل طابعك بعد ختم الكتاب فيما تكتب به للباشدورات ونحوهم، وتوقفك فى ذلك لما شرحتة، وصار ذلك بالبال، فقد أشار عليك بالقانون الجارى فى ذلك، وهو الذى نفعله نحن معهم، وجرى به العمل سابقا، فلا يتوقف الأخ فيه، ولكل وقت عمل، ولكل فاعل حجة، والله يبارك فى عمر مولانا وينصر به أعلام الإسلام آمين، وعلى الأخوة والسلام فى ٢ فاتح محرم الحرام عام ١٢٩٥، نعم القنصوات الصغار والتجار فلا بأس بجعل الطابع لهم فى المحل المعهود أو بطرة أعلى الكتاب دون هؤلاء لأن مرتبتهم اقتضت لهم ذلك صح به.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثانى للقائد الجيلانى بن حم:

«محبتنا الأعز الأرضى القائد الجيلانى بن حم، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فإن باشدور جنس الطليان الذى كان بحضرة سيدنا أيده الله توجه لمحله على طريق عقبة العربى وقصر فرعون، فيأمرك مولانا أيده الله أن تكتب لخليفتك بزرهون بالقيام بمئونته ومئونة من معه من غير إسراف ولا تفريط، وأكد عليه فى القيام بالعسة عليه حتى يخرج من إيالتك ولا بد وعلى المحبة والسلام وفى ٢٨ ربيع الثانى عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثالث :

«أخانا الأبر الأعز الأرضى، الطالب السيد عبد الله رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فحامله إليك وصيف معتق ساكن بالصويرة اشتكى أن بنتا سرقت له منها وهى حرة تبعا لأُمها، إذ هى حرة بالأصالة، وتداولتها الأيدى إلى أن كان آخر علمه بها أنها وصلت ليد ولد مزوارة الدكالى العمرى، أحد أمناء قبيلته، وقدم بها لفاس، ثم الله أعلم بما فعل بها، إذ لا تحقيق عنده فيها، والآن فلا بدّ ابحث عنها وهو يبحث أيضا واستنشق خبرها حتى تعثر عليها عند من هى، ثم إن سلمها له من وجدت عنده فذاك، وإلا فثقفها على يدك وأعلمنا، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ١١ شوال عام ١٢٩٢ .

موسى بن أحمد لطف الله به» .

الرابع :

«أخانا الأعز الأرضى، الباشا الفقيه السيد عبد الله بن أحمد رعاك الله، بوجود سيدنا أيده الله .

وبعد: فغير خاف على إخوتك أن الشريف اللطيف الفقيه العلامة مولانا الصديق طالما يطلب منّا حين كُنّا بفاس بأن يصل معك الرحم من لدن سمع بولايتك على أهل فاس، وأن يبارك لك فيها، ولم يساعد على ذلك فى تلك الساعة، ولما ورد على حضرة مولانا أيده الله طلب منه ذلك فساعدته أيده الله عليها، وهاهو يرد عليك فلا بد استوص به خيرا، لكونك اليوم أنت باشا، وأما قبل كنت مخزنيا مثلنا وعلى الأخوة والسلام وفى ٢٤ شوال عام ١٢٩٢ ومنه وقد ضرب له سيدنا أيده الله آجلا . بأن لا يزيد عليه ولا ينقص .

موسى بن أحمد لطف الله به» .

الخامس:

«أخانا الأعز الأسعد، الفقيه الباشا الأنجد، أديب الزمان، وعين الأعيان، الرئيس الذى انتخبه الله لرتب المجد والجاه، أبا محمد سيدى عبد الله، أدام سلامتك، وأبقى فى الحق صرامتك، وسلام على أخى ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره.

وبعد: فإن القائد عبد الله الدليمى طلب من سيدنا نصره الله ومنا أن يكون من خدامك ويخدم معك ولده أيضا وتكلفه بالأمر التى يناسب تكليفه بها، وإن أردت من إخوانه نحو العشرة أو أكثر يمدك بهم لتستخدمهم معك إقرارا بإحسانك القديم معه، وكونه منحاشا لجانبنا ومن أهل محبتنا، وقال: إنما هو واحد من أصحابك، فأجاب سيدنا أيده الله أن نكتب لك بمطلبه والاعتناء به، فلا بد أخى استخدمه وولده ومن أحببته يخدم معك من إخوانه مراعاة لمحبتهم فى جانبنا معا، وتعلقه بأذيال كرمنا، بارك الله فيك، وأدام عزك، وحفظنا فيك وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ٢٦ شوال عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

السادس:

«أخانا الأعز الفقيه العلامة الباشا الأسعد السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فعن أمر مولانا نصره الله مر الأمناء أن يصنعوا غشاء من الموبر المطرز بقصد الكتاب الشريف الموجه للدولة الفرائضوية صحبة الأمين الحاج محمد الزبدي، حسبما يشير به عليهم ولا بد، وعلى المحبة والسلام فى ٢١ ذى القعدة الحرام عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

السابع:

«أخانا الأعز الأَرْضِي الفقيه الأَمجد السيد عبد الله بن أحمد، رعاكَ الله والسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فعن أمر سيدنا أعزه الله نفذ لعيال المعلمين الستة الذين توجهوا للوندريز من النجار والفخار والحداد ومن معهم نصف ما قبضوه من الصلة والزرع عند سفرهم إعانة لهم، وعلى الأخوة والمحبة والسلام في ١٢ من جمادى الثانية عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثامن:

«صنونا الأعز الأَرْضِي الفقيه الأَجَل الباشا سيدى عبد الله بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير سيدنا أيده الله ونصره.

وبعد: فعن أمر سيدنا المنصور بالله نفذ للستة والعشرين رجلا من طلبة الهندسة من الصويرة وآسفى وتردانت زادهم، واكثر لهم مراكبهم واصلين لبلادهم ومركوبهم واصلا إلى محل كل واحد منهم ومؤنتهم ما داموا مقيمين هنالك من أمناء دار عدیل ولا بد، وعلى أخوتك التامة والسلام ١٢ جمادى الثانى ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

التاسع:

«أخانا الأبر الأعز الأَرْضِي، الفقيه العلامة الأَجَل الأحظى الباشا الأسعد، السيد الحاج عبد الله بن أحمد، أعانكَ الله ورعاكَ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بما أقلقكم مما أشاعه المرجفون لا بلغهم الله مناهم، وما حصل لكم من العنت لأجل بطاء الخبر الحق عن كنه الحال حتى حملكم ذلك على توجيه وصفانكم وأصحابكم لمشافهتنا وعلم حقيقة ما لدينا، فلا شك عندنا في اعتنائك وتشوفك لخبرنا وكيف لا، ونحن نفس واحدة، وهل عندنا أعز منك أو عندك أعز منا ! ولأى شيء تشوف إن لم تشوف لخبرنا، أدام الله عافيتنا وعافيتك، وشد أزرنا بك، وبارك فيك وفي ذريتك، وقد شافهنا الوصفان والأصحاب ورأوا وسمعوا لما قدمنا لك أولا وثانيا، والحمد لله الذى بنعمته وفضله تتم الصالحات، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى مهل رجب الفرد الحرام عام ١٢٩٣ .

موسى بن أحمد لطف الله به» .

العاشر:

«أخانا الأعز الأود، الفقيه النبيه الأ مجد سيدى عبد الله بن أحمد، حفظك الله وسلام عليك ورحمة عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فإن أهل الذمة بفاس ذكروا أن الذين يحفرون أساس السور الذى بإزاء قبورهم جعلوا يحفرون التراب الذى بالقبور مختلطا بعظام موتاهم ويبنون به وتضرروا بذلك وتشكوا منه، فأنهينا لمولانا المنصور بالله شكواهم فقال أيده الله: أما القبور الخارجة عن الأساس فلا تمس أصلا، وما وجد منها بالأساس ينقل لداخل مقبرتهم ويدفن ولا يرمى به، ويعين اليهود من يحضر منهم لذلك والوقوف عليه، وإن احتيج إلى التراب للبناء يؤتى به من الفضاء ولا بد عن أمر سيدنا أيده الله، وعلى المحبة والأخوة والسلام ٨ رجب عام ١٢٩٣ .

موسى بن أحمد لطف الله به» .

الحادى عشر فى السرور بانتصار الأتراك على الروسيا فى حربهما:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه العلامة الأحظى الباشا الأسعد سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك وبطيه المكاتيب الواردة فى شأن ما سناه الله لعساكر المسلمين من الفتح والظفر، ووقوع الكرة على من بغى وكفر، وقد أطلنا بضمونها العلم الشريف أعزه الله، وصار من سيادته على بال، وقد سر بذلك غاية، ودعا للمسلمين بالنصر والظفر أعلى الله منار الإسلام والمسلمين؛ ومنح لهم الفتح المؤزر المتين، وكبت أعداء الله المعتدين، آمين. وقد أحسنت فى تأكيد الإعلام، وزيادة الاهتمام، وعلى الأخوة والسلام فى ٥ شعبان عام ١٢٩٤.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثانى عشر:

«الأخ الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأمجد، السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بأن الأمناء أحصوا ما بالقوس السعيد من مال المستفادات الواردة من المراسى وغيرها ودفَعُوا مفتاحه للسيد عبد الوهاب الشامى امتثالاً للأمر الشريف، ووصلت الورقة المجملة التى فيها جميع الداخل على القوس والخارج منه التى دفع لك الأمناء، وقد روجعت وقوبلت مع الكناش الذى وجهه السيد عبد الوهاب، فوجد الفرق بينهما فى الباقي بالقوس تسعين ألف مثقال أخرج منه ما هو كسر فى سكة المال الوارد من مستفادات المراسى بعد رده لريال سوم ٣٢، وبقي تسعة وأربعون ألف مثقال زائدة فى زمام الأمناء، ولم نعرف هل وردت بعد توجيه الكناش فلم تدخل له، أم كيف الواقع؟ هذا وقد قوبل كناش القوس تفصيلاً مع ما هنا فى كنانيش الحضرة الشريفة فوجد فيها فرق

كبير من مستفاد المراسى وغيرها لم يدخل بكناش القوس ولا عد فى الخارج، ولم ندر هل تأخرت بالمراسى ولم تصل أو وصلت وحازها الأمانة قبل أن تدخل للقوس أم غير ذلك؟ مع أن الواجب أن يدخل كل شيء للقوس حتى يستقر به ويقيد فى كناشة، ثم يخرج ويثبت فى الخارج.

كما أنا عثرنا على أمور مذكورة فى كنانيش دار المخزن لم نجد لها ذكرا فى كناش القوس، وهما زمام فيه تفصيلها فأطلع عليه الأمانة وأجبنا بجوابهم، وهذا نوع من التخليط الذى ذكر فى كتاب الشريف، واشمأز منه الأمانة وانتصرت لهم، وكنا ننتظر بيانها لنجيبك به، وحين يظهر نوع آخر نعلمك به، فنبههم ليسلكوا الجادة ويضبطوا الأمر، فإن هذه التعذرات إنما تنشأ منهم، ولو صاروا على النهج الصافى الذى عينه لهم مولانا نصره الله عند سفره لم يقع تعذر ولا تخليط وعلى الأخوة والسلام فى ٢١ صفر عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثالث عشر:

«أخانا الأعز الأراضى الفقيه النبيه الباشا الأسعد، سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد أخبر باشادور النجليز بأن هذه مدة من أربعة أشهر منذ كتب لك بالأخذ بيد التاجر الذى كلفه بشراء الزليج لوزيرهم، وإعانتته على ذلك، وإخباره بالثمن الذى اشتراه به فأهملت جوابه، وتغرضت التاجر على شرائه بالثمن الذى يباع به، ولم تبادل به، وعليه فلا بد ثم لا بد خذ بيده فى شراء ما توقف عليه من ذلك، وكن تعامله بمزيد الاعتناء والمراعاة وتقف فى قضاء ما يعرض له عندك، فغير خاف عليك أنه من أنصح النواب وأحبهم فى الجناح الشريف، وأتمهم وقوفا

فى قضاء الأغرراض المولوية، والسعى فى مصالح الدولة الشريفة، ولو لم يكن من ذلك ألا تعلم عسكرنا ببلاده وما يمت به من محبة الجنا ب العالى بالله ومحبتنا لكان كافيا فى الاعتناء بجنابه وتسويغ مطالبه، وعلى الأخوة والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الرابع عشر:

«الأخ الأعز الأرضى الفقيه العلامة الأمجد، سيدى عبد الله بن أحمد رعاك الله وحفظك، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وبطيه نسخة من الكتاب الذى كتبه لك السيد محمد بركاش فى شأن إعلامه فى كل جمعة ٤ مرات بعدد من مات وبأى ألم مات وبما أجبت به على ظهره، وعرفنا مضمن ذلك وأنهينا لمولانا أعزه الله فقال أيدة الله: قد أجبت وأحسن الجواب، ولا يلزمنا شرعا ولا طبعاً ولا قانوناً أن نخبرهم بما عندنا فى ذلك، وتكلف للرقاقيص وأجرتهم، وعلى الأخوة والسلام فى متم رمضان المعظم عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الخامس عشر:

«أخانا الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأمجد، سيدى عبد الله بن أحمد رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وبطيه تقييد ما أخرج من القوس من مشاهرات النجلز على يد الأمناء، وما أخرج بعد وقوف الشامى، وذكرت أن الذى أخرج من بيت المال مقيد فى كناشه، ولم يؤذن للأمناء فى فتحه ليتصفحوه، وقد أنهينا

ذلك لعلم مولانا نصره الله، وصار منه بالبال، فأمر أيده الله أن يفتح بيت المال ويتصفح كناشه ويؤخذ منه المشاهرات المذكورة، ويضاف لها ما دفع من القوس ليكون التقييد على نسق واحد، وقد توجه لكم الأمر الشريف بفتحه وإخراج مائتي ألف مثقال منه الصائر فإن وجدكم الحال لازلتكم لم تخرجوها فيتصفح الأمانة عند إدارة إخراجها، وإن وجدكم الحال أخرجوها فيعيدوا فتحه وتصفح الكناش لأجل ذلك ويعلموا قدر الداخل لبيت المال والخارج منه والباقي، ويطلعوا به العلم الشريف ليكون فيه على بصيرة، وها كتاب مولاي إسماعيل بالمساعدة على فتحه يصلكم.

وعلى الأخوة والسلام فى ٦ شوال الأبرك عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به.

السادس عشر:

«أخانا الفقيه العلامة الأرضى، الباشا الأحظى، سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود آيت ولال، وآيت عياش، وآيت سليمان، وآيت لحسن وشعيب على الأعتاب الشريفة، وولاية عبد الوهاب الذى كان خليفة عند ولد مامة عليهم، كما ورد آيت نعمان، وآيت لحسن وعمرو وتوافقوا على ولاية اليزيد وولى عليهم، وذكرت أن الفرق ٤ الأولى هم ربع بنى مطير والفرقتان الأخيرتان هى الخمس، وقد أنهينا ذلك لمولانا أيده الله وصار بباله الشريف، وقد كتب سيدنا الخليفة مولاي إسماعيل بذلك غير أنكم لم تعرجوا على ذكر ولاية آيت شجر وشن الذين كانوا مضافين إليهم، فلا بد أجروهم ذلك

المجرى، وكذلك من بقى من فرق بنى مطير حسبما تقدم لكم، وعلى الأخوة والسلام فى ١٥ حجة الحرام متم عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

هذا وقد كان مخدمه المذكور السلطان المولى الحسن يجله ويحترمه ويعتبر له سابقة خدمته.

وفاته: ولما قبضه الله إليه فى محرم عام ستة وتسعين ومائتين وألف، شيع السلطان جنازته بنفسه، وأقبره مع والده المقدس وسلفه الأكرمين بضريح مولاى على الشريف من باب إيلان بالحاضرة المراكشية رحمه الله.

ورثاه الأديب الكاتب السيد إدريس بن إدريس بقوله حسبما نقلته من خطه:

عش ما تشاء وأكثرن أو اقصد	ما ذى الحياة على الأنام بسرمد
لا بد من يوم ترد ودائع	هيهات ليس بممكن أن تفتدى
هذى المنايا لا تغادر صالحا	كلا ولا ترثى لحبر سيد
فتكاتها فى العالمين شهيرة	بالقهر تعبت فى العباد وتعتدى
لو كان يدفع بالعشائر مكرها	خلدت عصائب تستعز باجند
أو لو بحسن الفعل والقول السدي	مد بقى الوزير ولم يكن بموسد
لكنها الأعمار تطوى سرعة	كمـلاءة بأكف جلد أيد
والمرء تحسبه مقيما وهو فى	سفر يخلف فدفدا فى فدفد
أين البرامكة الكرام وأين من	سادوا وجادوا بالمبرة واليد
أين ابن يحيى جعفر وأبوه وال	فضل ابن سهل وابن طاهر من هدى

أين الوزير ابن الخطيب واين زم
أيت ابن مقلة وأين ماهان الفتى
أين الأوائل والأواخر كلهم
ساروا كراما ثم نتبع نهجهم
يا عين جودى بالدموع فهذه
أوما نعى الناعون نبراس العلا
أوما نعوا طود العلوم وبحرها
أوما نعوا خلى ومالك مهجتي
تبا لها من قاله كم غادرت
مرهت جفون الدهر من فقدانه
وعرت محياه الكآبة بعد ما
فليبكه الباكون طلق جفونهم
وليبكه القرطاس والقلم الفصل
موسى بن أحمد من لما أسسته
من للديانة والصيانة والحناء
من للضعيف وللكتيب وللغريب
من للمفاخر والمآثر والكبائ
من للمهمة والملمة والصعا

رك بعده وابن العميد المحتدى
والفتح والمنصور ممدود اليد
أفناهم الجدد المحتتم لا اللدد
تالله ما أحد بها بمخلد
أوطانها لا تبخلى بل اسعدى
موسى الكريم البر نخبة أحمد
وجمال وجه الدهر والفخر الندى
وأجل آمالي وغاية مقصدي
فينا أسي من حائر متبلد
حزنا وكان بها مكان الإثم
كانت به الدنيا ضيا كالأسعد
من لم يجد بالدمع ليس بجيد
يحي وكل دوح فى العلا متأود
من صالح من للرشاد مسددى
نة والعفاف وللتقى والمسجد
ب وللغريب وللبعيد المجتدى
ر والصغائر والأمور اللبد
ب المدلهمة والزمان الأنكد

(١) المأثرة: المكرمة. الجمع مأثر.

من للسياسة والرياسة والكيان
 نفسى تغزى واصبرى واستسلمى
 وإذا قضى أمرا بماضى حكمه
 ما ثم إلا ما أراد ومن أبى
 لو كان خير فى الخلود لما جد
 ولئن مضى فلقد بقت أخلاقه
 ما مات من ترك الخليفة بعده
 كلا ولا ضاع امرؤ له علقه
 خدم الخلافة ناصحا متبصرا
 فليهنه ما نال من رضوانه
 وليهن أنجالا له قد أنزلوا
 لقاء مولاه الكريم مسرة
 بجوار خير المرسلين وآله
 وصلاة ربى والملائكة العلاء
 وعلى كرام الصحب والآل الألى
 ما قال محزون على ألافه

سة والنفاسة والعلا والسؤدد
 لمراد مولاك المليك الأوحد
 حق عليك لأمره أن تسجدى
 فليتخذ نهجا سوى أو يردد
 كانت لخير العالمين محمد
 تتلى ووارثه الزكى المولد
 مثل النجيب البر الأرضى أحمد
 ووسيلة فى ذا السبيل الأحمد
 وقضى الزمان بطاعة وتهجد
 وليهنه ما يرتجيه فى غد
 من بره بمحل عز ممهد
 ومبرة فى ظل عيش أرغد
 متنعما فيها باعلا مقعد
 تترا على قبر النبى محمد
 جازت مزاياهم مناط الفرقد
 عش ما تشاء وأكثرن أو أقصد

وقد كتب السلطان المولى الحسن رحمه الله بخطه بقلمه الخفيف على نسخة
 هذه المريثة ما نصه: «وهو كذلك رحمه الله وفوق ذلك وتوجه لابن الحاج يجعلها
 فى تاريخه لفصاحتها وبلاغتها وعذوبتها».

٣٨٣ - الموهوب بن الإدريس الشيبهى .

نزىل زاوية زرهون .

حاله : فقيه مدرس فاضل ، ماجد جليل ، عدل مبرز نبىل .

وفاته : توفى ببلده زاوية زرهون تاسع عشر شعبان عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف ، ودفن بالظهير خارج الزاوية .

٣٨٤ - المؤذن الكاتب .

من بنى المؤذن السجلماسين .

حاله : فقيه نبيه ، كاتب مؤرخ نسابه ، ثقة ثبت ، مطلع محاضر لودعى ، لبيب نقاد ، ناظم ناثر ، يحسن الإنشاء والترسيل ، بديع الخط ، ممتع المجالسة ، سريع الجواب مع إصابة المرمى فيه ، عين لمخدومه السلطان الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل يوصل إليه من أخبار الرعية ما تظافر غيره على كتمانته عنه ، ويفرغ ذلك فى قوالب لطيفة خيالية مضحكة ، لا يعقلها إلا العالمون .

كان فى أول أمره ينسخ الكتب للسلطان مولانا الرشيد بن الشريف المترجم سابقا ، وذلك سبب اتصاله به إذ أعجبه حسن خطه ، ولما أحضر بين يديه بعد أن طلبه لخدمته وقعت له به غبطة ، وحصلت له لديه مكانه مكينة ، لما رأى من نباهته وتيقظه ورجحان عقله وحسن سياسته ودهائه ، فصار من أخص ندمائه ، يمازحه ويضحكه بما لم يقدر أحد لأن ينطق به بين يديه ، ويخصه بسره ويشاوره فى مهمات الأمور ، ويعمل بإرشاداته الصائبة المحمودودة العقبى ، ولم يزل المترجم ملازما لخدمة السلطان المولى الرشيد إلى أن لى داعى مولاه ، فخدم بعده المولى أحمد بن محرز ، إلى أن قتل بسوس ، ثم خدم السلطان مولانا إسماعيل فقربه واصطفاه أنيسا وجليسا .

وكانت للمترجم زوجة ذات آداب ومعرفة بالنظام البيتي اللائق بالملك، فكانت تهذب نساء السلطان مولانا إسماعيل وتعلمهن ما لم يكن لهم به معرفة، فازدادت بذلك عند السلطان مكانة ورد عليها وعلى إخوتها ما لم يبع من أصول والدهم أحمد بن صالح الليريني رئيس فاس الذى كان أوقع القبض عليه المولى الرشيد لما تحقق لديه عيئه وتعيده وظلمه بشهادة عدول فاس، وغرقت ذمته وضمت أمواله لبيت مال المسلمين، وعند ذلك زوج السلطان الرشيد المترجم بنت الليريني المذكور، ولم يزل عيبة سر سيدنا الجد المولى إسماعيل ومحل ثقته يخبره بخفايا الأمور وينقر على سير العمال وولاة الأمر فى الرعية، ولا يخفى عن متبوعه شاذة ولا فاذة، شأن أهل النصح والإخلاص للإسلام والمسلمين، إلى أن نقله الله لما هو خير الأبرار.
